
مذكرات الرئيس القاضي
عبد الرحمن بن يحيى الإرياني
الجزء الأول ١٩١٠ - ١٩٦٢ م

مذكرات الرئيس القاضي

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

الجزء الأول

١٩١٠ - ١٩٦٢

الطبعة الأولى

٢٠١٣

الفهرس

الفصل الثالث

من أحداث فترة الشباب

الفصل الرابع

بدايات النشاط السياسي والعمل الرسمي

الفصل الخامس

العمل السياسي المنظم

الفصل السادس

ثـورة الدستـور

الفصل السابع

الإعتقال والسجن في حجة

الفصل الثامن

ولاية العهد

الفصل التاسع

إنقلاب المقدم الثلايا

الفصل العاشر

برنامج العمل الوطني

الفصل الحادي عشر

الحلف العسكري الثلاثي

الفصل الثاني عشر

العدوان الثلاثي على مصر

الفصل الثالث عشر

مشاركة اليمن في الاتحاد الفيدرالي

الفصل الرابع عشر

الإتحاد الفيدرالي في الجنوب

الفصل الخامس عشر

إستشفاء الامام في إيطاليا

الفصل السادس عشر

إمارة الحج

الفصل التاسع عشر

عام الثورة

الملاحق

(ملحق رقم ١)

(ملحق رقم ٢)

(ملحق رقم ٣)

(ملحق رقم ٤)

(ملحق رقم ٥)

(ملحق رقم ٦)

(ملحق رقم ٧)

(ملحق رقم ٨)

تقديم

بقلم: مطهر بن علي الإرياني

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن

والاه.

وبعد:

فإن الحركة الوطنية اليمنية حركة أصيلة، ولها خلفية تاريخية قديمة وعريقة، قَلّ أن نجد لها مثيلًا بين نظيراتها، منذ أن بدأت الحركات الوطنية العربية في الظهور.

وقد مرت عبر تاريخها الطويل بمراحل متباينة تتلاءم مع التحولات والتقلبات التي مرت بها الأوضاع السياسية في اليمن، ولكنها بمنطلقاتها الوطنية، ظلت سلسلة موصولة الحلقات، عبر مراحلها المختلفة، إلى ان أتيحت لها فرصة الظهور من جديد، كحركة وطنية يمنية حديثة معاصرة.

وهي في نشأتها الأولى، ظهرت كمقاومة شعبية وطنية، تناهض الدعوة إلى نظام الحكم الإمامي كنظام حكم مستفز للمشاعر الوطنية، فقارعته بالسلاح، ونازلته في ميادين الحروب والمعارك، وذلك خلال العقدين الأخيرين، من عقود القرن الثالث الهجري الموافق لأوآخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر للميلاد أي من عام ٢٨٤ إلى ٣٠١ للهجرة (عام ٨٩٧ - ٩١١ للميلاد).

ولكنها سرعان ما اكتسبت مضمونها الفكري الوطني، الذي كان أبو محمد

الحسن بن أحمد الهمداني أول المبشرين به، والمُستمد من الواقع اليمني، بماضيه الحضاري العريق، وبحاضره المتمسك بالقيم الإسلامية السامية، التي آمن بها طوعًا عن فهم عميق وإدراك صحيح، وهذا يعني أن الحركة الوطنية اليمنية بدأت في إكتساب هذا المحتوى الفكري بعد نحو عقدين من الزمن على ظهورها كحركة مقاومة شعبية أي منذ أوائل القرن الرابع الهجري.

ومن يقرأ تاريخ اليمن، يجد حقيقة النشأة المبكرة للحركة الوطنية اليمنية، ماثلة أمامه بكل وضوح وجلاء، ويجد أيضا الأسباب التي جعلت المعارضة اليمنية تنطلق من مواقف وطنية، وليس من أي منطلقات أخرى كتلك التي كانت سائدة في الأقطار العربية الإسلامية الأخرى.

فمن المعلوم ان الساحة اليمنية، شهدت منذ صدر الإسلام، عددًا من أنظمة الحكم التي قامت في مختلف أرجائها، فمن حكم (الولاة) إلى حكم (بني زياد) و (بني يعفر) ومعهما ظهرت الدعوة إلى نظام الحكم (الإمامي) فقيام (الدولة الصليحية) فـ(الدولة الرسولية) فدولة (آل طاهر) إلى غير ذلك من الحركات السياسية الطامحة، والهبات الثورية الجامحة، التي لم تستمر طويلًا.

ومن سنن الله في الأرض، أنه ما من نظام حكم يقوم، إلاّ ويكون له مؤيدون ومعارضون، ومسالمون ومحاربون، وموادعون ومنافسون، ومن يتأمل ما كان يجري على النطاق العربي/ الإسلامي، يجد أن أكثره لم يكن إلاّ صراعًا على السلطة، يتخذ من الدين غطاءًا لمساعيه بما لها من منطلقات، ولم تكن هذه المنطلقات في الحقيقة إلاّ منطلقات (قبلية) أو (أسرية سلالية) أو (مذهبية).

وما من نظام من أنظمة الحكم التي قامت على الساحة اليمنية، إلاّ وقد ناله شيء كثير أو قليل من هذا وذاك، ولكنه لا يعدو ان يكون صراعًا على السلطة منطلقًا من احد المنطلقات المذكورة أو بعضها، اللهم إلاّ الدعوة إلى نظام (الحكم الإمامي) فإنها فوق هذا وذاك من بين سائر الأنظمة، خُصت منذ البداية بموقف وطني يمني يرفضها ويأبى الخضوع لها، لأن أبناء اليمن رأوا انها تدعو إلى نظام

مستفز للكرامة وللمشاعر الوطنية بطبيعته، ويحمل في ذاته نذيرًا بحكم استعلائي استبدادي مطلق، لا يرى للشعب حقه في حكم نفسه بنفسه، ولا يعترف ًله بأي حق من الحقوق الانسانية، ومن ثم لا يرعى فيه إلاّ ولا ذمة.

هذه حقائق تاريخية لا يماري فيها احد، ولا يختلف عليها اثنان، وإن من هذه الحقائق لَما هو مُّر، حتى في فم من يقولها بموضوعية وتجرد، ولكنه لا بد من الجهر بها وطرحها للحوار والنقاش بعقول مفتوحة وبروح ايجابية بنّاءة، وذلك إذا كان المراد من ناحية هو تشريح الواقع اليمني بماضيه القريب، وحاضره الماثل، تشريحًا جريئًا، يساعد على إستشراف مستقبله وعلى شفائه من علل الماضي وأدوائه، وعلى الإبلال من العقابيل التي لا يزال يعاني منها حتى اليوم، وكذلك إذا كان المراد من ناحية ثانية، هو التعرف الشامل على ما للنضال اليمني المنبثق من المبادئ الوطنية، من أصالة تعيد نشأته الأولى إلى أواخر القرن الهجري الثالث، وتضرب بجذوره من حيث المنطلقات الفكرية في أعماق اليمن الحضاري القديم الذي استقى منه لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني، منهجه في إحياء الروح الوطنية وإذكاء مشاعر العزة والكرامة بين أبناء شعبه، بإحياء تاريخهم الحضاري القديم وما كان لهم فيه من الأعمال الحضارية المجيدة، مع مواصلة التعرف على مسيرة الحركة الوطنية اليمنية عبر مراحلها المختلفة، منذ ميلادها الأول لمواجهة الدعوة إلى الحكم (الإمامي) عند بداية ظهورها في عهد الداعيتين الهادي يحيى بن الحسين المتوفى عام ٢٩٨هـ وابنه الناصر احمد بن يحيى المتوفى عام ٣٢٥هـ، إلى أن حان ميعاد ميلادها الجديد كحركة وطنية عصرية حديثة، فظهرت باسمها العام: (حركة الأحرار اليمنيين) وبأسمائها الخاصة التي أطلقت عليها مرحليًا مثل (هيئة النضال) و (جمعية الإصلاح) و(حزب الأحرار اليمنيين) و(الجمعية اليمانية الكبرى) و(الاتحاد اليمني) وبهذا الميلاد الجديد في ثلاثينيات القرن الماضي، دخلت الحركة الوطنية اليمنية، مرحلتها النضالية الحاسمة، ضد النظام الذي واجهته في مطلع الدعوة إليه، في عهد الهادي يحيى بن الحسين وابنه الناصر احمد بن يحيى، وهاهي تجد نفسها في مرحلة الحسم، تواجه الإمامين الأخيرين المتوكل يحيى بن محمد، وابنه الناصر احمد بن يحيى.

ولا شك ان ظاهرة (العصبية بين عرب الجنوب وعرب الشمال) التي استشرت في أقطار الإمبراطورية العربية الإسلامية من خراسان إلى بلاد الأندلس، وذلك منذ بداية العصر الأموي إلى ما بعده من العصور، قد جعلت الدعوة إلى نظام الحكم الإمامي الهدوي في اليمن، تبدو وكأنها لا تعدو ان تكون في أعين كثير من اليمنيين، مجرد موجة من موجات التعصب القبلي الشمالي ضد اليمانية، جرتها المقادير أو دفعتها الرياح، لتغزو اليمن في أرضه وتحل على أهل اليمن في عقر دارهم وبين ظهرانيهم، وقد غابت عن أذهان الدعاة إلى هذا النظام، هذه الصورة السلبية التي لا بد ان ترتسم في أذهان الكثير من الناس، فإذا كان للعلويين حقٌّ في مصارعة ملوك (بني أمية) و (بني العباس) على أساس سلالي ما داموا قد بنوا ملكهم على هذا الأساس وحرموا (العلويين) فصار لهم بذلك، دينٌ لهم الحق في تقاضيه، ولكن هناك في (دمشق) وفي (بغداد) وليكن هذا التنافس السلالي خطبًا من الخطوب التي حلت على العالم الإسلامي العريض الطويل، فما ذنب اليمن واليمنيين في ان يُحكّم سيف التقاضي على أعناقهم، وان تدور رحى حرب الصراع السلالي على السلطة التي ابتلي بها العالم الإسلامي فوق رؤوسهم وعلى أرضهم؟! وإذا كان أبناء الفرع العلوي من الهاشميين، قد حرموا منذ البداية وفي العصر الأموي، من حقهم السلالي بالحجة التي قيلت حينها وهي (حتى لا يجمعوا بين شرف النبوة وشرف الخلافة) أي حتى لا يطغى الحق السلالي الفرعي، على الحق القبلي العام لقريش في ان ترث الإسلام والمسلمين - إن كان دين سماوي مما يُوَرّث لقبيلة- ثم إذا كان الفرع العباسي من الهاشميين قد حرم الفرع العلوي بحجج لخصها شاعر من أنصارهم بقوله:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام؟!

نعم: ما دام ذلك هو ما جرى، فما ذنب اليمن واليمنيين أيضًا في هذا الأمر الذي لا ناقة لهم فيه ولا جمل؟! بل ويرونه غير متوافق مع الإسلام الذي اعتنقوه طوعًا عن فهم عميق وفكر ديني رحب عريق، ما ذنبهم وهم حضريون حضاريون أصحاب حضارة تليدة وتاريخ عريق أقاموا فيه أنظمة الحكم المتطورة التي وصلت

إلى الدولة اليمنية الواحدة، حتى يأتي من يقول لهم لا حق لكم في حكم أنفسكم ويفرض عليهم بالقوة حكمَهُ هو دون سواه.

وبعيدًا عن هذا المسار الواسع الشاسع، وعودًا على بدء، فإن الدعوة الإمامية تداخلت إلى حد كبير مع العصبية القبلية الضيقة ومما زاد طين هذا التداخل بلّة ان كبار الدعاة من العلويين ومن الفرس المقيمين والطارئين من الطبريين الذين جلبهم الهادي من بلادهم طبرستان، اخذوا ينظمون الأشعار ويكتبون القصائد التي ليست إلاّ صدى لـ (شعر العصبية) بقوالبه القبلية الضيقة، وخلاصتها الفخر بعدنان على قحطان، وتفضيل عرب الشمال على أهل اليمن والقدح في حقهم ولكن هذه المرة في ديارهم وبين ظهرانيهم، وهذا بكل تأكيد غاية في الإثارة والاستفزاز، فأحدث هذا الفعل المتسم بالحمق والتحدي، ردة الفعل الحتمية المضادة على نطاق واسع بين الجموع الواسعة من القوى القبلية داخل إطار المهد الأول للدعوة نفسها، وبالأولى خارج هذا الإطار على نطاق أوسع، وكتب التاريخ التي تتناول هذه الحقبة حافلة بالأدلة على اتساع نطاق ردود الفعل هذه لا على أساس رفض المنشأ السلالي للدعوة فحسب بل وعلى هذا المسلك الشعري الصلف المشين، ولكن ردَّات الفعل اليمنية، كانت نابعة من منطلقات وطنية أصيلة، لا من المنطلقات القبلية الضيقة، وذلك للفروق الكبيرة في مستويات التطور الاجتماعي بين المجتمع اليمني وبين القبائل الشمالية وقد كانت بدايات العمل التراثي العظيم الذي قام به الحسن بن احمد الهمداني، هي تصديه للرد على شعراء الدعوة وبخاصة من الفرس الذي أقحموا أنفسهم فيما هو شر محض حتى على الدعوة التي يزعمون أنهم يدافعون عنها، وقد أفضت ردوده الشعرية الكثيرة، لا إلى ان ينظم ملحمته الطويلة (الدامغة) للرد على كل الشعراء داخل اليمن وخارجها فحسب، بل إلى ان يكرس كل جهوده وكل ما منحه الله من العلم الغزير الواسع في شتى الميادين، لإحياء تراث اليمن التاريخي الحضاري العظيم، ليكون مصدرًا من مصادر العزة والكرامة، وزادًا فكريًا للتيار الوطني الواسع الذي وقف في وجه الدعوة الإمامية، ورافدًا من روافد المحتوى الثقافي للحركة الوطنية اليمنية في حينها وفي مراحلها المستقبلية ومن

ثم كان الهمداني بحق هو (لسان اليمن) الناطق باسمه، وفي حياته شاهد أولى النتائج الايجابية التي حققها التيار الوطني الذي هب في وجه الدعوة التي عمل الهادي يحيى بن الحسين على تأسيسها بحد السيف منذ عام ٢٨٤هـ (٨٩٦م)، إلى عام وفاته/ ٢٩٨هـ(٩١٠م)، فعقب وفاته تخلخل كل ما كان قد بناه، وفي عهد ابنه المرتضى محمد مال ما بناه أبوه نحو السقوط لان المرتضى ــ كما يبدو ــ لم يكن راضيًا عن ذلك العنف الذي بلا رحمة، والقسوة التي بلا لين، اللذين اُتبِعا في سبيل تحويل الدعوة إلى ملك وسلطان، ولهذا عزله أساطين الدعوة بعد أشهر لم تبلغ العام وبايعوا أخاه الناصر احمد بن يحيى، فلم يصنع بعنفه وقسوته شيئًا، وقبيل وفاته إنهار كل شيء ودخل ورثته وخاصته في صراع على لقب (الإمام) إلى ان ظهرت عليهم الدولة (الصليحية) ولم يكن قد قام للإمامة نظام تنطبق عليه شروط النظام الحاكم في بلد واسع الأرجاء مترامي الأطراف كاليمن ولهذا يكون الحديث عن الدولة الإمامية في عهدها الأول حديثًا قابلًا لإعادة النظر في مدى صحته، وكذلك لا يمكن الحديث عن العهد الإمامي الثاني لأن الإمامة اختفت تماما في عصر الدولة الصليحية من عام ٤٢٩ الى عام ٥٣٢هـ (١١٣٨م)، وحاولت الظهور في الفترة الواقعة بين انتهاء الدولة الصليحية وقيام الدولة الأيوبية لتعود إلى الاختفاء في عهد الدولة الأيوبية الرسولية وفي عهد دولة بني طاهر حتى عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م).

أما الأمر الذي أصبح له وجود حقيقي في الواقع اليمني على نطاق محدد فهو المحتوى الفكري الديني للدعوة الإمامية المتمثل في المذهب الزيدي بأصوله التي تغلب عليها أصول المعتزلة وبفروعه ذات الطابع الحنفي ولكن أيضا بطابعه الهادوي الذي كان أول ميسم وسمه به هو الخلط بين الدعوة إلى المذهب وبين الدعوة إلى نفسه كإمام يطمع في حكم اليمن فتغلبت الوسائل العنيفة الموصلة إلى الحكم، على أساليب اللين والحكمة التي تُتّبع في نشر الدعوات وهذا الخلط كان له عواقبه الوخيمة على الهدفين وعلى مشاعر الناس المشمئزة من ذلك العنف المفرط في سبيل الحكم الذي هو محضُ عرضٍ من أعراض الدنيا رغم كل ما قد

يُدّعى له من الأهداف السامية. أما التطورات التي حدثت بعد وفاة الناصر بن الهادي، فهي برهان ساطع على صحة أهم الحقائق السابقة إذ ان النزاع الذي نشب بين ورثة الهادي على تصدر الدعوة الدينية المذهبية وعلى تولي السلطة الدنيوية الإمامية قد جعل تيار المقاومة الوطنية الميدانية وتيار الفكر الوطني للواقفين في وجه الدعوة إلى الحكم الإمامي بشرطه السلالي وبأسلوب فرضه بحد السيف، يتجاوز إطار القوى الوطنية المعارضة ليقتحم إطار الدعوة الهدوية نفسها وذلك بانبثاق التيار المعارض لسلبيات الدعوة من اجل تجريدها من عنصري، الاستفزاز، والعنف، ولم يكن هذا الحدث الفكري الكبير إلا ظهور، (الفرقة المطرفية) التي أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى أشهر مؤسسيها، وهو (المطرف بن شهاب بن عمرو الشهابي) الذي ولد في أواخر القرن الرابع وعاش معظم حياته في القرن الخامس للهجرة داعيا إلى أفكاره التي سرعان ما امن بها عدد كبير من أعلام عُلماء الدعوة وسرعان ما انتشرت مدارسها في عدد من المدن والهجر والبلدات والقرى، في أكناف صنعاء شرقا وغربا والى الشمال والجنوب، ولا يتسع المجال هنا للحديث عن هذه الفرقة التي تعرضت في أواخر القرن السادس وما بعده من عقود القرن السابع للهجرة، لأكبر عملية إبادة واستئصال جسدي وفكري، في تاريخ اليمن على يد الإمام عبدالله بن حمزة الذي لم تردعه مكانته العلمية عن القيام بهذا العمل الوحشي البشع، وما يطلبه السياق هنا هو الإشارة إلى انه لا بد ان يكون للمنطلقات الوطنية التي دافعت عن الحق والعدل، اثرها على ظهور هذه الفرقة بمبادئها الدالة على ما لعلمائها من العقول الراجحة المنفتحة على الآفاق الفكرية الرحيبة، التي لا تحصر حق ولاية أمر المسلمين، لا في قبيلة، ولا أسرة، ولا مذهب بعينه، بل هو عندهم حق للأصلح من جميع المسلمين.

ومن الأمور الواضحة ان فرقة «المطرفية» هي فرقة إصلاحية، كان هدفها الأول هو إجراء تصحيح في القاعدة الدينية الهدوية الحاملة لنظام الحكم المنبثق منها لتجريده من طبيعته السلالية، ولجعله نظامًا صالحا للتقبل الشعبي، ومن ثم كان لمبادئ هذه الفرقة منطلقاتها الوطنية إلى جانب منطلقاتها الدينية المذهبية ويكفي

ان يعلم ان علمائها الأجلاء توصلوا من خلال مناقشة كلمة «شريف» اللقب الخاص الذي لم يكن يطلق آنذاك إلاّ على كل من كان علوي النسب إلى ان الأصل في الشرف هو العلم وليس النسب، وأجازوا إطلاقه على من يحوز شرط العلم كائنًا من كان، وبالتالي أجازوا إسناد الإمامة العامة إلى الأعلم والأفضل والأقدر من العرب وغيرهم من الأمم ولهذا وذاك فإن هذا المبدأ من مبادئ هذه الفرقة قد تبناه عالم عظيم من اكبر عُلماء اليمن وهو (نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة٥٧٣هـ).

وعند ذكر هذا العلم الشامخ من أعلام اليمن يحضر استرجاع ذكر الحسن بن احمد الهمداني المؤسس الأول للمنطلقات الفكرية الوطنية للحركة التحررية اليمنية، ويحضر كذلك ذكر (المطرف بن شهاب الشهابي) الذي يمثل ومعه علماء (المطرفية) الأجلاء الحلقة الثانية المهمة في تسلسل الفكر الوطني التحرري الحر أما (نشوان بن سعيد) فهو الحلقة الثالثة، المجددة، لأنه المجدد الثاني لفكر الهمداني المستمد من تاريخ اليمن الحضاري المجيد لإحياء الروح اليمنية المناضلة من جديد ومن بعد هؤلاء جاء عدد من كبار العلماء الذي تساموا على المعايير الضيقة وعلى التقليد، ليواصلوا المسيرة على خطها الوطني الإصلاحي، ومنهم (محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠هـ ١٤٣٦م) و (الحسن بن احمد الجلال المتوفى سنة ١٠٨٤هـ-١٦٧٣م) و (محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى سنة ١١٨٢هـ-١٧٦٩م) و (محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ-١٨٣٥م) وغيرهم من العُلماء الأجلاء الذي يخشون الله حق خشيته.

ومن الحقائق التاريخية الهامة، انه قد أتيحت لنظام الحكم الإمامي فرصتان ليثبت انه حكم قادر على بسط السيادة، وتحقيق الاستقرار والسير باليمن نحو التقدم والازدهار ولكنه فشل في كلا الحالتين فأما الفرصة الأولى فكانت بعد تحرير اليمن من الحكم العثماني الأول وقيام ما يعرف بـ(الدولة القاسمية) ابتداء من عام ١٠٠٦هـ(١٥٩٧م) وانفراد أئمتها بالحكم بعد زوال (الدولة الرسولية) وورثتهامن (آل طاهر) ولكن ما حققته الدولة القاسمية من الهيمنة - وبالقوة أيضًا - لم يدم إلاّ نحو أربعة عقود حيث بدأ النظام في التفكك ثم تفجر النظام من داخله، ونشب الصراع بين المتنافسين واستمرت الأحوال في التدهور حتى

(ضاعت عليهم) طريق الصواب، وقد ظهر في وقت واحد خمسة من الأئمة الذين يدعي كل واحد منهم انه الأحق بالبيعة، وأما الفرصة الثانية فكانت بعد تحرير اليمن من الحكم العثماني الثاني وقيام أسرة (بني حميد الدين) واستتباب الأمور للإمام يحيى في المملكة المتوكلية اليمنية، ورغم أن طبيعة العصر وتطوراته، وضعت أمام الإمام يحي كل الفرص والدواعي لإقامة دولة يمنية حديثة متطورة، إلاّ أن طبيعة النظام فرضت نفسها. ولهذا فإن النظام الذي قوبل بالرفض منذ البداية، ظل مرفوضًا إلى مطلع القرن العشرين حين ظهرت الحركة الوطنية اليمنية في طور نشأتها الجديدة في العصر الحديث، لتجد نفسها عودًا على بدء، في مواجهة آخر إمامين في تاريخ اليمن، وهما المتوكل يحيى بن محمد، ثم ابنه الناصر احمد بن يحيى، تمامًا كما واجهت في مطلع نشأتها الأولى، أول داعيتين إلى نظام الحكم الإمامي، وهما: الهادي يحيى بن الحسين، ثم ابنه الناصر احمد بن يحيى.

وإذا كان التيار الوطني العام منذ نشأته الأولى، قد حال بين الدعاة إلى نظام الحكم الإمامي منذ العقدين الأخيرين من القرن الثالث الهجري، وبين إقامة الدولة الحقيقية التي تمثل هذا النظام، حتى عهد (الدولة القاسمية) التي تفردت في الساحة اليمنية عقب انتهاء (الحكم العثماني الأول) عام ١٠٤٥هـ-١٦٣٥م. ولكنها سرعان ما تفككت بعد بضعة عقود من الزمن، ودخل الداعون إلى أنفسهم في صراع محتدم، حتى مجيء الحكم العثماني الثاني لليمن، فإن الحركة الوطنية اليمنية، تحت اسمها العام الجديد (حركة الأحرار اليمنيين) الذي أطلق عليها، قد تمكنت من الإطاحة بنظام الحكم الإمامي نهائيًا بعد الفرصة الثانية التي أتاحت له الانفراد في الساحة بالوزن الأرجح، وذلك عقب انتهاء (الحكم العثماني الثاني)، ومنذ استتباب الأمور للإمام يحيى ودخوله صنعاء واستقراره فيها إمامًا وملكًا لـ (المملكة المتوكلية اليمنية، بعد توقيع اتفاقية (دعان) عام ١٩١١م وجلاء الجيوش العثمانية.

ورغم ان هالة هائلة من القداسة الكهنوتية الزائفة، كانت قد أحاطت بالإمام يحيى أثناء الحرب ضد الجيوش العثمانية وما أطلقه خلالها من الوعود البراقة،

الخلبية، إلاّ ان ما بني على الزيف والتضليل، لا بد له من الانكشاف والزوال، فلم تمض بضع سنوات على استقرار الإمام يحيى في صنعاء، حتى بدأ التذمر والشكوى، وبدأت المشاعر الوطنية تعبر عن خيبة آمال الناس في الإمام يحيى وعهوده ومواعيده، فقال شاعرٌ ممن كانوا مع الإمام أثناء الحرب:

فوا أسفا ما العذر للترك أننا وعدنا بإجراء الشريعة مطلقا

فلما ملكنا خفها وسنامها نكثنا وأبدينا اعتذارا ملفقا

وهذا مجرد مثال يعبر عن المشاعر العامة، بدليل ان عبارة «يا حيانا من الترك – أي يا لخجلنا من الترك» أخذت تتردد على السنة الناس في كل مكان، وبالتالي فان الهالة التي أحاطت بالإمام أخذت في الاضطراب والتشوش.

لقد تولى الإمام يحيى الحكم في مطلع القرن العشرين، وكانت أنوار النهضة العالمية الكبرى قد عمت أرجاء العالم، واخترقت أسوار العزلة وسدف الظلام التي كانت اليمن غارقة فيها، وتطلع الناس نحو المستقبل والحياة الأفضل، ولكن الإمام بنظرة خلفية متخلفة أعاد سيرة أسلافه في الاستبداد والظلم والجباية للأموال وأضاف إلى الاستعلاء السلالي التعصب المذهبي الذي ظهر أولا وعلانية في عهد (الدولة القاسمية)، وأصبحت التفرقة في المعاملة خلال حكمه ظاهرة سائدة، رغم ان أسبابها الدينية والاجتماعية لا تجعل منها ظاهرة حقيقية، كما ان الإمام يحيى بالغ في الاستبداد والحرص على جمع مقاليد السلطة والتحكم في كل شيء حتى تجاوز أسلافه، وحتى قال عنه كاتب عربي زار اليمن زيارة عابرة (ودخل الإمام صنعاء، وخلص له حكم اليمن، وطالت أيامه، وهو كل شيء في اليمن، ومرجع كل أمر، دق وجل، وما عداه من موظفين وعمال وعسكريين وحكام أشباح وشخوص لا سلطان لها ولا رأي، وكان يرى الاستبداد في الحكم خيرًا من الشورى... إلخ)، ومعلوم ان الأئمة كانوا يرون ان الجهل والتجهيل لعامة الشعب، هو خير حارس لهم ولنظام حكمهم المتخلف، ولكن استمرارية هذه السياسة في مطلع القرن العشرين، كانت ضربًا من الوقوف ضد الإرادة الإلهية والمبادئ الإسلامية التي وافقتها مبادئ

العصر والتي كرمت الإنسان وقضت له بالحرية والتطور والحياة الكريمة، ولهذا فانه لم تحل ثلاثينيات القرن الماضي، حتى انهارت الهالة وتهاوى كل ما كان للإمام من المهابة الكهنوتية، وتبين للناس ان أوهام الكهنوت لا تثبت أمام حقائق العلم وامتلاك القدرات، فها هو الإمام ظِلّ الله في الأرض! – كما يدعي- يرتعد خوفًا أمام الانجليز. ويوقع معهم معاهدة الذل في شهر فبراير عام ١٩٣٤م ويعترف للاستعمار البريطاني بالسيادة على مناطق اليمن الجنوبية، وها هو الإمام وجيشه الجائع الحافي، ينهزم أمام قوات آل سعود، ويوقع بيد صاغرة معاهدة الطائف في شهر مايو من العام نفسه ١٩٣٤م وفيها يتنازل للملك السعودي عبدالعزيز عن إقليمي عسير ونجران وعن حقوق اليمن في الربع الخالي، فلا غرو إذًا أن تمثل هذه الفترة من ثلاثينيات القرن الماضي، مرحلة انعطاف تاريخي حاسم في تاريخ اليمن الحديث وفي تاريخ الحركة الوطنية.

وكانت النتيجة المنطقية، هي انتقال طلائع الأحرار اليمنيين، من حالة التذمر والشكوى، ومن الاكتفاء بالنصح يُسدى إلى الإمام شعرًا ونثرًا ومشافهة.. إلى دور الممارسة العملية للنشاط الوطني، كبثِّ المنشورات المندِّدة بالإمام وحكمه والمطالبة بالإصلاح، مع السعي إلى نشر الوعي وكسب الأشخاص للانضمام إلى صف العمل الوطني، وكان من الطبيعي بعد ذلك انتقال العمل إلى دور عقد اللقاءات والبدء في إنشاء التنظيمات السياسية، وكان كل ذلك يتم سرًا وبتكتم شديد، ومن هنا نشأت حالة التوتر بين الإمام وبين كل من يحوم حوله الشك والارتياب بتطلعاته ((العصرية)) وطموحاته الوطنية، فبدأت الإجراءات التعسفية، ولكن احمد الإبن المرشح لولاية العهد، حاول احتواء هذا التيار وضبط إيقاعه بما يتلاءم مع مصلحة النظام ولصالح طموحاته الشخصية أيضًا، إلا أن طبيعة النظام وطبيعة ولي العهد نفسه، أبت إلاّ الظهور، وفي غضبة من غضبات ولي العهد، هدد وتوعد بان يروِّي سيفه من دمـاء ((العصريين)) فاضطر الزعيمان الكبيران نعمان والزبيري إلى اللحاق ببعض من كانوا قد سبقوهما بالفرار إلى عدن، وكانت هذه لحظة إنعطاف في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية، حيث أتيح لها أن تنشئ أول تنظيم سياسي علني

بإسم (حزب الأحرار اليمنيين) المطالب بإصلاح النظام في الشمال، وأصبح للحركة الوطنية نشاطها العملي وصوتها المسموع في مختلف أنحاء الساحة اليمنية.

وفي الداخل وتحت كابوس الحكم الاستبدادي المطلق، استمر نشاط الأحرار اليمنيين متناغمًا ومتواصلًا مع نشاطهم في عدن وفي مهاجر اليمنيين وفي ظل السرية الكاملة.

وكان القاضي العلامة الرئيس عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، واحدًا من أعلام الحرية العاملين في الداخل قبل قيام التنظيم العلني وبعده.

ومن المعلوم أن القاضي، العلامة، الحُرّ، المناضل، الرئيس عبدالرحمن الإرياني، انخرط في سلك العمل الوطني في مطلع شبابه، وبطريقة تلقائية لأنه تشرب بالروح الوطنية منذ نعومة أظفاره، في بيئته المنزلية أنى استقربه المقام، وبتوجيهٍ وإشرافٍ من والده القاضي العلامة يحيى بن محمد الإرياني رحمه الله.

وعاش عبدالرحمن الإرياني، في قلب الحركة الوطنية، وفي صميم مسيرة الأحرار اليمنيين، وشارك بفعالية في صنع أحداثها وتطوراتها، وكابد ما كابده رفاق المسيرة من المشاق والصعوبات، وأهوال السجون والمعتقلات، وذلك في مرحلة ما قبل ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة عام ١٩٦٢م، كما كابد مع رفاقه الأحرار، الصعوبات الكبيرة والمريرة في مرحلة ما بعد الثورة حتى تثبيتها بتثبيت نظامها الجمهوري عام ١٩٧٠م بعد تحمله للمسؤولية في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، ثم حتى تاريخ اعتزاله للعمل السياسي المباشر عام ١٩٧٤م، بل واستمر في إبداء الرأي وإسداء النصح للمسؤولين خلال كل ما مر به وطنه من الأحداث حتى وفاته عام ١٩٩٨م تغمده الله بواسع رحمته.

ومن هنا فانه من البديهي أن يُقال بأن مذكرات القاضي العلامة المناضل الرئيس عبدالرحمن الإرياني، هي من أوفى وأشمل ما صدر عن الحركة الوطنية اليمنية وعما قامت به من الأعمال النضالية المجيدة، وما فجرته من الثورات والانتفاضات الثورية، حتى قيام ثورتها الخالدة وإعلان النظام الجمهوري في اليمن، ثم ما عانته

بعد ذلك حتى تحقيق النصر النهائي والحاسم للبدء ببناء الدولة الحديثة.. هذا إن لم تكن هذه المذكرات هي الأوفى والأعم والأشمل على الإطلاق حتى اليوم، وذلك لأنها العمل الفكري والتاريخي الذي يشمل المدة كلها من ثلاثينيات القرن الماضي إلى سبعينياته، وهي المدة التي تشكل أهم مرحلة في تاريخ اليمن الإسلامي وفي العصر الحديث بالذات. كما أنها تمر بلمسات عابرة ولكنها معبرة عن الأوضاع التي كانت سائدة على الساحة العربية، وعن أحوال بعض حكامها بين الضآلة إلى حد التهافت، وبين الشعور بالعظمة إلى حد عشق الذات والى حد الجموح والتهور، وكل ذلك يعد من الأسباب التي أوصلت العالم العربي إلى ما هو عليه اليوم، ولهذا فانه سيكون لهذه المذكرات أهميتها الكبيرة للباحث المهتم بدراسة الواقع العربي قبل كارثة ٥ يونيو ٦٧م، وبكل تأكيد، فإن الأفضل للقراء الكرام، هو أن يُتركوا مع مذكرات الرئيس القاضي عبدالرحمن الإرياني، التي تقع في أربعة مجلدات، صدر منها المجلدان اللذان بين أيدي القراء، وسيصدر المجلدان الآخران عما قريب بعون الله وتوفيقه.

على أنه لا بد في النهاية من وقفة أمام مسألة استعانة الثوار اليمنيين بقوات الجمهورية العربية المتحدة (مصر) العسكرية للدفاع عن الثورة في اليمن، وليس المراد بهذه الوقفة، الحديث عن الوقائع والتطورات التي نجمت عن هذه المسألة، لان مذكرات الرئيس القاضي عبدالرحمن الإرياني رحمه الله، قد أعطت هذا الجانب حقه، بل هي أوسع توثيق لها من الجانب الوطني اليمني على الإطلاق.

ولكن المراد بهذه الوقفة هو أولًا: الإشارة إلى العوامل التاريخية التي لا بد أن يكون لها أثرها غير المباشر في الخيارات الإنسانية بدون شعور وبطريقة لا إرادية؛ وثانيًا: الحديث عن بعض الظروف الموضوعية التي اكتنفت هذه المسألة في حينها، أي عند إقرار الثوار اليمنيين لخيار الاعتماد على الـ ج.ع.م. في هذا الصدد، وعند موافقة الجانب المصري على هذا الخيار وإعلانه أنه سيتدخل عسكريًا بمجرد قيام الثورة في اليمن لحمايتها من الخطر الذي قد يهددها من المملكة العربية السعودية ومن يقف خلفها. وثالثًا: الحديث عن أسلوب تعامل القيادات المصرية

مع هذه المسألة، فبعد نجاح قواتهم في حماية الثورة من الخطر الداهم، لم ينجح الأسلوب الذي أتُبِعَ في إنهاء الحرب وضمان السلامة الدائمة للثورة من الخطر الذي جاءوا لِصدِّه.

فأما العلاقات بين اليمن ومصر، فإنها علاقات قوية وقديمة ومستمرة عبر العصور، ولا يوثق هذه العلاقات شيء مثل نصوص المسند اليمني التي تذكر (مصر) بهذا الاسم منذ عهدها الفرعوني، فهذا هو نص مسندي يسجله (عم صادق بن حمعثت ذو يفعان) وهو كبير قافلة تجارية كانت في مصر إبان الحرب بين (مصر) ومملكة (ميديا الفارسية) وقد أنجز كبير القافلة ومن معه من الرجال عملهم وقرروا العودة إلى ارض الوطن، في جو الأخطار القائمة، ولهذا فهم يكررون الحمد لإلههم (عثتر ذي قبض) والثناء عليه لأنهم استطاعوا بفضل عونه وحمايته الخروج من (مصر) أثناء الحرب بينها وبين (ميديا) ووصلوا بسلام إلى مدينتهم (يثيل = براقش) في (الجوف) بسلام. وإذا كانت هي (مملكة ميديا) التي قضى عليها (قورش العظيم- ت/٥٢٩ قبل الميلاد) فإن هذا يدل على مدى قدم العلاقات اليمنية مع مصر في عهدها الفرعوني.

وفي (مصر) إبان عهدها اليوناني البطليموسي، يتحدث (زيد إيل بن زيد ذو ظيران ذواب) صاحب النقش في (هرم سقارة) عن دوره في توفير البخور والسلع الأخرى اللازمة لـ (بيوت الهه مصر) في عهد (بطليموس بن بطليموس) أي (بطليموس الثاني- فيلادلفوس- ٣٠٨-٢٤٦ قبل الميلاد).

وفي عهد (مصر) الروماني، جهز (أغسطس الأول-٦٣ قبل الميلاد إلى ١٤م) حملته للاستيلاء على اليمن عام ٢٤ قبل الميلاد) ومن (مصر) انطلقت الحملة، ولكنها فشلت أو بعبارة اصح هزمت.

و (مصر) في عهدها الإسلامي، كان جيش الفتح الذي قاده (عمرو بن العاص) مكونا بغالبيته العظمى من اليمنيين، وتولى حكم (مصر) عدد من الولاة اليمنيين، وكان القضاة في العهد الأموي والعصر العباسي الأول بغالبيتهم من اليمنيين وبخاصة من رجال حضرموت، حتى لقد قال شاعر مصري حينها:

لقد ولي القضاء بكل أرضٍ قضاة أقسطوا بين الأنام
قضاة لا تلين لهم قناة من الغر الحضارمة الكرام

وخلال العهد (الفاطمي) في (مصر) ظهرت في اليمن الدولة (الصليحية) التي كانت على صلة مذهبية وسياسية مع (مصر) طوال مدة حكمها.

وفي عهد مصر الأيوبية، تولى الحكم في اليمن ولاة بني أيوب ثم ظهرت الدولة الرسولية أعظم دولة ظهرت في اليمن خلال العصر الإسلامي وهي امتداد يمني الهوية لحكم ولاة بني أيوب.

ومن (مصر) المملوكية، انطلقت الحملة الجركسية بقيادة (حسين الكردي) في عهد السلطان قانصوه الغوري لمطاردة البرتغاليين في سواحل البحر الأحمر وبحر العرب، وأثناء وجود الحملة في اليمن استولى السلطان العثماني (سليم الأول) على مصر، فأصبحت الحملة المملوكية نواة للحكم العثماني الأول لليمن.

وفي عهد (محمد علي) فإن حملات ابنه (إبراهيم) التي أنهت الدولة الوهابية الأولى في نجد، بلغت إلى بعض الأراضي اليمنية وخاصة سواحل البحر الأحمر.

وفي عهد النهضة المصرية، فإنه لم يكن لأي قطر عربي من التأثيرات الثقافية والسياسية على اليمن واليمنيين ما كان لمصر.

وعند قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م، كان لها في اليمن دور كبير في إحياء الآمال بعد ماحل بالحركة الوطنية اليمنية من التنكيل على يد الإمام احمد الذي الحق بها ضعفًا كبيرًا، ولم تنتعش الأمال عند اليمنيين إلاّ بقيام الثورة المصرية، وبخاصة بعد أن لجأ إليها من منفاه القصي في باكستان الزعيم، الكبير الأستاذ محمد محمود الزبيري رحمه الله، وبذلك تم إستئناف العمل الوطني العلني من عاصمة مصر الثورة.. القاهرة.

ولا شك أن علاقاتٍ لها من المتانة والقدم والتواصل، ما لهذه العلاقة بين اليمن ومصر، يجعل مسألة الإستعانة بمصر حينما آن أوان قيام اليمنيين بثورتهم على

حكم الاستبداد والظلم البغيض، أمرًا منسجمًا مع الحقائق التاريخية الثابتة.

وأما الظروف التي اكتنفت هذه القضية، عندما وصل طرفاها إلى التوافق، وموافقة القيادة المصرية، على دعم الثورة اليمنية عسكريًا بمجرد قيامها لحمايتها من الخطر الذي لم يكن ليهددها لولا وقوف التدخل الخارجي بقيادة المملكة السعودية وراءه، فقد كانت تلك الفترة قمة الصراع بين التيار القومي والتيار المضاد، بقيادة كل من مصر والسعودية، وكان التيار القومي قد مني في أوائل ستينيات القرن الماضي، وبالتحديد في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١م - أي قبل قيام الثورة اليمنية بعام واحد- بأول ضربة موجعة، حينما حدثت كارثة انفصال سوريا عن مصر، وانهيار تلك التجربة الوحدوية، ولم يبق منها شكليًا إلاّ إسم «الجمهورية العربية المتحدة» الذي لم يعد يطلق إلاّ على مصر وحدها.

وللتذكير فان الاتهام قد وجه إلى المملكة العربية السعودية بوقوفها وراء هذه العملية، ومن هنا فان من الدوافع القوية التي جعلت القيادة المصرية توافق على التدخل في اليمن، الشعور بالمهانة والمساس بالكرامة في مصر، ومحاولة الانتقام، ورد الصاع صاعين للمملكة السعودية التي كانت اكبر المعارضين لقيام ثورة تغيير النظام الملكي في اليمن.

وأمّا تجربة الوجود المصري في اليمن بصفة عامة، فإن أول ما يجب أن يُقال فيه هو أن مصر قد وفت بوعدها، فلم يكد ضباط اليمن الأحرار يفجرون الثورة في ٢٦ سبتمبر عام ٦٢م، وشرعوا يخرجون إلى المواقع للدفاع عنها، حتى بدأت وحدات الجيش المصري عمليات الإنزال في ميناء الحديدة في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ٦٢، ثم الصعود إلى صنعاء ومنها إلى مواقع القتال. وتسجيلًا للحقيقة التاريخية، فان جنود هذه الوحدات الأبطال وضباطهم الميدانيين الشرفاء، قد أدوا واجبهم العسكري بقوة وشجاعة وإخلاص، فكان الفضل الأول في صد الهجوم الأول والخطير، والذي كان المعدون له من السعوديين وفلول الملكيين والمرتزقة الأجانب وعشرات الآلاف من المرتزقة المحليين والمضللين، كان لهؤلاء الأبطال من

أبناء مصر ثم لمن كان معهم من ضباط الثورة الأحرار، ورجال القبائل الوطنيين ومن تطوع في الحرس الوطني. ولا شك أن هذا العمل العظيم الذي قام المقاتلون المصريون وضباطهم، سيظل مسجلًا بأحرف من نور على أنقى صفحات التاريخ، وسيظل له من الشعور بالعرفان والامتنان في قلوب اليمنيين وعقولهم ما يخلده إلى الأبد.

وأما أسلوب إدارة هذه التجربة من قبل السياسيين وكبار العسكريين، ومنذ بدايتها حتى نهايتها، فإنها خضعت لاعتبارات سياسية خارجة عن إطار الدفاع عن الثورة دفاعًا يضمن لها البقاء بعد النصر الأول الذي أحرزته، وذلك لان هذا النصر العسكري لم يُرفق بالعمل السياسي الموازي الذي يضمن للنصر الأولي التطور إلى نصر أوسع يكفل له وللعمل السياسي الوصول بالقضية برمتها إلى الحل السليم والدائم، والذي لا يمكن أن يكون سليمًا ودائمًا إلاّ إذا كان مرضيًا للأطراف الرئيسية ذات العلاقة بالقضية، كما أنه لا يمكن الوصول اليه وضمان سلامته ودوامه بالحرب وحدها كما هو معروف عبر التاريخ.

لقد كان أعلام الحركة الوطنية ورجالها المناضلون، من العُلماء والضباط والتجار والمشائخ وطلائع المثقفين، على علم تام بما تكنه المملكة السعودية وبعض الدول الكبرى من النوايا العدوانية لأي ثورة تقوم في اليمن، ضد المملكة المتوكلية اليمنية وتقوم بتغيير هذا النظام إلى النظام الجمهوري، ولتدارك أخطار هذا العداء الخارجي وما يعد له من عدوان مرتقب ولا مناص من حدوثه، تبادرت إلى أذهان أحرار اليمن فكرة الاستعانة بقوة خارجية لمواجهة عدوان عدو خارجي، وكان من المنطقي أن تتبادر إلى أذهانهم (مصر) قبل غيرها للمسوغات التاريخية التي سبقت الإشارة إليها بكل اختصار، ولمسوغ هام وجديد وهو قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م، وتبنيها السياسي للفكر القومي ولخط المناصرة لحركات التحرر الوطني على الإجمال ثم على مستوى الوطن العربي خاصة منذ عام١٩٥٦م عقب تأميم قناة السويس فقد لفت التأييد الجماهيري العربي الواسع للقيادة المصرية في هذه الخطوة وما تلاها من الحرب التي عرفت بالعدوان الثلاثي أذهان القادة المصرية

إلى أهمية العمل على هذه الساحة التي تجعل لمصر دورها القيادي الطموح.

وكان القاضي العلامة عبدالرحمن الإرياني، من أكثر الأحرار معرفة بما تضمره السعودية من العداء لأي ثورة دستورية إصلاحية، وبدرجة اشد واعنف لأي ثورة تغير النظام الملكي، وذلك لأنه سمعها بإذنيه من فم الملك -ولي العهد آنذاك- فيصل بن عبدالعزيز، أثناء لقائه معه عام ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م) عند الحديث عن التغيير في اليمن إذ قال فيصل «لنا شرط واحد وهو أن لا تعلنوا الجمهورية، فإذا أعلنتموها فإنني أقول لك من الآن بأنّا لن نقف مكتوفي الأيدي وسنحارب حتى النهاية». ولهذا فقد كان القاضي عبدالرحمن الإرياني، مدركا أهمية الدعم المصري لمواجهة هذه النزعة العدائية السافرة من الجار الذي يملك من الإمكانيات المادية ما يجعله قادرًا على تنفيذ وعيده.

ومن ثم فإن عبدالرحمن الإرياني، كان من أحرص رجال اليمن، على نجاح التجربة المصرية اليمنية القومية في تثبيت الثورة ومبادئها ونظامها الجمهوري، وجعل هذا الموضوع أمرًا واقعًا لا يملك الأعداء إلاّ الاعتراف به ضرورة ومن موقف قوة، لكي ينصرف أبناء اليمن بالتعاون التام مع الخبرات والكفاءات والإمكانيات المصرية إلى إنتشال اليمن من هوة التخلف السحيقة التي ألقاه حكامه في قرارها المخزي الرهيب، وبذلك يبني البلدان تجربة قومية ناجحة، تكون هي الرد العملي على كل من عمل على إفشال التجربة الأولى بانفصال سوريا عن مصر. ولكن القاضي عبدالرحمن الإرياني وزملائه من أحرار اليمن الصادقين من العُلماء والضباط والتجار والمثقفين والمشائخ ورجال القبائل، صُدموا لأنهم منذ البداية شاهدوا أن هذه التجربة القومية المصرية اليمنية المشتركة، تُدار بأساليب لا تخدم مصالح القطرين المتبادلة، ولا المصلحة القومية العامة الحقيقية.

لقد تنبه الأحرار اليمنيون منذ البداية، إلى أن أوراق القضية اليمنية التي يتوقف عليها مصير وطنهم وشعبهم، قد خُلطت بأوراق تضرها ضررًا بالغًا في الحاضر والمستقبل، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي، كما أنها أوراق مرتجلة

وذات طابع ثأري انتقامي إذا نُظر إليها من زاوية المبادئ القومية الصحيحة، فهي إذًا لا تخدم العمل القومي السليم، بل تلحق به أضرارًا فادحة أيضًا، وذلك ما أثبتته الأيام.

وأصبحت اليمن في نظر أحرارها وأبنائها المخلصين، بل وعلى صعيد الواقع العملي الملموس أمام حرب مفتوحة لا تلوح لها في الآفاق نهاية مرئية بوضوح، ولم يكن هنالك من الأسباب الموضوعية المنطقية، ما يحتم أن تصبح حربًا بلا آفاق محددة، وان تسد كل قنوات العمل السياسي الذي حتى وان رافق الحرب فانه يرافقها ليجعل لها غايات محددة ونهاية مضمونة، تتيح لبلد كاليمن، الخارج من عالم الموت إلى الحياة، أن ينصرف إلى بناء حياته الجديدة، في ظل إنهاء الحرب وتحقيق السلام والشعور بالأمن والاستقرار.

ولا شك أن أول ما يتبادر إلى ذهن كل حر يمني مناضل شريف، في ظل مثل هذه الأوضاع غير الطبيعية ولا المنطقية، هو العمل بكل جد وإخلاص وحكمة وأمانة، والمصارحة بكل صدق من اجل تصحيح المسار، وإعادة وضع المسيرة على دروبها التي تؤدي إلى الحلول لا إلى المجهول.

وفي الحقيقة أن الجهات المصرية الخاصة، بعد حل (الاتحاد الثلاثي) عام ١٩٦١م بعد إصدار المنظومة المعروفة باسم الإمام احمد وذلك قبل قيام الثورة بحوالى ٩ أشهر. قررت إعادة النشاط إلى القوى الوطنية للعمل ضد الإمام ونظام حكمة، ولكنها منذئذٍ بدأت بطريقة مزاجية وأحادية الجانب، في غربلة القوى اليمنية العاملة في المجال الوطني وفي التقييم لمن يعرفونه من الأشخاص سواء كانوا من العاملين في هذا المجال، أم من المتطفلين، والمشبوهين والمندسين، ومن خلال هذه الغربلة القائمة على أسس غير صحيحة، أخذت تستبعد من تشاء من رجال الحركة الوطنية اليمنية، وتستبقي بل وتقحم من تشاء، وكان الزعيمان الكبيران الأستاذ احمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري، ممن تقرر تقليص التعامل معهما والاعتماد عليهما؟!! بتأثير التقارير المخابراتية الجاهلة،

وبتأثير اكبر من المندسين المشبوهين وفي مقدمتهم المشبوه الأكبر البيضاني، وللأسف فان هذه الغربلة استمرت بعد الثورة، وبعد أن أخذت مقاليد الأمور تقع في أيدي القادة والخبراء وعناصر المخابرات.

ولهذا فانه حينما أخذت الأوضاع بعد الثورة تنزلق إلى المسارات الخاطئة، ولم يبق في قوس كل وطني شريف أي منزع، وأصبحت الصراحة واجبًا وطنيًا لا يتخلى عنه إلاّ مفرط في حقوق وطنه، فإن أحرار اليمن وقواه الوطنية، ومنهم القاضي العلامة الرئيس عبدالرحمن الإرياني، قد اختاروا أن يطرحوا على المسؤولين والقادة المصريين، وعلى المسؤولين اليمنيين ايضا،أراءهم بكل صراحة ورصانة وصدق وتحمل للمسؤولية، بآرائهم التي يؤمنون بها عن فهم ومعرفة وخبرة مكتسبة من التجارب العملية، والتي يدعون من خلالها إلى إرفاق الحرب بقنوات للحوار لتضمن للحرب نهايتها الحتمية الايجابية، ليحل السلام محلها، وليسود الأمن والاستقرار على جميع أنحاء اليمن، ولتتحقق لعملية البناء والتطور أجواؤها الطبيعية اللازمة.

ولا شك أن من آمنوا بهذا الموقف الوطني الصادق والنزيه والعادل، كانوا يعلمون ما سيلاقونه من الصعوبات الجمة، وأهمها ما سيلاقونه من الجانبين الخارجيين المتصارعين على الساحة اليمنية، من سوء الفهم، وسوء التفسير، وسوء التصنيف، ومن ثم سوء المعاملة، حتى يجيء اليوم الذي يعترف من بالغ في التشدد، أنه كان على الباطل، وان أحرار اليمن كانوا على الحق، لأن الأوضاع في اليمن ستؤول لتتجسد على صعيد الواقع العملي، طبقًا لما دعى إليه أحرار اليمن وأبناؤه المخلصون، رغم ما لاقوه من العنت.

وحصرًا للحديث في موضوعه، فإن القاضي العلامة الرئيس عبدالرحمن الإرياني، في مرحلة ما بعد قيام الثورة، قد انطلق مع رفاقه من أحرار اليمن والقوى الوطنية الأخرى، لاستئناف مسيرة النضال الوطني من جديد، من أرضية شائكة وحافلة بالمصاعب والمحاذير.

فأما هذه المرحلة بقسميها..الأول: من اكتوبر ١٩٦٢م إلى ٥ نوفمبر١٩٦٧م والثاني: من ٥نوفمبر١٩٦٧م إلى ١٣يونيو١٩٧٤م فإن مذكرات القاضي العلامة الرئيس عبدالرحمن الإرياني، هي بكل تأكيد توثيق شامل لها، يتصف بالدقة والمصداقية، لأنه التوثيق الذي تم من داخلها، ومن صميم وقائعها بمختلف أطرافها، وطبقا لتطورات أحداثها خطوة بخطوة، وبما انعقد فيها من المؤتمرات، والاجتماعات، واللقآت، والمقابلات، وبما صدر عنها من القرارات، ودار خلالها من الحوارات، والمناقشات، والمجادلات..وبما نجم عنها على الصعيد السياسي العام، من التطابق، أوالتوافق، أو الاختلاف، أو التعارض، أو التضاد، ثم ماذا كانت نتائج كل ذلك في النهاية على صعيد الواقع.

على أن الحقيقة التاريخية التي ستظل حاضرة في الأذهان، هي: أن المرحلة الأخيرة من ٥ نوفمبر ١٩٦٧م إلى تاريخ تثبيت الثورة والنظام الجمهوري والبدء في بناء الدولة اليمنية الحديثة حتى عام ١٩٧٤م .. كانت فترة امتحان لإرادة الشعب اليمني ومدى ايمانه بمشروعية حقه في القيام بالثورة وبقدرته على حمايتها حتى النصر النهائي، كما أن هذه المرحلة كانت محكا لمقدار ما تتسم به الآراء والحلول التي ظل أحرار اليمن وثواره المناضلون يطرحونها ويدعون اليها طوال السنوات الخمس السابقة من السداد والحكمة والصدق والمصداقية، رغم ما قوبلت به من رفض المهيمنين على الأوضاع من المسؤولين المصريين واليمنيين، ذلك الرفض الذي أدى في النهاية إلى اعتقال مجموعة كبيرة من قادة العمل الوطني وأيداع معظمهم في زنزانات السجن الحربي وتحديد اقامة الآخرين في المنازل التي أُنزلوا فيها بالقاهرة.

ولم يكن الإمتحان سهلا بطبيعته، ثم بما أضيف اليه من التعقيدات طوال خمس سنوات كاملة، مما أدى إلى أن يكون من الناحية العسكرية إمتحانا بالغ الخطورة والصعوبة، وإلى أن يكون من الناحية السياسية أكثر تعقيدا ومشقة مما كان عليه لو اقترن العمل العسكري بالعمل السياسي منذ البداية وفي زمنه المناسب وباسلوبه الموضوعي الحكيم، ومع كل هذا فإن الشعب اليمني في ظل قيادته الحكيمة

الجديدة، استطاع أن يجتاز هذا الإمتحان بشقه العسكري العسير خلال ما لا يزيد عن ثلاثة أشهر وبشقه السياسي بما فيه من المحاذير والتعقيدات، التي تراكمت بفعل التهريج الذي مثله البيضاني خير تمثيل، وذلك من خلال عمل سياسي حكيم وصادق ورصين دام عامين ونحو عشرة أشهر، تمت خلالها المصالحة الوطنية التي لا حل للمشكلة بدونها، وتم بذلك تثبيت النظام الجمهوري الذي هو الإطار الطبيعي لتنفيذ مبادئ الثورة التي لم يكن قد نُفِّذ منها إلاّ العموميات، والذي كان قد ضحي به في اتفاقية جدة عام ١٩٦٥م طبقا لإرادة الملك فيصل، دون أي اعتبار لإرادة الشعب اليمني وإرادة زعمائه التي تجلت في القسم الذي عاهدوا الله فيه على أن لا تمر هذه الإتفاقية بتتنازلها عن النظام الجمهوري الذي اختاره الشعب اليمني لنفسه.

فأما من الناحية العسكرية فإن اليمنيين استطاعوا بفضل الإيمان وقوة الإرادة وبفضل شجاعة و إستبسال قواتهم العسكرية والحربية المتاحة، أن يثبتوا قدرتهم على مواجهة أكبر حملة عسكرية شنت على ثورتهم منذ بدايتها، فمن المعلوم أن القوى المعادية والمحاربة للثورة اليمنية كانت عند حدوث كارثة يونيو ١٩٦٧م قد أصبحت على يقين تام بأن موعدها مع إنهاء الثورة اليمنية والقضاء عليها قد حان، فعهد إلى المرتزقة الأجانب أن يخططوا لحملة حاسمة، فخططوا لها وسموها «عملية الجنادل» حيث تخيلوا قواتهم وقد تجمعت في قمم الجبال، ثم أخذت في التدحرج بقوة عارمة على صنعاء لإحتلالها وإعلان عودة النظام الملكي إلى صنعاء على أنقاض الثورة ونظامها. وقد انفق على هذه الحملة من الذهب والبترودولار ما لم ينفق على أية حملة قبلها، وأمدت بالأسلحة الخفيفة والثقيلة ووسائل النقل وأجهزة الإتصالات بما لم يسبق له مثيل. ورغم وصول الحملة إلى أكناف صنعاء، واحتلال القمم الجبلية والمواقع المهمة حولها، ومواصلة الضرب عليها بالأسلحة الثقيلة، وفرض الحصار الكامل عليها، إلاّ أن كل ذلك أنتهى خلال سبعين يوما من ٧ نوفمبر ١٩٦٧م إلى ٨ فبراير ١٩٦٨م حيث صدت الحملة وتفرقت شذر مذر، وفك الحصار عن صنعاء وسط ذهول الأصدقاء قبل الأعداء، وبذلك برهن اليمنيون انهم شعب جدير بالثورة وقادر على حمايتها بعد زوال الخطر الداهم الذي كان يخشى عليها منه عقب قيامها.

وأما من الناحية السياسية فإن النظام الجمهوري بقيادة حكيم اليمن القاضي العلاّمة عبدالرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري، والنصر العسكري المذهل على «عملية الجنادل»، قد أصاب القوى الخارجية المعادية للثورة والنظام الجمهوري في اليمن باليأس لأن اليمنيين قيادة وشعبا قد قدموا للعالم بأسره البرهان القاطع على ايمانهم بحقهم في الثورة، والتفافهم حولها، واستعدادهم للدفاع عنها والموت في سبيلها، كما أن القوى المحاربة من المرتزقين المظللين والمرتزقين للارتزاق، بقيادة الأمراء من بني حميدالدين وأعوانهم، قد صدموا صدمة أفضت بهم أيضا إلى اليأس والقنوط، لأنهم يعلمون أن قيام النظام الجديد وانهزام عملية الجنادل المتدحرجة على صنعاء لإحتلالها وإسقاط الثورة والنظام، قد سحب البساط من تحت أقدامهم وأفقدهم الدعم الخارجي الذي لا يستطيعون أن يكونوا شيئا بدونه.

وبهذه التطورات التاريخية الحاسمة، أصبحت الأوضاع في الجمهورية العربية اليمنية مهيأة لأن يقترن العمل العسكري الذي لابد من استمراره لتجنب المحاولات اليائسة، بالعمل السياسي الذي لا يمكن لأي حرب أن تحقق حلا سليما ودائما بدونه، وأثبتت الأيام أن المبادئ والآراء التي كان الزعماء الوطنيون يطرحونها طوال خمس سنوات ولا تلقى إلاّ المعارضة من قبل المهيمنين على الأوضاع هي المبادئ والآراء المنطقية والموضوعية التي تكفل حل القضية حلا يضمن لليمن النظام الجمهوري الذي يعد المكسب الأساسي الذي تم تحقيقه من مبادئ الثورة.

والمجلدان الثالث والرابع من مذكرات الرئيس القاضي عبدالرحمن الإرياني هما اللذان يتحدثان عن التطورات المباشرة التي أدت إلى هذه النتائج الايجابية بعون من الله وتوفيقه.

ولهذا فإن من البدهي، أن تعد مذكرات القاضي عبدالرحمن الإرياني حول هذه المرحلة بقسميها، أحد المراجع الأوفى لمعرفة ما شهدته المرحلة من الأحداث والتطورات على الساحة اليمنية، والتي لا يزال بعضها بمجمله أو بالكثير من تفاصيله، من اسرار المرحلة التي لم تكشف عنها الأستار، أو من وقائعها التي لم تعرف أو عرفت على نحو غير كامل، أو بشكل غير صحيح لما به من نقص أو انتقاص. وبالتالي فانه لا غنى لأي مؤرخ حريص على الأمانة العلمية، إذا هو

أراد الكتابة التحليلية المتوسعة عن المرحلة أو بعض قضاياها، من العودة إلى هذه المذكرات كمصدر للحقائق والوقائع.

وبناء على ما تقدم فإن الخيار الأفضل أيضا، هو أن يترك القارئ مع ما دوّنه الرئيس القاضي العلاّمة الحر المناضل عبدالرحمن بن يحي الإرياني رحمه الله وأنزله في رحاب جناته إنه سميع مجيب.

مقدمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد، فإن كثيرًا من العلماء والزعماء تعودوا أن يسجلوا مجريات حياتهم لتكون ذكرى وعظة لهم، وليخرجوها للناس كجزء من التاريخ العام لارتباطها بأحداث الأيام وتناولها لما عرض في مسرح حياتهم من غِيَر الزمان. وقد أُطلِق على هذا النوع من التسجيل للتاريخ إسم «المذكرات».

وأحداث الثورة اليمنية، بل الثورات المتعاقبة تاريخ مليء بالبطولات والأمجاد والكفاح والنضال رغم ما عاصرها من المآسي والأحداث التي يهتز لها ضمير الإنسانية وتضع العبرة أمام من يعتبر، ويعرض التجربة لمن يهمه أن يستفيد من تجارب الآخرين. ولقد كان هذا التاريخ حريًا بأن تتسابق أقلام المؤرخين والكتاب إلى تدوين أحداثه وتسجيل مجرياته يومًا فيومًا وعامًا بعد عام ليضعوا الصورة الكاملة لكفاح شعب متخلف جاهل معزول ضد حكم طاغ مستبد لبس لباس الكهنوت وساط المواطنين بسوط الدين وألهب أجسادهم بمقارع القداسة التي فرضها لنفسه عليهم وأصبغ عليها صبغة الله، وليعرف العرب والعالم ما قاساه هذا الشعب في ظل ذلك الحكم الفردي المتخلف من ظلم وعسف وعزلة وتجهيل وتقتيل وإفقار ومعاناة في ثوراته المتعاقبة على الطغيان، وما قدمه من تضحيات وشهداء طلبًا للحرية وجريًا وراء الكرامة وبغية التطور والحياة الأفضل وفرارًا من العزلة والجهل والتخلف بكل ويلاتها. ثم ما لقيه هذا الشعب من ويلات ومحن ومن

خراب ودمار بعد ثورته الأخيرة ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م المظفرة نتيجة لحرب استمرت ثماني سنوات ذهبت بالخف والحافر وأكلت الأخضر واليابس وقضت على رجالات اليمن وأبطالها.

تلك الحرب التي وقفت فيها المملكة العربية السعودية مساندة لآل حميدالدين الذين حكموا اليمن زهاء خمسة وثمانين سنة إمتدادًا لحكم الإمامة الذي يزيد على ألف سنة ومحاولتها فرض حكمهم على اليمن مرة أخرى بما صرفته من الملايين من الجنيهات الذهبية والوفير من الأسلحة والعتاد محاربةً للثورة التي قام بها اليمنيون والنظام الجمهوري الذي ارتضوه، وتدخلت فيها الجمهورية العربية المتحدة التي جاءت، مشكورة، بقواتها وأسلحتها لتدافع عن الثورة والجمهورية، مما أدى إلى إتساع دائرة الصراع فأصبح بين الغرب ممثلًا بأمريكا ومن يتبعها من الدول الغربية التي وقفت وراء السعودية تساعدها وتمدها، وبين الشرق ممثلًا بروسيا ومَن وراءها من الدول الاشتراكية التي وقفت وراء الـ ج.ع.م. تساعدها وتمدها. وبذلك تحولت اليمن إلى معترك صراع عالمي وميدان حرب يتلهى فيه ذووا المطامح والمطامع بدماء اليمنيين تسفك وبقُراه ومدنه تدمر وبقيمه وأخلاقياته وتقاليده تتحطم تحت بوارق الأطماع والأهواء. يجري كل ذلك في غير صالح بنيه ولا من أجل تطوره والخروج به إلى الحياة الأفضل بل ليصفي كل فريق من المتصارعين حسابه مع الآخر، مكتفين بأن يقدموا لليمنيين لقاء دمائهم التي تسفك وبيوتهم التي تخرب القشور عن اللباب وإستغناء بالشعارات ترفع والدعايات تنشر وتذاع.

وكل يدعي وصلًا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

إن الأحداث التي جرت على أديم اليمن في حاجة إلى أقلام متفرغة وعقول محللة وضمائر علمية نزيهة. ولو وجدت إذًا لأحتاجت إلى المجلدات العديدة، ولكن أين نحن من القلم المتفرغ والعقل المحلل والضمير العلمي النزيه والموهبة القادرة على صياغة التاريخ بأمانة وتجرد.

وإذا كنا لم نستطع القيام بهذا الواجب الوطني والعلمي على الوجه الأكمل

والأشمل، لأنه يعوزنا القلم المتفرغ والموهبة القادرة، فإن ذلك لا يعفينا من أن نسجل ما سمحت به الظروف من المذكرات على أن نورد ذلك بجمَلِه العفوية وبحروفه التي سجل بها في تاريخ كتابتها ما أمكن، معترفًا بأني لم أعمد إلى التسجيل في المذكرات إلاّ من بعد إشتغالي بالقضية الوطنية وعملي من أجلها. ويمكن تحديد البداية من منتصف سنة ١٣٥٠هجرية (أوائل ١٩٣٢م) وأنا في الثانية والعشرين من عمري. على أن كل ما سُجل قبل ثورة ١٣٦٧هجرية ١٩٤٨م قد ذهب فيما ذهب بأيدي (القبائل) التي هاجمت بلدتنا إريان وأخذت كل ما وصلت إليه أيديها من كتب وأوراق وغيرها. فنهبت ما نهبت وأحرقت ما أحرقت، وذهب كل ذلك أدراج الرياح. وجاءت فترة ما بعد ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)، وهو موعد خروجنا من معتقل حجة وإستقرارنا في تعز، فأعدنا استذكار ما أمكن استذكاره، وسجّلنا ما يهم مما جدّ من الأمور. ولما كنا نعيش الرعب المستمر والتوقع الدائم في أيام حكم الإمام أحمد فقد كنا نواري كل ما حصّلناه في التراب خوفًا من التفتيش الذي ظل سيفه مصلتًا على رقابنا طيلة حكم الإمام أحمد. وتقلّبت بنا الأيام، وجاءت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وذهبنا لنعيد ما واريناه في التراب إلى نور الحياة فإذا بمعظمه قد قضت عليه الرطوبة، فعدنا نتذكر ونسجّل من جديد. وجاءت ١٩٦٦م و١٩٦٧م، وهي الفترة التي كان فيها خلافنا مع الرئيس السلال والمصريين وإحتجازنا في القاهرة ما يقرب من أربعة عشر شهرًا من ١٨ سبتمبر ١٩٦٦م إلى أواخر أكتوبر ١٩٦٧م. وفي هذه الفترة جرت أمور غريبة في اليمن، فتشت بيوت، وهتكت حرمات، وأهينت كرامات مما أضطر الأولاد إلى إرسال ما كان لديهم من الأوراق إلى إريان. وبعد عودنا إلى اليمن لم نجد منها إلا البعض أما معظمها فقد ذهب.

ومن أجل هذا، فإن على القارئ أن لا ينتظر منا مذكرات متواصلة الحلقات بتسلسل الأحداث ولا نعده بها كاملة شاملة، حاوية جامعة، بل نعده بفجوات كثيرة وواسعة للأسباب التي أسلفنا ذكرها. كما أنّا لا نعده بأن نضع بين يديه وتحت أنظاره تاريخ اليمن السياسي في الفترة التي تناولتها المذكرات شاملًا ومنسقًا، مقرونًا بالدراسة للأسباب والمسببات، والعلة والمعلول، والمقدمات ونتائجها، وإنما

هي سرد لبعض الأحداث التي حدثت في اليمن للفترة التي أشرنا إليها ولها ارتباط بحياتي من قريب أو بعيد لا يخرج عن ذلك إلا ما جاء استطرادًا لبعض الأحداث الهامة. وأنا متأكد من حقيقتين إثنتين:

الأولى: إن هذه المذكرات على ما فيها من قصور وعدم شمول فإنها تسجل جزءًا هامًا من تاريخ اليمن في الفترة بين عشرينيات القرن وسبعينياته.

والثانية: إني بذلك أقدم المادة الخام النزيهة والصادقة، ولا بد أن تأتي الموهبة القادرة والمتفرغة لتقرأ السطور وما بين السطور وتخرجه تاريخًا حديثًا لأهم فترة في تاريخ اليمن، فترة التحول من نظام ملكي عتيق إلى نظام جمهوري حديث، ومن مجتمع متخلف متعفن معزول إلى مجتمع يجهد لأن يتطور ويخرج بنفسه إلى حياة أفضل رغم كل العقبات والصعاب التي اعترضت طريقه، والتي سيجد القارئ الإشارة إليها في غضون هذه المذكرات.

ويقف القلم معتذرًا عما سجّله من تقصير أو قصور مؤكدًا أنّا قد تحرينا تسجيل الحقيقة فيما لنا وعلينا ولم نتجاوز قدرنا فيما أثبتناه ولا ادعينا ما ليس لنا من الأعمال ولا تزيدنا إدعاءً، إن لم نقل أن حبّ التواضع قد تغلب في تهوين الكثير مما لاقيناه في رحلتنا الوطنية.

الفصل الأول

لمحة تاريخية

وبعد هذا الموجز الإيضاحي عن موضوع هذه المذكرات ندلف إلى موضوعنا الأساسي مسبوقًا بمقتطفات إجمالية من تاريخ اليمن لإعطاء صورة عن الوضع في اليمن عند مولدي وبداية نشأتي.

اليمن والأطماع الأجنبية

لم يحلّ الألف الثاني قبل الميلاد، إلاّ واليمن تعيش في ظل نهوض حضاري مبكر، وتشهد نظاما حضاريا عظيما ومتطورا، يرفده ازدهار زراعي كبير، وثراء تجاري واسع على صعيد عالمي، في نطاق العالم القديم آنذاك.

وخلال الفي عام ظلت المسيرة في تقدم مستمر، فشيّدت تلك الحضارة العظيمة، التي خلفت من الآثار العمرانية والثقافية ما يبوؤها مكانة رفيعة بين حضارات العالم القديم، وما يشهد لأبناء اليمن بالقدرة على الإبداع والابتكار وخاصة في مجال مغالبة الطبيعة وترويضها وتطويعها للإرادة الإنسانية ومتطلبات الحياة الحضارية.. حياة العزة والكرامة، وحياة الرفاه والسعادة، ونجاحهم في ذلك، حتى لقد أطلق قدماء المؤرخين من اليونان وغيرهم على اليمن اسم «العربية السعيدة».

ولما كانت سنة الله في خلقه، وقوانينه التي وضعها للحياة وتطوراتها، تقتضي أنّ «لكلِّ شيءٍ إذا ما تمّ نُقصانُ» فإنه بعد ألفي عام بلغت فيه الحضارة اليمنية

قمة تطورها، بدأت منذ أواخر القرن الخامس الميلادي، عوامل الضعف تدب في أوصالها وتدفعها نحو المصير الذي انتهت إليه كل حضارات العالم القديم، إما إلى التلاشي، وإما إلى نهوض جديد ولو على نحو مختلف.

وكانت جميع عوامل التدهور والانهيار، قد تضافرت على اليمن وأبنائه، وفي مقدمتها التفكك الداخلي الذي تجسدت أهم مظاهره في الاختلافات الدينية، وما أدت إليه من صراعات بين يمنيين ظلوا على دينهم القديم ويمنيين أفضى بهم تطور الفكر الديني إلى عبادة «الرحمن»، ويمنيين تأثروا بالديانة «الموسوية»، ويمنيين تأثروا بالديانة «العيسوية».

وقد أنعشت هذه الخلافات، الأطماع الخارجية القديمة في الاستيلاء على اليمن، بل إن أيدي الطامعين كانت وراءها. وقد تلاقت المطامع التوسعية الرومانية القديمة، مع المطامع الإقليمية الاكسومية الحبشية الناشئة، فكان ما هو معلوم من دفع الرومان للأحباش الى غزو اليمن واحتلاله بجيش حبشي محمول على سفن الاسطول الروماني.

واستمرت فوضاء الاحتلال الحبشي نحو خمسةٍ وسبعين عامًا، لتحل محلها ــــكما هو معلومــــ فوضاء الاحتلال الفارسي الساساني، ولتستمر نحو خمسه وسبعين عاما أيضا، ولتتضح من خلال هذين الاحتلالين، أن حقيقة ما جرى في اليمن طوال هذه الحقبة، لم يكن إلا مظهرا من مظاهر الصراع بين القوتين العظميين آنذاك، وهما الإمبراطورية الرومانية في عهدها البيزنطي، والإمبراطورية الفارسية في عهدها الساساني.

وبمقاييس أطماع الإمبراطوريات وأهدافها، فإن هذين الإحتلالين كانا فاشلين، لأنه لم يستقر لهما قرار، ولم يحققا للإمبراطوريتين شيئا من أطماعهما العالمية التوسعية، كما لم يتحقق للأحباش شيئا من مطالبهم ومطامحهم الإقليمية، ولكنهما في الحقيقة كانا بالنسبة لليمن كارثة مزدوجة، تولدت منها كوارث على صعيد الواقع اليمني.

لقد فشل الأحباش والرومان في إقامة نظام قوي يحكمه الملك الحميري الذي عمده رجال الدين من الرومان، ومن الأحباش، ليكون ملكا يضبط لهم أمور البلاد ويعيد لليمن قدراته الاقتصادية والإستراتيجية المسخرة لهم ولمصالحهم. أما الفرس فإنهم كما يبدو لم يفكروا بشيء من هذا القبيل مجرد التفكير.

ولاشك أن استمرار الاحتلال الأجنبي لأي بلد، لمدة مئة وخمسين عاما، هو الكارثة الأولى التي تصيب البلد في سيادته واستقلاله وكرامته وامتلاكه لمقدراته وقدراته، ولكن البلد إذا حافظ على وحدته الوطنية وتماسكه الاجتماعي، يظل قادرا على مقاومة الاحتلال ودحره والقضاء عليه، والخروج من تحت نيره بمزيد من العزم والقوة، لاستئناف مسيرته التطورية من جديد.

ولكن الاحتلال إذا اقترن بإنهيار السلطة، والفراغ السياسي، والإنفلات الأمني والإداري، وبعجز المحتل عن إقامة أي سلطة، تصبح مصائبه مضاعفة، وأكثر خطرا، لا على الحاضر فحسب، بل وعلى المستقبل أيضا، وهو الأمر الذي تبقى آثاره الضارة بل الكارثية، حتى بعد القضاء على الاحتلال قتلا واجلاءً، أو بعد تلاشيه وذوبان عناصره واحتواءها.. وهذا هو ما حدث لليمن تحت الاحتلالين الحبشي والفارسي، فقد استشرى التفكك الاجتماعي حتى تحول الشعب اليمني من كيان اجتماعي واحد تقف على قمته الدولة، إلى مجتمع مناطقي وقبلي تحكمه الروابط المناطقية والقبلية بدلا عن الروابط الإجتماعية المتطورة.

وبعد مئة وخمسين عاما من التفكك والتقهقر في ظل فوضاء الاحتلالين المذكورين، أذن الله بظهور الإسلام فأطل فجره مبشرا بشروق شمسه، فكان اليمنيون في وطنهم واينما حلوا هم أول المستبشرين به لأنهم عرفوا أن فيه خلاصهم من تضارب التيارات الدينية المتصارعة على الساحة اليمنية، وفي أرجاء الجزيرة العربية.

وتوافد زعماء اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يزال في مكة وعرض عليه بعضهم الهجرة إلى اليمن لنصرته وتأييده، ولم يأت «عام الوفود» إلا

متمما لدخول اليمنيين في دين الله أفواجا، ولم يكن إسلام (باذان) الفارسي إلا تتويجا لإسلام أهل اليمن.

وجاء عهد «الولاة» ثم عهود «الأئمة» و «الملوك» و «السلاطين» فولي اليمن من ارتفع به الدين إلى مستوى الحكم بشريعة الله.. شريعة الحق والعدل والمساواة، كما وليها حكام لم تتطهر نفوسهم من أدران الجاهلية ورواسب التمييز والتعصب والاستعلاء.

ولا نقف هنا إلاّ عند العصور المتأخرة لما لها من صلة بهذه المذكرات، إما صلة مباشرة وإما صلة غير مباشرة. ففي النصف الأول من القرن العاشر الهجري تعرضت اليمن للغزو الأجنبي. كان ذلك حينما أرسل السلطان سليمان بن سليم العثماني قائده سليمان باشا (بعد استيلائه على مصر وغيرها من الأقطار العربية) على رأس جيش للاستيلاء على اليمن وإخضاع أهلها للحكم العثماني تحت اسم الخلافة الإسلامية، فأنضم إلى جيش المماليك الذي كان في اليمن منذ عهد الطاهريين في أواخر العهد المملوكي بمصر. وقد أحتل القسمين الغربي والجنوبي وبعض مخلاف عسير، أحد مخاليف اليمن، بعد مقاومة شديدة من أهلها، ثم توغل في البلاد حتى وصل إلى صنعاء وما جاورها من الجهة الشمالية، ولكنه ظل عرضة لثورات وطنية جامحة تزعمها أولاد السلطان عامر بن عبدالوهاب وبعض الأمراء من الطاهريين، ثم الإمام شرف الدين يحيى وأولاده، ثم الإمام القاسم بن محمد وأولاده وعلى أيديهم وبالسيوف اليمانية تم جلاء الأتراك من اليمن. وقد تجشم الأتراك آلاف الضحايا في فترة حكمهم لليمن التي امتدت من سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) إلى سنة ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م)، والتي لم يقر لهم فيها قرار ولا هدأ لهم بال. وقد انقطعت صلة العثمانيين باليمن بعد جلائهم عنها واستقر الحكم فيها للأئمة من أولاد وأحفاد القاسم يتسع تارة وينكمش أخرى.

وأما عدن فقد دخلها الانجليز بداية ١٨٣٩م. ولم يتجاوز الإحتلال الإنجليزي مدينة عدن، الاّ أنه قد اتصل بسلاطين ومشائخ القبائل في المناطق الجنوبية

ودخل معهم في إتفاقيات فردية تقدم فيها بريطانيا الحماية لهذه القبائل مقابل ولائها لبريطانيا، ولم تصبح هذه المناطق محميات رسميًا الاّ بعد إحتلال عدن بنحو مئة عام. وقد أثار احتلال الإنجليز لعدن مطامع الدولة العثمانية مرة أخرى فعاودت سلاطين آل عثمان فكرة الاستيلاء على اليمن بحجة تخوفهم من التوغل الإنجليزي في عدن، فأرسلوا حملة كبيرة استطاعت أن تحتل تهامة، ثم استدعاهم إلى صنعاء الإمام المتوكل محمد بن يحيى ليستظهر بهم على مناوئيه فوصلوا إلى صنعاء ومدوا أيديهم إلى كثير من أنحاء شمال اليمن، ولكنهم تعرضوا لثورات عنيفة لم تخمد أوارها من أول يوم وطأت فيه أقدامهم أرض اليمن حتى غادروها إلى غير رجعة في سنة ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٨م في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وقد تزعم الثورات ضدهم في الجهة الشمالية الإمام المحسن بن أحمد ثم الهادي شرف الدين وغيرهما من الأئمة المعارضين لهما ثم الإمام المنصور محمد يحيى حميدالدين ثم إبنه الإمام يحيى. وقد ضحى اليمنيون في الدفاع عن حوزتهم تضحيات لا يستهان بها ولم يبخلوا في تقديم ثمن الحرية والاستقلال.

وقد عقدت الدولة العثمانية اتفاقية مع بريطانيا بشأن عدن والمحميات في سنة ١٩٠٤م، وبموجبها بسطت بريطانيا حمايتها على جزء كبير من الأراضي اليمنية أسمته بالمحميات التسع برغم احتجاجات سكان البلاد ورفضهم للاتفاقية. وكان اليمنيون يعتبرون أن الاتفاقية لم تتجاوز كونها إعطاء من لا يملك لمن لا يستحق، وأن كلا الطرفين المتعاقدين من المستعمرين أو الأجانب الذين لا شأن لهم في البلاد ولا حق يخول لهم التصرف بمصائرها. ولهذا فإن حكومة الإمام يحيى بعد جلاء الأتراك قد أسرعت في إرسال ولاتها إلى المحميات فانضوى كثير منها تحت حكمه كالضالع وجحاف وحالمين والشعيب والأجعود وبلاد القطيبي وحتى نهاية (ملاح) القريبة من لحج، ومثلها الصبيحة وبلاد جعبل وغيرها. كما قدمت بلاد بيحان وغيرها مراسم الولاء، و وصلت وفود العلماء من حضرموت بالبيعة للإمام يحيى.

وقد عقدت حكومة اليمن وبريطانيا بعد ذلك ما يمكن أن تسمى معاهدة مهادنة،

إذ لم تعترف فيها حكومة المملكة المتوكلية اليمنية بحدود تفصل بين شطري اليمن الواحد ولكن بريطانيا لم تحترم هذه المعاهدة فقد ظلت حوادث الاعتداءات البريطانية على المملكة المتوكلية اليمنية مستمرة كما ظل أحرار الجنوب يوالون ثوراتهم ضد الإنجليز على شكل عصابات تهب في وجه الاستعمار البريطاني ثم تختفي. وقد كانت الحكومة في شمال اليمن هي التي تمونهم وتدعمهم ويجدون عندها المأوى ومنها المنطلق. وبعد ثورة ٢٦ سبتمبر الظافرة وجد منها أحرار الجنوب الأم الرؤوم فأُعلنت الثورة في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م من على جبال ردفان وظلت منطلقة حتى تم جلاء الاستعمار واستقلال البلاد في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

اليمن أول العرب مناهضة للاستعمار

هذه نبذة قصيرة ضمت بين أسطرها القليلة موجز تاريخ صراع طويل بين اليمن والاستعمار، ومنها يعرف القارئ أن اليمن هو البلد العربي الأول الذي ناهض الاستعمار ورفع راية الجهاد ضد المستعمرين والأجانب أيًا كان نوعهم، فكافح الإنجليز وثار ضد الأتراك في الأيام التي كانوا يبسطون فيها سلطانهم على الحجاز ونجد وغيرهما من الأقطار العربية، وكان الملك حسين، رحمه الله، يعيش في الأستانة قرير العين بالانعامات السلطانية، وكانت جمعية حزب العربية الفتاة لم تكوّن بعد. بينما الشعب العربي في اليمن يُصلي الأتراك نار ثورته الحامية ويكبدهم من الخسائر في الأرواح والأموال ما يفوق الحصر، فقد ظل معهم في صراع مستمر في هجمتهم الأخيرة مده تنوف على ستين عامًا. وكان دافعه في ذلك القتال المرير والطويل هو اعتزازه بعروبته وحرصه على استقلاله. ولم يكن في جهاده يعمل لحساب دولة أجنبية ولا تسيره أيدٍ غربية أو تخلبه وعود إنجليزية. ولهذا فإنها ما قامت الحرب العالمية الأولى، واندلع القتال بين الأتراك والإنجليز في المناطق الجنوبية حتى هب الشعب اليمني يقاتل الإنجليز بجانب الأتراك، وتقاطر المتطوعون إلى لحج وعدن من كل حدب وصوب يقاتلون بجانب القائد التركي علي سعيد باشا. أما الحكومة فلم تمد الأتراك بغير السماح لمن يريد

التطوع من رعاياها للجهاد دفاعًا عن حوزة الدين وحفاظًا على حمى البلاد وبشيء قليل من الطعام والمؤن.

أرجو أن لا يفهم أحد من كلامي هذا أني أقصد التهوين من جهاد الملك الحسين بن علي، رحمه الله، فليس هذا من شأني. فالملك حسين له مواقفه العربية المشرفة التي وقفها في وجه الإنجليز الذين أرادوا مساومته على فلسطين فرفض، والتي كانت السبب في الإطاحة بعرشه. ولكني أريد أن أثبت حقيقة تاريخية هامة وأصحح غلطة تواطأ عليها المؤرخون حينما قالوا أن أول ثورة عربية مسلحة ضد الأتراك قد أُعلنت من الحجاز بقيادة الملك الحسين رحمه الله، بينما الحقيقة التاريخية تقول أن الشعب اليمني قد سبق إلى الثورة المسلحة قبل ذلك بعشرات السنين. فمن الإنصاف للتاريخ أن نرد فضل الأسبقية في الجهاد الحق إلى أهله غير غامطين حق الذين أسعفتهم ظروف الحرب العالمية الأولى فأسهموا في الإجهاز على الرجل المريض (الدولة العثمانية).

المحميات والسلطنات

لقد منيت اليمن بالغزو التركي في فترتين متباعدتين. واليمن وإن كانت تقف بجميع قواها أمام الغزاة، ولم يتمكن الأتراك في هجمتيهما الاستعماريتين من الاستيلاء على جميع أجزاءها أو حتى على المحافظة على النظام أو الأمن في المناطق التي احتلوها، إلا أن هذا الغزو قد أضعف مركز الحكومة المركزية مما جعلها تنكمش وتتمركز في المناطق الدفاعية الجبلية الداخلية وتفقد السلطة المدنية على أطرافها. وقد كان هذا (كنتيجة طبيعية) سببًا لأن يستقل بعض رؤساء القبائل في أطراف اليمن بتصريف الشئون الداخلية وتكوين ما يسمى بإمارات وسلطنات كان عليها أمراء وسلاطين دفعتهم رغبتهم في الحفاظ على سلطتهم إلى أن يمدوا أيديهم إلى خارج حدود اليمن. فكان أن نشأت المحميات الإنجليزية في الجنوب، وملحقات سلطنة نجد والحجاز في الشمال، وقد كان هذا هو الاسم الرسمي للمملكة العربية السعودية. وقد تذرع الإنجليز في استعمارهم

لعدن وبسط حمايتهم على بقية السلطنات والإمارات، فيما عرف لاحقًا بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، أول ما تذرع باتفاقية وقعوها مع سلطان لحج في سنة ١٨٣٩م ثم في ١١ فبراير ١٨٤٧م، ثم تتابعت الاتفاقيات مع أمراء وسلاطين الجنوب في طلب الحماية لقاء مبلغ بسيط من المال، وتوجتها الاتفاقية التي عقدت بين بريطانيا وتركيا سنة ١٩٠٤م. ولم تلحق مناطق الضالع والشعيب بالمحميات إلا من سنة ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٨م بعد أن ضربت المدن اليمنية الآهلة بالسكان بقنابل الطائرات البريطانية.

كما تذرعت المملكة العربية السعودية باتفاقية طلب الحماية من الحسن بن علي الإدريسي الذي خلف إبن أخيه علي بن محمد بن علي الإدريسي في حكم ما بقي في يده مما كان يعرف تاريخيًا بالمخلاف السليماني. وقد أضطر إلى ذلك حينما عرف عجزه عن مقاومة الجيوش اليمنية الموالية لحكومة الإمام يحيى التي كانت تهدف إلى بسط سيطرة الحكومة المركزية بصنعاء على الأطراف. وقد شعر الأدارسة فيما بعد بخطأهم فانتفضوا على حكومة الملك عبدالعزيز ولجأوا إلى الإمام يحيى وكان أن نشبت الحرب اليمنية السعودية في سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م)، والتي هزمت فيها اليمن وانتهت باتفاقية الطائف التي حددت الحدود بين اليمن والمملكة العربية السعودية.

تعدد الكيانات المركزية

لقد كانت اليمن في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر تعاني من فوضى عارمة. فإلى جانب الحكومة العثمانية، التي كانت في حرب دائمة مع اليمنيين، كانت الثورات تشب هنا وهناك وكان يوجد فريق من الخلفاء أو الأئمة الذين قام كل واحد منهم في جهة يدعو إلى نفسه ويلتف حوله فريق من الطامعين أو المضلَلين. فهناك الإمام المحسن بن أحمد والإمام محمد بن عبدالله الوزير والإمام أحمد بن هاشم والأمام الهادي شرف الدين. وكانت الحالة آنذاك تتمثل في قول الشاعر:

وتفرقوا شيعًا فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

ويمثلها تمثيلًا صادقًا قول الشاعر الشعبي السيد أحمد القارة:

ضاعت الصعبه على الخلفا[١] لاتصدق أن ثم وفا

خبط عشوا والسراج طفا حسبنا لاإله إلا الله

إلى أن يقول يعدد الخلفاء:

والذي في السر كان إمام قد نبع منها بغير كلام
وزحر زحرة بغير وحام وانزوى لا إله إلا الله

وابن شمس الحور في غُرَبَه قد دعا حتى جته شحبه
وخرج منها إلى الرحبه لا لشي لاإله إلا الله

والإمام محسن إمام عظيم بالخلافه والشروط عليم
وهو في حصن الغراس مقيم منتظر لاإله إلا الله

كلهم قاموا بغير ركب من ملك رطلين نحاس ضرب
والوقيد قالوا كبا وقصب وقشاش لاإله إلا الله

وأمير المؤمنين معيض[٢] قد جعل فيها طرق وفريض
شاربه قالوا طويل وعريض مجعلي لاإله إلا الله

ظهور حكم آل حميدالدين

كان على كل إمام من هؤلاء الأئمة أن يقاتل في كل جبهة من جبهات الأئمة

(١) مثل يمني: يضرب في الوقوع في الحيرة التي لا يجد صاحبها منها مخرجًا والصعبة الأتان الصغيرة.
(٢) لم يكن معيض إمامًا وإنما تسلط على صنعاء وكان شبه حاكم فيها باحتضان أحد الأئمة ووصفه بأمير المؤمنين جاء سخرية به وبالأئمة.

المعارضين له، وعلى كل واحدة من هذه الجبهات أن تقاتل الأتراك منفردة. وكانت الضحايا تسقط بدون حساب والدماء تسيل أنهارًا وكل هذه الضحايا وكل تلك الدماء لم تكن، إذا استثنينا الأتراك، إلا من اليمنيين الذين كانوا يتقاتلون مع أنفسهم ويخربون بيوتهم بأيديهم مأخوذين بالحمى الدينية والتشيع المغالي أو بالشح المطاع والهوى المتبع بدون تبصر ولا معرفة للحق ثم المسير معه. ومات بعض هؤلاء الأئمة وقبع بعضهم في بيته نتيجة للقوة النسبية لشوكة خصمه. وكان آخرهم هو الإمام الهادي شرف الدين الذي تحصن في الأهنوم ووجد هنالك أشياعًا وأنصارًا، ولما حانت وفاة هذا الإمام جمع من لديه من العلماء وأهل الحل والعقد وأوصاهم بأن يستدعوا محمد بن يحيى حميدالدين، أبرز علماء صنعاء وأنهضهم، للقيام بالأمر وأن يبايعوه إمامًا لأنه كان في نظره جامعًا لشروط الخلافة وكفؤًا لتحمل الأعباء في تلك الفترة العصيبة.

ومات الإمام الهادي، ونفّذ أتباعه وصيته فاستدعوا السيد محمد بن يحيى حميدالدين من محل إقامته في صنعاء فغادرها متخفيًا في سنة ١٣٠٧هـ (١٨٩٠م). وكان الأتراك آنذاك يحكمون صنعاء، فما راعهم إلاّ نبأ إعلانه الدعوة من الأهنوم تحت لقب المنصور بالله. ووجد المنصور هناك أعوانًا وأنصارًا، وكانت كراهية اليمنيين للأتراك تدفعهم إلى التشيع للإمام والدعوة إليه. وأنتشر العلماء والمرشدون في القبائل اليمنية الشمالية يدعون إلى مباينة الأتراك وموالاة الإمام المنصور. وقد حكم المنصور أربع عشرة سنة كان منزويًا فيها في شمال صنعاء قضاها بين أشياعه من القبائل الزيدية في شهارة وقفلة عذر والسودة. وفي سنة ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م وافاه أجله فبايع العلماء من بعده ابنه الوحيد الإمام المتوكل يحيى، وكان على جانب من الدهاء وينقصه من شروط الخلافة المعتبرة في مذهب الزيدية الكرم، فقد كان غاية في البخل والشح. ولهذا أختلف العلماء في بادئ الأمر وكان بعضهم ومنهم القاضي عبدالوهاب المجاهد الشماحي يرون مبايعة سيف الإسلام محمد بن الهادي المعروف بأبي نيب ولكن الإمام يحيى كان قد عهد إلى الشيخ ناصر الأحمر زعيم قبيلة حاشد التي يعيش الإمام والعلماء في

كنفها وتحت حمايتها وأعطاه مبلغًا من المال ليحسم الأمر حينما يرى أن الكفه قد رجحت لخصمه. وقال الشيخ الأحمر بحزم وصرامة: يا فقهاء ويا سادة، الإمام سيدي يحيى، فلم يجدوا مناصًا من أن يقولوا الإمام سيدي يحيى، وأسرعوا فبايعوه بالإمامة. ولكنه فيما بعد عارضه الإمام الضحياني الذي دعى إلى نفسه في صعدة وبايعه أكثر علمائها ولكنه تضاءل شأنه وعاش منزويًا حتى مات ولم يبايع الإمام يحيى.

الإمام يحيى حميدالدين

وقد ظل الإمام يحيى ينازل الأتراك فينال منهم وينالون منه حتى سنة ١٣٢٩هـ الموافق ١٩١١م حين عقدت بينه وبين الحكومة العثمانية الاتفاقية التي عرفت باتفاقية «دعّان»، ودعّان بلدة في جبال عيال يزيد. وقد كفلت هذه الاتفاقية الموادعة بين الإمام والأتراك على أن يعطى راتبًا شهريًا ويكون من حقه تعيين القضاة الشرعيين في المناطق الزيدية وأن يأخذ الزكاة من هذه المناطق ممن يريد أن يدفعها إليه من مواطنيها مع بقاء حق الدولة العثمانية في أخذ الضرائب من هذه المناطق نفسها.

وفي عام ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م كانت الحرب العالمية الأولى قد أسفرت عن انهزام ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية. وأنكمشت هذه إلى بعض مناطق تركيا وسحبت قواتها من جميع الولايات التي كانت تحكمها بما فيها اليمن، فدخل الإمام يحيى صنعاء لتسلم أزمة الأمور وإنشاء الدولة الجديدة. وأخذ يستولي على المناطق اليمنية منطقة منطقة، ولم يجد مقاومة تذكر إلا في المناطق الشمالية من تهامة بما فيها الحديدة وجبل برع وحتى حدود زبيد وحتى جيزان وعسير. فهذه المناطق كان قد أعلن الإمام محمد بن علي الإدريسي نفسه إمامًا عليها، وظل في حرب مع الإمام يحيى حتى تمكن الإمام يحيى من الاستيلاء على الحديدة والزيدية واللحية وحرض وميدي وحتى الموسم، وأنكمش حكم الإدريسي في بعض مناطق من المخلاف السليماني. وتوفي الإدريسي وخلفه ابنه علي بن محمد ثم خلف هذا عمه حسن بن علي، وقد ظل الادارسة في حرب مستمرة مع الإمام يحيى الذي

كان يرى أحقيته بالإمامة وبالتالي بأن يحكم جميع المناطق اليمنية. ولكن الحسن الإدريسي وابن أخيه عبدالوهاب محمد بن علي عرفا عجزهما عن المقاومة فطلبا حماية الملك عبدالعزيز بن سعود وسلما إليه البلاد على أن تظل الإمارة لهما وعلى أن يكونا تابعين لما كان يسمى سلطنة نجد والحجاز. وقد أضيف بعد ذلك إلى الإسم الرسمي للدولة لفظ وملحقاتها فصار اسم الدولة سلطنة نجد ومملكة الحجاز وملحقاتها واسم حاكمها سلطان نجد وملك الحجاز وملحقاتها، ولم يطلق اسم المملكة العربية السعودية على هذه المناطق رسميًا إلا في ١٧ جمادى الأول سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٨ أيلول / سبتمبر ١٩٣٢م.

الفصل الثاني

المولد والنشأة

التعريف

عبدالرحمن بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن جابر بن عبدالواحد بن محمد الصديقي الإرياني السيفي اليحصبي. ولدت في غرة جمادى الاخرى سنة ١٣٢٨هـ الموافق ١٠ يونيو ١٩١٠م، ونشأت في بلدتي هجرة إريان في أحضان والديّ رحمهما الله. وكانت أول نكبة أحسست بها هي وفاة والدتي عام ١٣٤٠هـ وأنا في الثانية عشرة من عمري. ووالدتي هي السيدة الفاضلة سلوى بنت محمد بن يحي الارياني. كانت امرأة خيّرة ذات ديانة وصلاح وعقل راجح وحب للخير والصدقة.

وإريان التي أنسب إليها هي قرية من قرى بني سيف العالي التابعة لناحية القفر إحدى نواحي قضاء يريم الذي كان يحمل قديما اسم «يحصب» وفيه آثار «ظفار» عاصمة الدولة الحميرية. وإلى «إريان» تنسب أسرة آل الإرياني، وهي أسرة عريقة في العلم والأدب، نبغ منها علماء وشعراء وتولى بعض أبنائها الوزارة للإمام الناصر بن عبدالله بن الحسن قتيل همدان، والإمام المتوكل محمد بن يحيى، والمنصور علي بن المهدي. كما تولى آخرون القضاء والإدارة في كثير من القضوات والنواحي اليمنية، وأنقطع آخرون للتدريس والإفتاء والإرشاد.

علاقة الأسرة بالأئمة

كانت الأسرة الإريانية تعطي ولاءها للزعامة الوطنية التي تقود الثورة ضد

الأتراك المتمثلة بالإمام المنصور ثم بابنه المتوكل. وكانوا يرفضون التعاون مع الأتراك ويرفضون كل ما تعرضه عليهم الدولة العثمانية من المناصب بصورة يمكن أن نصفها بالتزمت، وقد نالهم من جراء ذلك الكثير من عدوان الدولة على بيوتهم وأموالهم. ومع ذلك فقد كان ولاء الأسرة للأئمة مفتوح العينين على عيوبهم غير مخدوعين ولا مضلّلين، وكانوا أول من وقف في وجه الإمام يحيى يطالبه بالعدل ويحذره من الظلم في وقت كان يضع نفسه في مقام القداسة، والإمام المفوض عن الله فلا يُسأل عما يفعل.

ومثال على ذلك فقد كان الوالد وهو في يريم يعتبر نفسه من رجال الإمام يحيى الحريصين على أن يكون كل ما يجري بإسمه من الأعمال متفقًا مع العدل. وفي صفر سنة ١٣٢٩هـ الموافق ١٩١١م جرد الإمام يحيى جيشًا لتأديب بعض القبائل على رأسه السادة عبدالله بن إبراهيم ومحمد بن يوسف ويحيى بن محمد بن الهادي. وقد مر الجيش على مدينة يريم، وهي مدينة وادعة ومن المدن الزيدية التي توالي الإمام يحيى، ففتحت أبوابها لجيش الإمام معتزة به كجيش يكافح لتحرير اليمن من السلطة العثمانية. ولكن الجيش المؤلف من قبائل همجية قد هالهم ما رأوه في بيوت المواطنين الذين فتحوها لاستضافتهم من متاع وأموال لا عهد لهم بمثلها، فأقدموا على نهب كل ما وصلت إليه أيديهم، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن يقطعوا آذان النساء ليأخذوا الأقراط التي عليها. وعلى سبيل النكتة كان الوالد رحمه الله يروي قصة وهي أن بعض الجنود دخلوا إلى بيت، وكان قد سبقهم إليه من أخذ كل ما فيه ولم يبق إلا فرش صغير ينام عليه طفل صغير، فرفعوه من على الفرش ووضعوه على الحصير وأخذوا الفرش. فقال أحدهما للآخر: أترك الفرش للطفل، فرفض. فقال له: اتركه فما يضيع عند الله شيء. فقد أعتبر أن تركه للفرش الوحيد الباقي صدقه لا يضيع أجرها عند الله.

ونكته أخرى يجدر بنا تسجيلها وهي أنه جاء يوم جمعه والقوم لا يزالون في يريم، فحضر كثير منهم للصلاة. وقام السيد محمد بن يوسف، أحد قادة الجيش،



حصن ريمان المطل على هجرة إريان

رحمه الله، خطيبًا في القوم ينعي عليهم ما فعلوه في المدينة من نهب وسلب. وأخذته العبرة والتأثر فبكى، فقال أحد عرفاء الجيش أم سيد يبكي لأن نصيبه من أم فيد قليل (أي السيد يبكي لأن نصيبه من الغنيمة قليل)، فظهر أن القائد قد شارك الجيش فيما نهبوه.

وقد ساء الوالد أن تكون هذه الأعمال هي باكورة عهد الإمام يحيى المنتظرة، فبعث إلى الأمام يحيى قصيدة طويلة يسجل فيها ما قام به الجيش من المنكرات وطالب بتعويض المواطنين عما فقدوه ونسجل منها ما يلي:

على رَسْلِكم أهل المحابر والقَلَم ... بذا خبِّروا فليرقم النظم من رقم

قِفوا ريثما أُملي عليكم رسالةً ... لها الصدق خال وإبن خال لها وعَم

منزهة عن ريبة في حديثها ... وما ربها فيما يقول بمتَّهَم

مبرأة عن ذكر ليلى وزينبٍ ... ومشغولة عن ذكر سلمى وذي سَلم[1]

إلى واحد العصر الإمام الذي سما ... بعلياه حتى جاوز البدر حين تم

فيا راكبًا إما بَلَغْتَ إليه لا ... يكن غير إخبار الإمام لك الأهَم

بما كان حقًا في يريم وما جرى ... من القوم مما أوقع الطفل في الهرَم

فلم يتركوا للمسلمين جميعهم ... من المال مايجدي ببيع ولا سَلَم

وقد أخذوهم من مُحِبٍ ومبغض ... وما فرّقوا بين الصحيح وذي السَقَم

وناهيك ياشمس الأئمة أنّ ما ... بمسجدها من فرشه ليس يحترم

وكم من ضعيف قد أذيق بظلمهم ... رباطًا مع التشديد والهتك للحرم

وقطعُهم أذن الشريفة واقعٌ ... لقرط حقير لا يُقَوّم بالقِيَم

(١) الأبيات الأربعة جاءت بغالب الفاضها في قصيدة للسيد أبي بكر بن شهاب الحضرمي المتوفي سنة ١٣٤١هـ في حيدر أباد فى الهند وهذا من غريب ما يسمي بوقع الحافر على الحافر وقصيدة الوالد أقدم تاريخًا وليس من المحتمل أن يكون ابن شهاب قد أخذ منها لإنعدام وسائل النقل إلى جاوة مهجر ابن شهاب وحيث يقيم.

وقد جاء جواب الإمام يحيى نظمًا مكتفيًا به عن التعويض ومن جوابه ما يلي:

وقد جاءني واليوم باد ضياؤه	**خطاب الذي قد جر بالكاغد القلم**
كتاب امرئ لله ذلك من فتى	**تصرف في ذاك القريض الذي نظم**
يداورنا بالنظم حتى كأنه	**عقود جمان زانه السمط فأنتظم**
وآداب ذي ود لسحبان عندها	**تأخر عيٍّ خانه معجم البكم**
وقد أخبرتنا عن يريم مبينة	**بما كان فيها عن لسان لها وفم**
ومافعل الجيش الذين تعلقوا	**بأسوارها إذ أغلق الباب من ردم**
أتو منكرًا عموا به كل منزل	**وما نزهوا الأمر الشريف عن الوخم**
أفيدك أني لست أرضى فعالهم	**ولا نكر ذي نكر ولا ظلم من ظلم**

وهكذا جاء جواب الإمام يحيى ينعي على الجيش فعلهم ويتبرأ من ظلمهم ولكنه لم يرفع رأسًا إلى اقتراح تعويض المواطنين عما رزأهم به الجيش. وقد بعث الوالد رحمه الله قصيدة أخرى إلى الإمام يحيى يعتب على الإمام عدم تجاوبه مع ما رآه ضروريًا من إنصاف المواطنين بما يتفق ومقام الخلافة ويصور له خيبة الأمل التي مني بها أولئك الذين علقوا آمالهم عليه من المواطنين.

وفي سنة ١٣٤١هـ بعث الوالد الى إبن عمه القاضي العلاّمة محمد بن يحيى الارياني وكان حاكمًا في رداع قصيدة يندد فيها بمظالم حكام الإمام يقول فيها:

نعم ستراني مخبرًا بعجيبة	**وإن كنت تدريها يقينًا محققا**
باحوال حكام الإمام وأمرهم	**لقد شربوا الأطماع كأسًا معتقا**

إلى أن يقول:

فوا أسفا ما العذر للتُرك أننا	**وعدنا بإجراء الشريعة مطلقا**
وقلنا لهم أنتم هدمتم بناءها	**وقد كان قصر العدل يعلو الخَوَرْنَقا**
وأما إذا صارت إلينا فإننا	**سنجعل بين العدل والظلم خندقا**

فلمّا ملكنا خفّها وسنامها	أضعنا وأبدينا اعتذارًا ملفقا

أما الأخ علي بن يحيى الارياني رحمه الله فقد بعث للإمام العديد من النصائح ومنها نصيحته الحائية التي شرح للإمام فيها الكثير مما يعانيه الناس، وطالبه بالإصغاءِ إلى المطالبين بالإصلاح وعدم معاقبتهم بسبب ذلك فقال:

قل يا أمير المؤمنين وخير من	نصر الهدى بأسنة ورماح
لا تجعل الاصلاح ذنبًا لامرئ	يسعى به في غدوه ورواح
شر الملوك مملك يخشى أذى	سطواته الساعون بالاصلاح
حاشاك انك واحد في علمه	مصغ إلى الوعاظ والنصاح

وقبل ذلك كان الوالد القاضي علي عبدالله الإرياني، عم والدي رحمهما الله، قد هاجر من بلده إريان إلى قفلة عِذَر حيث يقيم الإمام فرارًا من الأتراك وولاتهم، ومع ذلك فقد كان صريحًا معه. فلمّا زحف الإمام يحيى على رأس جيش لاحتلال صنعاء في شهر ربيع الأول ١٣٢٣هـ (مايو ١٩٠٥م) وتم له دخول صنعاء رفع إليه الوالد القاضي علي عبدالله الإرياني قصيدة يهنئه فيها بدخول صنعاء وضمنها نصائحه الصريحة ونسجل منها ما يلي:

وقد آن أن أهدي إليك نصائحًا	وأفضل ما يهدى مقال ذوي النصح
تفقد أمور المسلمين جميعها	وبادر لأهل الجور بالعزل والطرح
فلا خير يرجى من ولاية ظالم	ولوكان في أفق السماكين والنطح
ولو كان فيه بسطة من حلاوة	وحذق فما والله في الظلم من ربح
ولكنه يخلي الديار وينصر الـ	عدو وما والله في القول من شطح
وكم من ذآب لا سقى الله عهدهم	يرون وعيد الله ضربًا من المزح
وما همهم غير الحطام وجمعه	فبعدًا إلى بعد وقبحًا إلى قبح

ومـا الخـيـر إلا فـي إتـبـاع محمـد نبـي الـهـدى مـع آلــه أنجـم الفلح

ومـا خـالـف المـنـصـوص فـهـو ضلالة وإن قــرروه فــي الــهـوامـش والشرح

وكان سبب فرار القاضي علي عبدالله الارياني إلى القفلة أنه بعث بقصيدة يهنئ فيها بوقعة أنتصر فيها جيش الإمام على الأتراك في معركة كان يقود القوات اليمنية العلاّمة سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميدالدين رحمه الله وقد جاء فيها:

قـل لـلـكـمـاة مـن الأنـصـار تصدقهم بالضرب والطعن إن القوم قد كفروا

قد كـان قبل دخـول الـقـوم فـي صفـر والـيـوم تـاب وأجـلـى رجـسـهـم صفـر

ووقعت القصيدة في يد الشيخ أحمد صالح البحم شيخ مشايخ قضاء يريم وكان مواليًا للأتراك، وكان في خصام شديد مع القاضي علي، فأرسل القصيدة إلى الوالي تحسين باشا وأغراه به. وقبض على القاضي علي وسيق وأخوه القاضي حسين بن عبدالله الإرياني إلى صنعاء ومثلا بين يدي الوالي التركي الذي أشتد غضبه على الشاعر وأخيه. وكان يتكلم العربية ويجيد فهمها فظل يكرر عليهما جملة «إن القوم قد كفروا» وأمر بسجنهما. وشاءت إرادة الله أن يأتي السيد أحمد الكبسي وكان أثيرًا عند الباشا ويسمى شفيع المذنبين فشفع فيهما. ورفض الوالي فضمن له بقاءهما في صنعاء فأسعد، وأخذ بيديهما من بين يدي الوالي إلى حيث أختفيا، ونصحهما بأن يركنا إلى الفرار ففرا إلى الإمام. ولم يمض مكر الشيخ بهما بدون عقوبة، فقد ظلا يُذكِّران الإمام به حتى بعث له مجموعة من الجيش الوطني قبضوا على ابنه زيد بن أحمد البحم وجاءوا به إلى القفلة. وهناك كان اعتقاله حتى شفع فيه خصماه اللذان كاد لهما والده ودس بهما إلى الوالي. وقد عاد القاضي حسين حاكمًا لقضاء النادرة ثم لقضاء يريم وتوفي ودفن في هجرة إريان سنة ١٣٤٠هـ، أما القاضي علي فقد لازم مقام الإمام وفي غربان من بلاد حاشد توفي وفيها دفن في سنة ١٣٢٣هـ. وفي رثائه قال أخوه حسين رحمه الله:

قبر بغريان حوى ماجدًا   منتخب الآباء إرياني

قبر عليٍّ حبذا من فتى   فرد علوم ماله ثاني

ويأتي القاضي حسن بن أحمد الإرياني فيقول ويحمض في القول وينصح فيجرح في النصح مما دعا الإمام يحيى إلى تهديده بالسجن وكان قد رفع إليه قصيدة طويلة يقول مطلعها:

كم مليكٍ أعداؤه صحبوه   وعن الحق والهدى حجبوه

فقال الإمام أن الشاعر قد حجب عنه الهدى والحق ومعنى ذلك أنه من الضلاّل المبطلين. وقد كتب الإمام في أعلى القصيدة بخط يده ما لفظه (كذاب دقنك يا فقيه) وهذا يدل، مع ما كان يتصنعه الإمام من الحلم، أن التأثر قد بلغ فيه مبلغًا تجاوز حلمه، لأن لفظة (يا فقيه) تعطي التحقير في مصطلحه على عكس المعنى اللغوي للكلمة. وشفع الشافعون وأشاروا على الشاعر بأن يرفع قصيدة يمدح فيها الإمام يقول فيها أنه إمام الحق والهدى ففعل وانطفأت جذوة غضب الإمام.

تعيين الوالد في إب

في عام ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م كانت الحرب العالمية الأولى قد أسفرت عن انهزام تركيا وبدأت جيوشهم تنسحب من ممالكهم خارج تركيا، وكانت اليمن في طليعة الولايات التي جلوا عنها، فَوَفّر ذلك الفرصة للإمام يحيى لدخول صنعاء واستلام زمام الأمور. وقد أخذ فور وصوله إليها يُعَيِّن العمال والحكام في النواحي والقضوات في المناطق الشافعية. وقد أستدعى الكثير من العلماء للقيام بالأعمال القضائية والإدارية. وكان في مقدمة من استدعاهم والدي، القاضي يحيى محمد الإرياني رحمه الله، الذي عينه حاكمًا شرعيًا في قضاء إب، وكان قد عيّن الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه عاملًا لنفس القضاء. ولم يكن الإمام على ثقة من ولاء المنطقة، لذا كان التعيين من أبناء المنطقة المشهود لهم. فالشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه كان من أعيان إب المشهورين بالمجد والكرم، كما أن سمعة الوالد كأحد العلماء المشهود لهم قد شملت المنطقة، وكان طلبة العلم يقصدونه من إب وجبله

وغيرهما فهو قمين بأن يكون محل قبولهم. وقد بعث الإمام رسالة إلى عامل إب يحثه فيها على التعاون مع الوالد ويعرب له عن مدى تقديره لمن عينه حاكمًا لقضاء إب بل آثر هذا القضاء به ولابأس أن نسجل هنا نص تلك الرسالة كصورة أو نموذج من مراسيم الإمام يحيى إلى عماله ولاسيما وهو بخط يده وقد جاء كما يلي:

«عامل إب الشيخ الأجل إسماعيل بن محمد باسلامه حرسه الله والسلام عليكم ورحمة الله.

صدورها و الأحوال صالحة، وقد بلغ ما كان ببعدان ولابد إنشاء الله من الضبط بحول الله. وأوجب هذا أنه قد قيض الله تعالى حاكمًا لقضاء إب القاضي العلاّمة عمادالدين يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني حفظه الله، وصل إلينا للزيارة فعرفنا أن تلك عناية ربانية لتعيينه حاكمًا بالقضاء ولله الحمد فإن مثله مفقود، وهو في أكابر العلماء الفضلاء معدود. وقد حررنا له الأمر الشريف حسبما ترونه، فصدر إليكم، ومثلكم من لا يجهل ما هو عليه من العلم والاستقامة. فاعرفوا قدره وقوموا بما له من الحقوق وشدوا أزره بالضبط والحزم، واعانته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف والانتصاف للمظلومين، وأعلموا أن وجوده بإب زينة لها وفخر على غيرها. وقد أخذنا عليه أن يدرّس كل يوم ستة معاشر (دروس). ونأمركم بحزم أمور القضاء والضبط المحقق والله معكم والسلام عليكم. ٢٢ جماد الأول سنة ٣٧هـ» (٢٣ فبراير ١٩١٩م)[١].

ومما يجدر ذكره أن قضاء إب كان مرتبطًا إداريًا بلواء تعز في التقسيم الإداري الذي أعتمده الأتراك. وكان معظم لواء تعز لا يزال موزع الولاء بين الإمام والقائد التركي على سعيد باشا الذي كان في لحج يحارب الإنجليز. ولهذا فقد جهز الإمام يحيى الأمير علي بن عبدالله الوزير على رأس جيش كبير وعينه أميرًا للواء تعز. ولم يجد مقاومة تذكر إلاّ من مواطني ناحية حبيش من نواحي قضاء إب ثم في قضاء الحجرية وفي ناحية جبل صبر إحدى نواحي تعز. وقد طالت الحرب هنالك بعض الشيء نظرًا إلى مناعة الجبل وتمرس رجاله على الحرب، على أنه لم يمض

(١) انظر صورة الخطاب فى الملحق رقم (١).

عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) حتى تمكن الأمير علي الوزير من إخضاعه وإخضاع سائر القضوات والنواحي المرتبطة بلواء تعز.

ورأى الإمام يحيى وكان شديد الحذر، بعيد النظر، أن رقعة إمارة الأمير علي الوزير قد إتسعت، وأن ذلك قد يغريه بالاستئثار بالسلطة. فبعث السيد عبدالله بن أحمد الوزير (الإمام عبدالله الوزير) وعينه أميرًا للواء ذمار وضم إليه قضاء إب ووصابين وعتمه وزبيد. وكان قد عهد إلى السيد عبدالله الوزير بإقرار الأمور في زبيد وتصفية الجيوب التي كانت لاتزال متمردة، وقد نجح في ذلك وكوفئ بضمها إلى ولايته برغم أنها كانت بعيدة عن مركز ولايته. فزبيد مرتبطة عادة بلواء الحديدة، وقد أعيدت إليها حينما أصبح سيف الإسلام محمد بن الإمام أميرًا للحديدة، ورأى حينها الإمام أن إمارة السيد عبدالله قد امتدت من البيضاء إلى الحديدة وزبيد وأصبحت الحيطة تقتضي تشذيبها.

الدراسة

أخذت على العلاّمة عبدالواسع بن محمد الإرياني (رحمه الله) القرآن الكريم. وعلى والدي وأخي الأكبر علي بن يحيى (رحمهما الله) قرأت مبادئ النحو والفقه والحديث واستظهرت المتون التي كان استظهارها حتميًا على طلاب العلم. ثم بعثني والدي أنا وأخي محمد إلى مدينة ذي جبله للدراسة لدن مدرسها العلاّمة محمد بن مطهر الغشم مؤلف «شرح كنز الرشاد». وقد قرأنا عليه متن الازهار مفهومًا ومنطوقًا والجروبة في علم التجويد والأجرومية في النحو.

وفي سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م أفتتح الإمام يحيى المدرسة العلمية[1] بصنعاء ودعا إليها طلاب العلم من أبناء الأسر من السادة والقضاة والعلماء، فاستدعانا الوالد أنا وأخي محمد وبعثنا إلى صنعاء للالتحاق بالمدرسة. وكان قد بَعُدَ عهد الناس باهتمام الدولة بالعلم، أو هم لم يألفوا من بعد حكم آل رسول وآل طاهر

(١) كان الأتراك برغم عدم استقرارهم قد أسسوا بعض المدارس الحديثة، ومنها المدرسة الثانوية ومدرسة الصنائع (الحرف)، وعند تولي الإمام يحيى الأمر قام بإهمال هذه المدارس إلى أن عاد في هذا التاريخ فاستخدم أحد المباني التركية كمدرسة للعلوم الشرعية.

أن يهتم الحكام ببناء مدارس كهذه تنفق الدولة فيها على طلابها وتعد لهم المأوى والمأكل. وكان يوجد ما يسمى بالهجر مثل هجرة إريان وهجرة الذاري وهجرة ضوران آنس وجبلة والمراوعة وزبيد وصعدة وحوث وغيرها من الهجر المنتشرة في طول اليمن وعرضها يأتي إليها طلاب العلم حيث يجدون الأستاذ وبعض المساعدة التي تصرف لهم من غِلاّت الأوقاف التي يحبسها أهل الخير لذلك الغرض. وقد عمد الإمام يحيى قبل أن يفتتح المدرسة إلى حيازة هذه الأوقاف وربطها بنظارة الأوقاف العامة لصرفها على طلاب مدرسته. وقد أحتج بأنها من أوقاف التُرَب، والترب جمع تربة وقد أتت التسمية من وقف بعض الواقفين على تربة الشيخ فلان أو الولي الفلاني، ولكن معظم الأوقاف كانت على طلبة العلم في الهجرة الفلانية أو مدرسة الشيخ الفلاني. وقد سبب قرار الإمام هذا إلى أن معظم الهجر قد عجزت عن الاستمرار في القيام بواجب التدريس بينما المدرسة العلمية لم تستوعب كل الراغبين في طلب العلم، لذلك بقي كثيرون يدرسون في الجامع الكبير وفي جامع الفليحي وغيرهما بصنعاء.

وكان التدريس في المدرسة لا يختلف عنه في الجوامع سواء من حيث طريقة التدريس أو من حيث المادة التي تدرّس. فقد كانت المادة هي العلوم التقليدية من نحو وصرف وفقه وأصولين وتفسير وشروح الحديث، ولا يدرس فيها شيء من العلوم الحديثة. ومع ذلك فقد أسرعنا إلى صنعاء وانضممنا إلى طلاب المدرسة، ولم نختبر عند دخولنا بل سُمِح لنا أن نختار الصف الذي تتفق الدروس فيه مع ما كنا ندرس من الكتب. ودخلنا في الصف الثاني من الشعبة الثالثة حيث درسنا على مشائخها في النحو والبيان والاصولين والحديث والفقه. فقرأنا على القاضي علي بن محمد فضة رحمه الله شرح دحلان على الاجرومية وشرح القطر لإبن هشام وشرح البحرق على ملحة الإعراب، هذه الدروس كلها في علم النحو، كما قرأنا شرح ألفية بن مالك والجوهر المكنون في المعاني والبيان. كما قرأنا الخبيصي على القاضي عبدالله بن محمد السرحي وكان من أجود الاساتذة احاطة بعلوم العربية. كما قرأنا على العلاّمة عبدالخالق الأمير رحمه الله شرح الفاكهي على الملحة

وقواعد الإعراب لإبن هشام. كما قرأنا على القاضي علي فضة رحمه الله وكان من أقدر الاساتذة على تفهيم الطلاب شرح الأزهار، قسم العبادات وعلى العلاّمة أحمد الكحلاني شرح الأزهار قسم المعاملات، وشرح كافل لقمان في أصول الفقه، وعلى السيد عبدالخالق الأمير كافل الطبري في الاصول أيضًا. كما قرأنا العقد الثمين في أصول الدين، وكنز الرشاد في الزهد وكانت هذه الدروس هي التي يُحدّد بحسبها موقفنا في المدرسة. وكان أساتذتنا من العلماء الأجلاء كسيدنا علي فضه والسيد عبدالعزيز بن إبراهيم والسيد أحمد الكحلاني والسيد أحمد بن عبدالله الكبسي والقاضي عبدالله السرحي والقاضي عبدالواسع الواسعي وأخيه حسين والعلامة علي الدبب الذي أخذت عليه في الفرائض والقاضي العلاّمة عبدالوهاب المجاهد الشماحي والقاضي العلاّمة حسين العمري وغيرهم. وقد تجاوزنا هذه الكتب إلى غيرها فدرسنا المغني وشرح الكافية لابن الحاجب، وفي المعاني والبيان الشرح الصغير ثم المطول، والمناهل الصافيه شرح الشافيه لابن الحاجب في علم الصرف كما أخذنا على السيد العلاّمة الورع أحمد بن عبدالله الكبسي سبل السلام شرح بلوغ المرام للعلامة الأمير وقد كنا نأخذ هذا الدرس خارج المدرسة في جامع الصياد بعد صلاة الفجر.

بقيْتُ في المدرسة العلمية مع أخي محمد إلى سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م). وقبلها كان والدي رحمه الله قد أنفصل عن القضاء في إب وعاد إلى إريان حيث فتح حلقة تدريس قصده الطلاب من الهجرة وغيرها من الهجر. وقد كان رحمه الله ابرز علماء عصره وأوسعهم فكرًا وأكثرهم اضطلاعًا بشتى العلوم من حديث وتفسير ونحو وبيان وفقه وأصولين وأكثرهم تقبلًا للعلوم الحديثة. ولا أبالغ إذا قلت أنه كان الوحيد في عصره الذي ألمّ بمختلف العلوم وكان إلى ذلك يتمتع بحرية الفكر والميل إلى العمل بالكتاب والسنة، وكان عزوفًا عن التقليد ومتفتحًا على العلوم الحديثة. وهو وحده الذي كان يدرّس كتب الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا. ورأينا أن في وسعنا أن نواصل دراستنا في بلدتنا ونستفيد إلى جانب دروسنا في المدرسة

من المعارف التي كان الوالد منفتحًا عليها وفريدًا في معرفتها بين علماء وقته ككتب الأفغاني والشيخ الأستاذ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا، وكعلوم السُنّة التي يعين تحصيلها على التحرر من ربقه التقليد ويعين على الاجتهاد الذي كان رحمه الله ينصح به كل طلابه ويشترطه على كل من يجيزه منهم. وأذكر أنه حينما أجازني أصحب الإجازة بقصيدة جاء فيها:

وأوصي بتقوى الله سرًا وجهرةً ... وتركٍ لتقليد الرجال وإن جلّوا

وما صح عن خير البرية فأتبع ... فيارُبّ تقليد يكون لمن ضلوا

فخف واتبع وابحث ودع كل بدعة ... فكلّ كثير من سِوى سنة قلُ

وإني أرى التقليد أعظم بدعة ... فما إختاره مضنىً به وله عقل

نصحتك علمًا بالهوى ثم لا أرى ... مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلوا

وقال من قصيده أجاز بها نجله الأديب عقيل بن يحيى رحمه الله:

وأحرص على طلب العلوم بهمة ... تسموا على الجوزا فأنت موفق

وأهجر لها ما تشتهي فالخير في ... تحصيل ما ينجي الرجال محقق

واتبع طريق المصطفى في هديه ... والبس لباسًا ثوبه لا يخلق

واحذر من التقليد فهو ضلالة ... وعماية لذوي الجهالة موبق

وكلام رب الخلق ثم رسوله ... أولى بحق الإتباع وأوفق

والله أكمل دينه بكتابه ... ثم الحديث لكل ذاك يصدق

وأنظر إلى سلف الهدى هل قلدوا ... أحدًا سوى المختار فيما ينطق

وعدنا إلى إريان ولازمنا الدراسة على الوالد رحمه الله إلى أواخر عام ١٣٤٩هـ (منتصف ١٩٣١م). وفي أوائل عام ١٣٥٠هـ (أواخر ١٩٣١م) أستدعي والدي من الإمام إلى صنعاء وعيّن عضوًا في محكمة الاستئناف العليا ثم عين رئيسًا لهذه المحكمة وفتح حلقة للتدريس في جامع الفليحي، وكانت أكبر وأشهر حلقة في

صنعاء، وكان الطلاب فيها من العلماء والمدرسين. وكان يُدرّس الكشاف للزمخشري في التفسير وضوء النهار للسيد الحسن الجلال في الفروع وشرح الروض النضير للسياغي ونيل الاوطار للإمام الشوكاني وسبل السلام للعلامة المجتهد السيد محمد الأمير في شرح الحديث وشرح الغاية للحسين بن القاسم في أصول الفقه والمطول للتفتازي في المعاني والبيان. وقد صحبت والدي إلى صنعاء وحضرت دروسه كما أخذت على غيره من علماء صنعاء أمثال العلاّمة السيد عبدالخالق الأمير في جامع الفليحي والعلاّمة المعمّر إسماعيل الريمي في الجامع الكبير والعلاّمة علي الدبب وغيرهم. وفي هذه الأثناء توفيت زوجتي ابنة القاضي عبدالرحمن المعلمي وقد حزنت لوفاتها جدًا وكان لها ولدان إبن وبنت أما الإبن فقد توفي بعدها بأشهر وقد رثيتهما بقصيدة مؤثرة حصرت فيها كل من رزأتهم من أبناء وإخوة إلى تاريخ نظمها وقد تجاوزت ثلاثمائة بيت.

وقد توجهت بتوجه والدي رحمه الله إلى علم السنة والعمل بما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت لنا معارك مع المتعصبين للمذهب، وما كان أكثرهم في جامع الفليحي الذي كان يعتبر معقلًا للتعصب والمتعصبين. وأذكر في هذا المقام مساجلة جرت بيننا وبين السيد زيد بن علي الموشكي رحمه الله حول أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي راوي مجموعي زيد بن علي. وكان السيد زيد الموشكي لا يزال في عداد المتعصبين، وقد التقى بالقاضي عبدالوهاب السماوي، وكان من زملائي في الدراسة على الوالد، فجرت المذاكرة وقال السماوي أن أبا خالد قد وهّنه الكثير من علماء علم الرجال وعارضة الموشكي واحتد الطرفان في المناقشة كل يدعي الحق بجانبه. بعدها بعث السيد زيد رحمه الله قصيدة إلى الأخ السماوي ينتقد عليه سوء ظنه بأبي خالد وينصحه بأن لا ينحرف عن علوم أهل البيت. وكان السيد زيد من طلاب المدرسة العلمية، وكانت حلقات التدريس لدن الوالد رحمه الله تثير غيرة علماء المدرسة العلمية ولا سيما المتعصبين، ولذلك فقد أشار السيد زيد إشارة غير مباشرة يحذر السماوي من التأثر بمن يسمون علماء السنة. وقد تطوعت بالجواب على الموشكي الذي راق لي الدخول معه في نقاش حول أبي خالد الذي طالما أثار النقاش في القديم والحديث، فرديت على الموشكي

بقصيدة طويلة، وكانت تلك القصيدة سببًا للتعارف القريب مع السيد زيد الموشكي الى أن التقينا في تعز سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) بعد عودته من عدن وخروجي من السجن الاول فسرنا معًا في العمل الوطني حتى كان نصيبه الشهادة بعد ثورة ٤٨ ونصيبي السجن.

الفصل الثالث

من أحداث فترة الشباب

المعاهدة مع ايطاليا

في سنة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م عُقدت المعاهدة بين الإمام يحيى وإيطاليا، واختلف الناس فيما بين محبّذ ومفنّد للمعاهدة. فهذا السيد العلاّمة زيد بن علي الديلمي الحاكم الأول للعاصمة صنعاء قد أثاره ما نشرته صحيفة الإيمان في عددها الأول في جمادى الأولى من سنة ١٣٤٥هـ وكانت قد نشرت نص المعاهدة بين حكومة الإمام يحيى وحكومة إيطاليا تحت عنوان «المعاهدة الوداديه»، فبعث إلى الإمام يحيى رسالة مطولة ينتقد فيها وصف المعاهدة بالودادية بلغة وأسلوب يستعيد القارئ بهما أسلوب الحسن الجلال وجار الله الزمخشري وأضرابهما. ولإعطاء القارئ صورة عن هذا الأسلوب نثبت القطعة التالية من الرسالة:

(أيامًا والظنون تتزاحم والأوهام في جو التصورات تتصادم لأن تكشف التصديق الشارح لماهية المعاهدة المعقودة بين عزة ملك اليمن الإمام يحيى وبين حضرة ملك إيطاليا إذ كان مبدؤها سعاية البادئين في المدنية الشخصية الماشين في أشواطها متواجدين في هياطها ومياطها، وانتهت بسفارة ووكالة كفاليري يعقوب غاسباريني. وحين طلعت شمس البيان من سماء صحيفة الإيمان عن تلك السعادة بأول منشورها المؤسس على التقوى في عاصمة الخلافة المتوكلية خلد الله سلطانها تنورت لدرك هويتها الأفكار حدًا ورسمًا ومادة وحكمًا وأفصحت أن ملاك غايتها ما هو إلاّ صراحة عنوانها «المعاهدة الودادية»).

وساق في الرسالة يناقش بعض ما جاء في صحيفة الإيمان إلى أن يقول في إنتقاد ما أثاره من صفة المعاهدة بالودادية:

(ثم تنفست الصحيفة الصعداء مؤذنةً لقارئها بأن دَغَلًا في وصف المعاهدة بالودادية لما أن مطلق المودة منهم للدين الإسلامي ولأهله مستحيلة الوقوع منهم. أخبرنا بذلك الكتاب العزيز إذ يقول عز وجل في محكم كتابه: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» فنفى حصول الرضى منهم بأبلغ وجه إذ جاء بحرف النفي الأبدي وعلّق غاية مدخوله بالمستحيل العقلي فتم الحكم بإستحالة وقوعه منهم لا جرم فتستحيل مطلق المودة منهم لما أنها أخص من الرضا. وقد جاء الدين الإسلامي ناهيًا لأهله ومانعًا لهم وزاجرًا ومحذرًا عن مودة أعداء الله ومحادّيه بل نهاهم عن إلقاء المودة وعن الإسرار بها إليهم فقال تعالى «لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله» الآية، وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة» إلى قوله «تسرون إليهم بالمودة». كل ذلك مؤيد ومؤكد أن لا مساغ في التنويه بالمعاهدة الودادية ثم الصداقة الودية لاستحالة المودة منهم عقلًا وامتناعها منا لهم شرعًا. ثم لا يقول القارئ أن في قوله تعالى «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى» ما يؤذن بوقوعها منهم فإن المودة فسرت بالإيمان فإن الآية نزلت في السبعين الذين آمنوا عند أن سمعوا ما أُنزل إلى الرسول. ومثلها قوله تعالى «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة» أي إسلامًا. فليعطف القارئ نظر الإمعان على ما به أقذى إحدى عينيّ وللأخرى لقد أعور، وإلى ما عنه بدّل صلابتي بالخَوَر فليتدارك ما قد فات وليحترس فيما هو آت عما سود منه صحيفة الإيمان، والمغزل وإن كان واحدًا فالحيكة مختلفة).

هذا ما اخترناه من الرسالة وهي مع أنها تميزت بالأسلوب الذي أسلفنا الاشاره إليه تعطي القارئ أيضا فكرة عن وجهة نظر هذا العالِم، الذي كان يعتبر من أبرز علماء زمنه، في المعاهدات التي تعقد بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول غير المسلمة من شرقية وغربية. على أن العلاّمة الديلمي في رسالته لا يناقش عقد

المعاهدة من حيث المبدأ، لأنه يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقد اتفاقية مع مشركي قريش عام الحديبية، ولكنه ينكر بشدة وصف المعاهدة بالودادية. ولم يعد الموضوع في الحقيقة ذا أهمية، ولكن أدراكه يعطي الصورة عن نمط التفكير والاستنباط وأسلوب الكتابة. وقد بعث صاحب الرسالة بصورة إلى صحيفة الإيمان طالبًا نشرها فلم تفعل بل اكتفت بأن تقول «إنها وصلتها رسالة من أحدهم يشكو فيها مرضًا في عينيه ونحن نرجوا له الشفاء» والصحيفة تشير إلى قوله في الرسالة (على ما به أقذى إحدى عيني وللأخرى لقد أعور) وقد كانت تعرف أنها لو نشرتها لأثارت ضجة كبيرة في شعب منغلق على نفسه متمسك بالدين إلى حد التزمت.

كان من المفندين السيد العلاّمة زيد بن علي الديلمي الذي بعث للإمام يحيى رسالة يناقش هذه الاتفاقية من الناحية الدينية، كما أسلفنا. وكان آخرون يناقشونها من ناحية الشعور بالخطر من إيطاليا التي لا يفصل بين اليمن وبين مستعمرتها في إريتريا إلا مئات الكيلومترات من البحر الأحمر، والتي كانت وراء قيام الإدريسي وتكوينه مملكة في شطر من اليمن كانت تشمل الحديدة وما وراءها شمالاً إلى نهاية الأراضي اليمنية التي يفصلها عن الأراضي الحجازية خط يقع وراء تثليث وما سامته شرقًا وغربًا. واليمن بحكم انغلاقها على نفسها وبحكم ما كان بنوها يرونه من استيلاء الاستعماريين الغربيين على الأقطار العربية والإسلامية كانت وكانوا ينظرون إلى كل ما هو خارجي وغربي نظرة ملؤها الحذر والخوف. وكانوا يؤثرون التخلف والانعزال مع الاستقلال على التطور مع الاستعمار.

كنت أنا وأخي محمد لا نزال في هذه الأيام ندرس بالمدرسة العلمية وقد شهدنا معًا الإستقبال الكبير الذي أعد لمقدم والي أسمرة، المستعمرة الإيطالية، وهو كفاليري يعقوب غاسباريني إلى صنعاء في زيارة رسمية دشن بها المعاهدة الودادية بين اليمن وإيطاليا. وقد خرجت صنعاء عن بكرة أبيها لاستقباله، لا إحتفاء به ولكن للاستطلاع والتفرج على أول مسئول أجنبي يصل إلى اليمن. وقد وصل وأعضاء وفده يركبون الخيل والبغال إذ لم يكن يومئذ للسيارات وجود، وكان

فيما خلفه الأتراك عربات تجرها الخيول وكان من الممكن إعدادها للوفد ولكن الطرقات غير صالحة وإنما ينتفع بها بين صنعاء والروضة وما حولهما. وقد قوبل وصول الوفد الإيطالي من عامة الشعب وطبقة العلماء بالاشمئزاز ولولا ما كان يتمتع به الإمام يحيى من سلطة ونفوذ زمني وديني لأمكن أن يتعرض الوفد لما يكره. وقد بدأ الناس بعد ذلك يتعودون رؤية الإيطاليين ويأنسون بهم من خلال الخدمات التي كانوا يقدمونها في المستشفى الوحيد في صنعاء بل في اليمن كلها والذي كان يحتل عمارة هي مما خلفه الأتراك، ثم من خلال المهندسين الذين كانوا يعملون في الورشة الصغيرة التي اقيمت فيما كان يسمى العرضي الأعلى وهو من مخلفات الأتراك أيضًا. وكان الايطاليون يشرفون أيضًا على مولد الكهرباء الصغير الذي كان يمد دار السعادة (قصر الإمام) وحده بالكهرباء، أما سكان صنعاء سواءً منهم علية القوم أو عامتهم فلم يعرفوا الكهرباء إلا بعد ثورة سنة ١٩٤٨م بأعوام كثيرة.

وصول الطائرات إلى اليمن

وحينما أهدت ايطاليا للإمام بضع طائرات عتيقة، لم يكن غريبًا أن يثير حدث وصول الطائرات لأول مرة إلى اليمن انبهارًا واندهاشًا، وأن يعتز معتزون ويخاف آخرون. أما والدي القاضي يحيى بن محمد الإرياني رحمه الله فقد رأى في وصول الطائرات بشرى للدين تقر به نواظره حيث قال من قصيدة طويلة:

بشراي فالدين قد قرت نواظره ... ومن سماء العلا لاحت زواهره
وعرف طيب ربى الآمال قد عبقت ... رياه لما به فاحت أزاهره
وكوكب النصر قد حيا بطلعته ... لما ترنم فوق الأرض طائره
تفتحت أعين الإسلام آملة ... مذ شاقها لمراعي السعد فاخره
أذا سليمان فوق الريح أم غلط ... فالحس تغلط أحيانًا بوادره
فذاك كان بساطًا واحدًا وذهٍ ... كثيرة يا ترى من ذا يكاثره
طارت فطارت من الأعداء أفئدة ... وكل ذي ضغن شقت مرايره

طارت نسور من الانصار فأرتفعت　　أوج العلا فالهدى قد عزّ ناظره
لها عزيف عزيف الجن تسمعها　　قواطع الجو إن طارت مواخره
تخشى صواعقها ان ألقيت ولها　　أصوات رعد إذا سحت مواطره
اذكى الورى ليس يدري عبقريتها　　كأنما سترت عنها مشاعره
قل للمعاقل إذ شيدت دعائمها　　هاقد علاك وأربى ما تحاذره

الحرب مع الانجليز

وتمر الأيام ويأتي عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وتأتي الطائرات الإنجليزية لا هدية للإمام تقر بعزيفها في الأجواء اليمنية نواظر الإسلام وتشق منه مرائر أعدائه، بل جاءت لتلقي صواعقها وقذائفها على المدن اليمنية ابتداءً بقعطبه فإب وتعز ويريم وذمار. وكان سبب هذا العدوان أن حكومة الإمام يحيى كانت قد بسطت نفوذها على نواحي الضالع وجحاف وحالمين والشعيب والأجعود وإلى قرية ملاح التي لا تبعد كثيرًا عن لحج. وكانت هذه المناطق مرتبطة بقعطبة ويدير أمورها عامل وحاكم في الضالع وهو السيد محمد الشامي. وكان هذا مرتبطًا بالأمير يحيى بن محمد عباس أمير قعطبة والنادرة ونواحيهما. وكان الأمير شديد الوطأة على أهل ولايته وقد أراد أن يستصفي كثيرًا من أموال المواطنين بزعم أنها صوافي، أي أموال حكومية. وكان كثير من هذه الأموال تخص الأمير نصر أمير الضالع قبل بسط نفوذ حكم الإمام على المنطقة وتخص أسرته، فرفض الاستسلام لما يريده الأمير يحيى عباس. فحبس الأميرُ عباس أخا الأمير نصر وجماعة من ذويه، وفر جماعة منهم إلى الإمام في صنعاء ليشكوا بالأمير الذي سجن بعضهم وأراد أن يستصفي أموالهم، فلم يسمع الإمام لشكواهم بل أعادهم مرغمين إلى الأمير عباس الذي سجنهم. وحمل هذا الأمير نصر على أن يفر إلى عدن ويطلب حماية الإنجليز فقبل الإنجليز هذا الطلب بحجة أن هذه المناطق التي أشرنا إليها هي من أراضي المحميات وداخلة في الحدود التي رسمتها الاتفاقية المعقودة بين

الإنجليز والحكومة العثمانية التي بها أعطت الدولة العثمانية لبريطانيا حق حماية ما يسمى بالنواحي التسع. وقد زعمت بريطانيا أن هذه المناطق داخلة في الحدود المرسومة للنواحي التسع، وقد كان جواب الإمام يحيى أن العثمانيين أعطوا ما لا يملكونه لمن لا يستحقه ولذلك فقد رفض مزاعم الإنجليز، فأرسلوا جيشًا استولوا به على المناطق التي يطالب بها، وأنتقل العامل من الضالع إلى قعطبة. وجند الإمام الجنود لاستعادة ما أخذه الإنجليز وبدأ الأمير يحي عباس من قعطبة بمناوشة الإنجليز فجاءت الطائرات في مارس ١٩٢٨م وضربت قعطبة، وأوى أميرها إلى كهف وصمد فترة ليست بقصيرة. وظل يحارب الإنجليز، مع أن التفاوت كبير جدًا بين الجيش اليمني الذي حشد من بين صفوف القبائل التي وإن كانت شجاعة ومتمرسة إلا أنها لا تقوى على الحرب النظامية مع جيش مدرب ومسلح بأسلحة متقدمة نسبيًا بما فيها الطائرات التي كانت تغاديهم وتراوحهم، مما أضطر قائد الجيش وأميره أن يجعل مقر قيادته كهفًا من الكهوف بحيث يكون في مأمن من قنابل الطائرات. وضاق الإنجليز ذرعًا من مصابرة الأمير وجيشه وحربهم التي اعتمدوا فيها طريقة الكر والفر، فقام في أواخر محرم من عام ١٣٤٧هـ الموافق يوليو ١٩٢٨م بضرب المدن اليمنية البعيدة عن قعطبة وهدد بضرب العاصمة صنعاء، مما دعا الإمام إلى مغادرتها إلى قضاء كوكبان مع أهله وما غلى من متاعه وأضطر إلى الميل إلى السلام. وبعد أن عقد مجلسًا للعلماء اختلفوا فيه بين مجوز للإستجابة إلى الدعاوى الإنجليزية بأحقيتهم بحماية المناطق المذكورة وبين محرم لذلك وقائل بوجوب مواصلة الحرب محتجًا بقوله تعالى «ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون». وأحتج المجوزون بقوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه» وبأن المصابرة لا تجب إلا حينما يكون هناك شيء من التكافؤ أي مصابرة الواحد للإثنين ولديهما سيفان ولديه سيف، ولكن هؤلاء لديهم طائرات وأسلحة ليس في وسعنا مقابلتها. فمال الإمام يحيى إلى قول المجوزين وأمر بالكف عن محاربة الإنجليز، وطلب الإنجليز تسليم المعتقلين فسلمهم إليهم.

وتسابق الشعراء في التنديد بعدوان بريطانيا وكان في مقدمتهم الوالد القاضي

يحيى بن محمد الإرياني، فقد نشرت له صحيفة الإيمان، وهي الصحيفة الوحيدة والتي كانت تصدر في الشهر مرة، قصيدة طويلة أستقبلها اليمنيون بالإعجاب ولهجت بها الألسن ونثبت منها ما يلي:

يا بريطانيا رويداً رويدا إن بطش الإله كان شديدا

ان بطش الإله أهلك فر عون وعاداً من قبلكم وثمودا

ان هذا الفساد في الأرض والهد م لهذي البيوت ليس سديدا

لا تظنوا هدم المدائن يوهي عزمنا أو يلين بأساً صلودا

إلى أن يقول:

ما رضينا للترك مع قربهم في الـ دين منا فكيف نرضى البعيدا

وهم في الأنام أشجع جيش فسلوهم هل صادفونا أسودا

ثم يقول محرضًا على الجهاد:

يابني ديننا نفيرًا إلى الحر ب فقد فاز من يموت شهيدا

قبل أن تصبحوا لذي الكفر ياقو م أسارى أذلة وعبيدا

واعلموا أنكم مع الحق والحـ ـق كفيل بمنحكم تأييدا

وفي صفر من سنة ١٣٤٧هـ بعث الوالد قصيدة يحرض فيها على الجهاد ويحذر فيها من الانخداع للاستعماريين الإنجليز فيما جاء في منشوراتهم التي كانت تلقيها طائراتهم في المناطق الشافعية محرضة لأبناء تلك المناطق على التمرد وزاعمة أنها لا تريد بهم شرًا وإنما تريد إجلاء الزيود الذين يحكمونهم بالعسف عن مناطقهم. ومع أن هذه الدعوة لم تلق إجابة فقد ظل الإنجليز يركزون عليها مدة طويلة جريًا على قاعدتهم العتيدة «فرق تسد» وقد أشار إلى ذلك في قصيدة نجتزئ منها ما يلي:

سماعًا عباد الله ما أنا كاتبه فمن كان ذا دين فإني أخاطبه

الا إن شــر الخـلـق كفــرًا ودولـة أتت نحو حزب الله بغيًا تحاربه

يـريـدون بلـع المسلمين وحكمهم عبيدًا لهم فالعيش ساءت مشاربه

بريطانيا لم يكفها ما تملكت وقد ظلمت ظلمًا وعمت مصائبه

وقد شوهت وجه التمدن فاغتدى وقـد أفلـت فـي العـالمين كواكبه

نفيرًا نفيرًا للجهاد ودفـع ما أرادوا ومن يجهد فقد عزّ جانبه

ولا تيأسوا من نصر دينكم فمن يـغـالـب ديــن الـلـه فـالـلـه غـالـبـه

وفوزوا بإحدى الحسنيين وحبذا نمير جهاد فيه ساغت مشاربه

الا فادفعوا عن دينكم وبلادكم بـجـد وعــزم لا تـلـين جوانبه

ولا تهدموا مجدًا بناه مشيدًا اوائـلـكم طـالـت سـموًا مراتبه

نهوضًا لحـرب الإنجليـز وغيرة على دينكم من أن تهان مناصبه

إلى أن يقول:

الا فانظروا في الإنجليز وفعله إذا نشبت في المسلمين مخالبه

وعبـرتكم فيمن يـجـاور أرضكم أذاقـهـم مـالا تـطـاق متاعبه

وقـد كـان منّاهم غـرورًا خديعة فخيبهم والكل ضاقت مذاهبه

وقـد سمعت أذنـاي ما قالـه لكم بـتـغـريـره ذا شـافـعـي أصاحبه

وما هدفي في الحرب أني أصيبه وليس سوى الزيدي عمدًا أحاربه

غــرور كـمـا يـعـتـاد مــن كذباته لتفريقكم حتى تلين مصاعبه

خذوا حذركم من مكره وخداعه فكم خـدع الملاق شعبًا يشاغبه

ولم يكتف الوالد بمهاجمة الإنجليز والدعوة لمحاربتهم، فقد وجد في الأحداث فرصته في أن ينقد المظالم التي تعاني منها الشعوب الإسلامية وينعي على المسئولين ظلمهم وسوء سيرتهم فقال من قصيدة طويلة:

سماعًا لما أملي عليك وأنظم ... فلست معاذ الله للحق أكتم
فنور الهدى كالشمس مادون نورها ... حجاب وان لم يدره فتية عموا
وليس على من اوضح الحق صادقا ... جناح إذا ما جاهل لا يسلم
رأيت رجال الغرب في كل بلدة ... يجدّون والإسلام في المهد نوم
طووا معظم المعمور ملكًا ودولة ... ونالوا منصات العلو وخيموا
ونام جميع المسلمين عن الهدى ... بغفلة قلب نفسه ليس يرحم
فشا فيهم الظلم الوخيم فدمروا ... ممالكهم والظلم للملك يهدم
قنابل جور دمرت كل بلدة ... فجو دخان الظلم في الأرض مظلم
ولم يرقبوا نص الكتاب ولا رعوا ... تعاليم دين المصطفى إذ تحكّموا
وقد داهنوا في الدين كل منافق ... غني له مال يسح فيفعم

ويخص بالذكر الأيادي التي كانت تستعمل لظلم الشعب فيقول:

الا قاتل الله الذي صار عاملا ... على نهب أموال الورى يتقحم
وقاتل كل الخارصين فإنهم ... هم الأس في الظلم الوخيم المعدِّمُ
فقد تركوا عشرًا لذي المال واغتدوا ... بتسعة أعشار فلعنًا عليهم
وقاتل حكام الشريعة إنهم ... لأعظم من للدين بالفأس يهدم
وقد فتحوا نقضًا وعودا مكررا ... فمن يك ذا فقر فحتمًا سيخصم
إلى الله يشكوا الشعب جندًا وشرطة ... إذا ملكوا أمر الرعايا تهجموا

الحرب اليمنية السعودية سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م

سبق أن أشرنا إلى أن الحكومة اليمنية المركزية بصنعاء كانت تأتي عليها فترات تنكمش فيها سلطتها وتعجز عن ضبط الأمور وتسييرها في المناطق البعيدة ولاسيما من أواخر القرن الثالث عشر إلى النصف الأول من القرن الرابع عشرالهجري. وقد كانت النتيجة لذلك أن تكونت إمارات عديدة في الجنوب، كما تكون في

الشمال إمارة آل عايض في القسم الجبلي من لواء عسير، وأعلن السيد محمد بن علي الإدريسي نفسه حاكمًا على تهامة عسير. وامتدت يد الإدريسي إلى الحديدة ولكن قوات الإمام اكتسحت لواء الحديدة وسيطرت حكومة الإمام يحيى في صنعاء على أكثر المنطقة، وظل الإدريسي يدافع عما بقي بيده من تهامة عسير. ولما مات خلفه ابنه علي بن محمد ثم جاء الحسن بن علي خلفًا لإبن أخيه في الحكم فعرف هو وابن أخيه عبدالوهاب بن محمد عجزهما عن مقاومة القوات الإمامية فمدا أيديهما إلى سلطان نجد وملك الحجاز طالبين الحماية منه. وبدخول المنطقة تحت حماية عبدالعزيز أصبح لقب عبدالعزيز هكذا (سلطان نجد وملك الحجاز وملحقاتها).

أما القسم الجبلي من عسير أو ما كان يسمى بإمارة آل عايض فكان هؤلاء قبل ذلك قد شعروا بتحفز صنعاء للاستيلاء على ما بيدهم من عسير في سنة ١٣٤٠هـ فلجأوا إلى طلب الحماية من سلطان نجد على أن يترك للأمير حسن آل عايض حق الحكم بالمنطقة مكتفيًا بالانتماء الاسمي إلى السعوديين ليكون حماية له من جيوش صنعاء.

وأما نجران فقد دخلتها الجيوش اليمنية بقيادة ولي العهد أحمد في سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ودخلت تحت حكم حكومة الإمام في صنعاء ولكن أهلها، وهم من الياميين الهمدانيين الذين يعتنقون المذهب الإسماعيلي، كانوا يعرفون ما صنعه الإمام يحيى بأبناء طائفتهم القاطنين في حراز وعراس وغيرهما من مصادرة كتبهم وإحراق معظمها وإيداعهم السجون حتى يقروا على أنفسهم بالكفر ويعتنقوا الإسلام مجددًا ويلتزموا المذهب الزيدي أو أحد المذاهب الأربعة. فأشفقوا على أنفسهم من أن يلاقوا نفس المصير ففر كبارهم إلى عبدالعزيز واحتموا به وأبدوا استعدادهم للدخول تحت حكمة، فقبلهم على شرطهم وهو أن يبقوا على مذهبهم.

وبعد الاستيلاء على نجران ظلت الجيوش اليمنية توالي زحفها على تهامة عسير وكانت السعودية قد وطدت أقدامها هناك وحكمتها حكمًا مباشرًا بعد الانتفاضة التي قام بها عبدالوهاب بن محمد الإدريسي ومواطنوا المنطقة محاولين

خلع ربقة الحماية التي وضعها على أعناقهم الحسن بن علي الإدريسي وقرروا الانضمام إلي حكومة اليمن. ولكن الملك عبدالعزيز أسرع فضرب ضربته القاسية فقتل وأسر. ونجا عبدالوهاب بن محمد باللجوء إلى القوات اليمنية في حرض، وليس إلى عدن كما زعم الكاتب الفرنسي بنواميشان. وجاءت الوفود من السعودية تحاول إقناع الإمام يحيى بسحب قواته من نجران لأن أهلها قد لجأوا إلى الرياض وانضووا تحت الحكم السعودي وأن عبدالعزيز كملك عربي لا يجد بدًا من تلبية من جاء إليه مستغيثًا، فإمّا أن تنسحب القوات اليمنية من نجران وتكف عن التحرش في تهامة عسير وإلا فهي الحرب العامة والشاملة. وحاول الإمام يحيى أن يقنع الوفد السعودي بأنه لا حق للملك عبدالعزيز أو شبه حق في نجران لأنها أراض يمنية، وأما فرار بعض أعيانها إلى الرياض فإنه لا يعطي الحق في التدخل، فالشعب في نجران قد أعطى الولاء لحكومته الشرعية. كما أن الأمير عبدالوهاب محمد الإدريسي الذي اتخذت السعودية من المعاهدة التي وقّع عليها أخوه وعمه الحسن متكأ لاحتلال ما تحت يده من تهامة قد التجأ إلى الحكومة اليمنية وأنه قد أعطى الولاء لحكومة الإمام يحيى. وبعد بقاء الوفد السعودي في صنعاء ما يزيد على شهر في حوار ومراجعة أصر كل فريق على موقفه.

وفي سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م أُعلنت الحرب بين اليمن والسعودية. وقد جهز الإمام يحيى جيشًا قسمه إلى عدة فرق فولي العهد سيف الإسلام أحمد عهد إليه بقيادة الجيش في صعدة وسيف الإسلام الحسن عين قائدًا للجيش في نجران وسيف الإسلام أحمد بن قاسم حميدالدين وأخوه عبدالله وإبنه محمد بن أحمد اتجهوا إلى المحابشة وكان على رأسهم سيف الإسلام الحسين. وجاء القائد الشريف عبدالله الضمين من جهة الشرق أما جبهة زبيد والحديدة فقد جُهز لها جيش كبير بقيادة الأمير علي بن عبدالله الوزير أمير لواء تعز، هكذا كان الإعداد للحرب في اليمن.

أما السعودية فيقول مؤلف كتاب (فيصل ملك السعودية) الكاتب الفرنسي

بنواميشان أنها جهزت جيشًا كبيرًا قسمته إلى ثلاث فرق. الفرقة الأولى بقيادة فيصل ومهمتها احتلال مدينة الحديدة، الفرقة الثانية بقيادة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز وهدفها نجران، الفرقة الثالثة بقيادة خالد بن محمد وهدفها مدينة صنعاء. أما الفرقة الثانية فالمعروف أن سيف الإسلام أحمد ولي العهد قد انتصر على الأمير سعود ولي العهد السعودي واحتلت القوات اليمنية مخيم سعود الذي فر عنه وترك كل شيء وراءه من سلاح وخيام ومؤن كان غنيمة للجيش اليمني وذلك في موقعه نهوقة. وأما الفرقة الثالثة بقيادة الأمير خالد بن محمد فلم تدخل في الأراضي اليمنية التي تحكمها صنعاء شبرًا واحدًا بل لم يستعد شبرًا واحدًا من فيفاء وبني مالك وغيرهما من الأراضي التي احتلتها القوات اليمنية في الحرب.

أما الأمير فيصل فقد احتل الحديدة وبقي فيها حتى تمت المصالحة. وما كان ليقدّر للأمير فيصل أن يكون أسعد حظًا من الجيشين المذكورين أولًا لولا أن الذي كان يحكم في الحديدة كأمير لها هو سيف الإسلام عبدالله، الأثير عند والده جدًا والجبان في نفسه جدًا، فقد هوّل الأمر على أبيه زاعمًا أن فيصل يقود جيشًا كبيرًا مسلحًا بالآليات الحديثة التي لا تملكها اليمن وأنه لا يمكن مقاومة هذا الجيش. وأصيب الإمام يحيى، وهو الذي كان في شبابه حلس حروب، أصيب بالهلع خوفًا على ابنه الأمير عبدالله فأمره بالانسحاب إلى حراز. ولم يكتف الإمام بذلك بل أمر جميع قادة الجيوش والعمال في تهامة بالانسحاب. لماذا ؟ حتى لا يرمى إبنه سيف الإسلام عبدالله بالجبن ويحمله الشعب مسئولية الهزيمة. وقد انسحبت جميع الجيوش اليمنية من كل تهامة ماعدا بيت الفقيه وزبيد وما ورائها جنوبًا، وأقول مؤكدًا أنه لو لم يغلط الإمام يحيى فيأمر بالانسحاب لما نال فيصل ما ناله من نصر ومجد. ولا أدل على ذلك من أن عامل حرض السيد البطل السياني قد رفض الانسحاب وجاءته الجيوش السعودية بآلياتها وسياراتها المجهزة بالرشاشات فأوقع فيهم مقتله كبيرة ردتهم على أعقابهم. ولقد كان اليمنيون يتسلقون الأشجار فإذا مرت بهم سيارة أصلوها نارًا حامية، وقد أصبح السياني مضرب مثل في السعودية. وبعد هذه المعركة، وبدلًا من أن يكافئه الإمام، غضب وشدد عليه الأمر

بالانسحاب فأنسحب مرغمًا، فواصل فيصل مسيره من جيزان حتى دخل الحديدة ولم تطلق في وجهه رصاصة واحدة لأن الجيش كان قد أنسحب.

وقد تلقى معظم المواطنين في تهامة وعلى رأسهم هادي هيج الجيش السعودي بالترحاب لأن ولاة الإمام وجنوده لم يحسنوا معاملتهم في أيام السلم، بل بلغ الأمر أن دفن التهاميون أفرادًا ممن بقي من الجيش أحياء نتيجة لحَمْقَة من حماقات الطائفية البغيضة، أو على الأصح الإقليمية الضيقة، فقد كانوا يُقتَلون لأنهم (جبالية) أي من أبناء الجبال وليسوا تهاميين. وقد نجد لهؤلاء عذرًا بما نعرفه من سوء تصرف الجنود نحوهم قبل ذلك. وهذه حقيقة نقولها للتاريخ على مرارتها وثقلها على النفس، ولكنهم بعد أن عرفوا التعامل مع السعوديين وما فيه من فضائع نحو المواطنين وجدوا أنهم كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ومن هنا يعرف القارئ أن المسئول عن الهزيمة هو الذي أمر بالانسحاب قبل أن تطأ أقدام السعوديين تراب الأراضي التي تحكمها صنعاء. وليس هذا فقط، بل لقد كان الجيش الذي جنده الإمام من أفراد القبائل اليمنية المتمرسة على القتال كان يلقى من الإمام يحيى ضروبًا من المهانة والإهمال. فقد كان يعطيه السلاح الفاسد الذي خلفه الأتراك والذي لم يعد يستعمل في أي جيش في الدنيا كـ(الصابة) و(المرت). وأذكر هذه الحقيقة التي كنت فيها شاهد عيان وأسجلها للتاريخ، إن الإمام أمر إلى قصر السلاح بتسليح القادمين من قبائل خولان فأعطوهم سلاحًا فاسدًا وأعطوا كل واحد منهم عشر طلقات. فجاءوا بزاملهم ليستمع الإمام إلى شكواهم فرفض مقابلتهم، فضلوا يزملون فاستدعاهم وأستقبلهم بقوله كعوا كعوا يا خولان، (وكعوا) كلمة تزجر بها الحمير. ومعنى ذلك أنهم من الحمير فتمعّرت وجوههم ولم يحتجوا بل قدّم أحدهم البندقية التي سلّحوه بها إلى الإمام وقال له (ارميني والله يبري ذمتك)، يعني بذلك أنها لا تقتل لأنها غير صالحة. فأجابه الإمام إذا كنتم لا تريدون الجهاد في سبيل الله عدتم بلادكم وأنا بالله ولست بكم. فخرج هؤلاء مُنكسري الخواطر يجرون أرجلهم جرًا من ثقل الخيبة ومرارة الإهانة. ثم لقد كانوا يسافرون إلى الحدود أيامًا حفاة مشيًا على الأقدام وبلا تموين، بل يعطى كل جندي أربعة ريالات إلا ربعًا شهريًا أي ثُمن ريال يوميًا ومعه نفر ونصف

طعامًا حبًا، فكيف بهم وهم يرون الجيوش السعودية يسيرون على السيارات المجهزة ترافقهم أعداد من الشاحنات تحمل التموين والخيام ويحملون الأسلحة الحديثة؟ وبأي نفسيات يقاتلون؟ وبأي قناعة يصمدون؟ وبأي دافع يموتون؟ إن الذي يدرس حالتي الجيشين اليمني والسعودي لا يملك إلا أن يقدر تقديرًا عاليًا ثبات من ثبت في حرض وإنتصار من أنتصر في نهوقه. وهذا مع ما أسلفناه يؤكد مسئولية الإمام يحيى عن الهزيمة التي لحقت باليمن والعار الذي جلل جبينها.

وقد تسابق الملكان عبدالعزيز ويحيى في طلب النجدة فطلبها عبدالعزيز من بريطانيا، وطلبها الإمام يحيى من إيطاليا فهبت الدولتان بأساطيلهما الحربية إلى الحديدة. وكان أول الملبين حكومة لندن ثم تبعتها حكومة روما التي كان يحتل جيشها إريتريا والحبشه والصومال. ولم يغادر الجيش المحمول على السفن الحربية سفنه إلا نحو مائة جندي إيطالي كانوا نزلوا إلى سواحل الحديدة، ولكن القائد اليمني طلب منهم المغادرة. وكان الهلع قد أخذ من الإمام يحيى كل مأخذ فأمر عامله في المخاء السيد عبدالجليل بن أحمد باشا بأن يسمح للقوات الإيطالية بالنزول إلى المدينة وإتخاذ معسكر في بعض جوانبها. فصدع هذا بالأمر، ولكن قائد الجيش الشعبي الشيخ محمد أحمد نعمان وقف موقفًا وطنيًا مشرفًا فرفض بقاء الجيش الإيطالي قائلًا أن البلاد بلادنا والوطن وطننا وليس وطن الإمام وأعد جيشه للحرب، مما أضطر القوات الإيطالية إلى الانسحاب. وقد حمد هذا الموقف فيما بعد ولي العهد أحمد الذي خلف الأمير علي الوزير على إمارة لواء تعز للشيخ محمد وكافأه عليه.

لم تكن الجامعة العربية حينما قامت الحرب اليمنية السعودية قد أنشئت، ولكن العرب كانوا أحسن حالًا منهم بعد قيامها. فقد تداعى زعماء ورجالات العرب وهبوا إلى السعودية ثم إلى اليمن ليمنعوا إستمرار الحرب وليقوموا بالمصالحة والوفاق بين الملك والإمام، فجاء الأمير شكيب ارسلان ومفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني ومحمد علوبه باشا وغيرهم. وقد بذلوا مجهودًا كبيرًا ليتم

إجتماع وفدين يمني برئاسة السيد عبدالله أحمد الوزير وسعودي برئاسه الأمير خالد بن عبدالعزيز في الطائف، إجتماعًا أسفر عن إتفاقية الطائف المشهورة، والتي قضت بانسحاب القوات السعودية من الحديدة وعودتها إلى حدود الأراضي التي كانت لا تزال بيد الإدريسي حينما تعاقد مع السعودية على الحماية. وأما نجران فكان الإمام يحيى يرى أنها بصفتها أراضٍ يمنية لا يحق للسعوديين أن يطالبوا بجلاء القوات اليمنية عنها ولكن السعودية ربطت إنسحاب قواتها من الحديدة بإنسحاب القوات اليمنية من نجران، فرأى الإمام تحكيم الملك عبدالعزيز في أمرها على أمل أن يكتفي بعسير ويترك نجران لليمن، ولكنه قضى بأن تكون من نصيبه وهكذا كان[١].

(١) انظر نص الاتفاقية في الملحق رقم (٢).

الفصل الرابع
بدايات النشاط السياسي والعمل الرسمي

دوافع العمل السياسي

كما سبق وذكرت فقد كان لاسرتي تاريخ طويل في مجال المصارحة للحكام ونقدهم وتبيان الاخطاء وإظهار ما يعانيه الناس من الجور والظلم بصراحة، وكان والدي من هؤلاء الناقدين الناصحين. والى جانب ذلك، كانت البيئة التي نشأت فيها، بيئة متحررة مذهبيًا، تنظر إلى الإمام كسلطة زمنية لا كسلطة دينية مقدسة كما كان معتقَد من يقولون «ظلمني صلوات الله عليه» و «نهب مالي سلام الله عليه». على أني أذكر أننا في مطلع أعمارنا كنا كغيرنا من الناس نعتبر حياتنا وأوضاع بلادنا طبيعية، ونعتقد أنها (أيّ هكذا خلقت) كما يقول المثل. ولم نكن نعرف عن شيئ مما يجري في العالم أو نتصور أن للشعب حقا على الدولة. وكان لكتب مجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني، والتي درسنا بعض منها على يد الوالد رحمه الله، أثرها في تحرير الفكر والحض على مناهضة الوضع الذي لا يتفق مع ما تدعوا اليه القيم الدينية التي ترسخت في النفس كالعدل ووجوب صرف أموال الله في مصارفها. على أن كل ما كان يستنكر هو الظلم والاذلال اللذان كان يعاني منهما المواطنون الأمرين. وكان ما يعانيه الشعب من الظلم والاذلال هي الدافع الى ارادة التغيير او على الاصح تمني التغيير، كما كان ذلك منطلِقا من منطلقات دينية، وكانت الحيثيات تدخل في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكنها، بعد أن جاءتنا كتب جمال الدين

الافغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والكواكبي وغيرهم، توسعت مداركنا وبفعلها توسعت مطالبنا. فبعد أن كانت مطالبنا سلبية تتمثل بالمطالبة بعدم الظلم المتنوع المناحي، أصبحت ايجابية تتمثل بالمطالبة بالحرية والدستور والشورى وبالمدارس والمستشفيات ومحاربة الفقر والمرض.

بدايات العمل السياسي

في أثناء الدراسة بصنعاء كنت أشارك في نقد الاوضاع العامة والتدليل على ما فيها من مآخذ كلما التقينا في المقايل بمن لنا بهم صلة ثقة وعندهم الوعي لما يجري من حولهم وهم عدد محدود فيهم المحلوي وأحمد المطاع والعزي السنيدار وعبدالله العزب وأولاد السياغي والشماحي ومحمد الخالدي. وفي منتصف عام ١٣٥٠هـ (أوائل ١٩٣٢م) بدأت بالتعاون مع الأخ القاضي أحمد المعلمي في العمل الوطني، ولكن بحذر شديد حرصًا على أن لا يحدث لنا ما يزعج الوالد رحمه الله. وقد أقتصر عملنا على مراقبة المجريات وتحرير المنشورات وبثها في المساجد والطرقات كلما حدث ما تُنتقد به الدولة. وقد شجعنا على ذلك أنّا كنا نسمع صدى هذه المنشورات وتخافت المواطنين في الحديث عنها وتكهنهم فيمن يكون وراءها، وأنّا نجد التهمة لا تحوم حولنا. وأذكر من أوائل المنشورات قصيدة قلتها وتناولت فيها الفاسدين من رجالات الدولة بالنقد والتجريح، وهي طويلة ومنها:

ساد الفساد فلن ترى ... غير الخليع موقرا
في دولة أوهى الزما ... ن مليكها المتجبرا
وبنوه كل منهم ... ثوب الشقاء موزرا

وبعد ذكر رجالات الدولة بالاسماء قلت:

هبوا بني اليمن السعيد ... فانتم أسد الشرى
واسيقضوا من نومكم ... فالي متي هذا الكري

هـبـوا لمـن أمـسـى يسو مـكـم الـعـذاب الاكـبـرا
وغـــدا يــراكــم يــا بني وطـنـــي بـعـين الازدرا
حـتـى كـأنـكـم العبيـ ـد وأن والــده اشـتـرى[1]

كما أذكر قصيدة أخرى بثيناها كمنشور سنه ١٣٥٣هـ ومطلعها:

سـاد فـي ذا الـزمـان كـل خسيس مــاكـر واسـتـكـان كـل رئـيـس
أصبـحـت زمـــرة الـنـفـاق بعز وأولـي الـفـضـل فـي عـنـاء وبؤس
حـين أضحـى يـديـر دولـتـنـا فر د بـــرأي مـحـــنـط مـعـكـوس
مـالـه هـمـة سـوى جـمـعـه الأمـ ـوال مـن غـيـر وجـهـهـا المأنوس

ولما أُتِّهم الأخ العزي الخالدي بأنه وراء بعض المناشير وحُبس وجُلد، كما أُعتقل ونفي القاضي محمد محمود الزبيري شهيد الوطن والسيد الخطيب محمد أبو طالب والسيد الشهيد أحمد بن أحمد المطاع والقاضي عبدالله العزب والعزي صالح السنيدار والقاضي علي الشماحي والقاضي محمد السياغي أخلدنا إلى السكينة فترة من الزمن. ثم رأينا أن من واجبنا أن نواصل نشر المنشورات حتى لا يعطي المسئولين انقطاعها قناعة بأن المسجونين كانوا وراء المنشورات وبالتالي يقررون بقاءهم في السجن إلى أجل غير مسمى. فعدنا إلى بث المنشورات، بمعدل منشور في كل أسبوع، وكنا نعمد إلى تناول شخصية الإمام يحيى بمآخذ دينية كاستئثاره بالمال وبنائه للقصور واقتنائه للأراضي في مناطق كثيرة ومنعه صرف الحقوق لمستحقيها. وحار المسئولون وذهبت بهم الظنون إلى كل مذهب ورأوا أن

(١) لما وصل هذا المنشور إلي الإمام يحيى أقامه وأقعده. وقد توجهت التهمة إلى السيد العلامة محمد بن محمد زبارة وبعث إليه الإمام برسالة مليئة بالتهديد فنفى السيد زبارة علمه أو إطلاعه علي المنشور وأصر على ذلك مع أنه كان ثالث ثلاثة يعلمون من قاله ومن حبره، وهم أنا والأخ أحمد المعلمي والسيد زبارة، فقد كنا نعرض عليه كل ما ننشره إذ كان يمثل المعارضة العلنية والنقد الشجاع، وكان بيته مجمع للشباب والمثقفين ورواد الاصلاح وملتقاهم، ولهذا كان يسميه الإمام يحيى دار الندوة وهو الدار الذي كان يجتمع فيه كفار قريش.

حبس من حُبِس لم يحل المشكلة فأطلقوا سراحهم ماعدا العزي الخالدي الذي نفي إلى وشحه فلم يخلصه إلا الفرار إلى تعز إلى ولي العهد أحمد، وكانوا قد أتهموه أنه وراء إحدى المنشورات لأن حرف اللام فيه يشبه خطه. وخوفًا من الاشتباه عمدنا إلى طريقة فريدة فقد كنا نصيغ المنشور ثم نأخذ أعدادًا كثيرة من جريدة الإيمان ونلتقط منها كلمات المنشور متفرقة ثم نلصقها إلى بعضها بحسب ترتيب المنشور ونحصل على نسخه فريدة ونضع عليها البياض لأخذ نسخة أخرى بعد إلصاقها بالزجاج للتمكن من الكتابة على حروفها، وبعد الحصول على النسختين يتولى كل واحد منا نقل عدد من النسخ بنفس الطريقة. وكان ذلك يحتاج إلى اليومين أو الثلاثة الأيام حتى يحصّل أعدادًا كثيرة من المنشورات. وكان لا يشك من يراها أنها طبعت بمطبعة، ولما كانت المطابع اليدوية في تلك الأيام لم يسمع عنها اليمنيون مجرد السماع فقد اعتقدوا أن المنشورات قد أرسلت من عدن. وأذكر أني التقيت بالشهيد السيد أحمد المطاع رحمه الله ومعه إحدى المنشورات فقال لي اتهموا الخالدي بمجرد أن اللام يشبه خطه فجاءتهم لامات من عدن، فقلت له ماذا حصل فمال بي إلى مسجد طلحة وعرض علي المنشور الذي أخذناه على كلمات الإيمان فأبديت استغرابي، فقال على كل حال هذا تمام، بلهجة تنم على أنه يظن أن لي إطلاعًا. وأكد لي ذلك أنه بعد فترة وزعت منشورات خطية فجاءني الشهيد المطاع مبكرًا يرجوني إيقاف نشر المنشورات الخطية لأنها ستسبب إعادتهم إلى السجن فأكدت له أنه لا شأن لي بتلك المنشورات.

ولما وجد الإمام يحيى أن العنف والسجون لم تُؤتِ ثمارها عدل إلى استمالة المجموعة التي كانت تحوم حولها الشكوك، فعين العزب حاكمًا في حيس والشماحي حاكمًا في وصاب السافل كما عين الشهيد المطاع محررًا في صحيفة الإيمان ثم في مجلة الحكمة وقد رأس التحرير فيها بعد وفاة السيد الحر أحمد عبدالوهاب الوريث رحمه الله. وأمر الوالد رحمه الله بأن يأمرني بملازمة مقامه وقت المقابلة

الصباحية وكلفني بالرد على ما يصل إليه من أسئلة المواطنين، فقد كان إلى جانب منصب الإمامة يعمل أو يعمل منه الناس مفتيًا، فكنت أرد عليها وأقدمها إليه لتوقيعها ثم أخذ يحيل إلي بعض المتنازعين لفصل خصوماتهم.

العمل في القضاء

وفي منتصف سنة ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م عينت حاكمًا شرعيًا لقضاء النادرة، فغادرت صنعاء وتوجهت إلى النادرة حيث شغلت منصب القضاء زهاء سبع سنوات عملت فيها مع عدد من العمال كالسيد أحمد مفضل والسيد محمد بن محمد المنصور والشيخ أحمد الحبابي والسيد يحيى بن أحمد الهجوه. وكان هذا العمل هو أول عمل رسمي أقوم به، وقد رأيت عند شروعي العمل أن الأمور تفتقر إلى التنظيم الإداري الذي يراعي مصلحة المواطن والدولة وينأى به عن الاغراض الشخصية، ولذلك فقد بعثت إلى الإمام أشكو ذلك والفت النظر إلى لزوم تحسينها.

حج عام ٥٧ واللقاء الأول بالزبيري

وفي عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٩م قمت وأخي محمد بأداء فريضة الحج ومعنا السيد علي بن أحمد حميد رحمه الله وقد كان سفرنا من النادرة إلى قعطبة ومنها على سيارة شحن إلى لحج وهي أول سيارة نركب عليها. ومن لحج ركبنا سيارة ركاب إلى عدن وفيها نزلنا ضيوفًا على الشيخ عبده حمود الزنداني، وهناك بقينا أسبوعًا حتى تيسرت باخرة هندية ركبنا عليها إلى جدة. وقد عرجت بنا الباخرة على ميناء الحديدة لركوب الحجاج اليمنيين، وكان فيهم من علية القوم الأمير علي بن عبدالله الوزير وابنه عبدالله، شهيد الاغتراب بعد ثورة ٤٨، والقاضي محمد محمود الزبيري والقاضي محمد السياغي والسيد محمد بن محمد زباره والقاضي حسين الحلالي. وقد تعذر وصولهم على السفن الشراعيه التي لا يوجد في الحديدة غيرها لأن الموج كان عاليًا والبحر كان غاضبًا، وبقيت

الباخرة يومين حتى تمكن الحجاج من الصعود إليها[١]. وعلى الباخرة كان أول لقائنا بالقاضي محمد محمود الزبيري، وقد كان ذلك قبل سفره إلى القاهرة للدراسة وكانت لا تزال نظرته الوطنية في المهد. وقد عرض علينا قصيدة من شعره الجيد كان قد أعدها لإلقائها بين يدي الملك عبدالعزيز آل سعود، وسأل عن رأينا في القصيدة فقلت له من الناحية الشعرية البلاغية جيدة جدًا، فضحك وقال والموضوع، فقلت له الموضوع قد يجر إلى مشكلة مع الإمام يحيى. قال من أي ناحية، قلت المدح مبالغ فيه ويوحي بالمفاضلة وغِيرة الإمام يحيى وحساسيته بالنسبة إلى عبدالعزيز لا تجهلونها، ثم لا يجوز أن ننسى شهداء تنومة، فقال صدقتم وسوف لن أقدمها. على أنه فيما بعد ألقى قصيدة في مناسبة أخرى كانت أجود وقد بقي أثرها في نفس الإمام يحيى حتى ذكّر الشهيد بها بعد عودته من سجن الأهنوم. وقد كُلِّف الشهيد من قبل القاضي عبدالله العمري الوزير الأول أو على الأصح الوزير الوحيد للإمام يحيى بأن يمدح الإمام يحيى بقصيدة تنسي الناس قصيدة عبدالعزيز فقال قصيدته العينية التي يقول فيها:

من أين يأتيك العدو وأنت في بلدٍ تكاد صخوره تتشيع

كان الزبيري لصيقًا بالأمير علي الوزير ومعه حج ومع ابنه عبدالله وعلى نفقته ذهب إلى مصر للدراسة. وكان الأمير علي الوزير أميرًا للواء تعز وكانت العلاقات بينه وبين سيف الإسلام ولي العهد علاقات شكوك وريبة وتربص. وكان ولي العهد أحمد يمد نظره إلى إمارة لواء تعز لغرض تقليص نفوذ أميرها الوزير والحلول محله ولاسيما بعد أن أمر أمره وأصبح مقصودًا لكرمه من جميع أنحاء اليمن. وكان الثناء عليه لا يروق للإمام وأولاده فأذن لإبنه أحمد بزيارة المناطق الجنوبية والغربية أي الحديدة وزبيد وتعز ومناطقها لتفقد أمورها، ولكن هذا كان عازمًا على أن لا يعود إلى صنعاء وأن يضايق السيد الوزير الذي عرف عنه الإباء ورفض

(١) لم يكن فى الحديدة ميناء قادر على إستقبال السفن من أي حجم حتي تولى الروس بناء الميناء أواخر الخمسينيات. وكان السفن التي تقصد الحديدة تبقي في عرض البحر ويتم نقل الركاب والبضائع منها وإليها بواسطة القوارب الشراعية الصغيرة.

إعطاء الدنية لأي كان. وكانت البداية أنه حينما وصل إلى تعز نزل ضيفًا على الأمير وقعد في مقعده وأنشد بحيث يسمعه:

وألقت عصاها وأستقر بها النوى كما قر عينًا بالإياب المسافر

وسمعها هذا وفهم معناها. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان ولي العهد يقابل الناس ويطّلع على الأمور ويصدر أوامره بما يرضيهم. ورأى الأمير الوزير أن نفوذه بدأ يتقلص، فطلب إلى الإمام أن يأذن له بالحج، وكأنما صادف ذلك هوى في فؤاد الإمام فأذن له. ولم يدعه أحمد يذهب دون أن يبعث عليه رقيبًا يحصي أنفاسه ويعرف مداخله ومخارجه، وقد كان يخشى لقاءَه بالملك عبدالعزيز الذي يكره السيف أحمد ويتهمه بالتآمر على قتله، فبعث للحج معه القاضي حسين الحلالي[1] الذي كان قد عرف أن أيام الوزير في تعز قد تصرمت وأن مستقبله مع ولي العهد أضمن، وكان تجاوز الله عنه من النفعيين الذين يعملون للمصالح الخاصة، ومن هنا أودى بصديقه الشهيد الخادم غالب ومن معه من الأحرار وفيهم الشهيد الموشكي وساقهم إلى ساحة الإعدام في أعقاب ثورة ثمانية وأربعين مع أنه كان قبل ذلك يوهمهم أنه معهم وكان موكولاً إليه إدارة الشئون في لواء الحديدة.

وفي منى ذهبنا لزيارة الأمير علي الوزير في البيت الذي أعدته الحكومة لنزوله هناك وكان معنا السيد أحمد عشيش من رداع. وقد سمع الحديث الذي كان يدور في الجلسة وكله نقد بل وسب لولي العهد فاعترته الغيرة وخرج مغضبًا، وتبعناه فوجدناه يحرر برقية إلى الإمام يحيى وأخرى إلى ولي العهد يشرح فيهما ما دار في الجلسة وهو يرغي ويزبد ويقول هؤلاء الذين أحسن إليهم الإمام فجاءوا يسبونه

---

(١) لازم الحلالي الأمير الوزير يدخل بدخوله ويخرج بخروجه ولكن الوزير مع ذلك قد تمكن من اللقاء مع الملك عبد العزيز وتعهد له الملك بأن يكون نصيرًا له بعد وفاة الإمام وأن يعملا معًا علي إبعاد ولي العهد عن الملك على أن يتولى أحد ثلاثة هم علي الوزير أو عبد الله الوزير أو سيف الإسلام الحسين. وقد أخذ على الملك السعودي أنه لم يف بعهده فقد ناصر الإمام أحمد بعد مقتل أبيه عام ١٩٤٨م وساق الأمير وابن عمه الإمام عبد الله الوزير يخذلانه لهما ونصرته لأحمد إلى الموت فأعدما مع من أعدم في حجة بعد فشل الثورة. ولما ذهب إليه السيد عبد الله بن علي الوزير بعد الثورة وقبل انتصار أحمد وظهور موقفه المتحيز يطالبه بالوفاء بالعهد اعتل بأنه قد وعد بنصرة المناهضين لأحمد على أساس أن يموت أبوه موتًا طبيعيًا بل قال له بلغته النجدية (ما إتفقنا علي قتل الشيبة).

ويسبون ابنه في بلاد السعودي. ولما كان الرجل قد جاء للزيارة معنا فقد شعرنا بالمسئولية عمّا يفعله فأخذنا نهدئ من غضبه ونقول له أن المجالس بالأمانات وهم لم يتكلموا أمامك إلا لثقتهم بك و«من ائتمنك فلا تخنه ولو كنت خائن»، إلى غير ذلك من الكلام الذي يؤثر على أمثاله من العامة، فمزق البرقية وأستعاذ بالله من شيطان الغضب.

وجاء الأخ الزبيري وكان مقيمًا في ذلك البيت ضمن حاشية الأمير فعرف الحقيقة وأكبر منا أنّا عملنا على إحباط الوشاية واطمأن إلينا. وصعدنا معه إلى جبل منى الذي يسمونه جبل اليمنا أي اليمنيين، وهناك تناولنا أطراف الحديث وجرنا إلى المقارنة بين أوضاعنا في اليمن وأوضاع السعودية الدولة التي إذا قورنت باليمن من الناحية الاقتصادية جاءت في الدرجة الخامسة أو السادسة، ولم يكن البترول الذي جعل بينها وبين اليمن مائة درجة عكسية قد عمل عمله.

أدينا مناسك الحج والعمرة وقصرت بنا النفقة عن زيارة المسجد النبوي الشريف في المدينة فعدنا على نفس الباخرة. ولم نشأ أن نواصل السفر إلى عدن فنزلنا في الحديدة رغبة في زيارة الوالد رحمه الله. وقد ركبنا من الحديدة على سيارة قادمة من عدن باسم السيد عبدالقدوس الوزير صهر الإمام يحيى وعامل قضاء ذمار. وكانت الطريق لا تزال تمر على عبال وجبال ريمة وآنس من مدينة العبيد، وهي طريق في غاية الصعوبة، وقد صعدنا أحد الجبال ليلًا فنجونا من حادثة كانت ستودي بنا. وصلنا إلى ذمار ومنها عدنا إلى صنعاء لزيارة الوالد رحمه الله وبقينا هناك خمسة أيام. واتجهنا إلى إريان حيث وصلناها لتواجهنا فاجعتنا بأخي العلاّمة علي بن يحيى رحمه الله الذي توفى في ١٨ محرم سنة ١٣٥٨هـ الموافق ٩ مارس ١٩٣٩م بعد وصولنا بيوم واحد. وقد رثاه والده رحمه الله بقصيدة مؤثرة ورثاه غيره من العلماء ورثيته أنا بقصيدة طويلة جاء فيها:



من يمين القارئ:
السيد علي بن أحمد بن المام
الشيخ عبده بن حمود الزنداني
القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي محمد بن يحيى الإرياني
الحاج عبدالله عمرو

أخذت في عدن في 11 القعدة 1357هـ
الموافق 2 يناير 1939م في الطريق
إلى الحج

سل العلوم لماذا دُكّ راسيها وهُدّ من أفق العلياء عاليها

وسل سماء المعالي أين كوكبها وسل صروح المعالي أين بانيها

وسل عقود الدراري أين ناظمها ومفردات المعاني أين منشيها

ومنها:

أيم الإله لقد عزّت مصيبته على جزيرة قحطان ومن فيها

ما مال والله من سماه بلبلها فكم له من صدوح في نواحيها

وكم عواطف نحو الشعب جاد بها وكم نصائح قرّت عين واعيها

وكم فريدة فكر زانها أدب غض جلاها ينادينا مناديها

قد أفلحت أمة سارت على عجل إلى الأمام بوحي من مباديها

وقد تشيد فتى الأقلام صالحة ما كان من يرفع الأعلام يبنيها

وللمهيمن بالأقلام جارية عناية عظمت في عين رائيها

تبني وتهدم أيّا خطة جلحت لذاك أقسم بالأقلام باريها

آه لقد غاض أغرود البلاد ولم نعد نرى غيره فينا يواليها

وأوحشت بعد من علم ومن أدب وجف من روضة الأخلاق راويها

وأخمدت فكرة كانت تميل إلى إعلائها وتناوي من يناويها

وتنظم الدرر العصماء ناهجة مناهج النصح في أسمى مراميها

وأطفئت جذوة بالحق ساطعة إذ ليس غير علي كان يذكيها

إستمرار العمل و بث المنشورات

وبعد مرور أيام العزاء عدنا إلى النادرة لمزاولة أعمال القضاء، ومرت الأيام بنا هادئة. وكنا نبث المنشورات الناقدة للإمام كلما أوجبت الأحداث ذلك. ومن ذلك أنه جاءت سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠م) وفيها أصدر الإمام يحيى أمرًا بأن تكون الزكاة

(صبرة) وهي بأن يؤخذ من بدلات السنين الماضية أوفرها وتُجعَل أصلًا لواجب هذه السنة ويجبر المواطنون على الإقرار بها ودفعها، بدلًا من أن يكون تقريرها بأمانة المزكي أو حتى بتقدير الخراص على ما فيه من ظلم. وقد عانى الفلاحون من جراء ذلك مظالم لا طاقة لهم بها، إذ كانوا يكلفون بدفع زكاة الشعير حنطة وتسليم زكاة على حقول لم تزرع في ذلك العام لمجرد أنها زرعت في العام الذي أُتِّخذ أصلًا. وقد جهد الناس في المراجعة دون جدوى فنظمت القصيدة التالية سؤالًا رفعته إلى كثير من العلماء وفيها جاء:

سؤال إلى يمّ الهدى ثاقب النظرة ... وشمس علوم المصطفى صفوةالعتره
ومن أثمر التقوى الصحيحة علمه ... فأصبح في أفق الهدى بيننا بدره
إلى من يقول الحق للحق معلنًا ... له فهو لايهتاب من منكرٍ نُكره
له قلم من ذي الجلال مداده ... يؤيده الروح الأمين لدى السَّطْره
فيكتب لايخشى ملامة لائم ... إذا كان في ذات الاله يرى زبْرَه
ويملى عليه فكره شطر رأيه ... ويلهمه إيمانه والهدى شطره

ومنها:

أمولاي إني قد بُلِيت بمشكل ... بهيم وقد أجهدت في حلّه الفكره
ولست بملقيه على غير عالم ... قدير على التحبير ذي فكرة حُرّه
تنير دجى الأشكال منه صراحة ... ويقدح في أزناد مشكله فكره

وجه الأشكال:

أقول وفي قلبي ندوب تنوعت ... وقد صعدت من فرط مانابني زفره
الم يك مولانا الحكيم لشرعه ... قضى وهو فيما قد قضا مالك أمره
على كل ذي مال بخمسة أَوْسُق ... فما فوقها في الكم من ماله عُشْرَه

وليس على المعدوم منه بموجب ... زكاة وما حظ العديم سوى الحسره

ولا مُبْدل عشرَ الشعير بحنطة ... ولا آخذ عن عشر حنطته دجره

الاحتجاج:

فما بالنا عنه جنحنا تعمدًا ... وملنا إلى تقديرها منهج الصُبْره

وقلنا هي المعيار في كشف واجب ... علينا جهلنا في دوائرنا قدره

سواءً أغلّت أرضنا منه فأستوى ... على سوقه أم لم تكن قبل مخضرّه

وفي هذه الفترة اشتركت في مجلة الفتح التي كان يصدرها الفلسطيني محب الدين الخطيب في القاهرة، وقد تأثرت كثيرًا بما كانت تسطره من مقالات تحررية تهاجم الفردية وتدعو الى الديمقراطية التي كنا بعيدين عنها بعد السماء عن الارض. كما كنت أنشر بأسماء مستعارة في صحيفة فتاة الجزيرة التي كان يصدرها في عدن محمد علي لقمان أنتقد فيها الوضع بصورة إجمالية تارة وبالنص على حوادث معينة تارة أخرى.

تعيين المتوكل عاملًا للنادرة

وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) عُيّن السيد يحيى بن محمد بن المتوكل عاملًا لقضاء النادرة. والسيد المتوكل هو حفيد الإمام المتوكل المحسن بن أحمد وصهر الإمام يحيى وخال ولديه الحسين والحسن، الذي شاءت الأقدار أن يكون هذا الأخير أميرًا للواء إب وأن يرتبط قضاء النادرة به، فرأى العامل أن محسوبيته ودالته على الإمام وعلى أمير اللواء يخولانه أن يجعل من نفسه أميرًا لا عاملًا. وكان مع ذلك هلوعا على كسب المال إلى حد كبير، فأساء معاملة المواطنين وعمل على أخذ الأموال من غير وجوهها المشروعة. وفوق ذلك أراد أن يعتبر أن الحاكم تابعًا له وموظفًا لديه فأخذ يصدر الأوامر ويتعصب لجانب من المتنازعين ضد الآخر ويريد من الحاكم أن يعمل بتوجيهاته في القضايا، فرفضت ذلك وتوترت العلاقات بيننا جراء ذلك.

زيارة الإمام لحمام دمت

وفي جمادى الأولى سنة ١٣٦١هـ الموافق يونيو سنة ١٩٤٢م وصل الإمام يحيى إلى حمام دمت للاستشفاء بمائه الحار الفوار، وكانت هذه الرحلة هي المرة الثانية التي يخرج فيها الإمام من صنعاء منذ دخلها في سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨ م). أما الأولى فهي تلك التي خرج فيها من صنعاء إلى كوكبان في سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) فرارًا من الطائرات الإنجليزية بعد أن هددت بريطانيا بضرب العاصمة صنعاء. وكان رحمه الله حِلسًا من أحلاس بيته، وحسبك أنه مات قبل أن يعرف البحر، ولم يقم في فترة حكمه المديد بجولة في البلاد التي يحكمها ليتفقد شئون المواطنين فيها ويتعرف على مشاكلهم ويحاول حلها إستشعارًا بمسئولية الراعي عن رعيته. وقد أقام أثناء إقامته بدمت في الدار التي بنيت له خصيصًا حوالي شهر، وهرع جميع مسئولي المناطق الجنوبية لزيارته كما هرع المواطنون ليقدموا شكاواهم بأمير اللواء نجله سيف الإسلام الحسن وما يقاسونه من مظالمه. وساء الإمام أن يسمع ما سمعه عن إبنه الحسن وصرح في إحدى جلساته للسيد عبدالله الوزير، وكنا موجودين في المقيل، بأنه لم يكن ينتظر أن يسمع ما سمعه من الشكوى (بالولد الحسن) وقد تمنى أنه لم يصل إلى المنطقة. وقد تفاءل من سمعه يتوجع ويأسف، وأنتظر الجميع أن يغيّر أمير اللواء بغيره أو على الأقل يأمر بإلغاء المظالم والصُّبَر التي يعاني منها المواطنون. ولكن الذي حصل أن الحسن استطاع أن يقنع والده أن الردود التي يحررها الكتّاب على شكاوى المتظلمين هي التي أغرتهم بالتظلم لأنهم يأمرون بإزالة المظالم وإسقاط ما يتظلم منه الناس. وصدّق الإمام يحيى وأمر الكتّاب أن يقتصروا في الردود على الشكاوى على الإحالة المجردة فخرجت الردود في اليوم التالي بلفظ (إلى الولد سيف الإسلام الحسن بتاريخه). وضج الناس وترقبوا خروج الإمام للدورة واصطفوا في شبه مظاهرة رافعين بشكاواهم التي عليها الردود وصاح أحد الشاكين مناديًا للإمام وراميًا بالشكوى في وجهه قائلًا بلهجته الشَعِرية الدارجة (مُوْ إلى الولد الحسن بتاريخُه) أي ما معنى هذا الجواب.

ومضى يقول لقد عرفنا أن الإمام هو الظالم لنا وليس الولد الحسن بتاريخه وضحك الناس وتمعّر وجه الإمام وأمر بحبس الشاكي.

الخلاف مع العامل

ولما زاد الخلاف مع عامل النادرة السيد يحيى بن محمد بن المتوكل وزاد جوره على الناس ترافعنا إلى الإمام يحيى وإلى أمير اللواء. وضج المواطنون بالشكوى منه، فأمر الإمام بإرسال السيد العلاّمة علي بن يحيى الذاري رحمه الله للكشف على العامل. وجاء الكاشف وحقق في القضايا التي شكاها الناس منه وقضى عليه بالجور وبالاختلاس وبعدم جواز توليه. فزعم للإمام أن الكاشف هو صديق الحاكم ولهذا فقد عمل فيما قرره برأيه، وطلب إلى الإمام أن يأمر بالكشف على الحاكم أيضًا. فأمر الإمام بإرسال عامل ذي السفال السيد العلاّمة محمد بن محمد المنصور فجاء ضميمة للسيد الذاري. واتفق السيدان على إدانة العامل وبراءة الحاكم، ورُفع الأمر إلى الإمام ليرى رأيه، وغادرنا إلى صنعاء لنرى ما يقرره الإمام.

وفي أثناء بقائنا في صنعاء نظمت قصيدة بعثتها إلى ولي العهد أمير لواء تعز آنئذ كشكوى على لسان قضاء النادرة جاء فيها ما يلي:

سمعًا لشكوى من بلاد النادرة ناظمة جاءت بها وناثرهْ

قد غدت الأعمال فيها نادرة والظلم قد أرسى بها دياجرهْ

من عامل لمالها نهاب

رميتم مولاي هذي الناحية بمن غدا وسَرْقه علانيهْ

وبطنه لمالها كالهاوية كأن في إحشائه معاويهْ

تبًا له من عامل نهاب

يأخذ من أموال أهليها الحسن ... ومن يعنفه بسر أوعلن

قال أنا صهر الإمام المؤتمن ... وخال نجليه الحسين والحسن

وصهر رأس المجلس النيابي

والمحسن الإمام من آبائي ... ألم تروا ذؤابتي ورائي

تدل رائيها على انتمائي ... إلى أصول المجد والعلاء

فمن يصفي منكم حسابي

يقول أني بولاء العهد ... أولى لعلمي والإمام جدي

وهذه ذؤابتي من بعدي ... تخبركم أن الشروط عندي

وافرة فاستمعوا خطابي

وطال بقاؤنا مع عامل النادرة في صنعاء قبل أن يُبَتّ في الأمر فرفعت إلى الإمام قصيدة جاء فيها ما يلي:

ما كان طه ختام المرسلين حمىً ... للظالمين ولو كانوا ذوي رحم

بل قال لو سرقت والله فاطمة ... قطعت منها يمينًا غير محترم

صرامة في سبيل الحق ما عرفت ... هوادة يا له من عادل حكم

وقلت في قصيدة أخرى:

أُنْهي إلى عدل الإمام الأعظم ... تاج الخلافة ذي الصراط الأقوم

بغريبة تجري ولم نعرف لها ... مِثلًا إلى عدل الخليفة ينتمي

أنى أمرؤ أخلصْت في عملي وفي ... نصحي وغير الحق لم أترسم

وحَرَسْت أحكامي بعفة قانع ... زهدًا فلم أطمع بأي محرم

وسواي قد أخذ الألوف ولم يخف … منكم ولم يحفل بلوم اللوم
والكاشفان بأمركم حَكَما معًا … ببراءتي وعليه بالظلم العمي
إن كان للأحكام معناها فأيـ … ـن الفرق بين مُحمَّدٍ ومذمم
وعلام يظلمني الإمام وليس لي … ذنب ولا خنتُ الإله بدرهم
وإلى متى أمسي وأصبح منشدًا … بيتًا يمثل حالتي وتظلمي
(غيري جنى وأنا المعذَّب فيكم … فكأنني سبابة المتندِّم)

سلمت الأبيات إلى الإمام من يدي فقرأها ثم أخذ ورقة وكتب عليها ما يلي:

لابد يأتي سيف الإسلام الذي … يدري دراية أي شخص عالم
أما نظامكم فعال جيد … لله درك من أديب ناظم

ويعني بسيف الإسلام نجله الحسن وكان إذ ذاك في مكة يؤدي فريضة الحج، وجاء الحسن ومرت أيام ولم يبت في الأمر فرفعت إلي الإمام قصيدة جاء فيها:

مولاي تذكرة ولم تَكُ بالذي … ينسى ولكن نفثة من لائم
قلتم سيأتي سيف الإسلام الذي … يدري دراية أي شخص عَالِم
ووعدتُمُ بالفصل إذ يأتي وقد … وافى بيمن وهو أسعد قادم
ورضيته حَكمًا فَمُرْهُ فليكن … ما بيننا بالحق أعدل حاكم
وبراءتي ثبتت بحكم نَيِّر … والحق ما لجليّه من كاتم
والحق أولى من سواه حرمةً … وأحق نُصرًا من قريب جارم

من صور النشاط السياسي

وفي محرم سنة ١٣٦٢هـ فبراير سنة ١٩٤٣م، وكنا في صنعاء ننتظر البت في

أمر الخلاف بيننا وبين عامل النادرة عاد أولاد الإمام يحيى، الحسن والحسين وعلي وإبراهيم وإسماعيل ويحيى من مكة بعد أن أدوا فريضة الحج. وفي أعقاب وصولهم بنحو أسبوع وُجِد أحد الأولاد الشباب مقتولًا ومرميًا في متخذات مسجد البكيلية القريبة من غمدان وكان قد صُبّ على وجهه الأسيد لتغيير معالمه ولكنه عرف أنه من اللصيقين بأولاد الإمام وأنهم قتلوه ثم تخلصوا منه برميه في المتخذات. فأصدرنا أنا والأخ المعلمي منشورًا في الحادثة وأسبابها وقلنا أنهم قدموه قربانا لحجهم المبرور. وكان لهذا المنشور أثره في نفوس الناس مكْبرين ما حدث من القتل والتشويه. وواصلنا إصدار المنشورات، وكان فيها لكل حادث حديث ونقد لاذع. ولم نكن نحتفظ بشيء منها وكان أغلبها منظومًا ومما نذكره منها ما نثبته فيما يلي:

هذا العدو غدا على الأبواب ... يرنوا بعين الفاتح الغلاب

والمستبد له إلى أموالكم ... توقان مهجور إلى الأحباب

قد صار في دور الذهول وشعبكم ... أضحى يقاسي منه دور عذاب

وبنوه فيكم كلهم قد مثلوا ... رمز الفساد وخسة الاحساب

قد أنفقوا أموالكم فيما أشتهوا ... من وصل غانية وحسو شراب

وأولئك الكتاب والوزرا غدا ... في مالكم لهم صيال ذئاب

واراكموا في نومة لا تنتهي ... ابدًا بغير قنابل الإخراب

فألقوا إلى الشعب المبارك نظرة ... فلعلها تهديكم لصواب

وارموا زمام الأمر في كفّ الذي ... سيقيه شرّ عدوه الوثاب

وفي أحدها دعونا إلى مبايعة السيد عبدالله الوزير (الإمام عبدالله الوزير بعد ذلك) وأذكر منه ما يلي:

أرقت وما شوقًا لسلمى وزينب سهادي ولا دعوى الغرام تليق بي
ولا أنا ممن يعشق الغيد قلبه فلا الهجر يضنيني ولا الوصل مطلبي
ولكنني ألقيت في الشعب نظرة وفكرت والتفكير شأن المهذب
رأيت أمير المؤمنين وقد دنت إليه المنايا بالحسام المشطب
وعما قريب سوف يلفى مغادرًا لشعب على إخلاصه كان يحتبي
وفي الشعب من أبنائه كل أهوج قليل إطلاع العلم غير مؤدب
فمن ذا الذي يرضى به الشعب منهم ليحكمه والكل غير مدرب
أذاك ولي العهد وهو الفتى الذي عرفتم له رأي سريع التقلب
وليس بذي علم ولا الجود شأنه وليس الى قاداتنا ذا تحبب
أم الحسن الموصوف بالزهد وهو من عرفتم لديه الظلم أفضل مكسب
ألم تسمعوا منه لوا إب مُعوِلا وكم قد شكا الشاكون من ظلمه الوبي
أم السيف عبدالله وهو الذي غدت تجارته فيكم بشرق ومغرب
وذا ربحه في القاز والاتجار في رعيته قد صار غير محجب
وأخوته الباقون غير الحسين لا نرى فيهم كفوًا لأحقر منصب
ولست بمبدٍ للذي تعرفونه حياء وذاكم شيمة المتأدب
فإن كان هذا البيت أضحى لديكم وكل بنيه صار غير محبب
فقوموا إلى من زاده الله بسطة بعلم وجسم ذي الكمال المجرب
فذلكم رأي النصيح فإن يكن صوابًا وألا جئتموني بأصوب

القصيدة الميمية

وجاء البت في موضوع خلافنا مع العامل وكان بفصل العامل إلى غير بدل وأما أنا فقد تقرر نقلي حاكمًا في قضاء العدين، وكانت تلك نتيجة أفرزتها المحسوبية والانتماءات العائلية. وساءني أن يشمل الحكم البريء والمدان لاعتبارات أسرية

ولأغراض المحسوبية، وقد برز بوضوح تعصب أمير اللواء سيف الإسلام الحسن لخاله.

وذهبت إلى إب حيث بقيت في مقام سيف الإسلام الحسن فترة من الزمن أحاول التخلص من العمل في العدين، وكان يحيل عليّ بعض القضايا الشرعية التي دعتني إلى التنقل في بعض مناطق اللواء. وكانت المخالطة للمواطنين في مناطقهم تزيد في معلوماتي بما يقاسيه المواطنون من المظالم المختلفة المناحي وما يقابلها من الأمير سيف الإسلام الحسن من إصرار على صم أذنيه عن سماع شكاوى من يشكو ظلم مخمن أو مجازفة صبرة أو اضطهاد ومجازفة عسكري.

وكان الأمير يحرص على أن يظهر دائمًا في مظهر الورع الزاهد في متاع الدنيا الفانية، وكان يردد دائمًا النصح لمن حوله بأن يزهدوا في الدنيا. كل ذلك كان يحمل الكثيرين على أن يتلمسوا له المحامل الحسنة فيقولون أنه لا يعرف الكثير مما يجري من المظالم. ولكني أنا الذي خبرته، وكثيرًا ما نصحته، وعرضت له بعض القضايا التي تقتضي العدالة علّها أن تثير إهتمامه وأن يأمر فيها بما يوجبه العدل، ولكنه كان يتغافل وإذا أُحرج بإحراج ملح برر الإجراء بمبررات لا تقنع ضميرًا ولا تنسجم مع منطق. فحملني ذلك على أن أبعث إلى الإمام يحيى قصيدة مطولة أُعدّد فيها المظالم التي يعاني منها الشعب على يد إبنه الذي يطلق عليه إسم زين العابدين. وطبعًا لم أرفعها باسمي ولا حررتها بخطي بل جعلتها بإسم أبناء اللواء. ونثبت فيما يلي بعض هذه القصيدة الشاكية الباكية:

إنما الظلم في المعاد ظلام	**وهو للملك معولٌ هدام**
كم عروش قد قوض الظلم واسـ	**ـتف وكم دمرت به الأيام**
وصروح منيعة شامخات	**هي من ظلم من بناها رغام**
وإباء به يداس ومجد	**يتداعى به وعز يضام**
ليس ما حازه المليك من الجو	**ر ثراءً بل شقوة وأثام**
ليس في الظلم ثروة إنما الثروة	**عدل ورحمة وسلام**

ودعـاء المظلوم في غسق الليـ ـل سيوف قواطع وسهام

ومنها:

آه مالي أرى الرعية قد أضـ ـحت بهذا اللواء خسفًا تسام

قد تولى أمورها الحاكم المطلـ ـق فهو الأمير وهو الإمام

حسن ابن الإمام لا أحسن اللـ ـه إليه ولا عداه السقام

ومنها:

والعصيمات مالنا من أذاهم قط في هذه البلاد اعتصام

قد غدا من بيوتنا لهم المأ وى ومن أهلنا لهم خدام

فلهم في البلاد هذي انتشار ولهم في البيوت تلك ازدحام

ومنها:

والإمام الإمام قد صم أذنيـ ـه وأعمى عينيه عنّا الحسام

فاصدقوه في النصح منكم وقولوا قم تفقد ما يشتكيه الأنام

أنصف الناس من بنيك وإلا أنصفتهم من بعدك الأيام

وفاة الوالد

وفي شوال سنة ١٣٦٢هـ (أكتوبر ١٩٤٣م) أرسلني سيف الإسلام الحسن إلى العدين لتقسيم الصدقة وأتبعني بمرسوم التعيين لمنصب القضاء. ولم أجد بدًا من القبول، ولكني كنت دائم القلق وشعوري النفسي بأن شيئًا ما سيحصل. وحاولت أن أستأذن بالسفر إلى إريان لتمضية أيام العيد، وكان من غريب الصدف أني اعتذرت بأنه بلغني مرض الأخ عبدالله بن يحيى رحمه الله ولم أكن أعرف أنه مريض حقيقة. وفي أثناء الطريق جاءني كتاب يعلمني بمرضه وقلت أن هذا هو سبب ما كنت أشعر به من القلق والتوقع، ولكني بعد وصولي إلى إريان فوجئت بما

هو أعظم، فقد جاءتني برقيتان من السيد محمد بن محمد زبارة والقاضي أحمد بن حسين العمري يعلماني بمرض والدي رحمه الله ويستعجلان وصولي. ولم أقف في البيت غير ساعات وتوجهت مع أخي محمد بن يحيى حفظه الله إلى صنعاء، وبالمصادفة وحدها وجدنا سيارة شحن في يريم متجهة إلى صنعاء فركبنا عليها، وبذلك تمكنا من رؤية الوالد رحمه الله قبل وفاته.

كان رحمه الله مريضًا بحمى التيفوس ولكنه كان بكامل وعيه، وقد تهلل وجهه حينما رآنا بجانبه وقال إن من حظكم أن تصلوا قبل الوفاة فقد ورد في الحديث أن من شهد وفاة أبيه يُغفر له، فقلنا بل نشهد ابلالكم من هذا المرض ونراكم في الصحة والعافية مرة أخرى إنشاء الله، فقال لا أمل. كان رحمه الله متأكدًا من أنه الأجل المحتوم وكان قد كتب إليّ إلى العدين قبل أسبوعين يحكي عن رؤيا رآها ونظمها في أبيات قال في آخرها (فأولت ذاك بقرب الأجل)، وقبل شهرين من وفاته قال مقطوعة شعرية يقول فيها:

أيارب قد عمرت ستين حجة — وزدت ثلاثًا وهي عمر محمد
فهب لي ختامًا صالحًا ثم خذ يدي — إليك وكن يوم القيامة منجدي

وفي الساعة الثانية من صباح ٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٣م فاضت نفسه الكريمة ونحن إلى جانبه ندعو ونتضرع، ولكنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وجهز في نفس اليوم وحضر تشييعه جميع العلماء والكبراء والموظفين في صنعاء. أما عامة الناس فقد ساروا في موكب مهيب وكان قد أوصى أن يدفن في مقبرة خزيمة على مقربة من قبور الأجداد وأن لا يزيد ارتفاع قبره على الشبر، وقد نُفّذَت وصيته وأُقيم الدرس عليه في جامع الفليحي وحضره سيوف الإسلام الحسين والمحسن وغيرهما. وكان لموته رنة حزن عامة ورثاه الإمام يحيى وولي عهده الإمام أحمد والحسين بن الإمام كما رثاه الأخ القاضي محمد محمود الزبيري وغيرهم وكان مما جاء في قصيدة الأخ الزبيري ما يلي:

شمس طواها بليل القبر مقدور   فالنور مفتقد والصبح مقبور
وأقبل العيد أعمى غار ناظره   كأنما اللحد في عينيه محفور

وفيها:

ولىّ عماد الهدى يحيى تشيعه   الدنيا بأدمعها والعلم والنور
والشعب يطرق حول النعش مرتئيًا   له إلى القبر تقديم وتأخير
مفكرًا كيف يُلقى المجد في جدث   وكيف ينبذ تحت الصخر نحرير
ساروا به يحملون النعش في جزع   كأنه السيف في الأعناق مشهور
كأنهم حملوا الإسلام في كفن   من المصاحف حاكته المقادير

وفيها يمدح الوالد ويعرض بغيره:

يحيى مصابك هد الشعب وانحطمت   قواه وهو لعمري فيك معذور
علمته الخلق الاسمى وكنت له   كمصحف فيه تحذير وتبشير
نزهت كفك عن سحت قد انغمست   فيه الأكف الأثيمات المشاهير
يرون قطع يمين اللص جائعة   وحظ أيديهم لثم وتوقير
لا يُؤخَذون بما غلُّوا وما اختلسوا   كأنما العلم للإجرام تبرير

بعدها رغبت إلى الإمام يحيى بنقلي من قضاء العدين فأمر إبنه الحسن بنقلي إلى يريم لأكون على قرب من إريان بحيث أتمكن من رعاية الأسرة والإخوة الذين تركهم الوالد رحمه الله. ولم يرق للأمير الحسن ذلك فأبقاني في مقامه، ولكنه كان يحيطني بشي من الاهتمام والتقدير محيلًا إليّ العويص من القضايا التي كنت أجهد في حلها بالصلح بين الأطراف المتنازعة. ولم يكن ذلك يروق لسيف الإسلام الحسن لأن سياسة حكومته كانت ترتكز على أن يظل المواطنون في خصام مستمر يشغلهم بأنفسهم عن أن يروا أوضاعهم العامة على حقيقتها.

الفصل الخامس
العمل السياسي المنظم

إنشاء جمعية الاصلاح

بوفاة الوالد تغيّر مجرى حياتي، وأصبحت أكثر اندفاعًا في العمل السياسي. وفي هذه الفترة، ومن وحي المآسي التي نراها كل يوم أمام عيوننا وبباعث الرغبة في التغيير إلى الأفضل والنزوع إلى التطور الذي نسمع عنه ولا نراه، أنشأنا بداية عام ١٣٦٣ هـ (بداية ١٩٤٤ م) أول جمعية سياسية أسميناها (جمعية الإصلاح) اعتبرناها رافدًا من روافد الحركة الوطنية في عدن بقيادة نعمان والزبيري. وكان رأينا أن العمل من الداخل أجدى وأنفع وإن كان محفوفًا بالمخاطر. وقد اخترنا الأخ القاضي محمد الأكوع الذماري رئيسًا للجمعية، وكان من الأعضاء الشاعر محمد أحمد صبرة والشيخ محمد منصور الصنعاني والقاضي عبدالكريم العنسي والأستاذ عبده محمد باسلامة وفي بيته كانت تعقد الجلسات. كما أنضم إلى الجمعية الأخ القاضي محمد بن يحيى الإرياني وكان حاكمًا في المخادر والأخ القاضي أحمد المعلمي وكان يشغل منصب كاتب تحريرات في المخادر وغيرهما من مثقفي ورجالات لواء إب وعلى رأسهم الشيخ الفيلسوف حسن بن محمد الدعيس والشيخ حسن البعداني والشيخ منصور البعداني والشيخ محمد حزام خالد والشيخ محمد الشعيبي وغيرهم. وقد وضعنا للجمعية نظامًا وبرنامج عمل وفرضنا ضريبة شهرية وتبرعات على الاعضاء المنظمين. وجاء من صنعاء القاضي يحيى بن أحمد السياغي والسيد الحر محمد بن أحمد المطاع واطلعا على برنامج الجمعية وحضرا بعض جلساتها. وبعد وضع نظام الجمعية وبرنامج عملها والتزام كل عضو بما كلف به تفرق الجمع إلى ما أوكل لكل واحد. وكنت أتمنى أن أسجل

هذا النظام لأول جمعية سياسية في اليمن ولكنه لم يكن في متناول أيدينا عند تحرير هذا.

ومرت الأيام ورتّبنا الاتصال بالأخوين النعمان والزبيري في عدن. وبدأ نشاط الجمعية بنشر المنشورات وبضم من نثق بهم من المشائخ والتجار والمثقفين وبدأ العمل يسير سيرًا حسنًا. ولم تطل بنا الأيام، فلم تمر بضعة أشهر حتى تجاوزت ببعض الأعضاء طيبتهم وسلامة نيتهم فضموا إلى الجمعية من لا يمكن الثقة بهم لمحدودية أفكارهم ولولائهم الملتزم والعقائدي للإمام، فكانوا همزة الوصل بين الجمعية وسيف الإسلام الحسن يبلغونه بكل التحركات والنوايا وحتى مخابئ وثائق الجمعية وأوراقها وأسماء أعضائها، فيأمر الحسن بالقبض على من كان موجودًا من الأعضاء ويساقون إلى السجن ويكبلون بالحديد، ويأمر بتفتيش بيت رئيس الجمعية فيعثروا على نظام الجمعية وعدد من المنشورات ومنها القصيدة الميمية التي أسلفنا ذكرها وكانت مكتوبة بخطي المعروف جيدًا للأمير الحسن.

الإعتقال الأول

كان ذلك منتصف ذي القعدة ١٣٦٣هـ (أوائل نوفمبر ١٩٤٤م) وكنت حينها في إريان. وقد جاءتنا الاخبار بأسماء من سجنوا وكانوا معظم الأعضاء، وانتظرنا أن يأتي دورنا. ولم يطل بنا الانتظار فقد وصل النقيب علي بن علي الأعور ومعه ثلاثون جنديًا إلى إريان، وكنت قد انتقلت منها إلى حوار ترقبًا لما تسفر عنه الأيام. ولما جاءنا خبر وصول الجنود كان الأخ المعلمي لدينا فهب مسرعًا عائدًا إلى محل عمله في المخادر، وأما أنا فقد فكرت مليًا في الفرار إلى الخارج، وكان ذلك في متناول يدي، ولكني قدّرت أن فراري لا يفيد القضية أكثر من ضم رقم واحد إلى عدد الفارين. فعقدت العزم على أن التصق بالأرض وأقابل قدري وما ينتظرني من السجن بكل رضى واستعداد. وقررت أن أتحرك إلى صنعاء قاصدًا الإمام يحيى الذي قد يكون غضبه أخف سورة من غضب ابنه الذي أشعلت غضبته القصيدة التي تناولته شخصيًا.

وتحركنا من حوار قاصدين ذمار وقد مشينا على أقدامنا حتى وصلنا وادي الحار حيث بتنا هناك في بيت أحد أهاليها الكرماء الذي أكرمنا وزاد في الحفاوة بنا ولم يكن يعرف من نحن. ولما سألَنا زعمنا له أنا من بيت العيزري من ذمار، ولكن زوجته العجوز التي كانت تعتاد أن تقضي بعض أيام الشتاء في حمام حوار الطبيعي اشتبهت بنا، وكانت قد سبقتنا إلى المحل أخبار الإنفاذ بالنقيب الأعور والثلاثين جنديًا، فحدست بفكرتها الصافية أنا فارون من الجنود الواصلين. فتركت زوجها حتى خرج إلى القرية وجاءتنا تقول والله إنك القاضي عبدالرحمن الإرياني فقال لها المرافقون ولماذا سيأتي القاضي الإرياني هذه القرية التي ليست على طريقه ماشيًا على الأقدام بهذه الصورة؟ فقالت: «لا تخافوا والله لا أغمض عليه بعيوني أني داريه أنه هارب من العسكر الذين جاءوا من عند أحمد». فتجاهل الرفاق أمر الجنود ونفوا لها ذلك مؤكدين أني من بيت العيزري من ذمار. وبعد ساعات وصل المرافق عبدالله ثابت ومعه البغلة التي بعثناه من حوار لإيصالها فتأكدت تلك المرأة التي صدق حدسها الفطري بأنا لم نكن من ذمار بل من إريان، وزادت وزوجها من احترامنا والحفاوة بنا فذبحوا كبشًا لعشائنا. وكانت المرأة قد أسرّت إلى زوجها بما وصلت إليه بحدسها الصادق فجاء يؤكد لنا أن أهل القرية لن يعرفوا عنا غير أنّا من ذمار، وتبرع فزعم أنّا مرسلون من عامل ذمار للكشف على الثمرة بصورة سرية مما دعا أهل القرية إلى أن يأتوا للسمر لدينا وليؤكد كل واحد منهم بأن غلة أرضه هذه السنة ليست على ما يرام. وأعتزمنا أن نقوم مبكرين وأن لا ننتظر طعام الصبوح (الفطور)، ولكن تلك المرأة الصالحة كانت أكثر منا تبكيرًا فلم نستيقظ لأداء صلاة الفجر حتى كان الطعام حاضرًا بين أيدينا فتناولناه بسرعة.

توجهنا إلى ذمار ودخلنا من طريق جانبي إلى بيت كنا نعتاد النزول فيه كلما مررنا بذمار، وعهدنا إلى صاحبته بأن تكتم وجودنا لديها. وجاء المرحوم القاضي العلاّمة عبدالله بن محمد العيزري رحمه الله يسأل عنا فنفت له صاحبة البيت وجود أحد. بتنا في ذمار على خوف وكان عاملها آنذاك السيد حسن بن إبراهيم رحمه الله، وكانت البرقيات من الحسن وولي العهد أحمد قد سبقتنا إلى ذمار ولكن الله أعمى عنّا العيون. وقد قمنا منها مبكرين قاصدين معبر وفيها بتنا وهناك ألقي القبض علينا.

كانت ليلة ليلاء وكنا قد نزلنا في أحد البيوت التي ننزل فيها كلما مررنا في طريقنا إلى صنعاء. وكنا نظن أنّا قد تجاوزنا سلطة سيف الإسلام الحسن وأصبحنا في مأمن إلا مما سيقرره الإمام نفسه من عفو أو مؤاخذة. ولكنا فوجئنا بعد أن مضى هزيع من الليل، وأخذنا قسطًا لا بأس به من النوم، بجلبة وضوضاء حول البيت. وفتح أحد الرفاق النافذة فرأى جنودًا كثيرين يحيطون بالبيت فعرفنا بأنهم من أجلنا فعلوا ذلك. وقد تركونا حتى الفجر وجاءوا يستفتحون باب الغرفة التي ننام فيها ففتحنا لهم، فدخل خمسة من الجنود وقعدوا دون أن يكلمونا بمهمتهم بل أخذ أحدهم يتهيأ للنوم. ونهضت أريد الخروج إلى المسجد لأداء صلاة الفجر فاعترضني أحدهم يقول ممنوع الخروج، فقلت له قل ممنوع الصلاة فقال لا ففي إمكانك أن تصلي هنا فنحن مأمورون فلا تؤاخذنا. فقلت له مأمورون بماذا، قال بالمحافظة عليك حتى تأتي الأوامر بشأنك من صنعاء. فقلت ولماذا لم تقولوها منذ وصولكم فقال لقد أستحيينا عن مواجهتك بذلك وسامحنا... سامحنا الله يخارجك. وصليت الفجر وانتظرت مع المنتظرين وقبل الشروق جاءنا عامل جهران السيد محمد بن أحمد الوزير رحمه الله الذي لا ننسى له أنه كان معنا كريمًا فأخذنا إلى بيته وقدم لنا طعام الفطور وأبقانا في غرفته الخاصة وأبدى لنا من التأسف وهو يطلعنا على ما جاءه من الأوامر من ولي العهد أحمد ومن سيف الإسلام الحسن ما يؤكد به عذره. وكانت برقية الحسن محل استغرابي وسخريتي معًا فقد قال فيها للعامل عليكم أن تفاجئوه بعد أن يحيط الجنود بالبيت من الخارج ودخول البعض للبقاء في غرفته ونفذوا ذلك في فترة محددة بدون تردد فإنه لا يخلوا أن له جواسيسًا وعيونًا فاحذروا فراره. وضحكت وقلت للعامل لو كنت أريد الفرار لما جئت إلى هنا ولكنت الآن خارج الحدود، ثم ما هذا الكلام عن العيون والجواسيس إنه ضرب من الخيال. فضحك العامل وقال لقد استغربت ذلك جدًا ولولا أن الأوامر جاءت من ولي العهد لكنت أشعرتكم بمواصلة السفر إلى صنعاء. فقلت والآن هل لنا أن نبرق للإمام بما حدث ونشكو أن أبناء الإمام صدونا عن الوصول إليه فقال لا مانع. وذهبنا إلى دائرة البرق وهناك أبرقنا للإمام

بأن «ولي العهد وسيف الإسلام الحسن قد حالا عن وصولنا إلى مقامكم واذكرونا بذلك مواقف المتوكل أحمد مع أبيه المنصور علي بن المهدي»، وكان هذا قد عقّ أباه في أخريات أيامه. وأخبرنا مدير البرق في معبر أنه توسط ببرقيات من ولي العهد ومن الحسن إلى الإمام يطلبان فيها إعادتي إليهما فأجاب عليهما يقول «الإرياني قد عرف الطريق ولم يذهب جنوبًا ولا شمالاً فدعوه وما فعل وعند وصوله سنجري اللازم» ولكن ولي العهد أجاب بأن «أمره قد أشتهر ونحن هنا نجري القبض على أمثاله من المغرورين ولو تغاضينا عنه لأنه عرف الطريق لقال الشوافع أنا نخصهم بالضبط».

إرسالي إلى إب

ولعل الإمام قد وافقهم على إعادتي من معبر، فقد وصل شاوش وخمسة جنود على سيارة صغيرة يحملون برقية إلى أمير الجيش السيد علي بن أحمد بن إبراهيم يقول فيها عينوا شاوشًا وخمسة من حمران العيون لنزولهم على سيارة القاضي حسين الحلالي لاستلام القاضي عبدالرحمن الإرياني من عامل جهران وإيصاله إلينا. وقلت لهم لقد كان ولي العهد في غنى عن إرسال جنود وسيارة وكان يكفي أن يطلب منكم إلزامي بالوصول إليه وسوف لن أتأخر ولكن يبدو أن أوهام سيف الإسلام الحسن قد سرت إلى ولي العهد. وركبنا على السيارة مع الجنود الخمسة وعدنا إلى يريم فأنزلونا في دار الحكومة، وكان العامل يومها السيد علي بن عبدالله أبو طالب وقد أستقبلنا استقبالًا حسنًا وأنزلنا في غرفة بأعلى الحكومة وذبح كبشًا لعشائنا وأبقى الجنود في أسفل الحكومة مع زملائهم من مرتب القضاء.

وفي اليوم الثاني خرجنا مع الجنود مبكرين ولم نتجاوز الميلين من المدينة حتى واجهنا النقيب الأعور ومعه الثلاثون جنديًا، وقد أرادوا استلامي من الجنود الخمسة فرفض هؤلاء محتجين بأن ولي العهد أمرهم بإيصالي إليه. وأختلف الفريقان وكادت الفتنة أن تنشب بينهما، وتدخلت أنا لفض الخلاف وقلت لهم لنعد

جميعًا إلى يريم وهناك تتصلون برقيًا بولي العهد وتعتمدون أوامره، فوافقوا وعدنا إلى يريم. وكان العامل يرى أن ننزل في الحكومة ولكن النقيب الأعور رفض ذلك وأبى إلا أن ننزل معه في بيت أحد اليريميين الذين يعتادون بيع القات ويسمون (بالمقاوته)، وتغلب رأيه وذهبنا إلى بيت المقوّت. وبقينا ليلة في بيت هذا الرجل الشهم الذي لاحظ أني أُسِرّ إلى رفيقي بأن يذهب إلى صديقنا الحاج حسن الزبيري رحمه الله ليأتينا بمبلغ من المال قرضًا لحاجتنا في الطريق، فلم نشعر إلا وقد ذهب هذا المقوت إلى غرفة أخرى وجاء بمبلغ كبير من الريالات النمساوية ووضعه بين يدي قائلًا خذه كله، أو خذ حاجتك التي تريدها، ويحلف أنه لن يطلب ذلك ولن يعيده. وشكرت له شهامته واعتذرت له بأن لنا مبلغًا لدى الحاج حسن الزبيري فطلبنا منه من ذلك، ولكنه لم يقتنع حتى قال له النقيب الأعور إرفع دراهمك قبل أن يخطفها الجنود، فقام بها وهو يرى أنا كسرنا بخاطره.

جاء الرد من ولي العهد يؤيد النقيب الأعور، وبتنا في يريم وفي الصباح الباكر جاءوا ببغلة بدلًا عن السيارة، لأن الطريق لم تكن قد شُقّت بعد. وبتنا في المخادر حيث كان هناك الأخ القاضي أحمد المعلمي وكيلًا للحاكم، وقد ضموه إلينا في اليوم التالي. ومعه واصلنا السير إلى إب حيث أودعونا في سجن خاص في نوبة تقع على باب المدينة الكبير وتسمى (الزلومة)، وسلمونا إلى الحرس الخاص من جنود العصيمات. وقد كان هذا مرادًا به النكاية والتبكيت لينالنا أذاهم الذي أشرنا إليه في القصيدة التي أسلفناها بما يلي:

والعصيمات مالنا من أذاهم ... قط في هذه البلاد اعتصام

قد غدا من بيوتنا لهم المأ ... وى ومن أهلنا لهم خدام

وقد كان هؤلاء الجنود يمثلون ما قاله بأمثالهم شاعر الوطنية الشهيد محمد محمود الزبيري رحمه الله بقوله:

والعسكري بليد للأذى فطن ... كأن إبليس للطغيان رباه

فقد كانوا ينوعون أذانا ويختلقون الأكاذيب والأراجيف ويشنون علينا الحرب

النفسية التي لا تحذقها إلا المخابرات المتمرسة. وبعد مرور أسبوعين علينا في (الزلومة)، وفي أوائل ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ (أواخر نوفمبر سنة ١٩٤٤م) قيل لنا أن سجناء قد جاءوا من صنعاء مشيًا على الأقدام وعلى أعناقهم السِرَات (الأغلال). ولم نعرف أسماء هؤلاء الإخوان فبتنا في ليلة حدس وتخمين من عسى أن يكونوا. ولكنهم في اليوم التالي لوصولهم أمروا بتشميسهم، أي صلبهم في الشمس، وعليهم الأغلال ليراهم الناس فيحذروا ما صنعوا. ومرت أكثر من ثلاثة أيام وهم يعرضون على الناس، وكان الناس على عكس ما كان ينتظره الحكام، فقد كانوا يشعرون نحوهم بمزيد من الإحترام لأنهم تحدوا الطغيان وطالبوا بالإصلاح. أما هؤلاء الإخوة فقد عرفنا أنهم القاضي عبدالسلام صبرة والقاضي إسماعيل الأكوع والشيخ جازم الحروي والقاضي محمد السياغي وأخواه يحيى وحمود.

كان الجنود الموكلون بحراستنا يتهددوننا يوميًا بأنهم سيخرجوننا للتشميس، وكنا نستبعد أن يبلغ الحقد بالحسن إلى حد إقامة ما يعتبر حدًا إذ التعزير من الحدود. ولكنا بعد أن سمعنا عن تطبيق ذلك على الإخوة المذكورين وهم من هم علمًا ووجاهة في بني قومهم توقعنا أن يجرى ذلك علينا. وكان لتهديد أولئك الجنود البلداء، الفطناء في الشر والأذى، أثر سيئ في نفوسنا. وقد أفتدينا منهم ذلك بمبلغ من المال على أساس أنهم سيراجعون سيف الإسلام الحسن حتى لا يأمر علينا بما أمر به على إخواننا. وقد كنا نعرف أنهم لا يجسرون على الكلام مع الحسن ولكنا نقدناهم المال لننجوا من تهديدهم المستمر، وقد كفوا فعلًا عن تهديدنا على أساس أنهم شفعوا فينا إلى الحسن وأنه قبل شفاعتهم.

إرسالي إلى تعز

وفي أحد الأيام قبيل عيد الأضحى، بلّغَنا السجانون أن علينا أن نتأهب للسفر إلى تعز لأنهم قد أمروا بسوق جميع المساجين مخفورين إلى تعز. وقد كانوا جميعهم يمشون على الأقدام عداي أنا والأخ المعلمي والشيخ حسن الدعيس فقد جاءونا ببغال لنركب عليها ولكنّا كنا نفضل المشي مع الإخوان الماشين. وكان المنظر

المؤذي الذي تقذى به العين ويشمئز له الضمير منظر الإخوان الذين جيء بهم من صنعاء وكلهم منظومون في سِرَة (غل) واحدة يجرجر بعضهم بعضًا، وكان يهون الأمر علينا حينما نراهم باسمين يتبادلون النكت الصنعانية وكأن شيئًا لم يكن. لقد جاءوا من صنعاء عبر ما يزيد على مائتي كيلومتر مشيًا على الأقدام وتعودوا أن يراهم الناس وهم يجرون بعضهم بعضًا. بتنا ليلتنا في السياني، وكان المعتقلون زهاء ثلاثين شخصًا فيهم القاضي محمد الاكوع والقاضي محمد صبرة والقاضي عبدالكريم العنسي والشيخ محمد منصور والأستاذ عبده محمد باسلامه وغيرهم. وفي اليوم التالي جاءت سيارة شحن فحُمِلنا عليها إلى تعز، وعند وصولنا ساقوني أنا والأخ المعلمي والشيخ حسن الدعيس إلى سجن أعدوه في الطابق الثاني من ملحقات مقام العرضي بينما انزلوا بعض الإخوان في سجن العرضي وبعضهم في سجن الشبكة. وكان قد سبقنا إلى السجن المعد في العرضي السيد الشاعر محمد بن علي المطاع والسيد عباس الباشا وابن أخيه السيد أحمد بن محمد الباشا والمشائخ آل نعمان الشيخ محمد بن أحمد والشيخ علي بن محمد والشيخ أمين عبدالواسع والشيخ عبدالرقيب والقاضي عبدالوهاب الجنيد وأخوه أحمد والقاضي عبدالرحمن الحداد والقاضي عبدالرحمن المجاهد. وكان هناك معتقلون غيرهم من رجالات تعز وأعيانها في حبس شبكة تعز.

في يوم وصولنا تعز طلبني ولي العهد إليه أنا والشيخ حسن الدعيس، وقد عرض علي بعض الأوراق التي عثروا عليها بين أوراق الجمعية والتي حصلوا عليها في بيت القاضي الأكوع وسألني من هو اليحصبي، وكان هذا هو اسمي الحركي، فنفيت علمي به وأنكرت صلتي بالجمعية وأكدت له أن خلافي مع سيف الإسلام الحسن وخاله عامل النادرة السابق هو الذي جعله يزج بي في المسئولين عن الجمعية. ومن حسن الحظ أن الحسن لم يرسل القصيدة التي بخطي والتي كان يصعب علي إنكارها، ولكني كنت قد عزمت على الاعتراف بها والقول بأنها نصيحة بعثتها إلى الإمام والنصيحة واجبه ولا عقاب على واجب بل العقاب على تاركه. وقد فهمت من عدم إرسال القصيدة أن الحسن لا يريد أن يطلع أخاه عليها لما فيها

من حقائق ضده ولما بينهما من تنافس وعداء. وقد أنكر الشيخ الدعيس هو الآخر صلته بالجمعية وقال لولي العهد أن هناك حبّة صغيرة جدًا لا يؤبه لها ولا يخاف منها ولكنكم أخذتم المكبِّر فرأيتموها كالقبة الكبيرة وانزعجتم وأزعجتم أسرًا وعائلات من رعاياكم. أعتبر ولي العهد هذا إعترافًا من الشيخ حسن بأن هناك شيئًا صغيرًا فقال ولكن لا تنس يا شيخ حسن أن معظم النار من مستصغر الشرر. وأردت أن أتدارك الأمر فقلت إنما يريد الشيخ حسن أن ما يسمى بالجمعية لا تضم غير خمسة أو ستة أفراد كان يمكن تجاهلهم لأنه لا ضرر ينتظر منهم ولكنكم بالقبض على من قبضتم عليهم وسعتم الدائرة وجعلتم لهم شأنًا، فعلق الشيخ حسن قائلًا: لا، لا أما نحن فإنهم قالوا ولا الضالين فقلنا آمين، فسجل إعترافًا آخرًا، وكان رحمه الله بادي الارتباك مع أنه كان الحكيم والفيلسوف.

عدنا إلى محبسنا، وكان الإخوان السجناء في انتظارنا ليستشفوا من وراء المقابلة مستقبل الجميع، وشرحنا لهم ما كان فتفاءلوا لنا بالخلاص. وجاء عيد الأضحى واحتفلوا بالإعراس للأمير سيف الإسلام محمد بن ولي العهد والسيد عبدالله عبدالكريم الذي اقترن بإبنة ولي العهد وشُغِلوا عنا بحفلاتهم. وما انتهت الحفلات حتى أستيقظ الشر في نفوسهم، ففوجئنا بعدد من سيارات الشحن الكبيرة تقف أمام العرضي وجاء من يبلغنا أن علينا أن نعد أنفسنا للسفر إلى معتقل نافع بحجة. وجمعوا جميع المعتقلين وجاءوا ببعض من في سجن الشبكة وحشرونا على تلك السيارات مزدحمين بحيث لم يتمكن أحد من الجلوس بل ظللنا واقفين حتى وصلنا حجة.

الإعتقال في حجّة

وهكذا غادرنا تعز في منتصف ليلة ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤م، وكانت الطريق غير ممهدة ولهذا فلم نصل إلى حيس إلاّ في أواخر اليوم التالي، حيث لقينا هناك ضيافة كريمة من حاكمها القاضي عبدالله العزب رحمه الله، الذي كان هو الآخر من رواد الإصلاح وكان قد سبق له أن نزل ضيفًا على حبس القلعة بصنعاء فترة من الزمن. كانت عواطفه معنا ولم يمنعه

الخوف من إكرامنا فقدم لنا على مائدة العشاء أكثر من عشرة كباش. وفي اليوم التالي واصلنا السير على الشاحنات إلى زبيد ونزلنا في الحكومة بأمر قائد الرسم النقيب علي الأعور ولكن العامل السيد عبدالله حسن الديلمي تجاهل وجودنا ولم يقدم لنا حتى القهوة، بل أختلف مع النقيب الأعور لأنه أنزلنا في الحكومة، فقال له الأعور هؤلاء رجالات اليمن وعمال وحكام الإمام وكانوا بالأمس أقرب إلى الإمام وولي عهده منك. فقال الديلمي: «لو كانوا رجالات اليمن إنهم في بيوتهم»، مبديًا شيئًا من التشفي والشماتة. ومع أنه كان مشهورًا بالحصافة والدهاء وكان كثير النقد للأوضاع فقد كان في ذلك اليوم ضيق الصدر وسيئ الخلق. وقد حمل هذا الخلاف النقيب الأعور على الخروج بنا من زبيد في حر الظهيرة ونحن في تهامة والسيارات مكشوفة ونحن مزدحمون فلاقينا من ذلك عنتًا وأي عنت. ولم نصدق أنّا وصلنا بيت الفقيه حيث بتنا فيها، وكان عاملها فلان أبو طالب لا يحضرني اسمه الآن وقد كان هو الآخر كريمًا معنا فقد أنزلنا في قلعة بيت الفقيه وحضر بنفسه يرحب بنا وأعد لنا ضيافة كريمة.

وفي صباح اليوم التالي أبكرنا من بيت الفقيه قاصدين الحديدة فواجهتنا (المخداشه) وهي محلات رملية يصعب على السيارات تجاوزها، ولم نخلص منها إلا بعد عناء كبير. وقد كانت سيارتنا أول سيارة تجتازها ولكنه كان علينا أن نظل على السيارة في شمس تهامة الشديدة انتظارًا لخروج ما بقى من السيارات، فعانينا من الشمس معاناة استغربنا نحن كيف استطعنا تحملها. وصلنا إلى الحديدة وكان أميرها القاضي حسين الحلالي تجاوز الله عنه، وقد أنزلونا في أحد عنابر الجيش في العرضي ولم يكلفوا أنفسهم شيئًا أكثر من ذلك حتى أنهم لم يمدونا بالماء الضروري للشرب. وكان بين الجنود في العرضي جنود من إب يعرفوننا فأسرعوا إلى إسعافنا بالماء والطعام وطلبنا منهم إسعاف الآخرين فلم يترددوا في

ذلك، ولما أردنا أن نمنحهم جائزة رفضوا قبولها أما النقيب الأعور الذي هو قائد مسيرتنا فقد نزل في منزل في المدينة ولم يسأل عنا.

في اليوم التالي اتجهنا إلى الضحي ومنها إلى القناوص ثم إلى المخداشة ثم إلى الطور في يومين متتاليين، بتنا في إحدى لياليها في العراء وقد أكرم الله المنطقة بالمطر فبتنا في الطين والماء وكانت ليلة ليلاء. وواصلنا السفر إلى الأمان ومنها صعدنا إلى حجة. وهناك قسمونا إلى قسمين، فأنزلوني أنا والأخ المعلمي والمشائخ آل نعمان محمد بن أحمد وعلي بن محمد وأمين عبدالواسع وعبدالرقيب نعمان والسيد عباس بن أحمد باشا والقاضي عبدالوهاب الجنيد وأخاه أحمد والقاضي عبدالرحمن الحداد والسيد محمد المطاع والشيخ حسن الدعيس والقاضي عبدالسلام صبرة والشيخ حسن البعداني والشيخ الطاعن في السن محمد حسان[1]، كل هؤلاء أنزلوهم في قاهرة حجة وفي أماكن لائقة وبدون قيود ولا سلاسل ولا أغلال، وقرروا لهم الجراية الكاملة. أما بقية الإخوان فقد أنزلوهم في سجن نافع وسجنوهم مع القتلة واللصوص وكبلوهم بالحديد وفيهم أبناء الأكوع محمد وإسماعيل وأولاد السياغي محمد ويحيى وحمود وعبدالكريم العنسي ومحمد بن أحمد صبرة ومحمد الصنعاني ومحمد الشعيبي ومحمد حزام خالد وغيرهم.

ورغم تشديد الحراسة فإنها لم تمض مدة حتى جاءتنا الصحف والرسائل من عدن، من الأخوين الزبيري والنعمان، وكانت الصحف تتكلم عن القضية وعن سجننا ونفينا إلى حجة. كما جاءنا خبر فرار السيدين زيد الموشكي وأحمد الشامي، وكانا قد فرا إلى عدن والتحقا بالزبيري ونعمان اللذين فرا قبلهما ورفعا راية المعارضة وأعلناها وشكلا جمعية للعمل الوطني. وقد رفعت هذه الأنباء من معنوية من كانت معنوياتهم منخفضة من الإخوان.

---

(١) كان الشيخ محمد حسان قد تجاوز الثمانين ومع ذلك فقد زج به في السجن ونفي إلي حجة بعيدًا عن رعاية أهله الذين يحتاج إلي رعايتهم وقد توفي بعد أشهر في سجنه ودفن في حجة. ولم يكن له شأن بالسياسة وإنما كان معتقدًا فى منطقة لواء تعز كولي له كرامات ويأتي الناس لزيارته وطلب دعواته من سائر المناطق وكان هذا يجعل منه في نظر ولي العهد منافسًا خطيرًا

الخروج من سجن حجّة

ومرت بنا الأيام في سجن حجة مع الإخوان حتى جاء يوم سلخ ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٤٥م وفيه جاءت برقية من الإمام يحيى إلى نائب حجة السيد عبدالملك بن عبدالكريم المتوكل يأمره بإطلاق سراحي من السجن وإرسالي إلى صنعاء. ولم ينفذ النائب الأمر إلا بعد العرض على ولي العهد وأخذ موافقته على تنفيذ أمر أبيه، فوافق وأمر أن تجهز لي بغله للركوب عليها إلى عمران. ومع أنه لاشيء أثمن ولا أغلى من الحرية إلا أني وجدت في نفسي كآبة ممضة لمفارقة الإخوان ولا سيما وقد كنت أول سجين يطلق سراحه. وقد بقيت في حجة في الضيافة الكريمة التي أصر عليها النائب، وكان كريمًا جدًا في التعامل مع جميع المساجين. وكان يخصّني برعاية خاصة كنت أجهل باعثها ولاسيما وأنه لم يسبق بيننا تعارف، ولكنه أخبرني عند التقائنا أن صديقي السيد العلاّمة علي بن يحيى الذاري رحمه الله مر من حجة في طريق عودته من أداء فريضة الحج وأنه أوصاه بي خيرًا وكان حريصًا على زيارتي لولا أنه لم يسمح له بذلك لأن الزيارة ممنوعة بأوامر من ولي العهد.

غادرنا حجة في غرة ربيع الثاني على البغلة المعدة لنا وقد أعتذر النائب عن مواصلة السفر عليها إلى صنعاء بأن ذلك هو أمر ولي العهد وقال أنه أي ولي العهد لا يسمح بدخول شيء مما في حوزته في حجة إلى صنعاء لأن أباه الإمام يقبض عليه ويرفض إعادته إليه، أذكر هذا لإعطاء صورة من صور التعامل بين الإمام وولي عهده. بتنا في كحلان وكان عاملها السيد محمد هاشم، وهو زميل لي في المدرسة العلمية، وقد أرسل يستزيرني ويعرض أن أنزل لديه ولكني اعتذرت بالتعب. وفي اليوم التالي بتنا في عمران ومنها إلى صنعاء حيث وصلناها في ٤ ربيع الثاني، وقد ذهبت بعد عصر نفس اليوم إلى المقام للاستئذان على الإمام يحيى وكنت غير متفائل بإمكان المقابلة السريعة ولكنه سرعان ما عاد الآذن (الريمي) ليقول اتفضلوا. ودخلت منتظرًا عتبًا أو تقريعًا فإذا بي أجد استقبالاً حسنًا، وقال الإمام مازحًا من أين جئتم؟ فقلت له من حَجة فقال إنشاء الله تكون حِجّة، فقلت وهي حرية بأن تكفر الذنوب الموهومة ولا سيما وقد أتبعناها بالزيارة. فضحك وأنتقل يخبرني بوفاة صديقي السيد علي بن يحيى الذاري رحمه الله فور عودته من مكة

وكان والده قد سبقه إلى العالم الآخر قبل نحو شهر، وقد حزنت عليه كثيرًا ورثيته ووالده بقصيدة طويلة[١].

وقد انتقل الإمام يحيى في الحديث إلى الكلام عن الجامعة العربية التي كانت تضغط عليه للإنظمام إلى دولها. وكانت الشائعات آنذاك تقول أنها جامعة إنجليزية وأن الانجليز هم الذين أوحوا بها إلى رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس الذي تزعم الدعوة إليها. وقد قال الإمام يحيى إن النحاس إنما ينفذ مخططًا انجليزياَ، وقد التزمت الصمت ولم أشاء أن أرد مصححًا بما يخالف رأيه وأنا لتوي خارج من السجن ولا أمكن التأمين على رأيه في أمر لا أشك في أنه مهما كان موحى به من الإنجليز إلاّ أنه في مصلحة العرب.

وبعد حديث طويل وتبسط غير معهود استأذنت الإمام بالسفر إلى إريان لزيارة الأولاد ثم العودة لإنتظار ما يأمر به الإمام، فقال لا بأس على أن تقوموا بزيارة الولد الحسن والولد أحمد يعني (ولي العهد) ثم تعودون إلينا لتعيينكم حاكمًا أول في صنعاء خلفًا للمرحوم القاضي لطف الزبيري رحمه الله. فغادرت صنعاء إلى إريان وكان أخي عبدالله رحمه الله قد رتب لاستقبالي فدخلت البلد بين أصوات الرصاص وضجّات المرافع (الطبول) والزوامل (الأناشيد) دخول الفاتحين. وقد أقمت مع الأولاد حوالي شهر لا عمل لي فيه إلاّ استقبال الضيوف والزوار والمهنئين. وقد توجهت إلى إب فزرت سيف الإسلام الحسن زيارة مجاملة وليس في نيتي أن أعمل تحت إمرته ولهذا فقد غادرت إب اليوم التالي لوصولي إليها إلى تعز حيث استقبلني ولي العهد أحمد استقبالًا حسنًا.

العمل مع ولي العهد

كان ولي العهد يعمل على إستصفاء دعاة الإصلاح ويحاول أن يضمهم في مقامه، فعينني عضوًا في هيئة تدقيق الأحكام، وكان قد أنشأها كفرع للاستئناف

(١) انظر الملحق رقم (٣).

وكانت تصدر القرارات تحت توقيعه. وكان أعضاء الهيئة أحمد زبارة وأنا والقاضي عبدالله اليدومي والسيد محمد الذاري والسيد زيد علي الموشكي، الذي عاد لتوه من عدن وعين حاكمًا لناحية صبر وعضوًا في هيئة التدقيق. كنا، أعضاء الهيئة، نوقع على القرارات ونقدمها إلى ولي العهد الذي يأمر بتحريرها بظاهر الأحكام تحت توقيعه وختمه. وكنا كثيرًا ما ننقض أحكامًا بما عليها من قرارات الاستئناف، مما أثار ثائرة الاستئناف بصنعاء فأثاروا غضب الإمام فأبرق لابنه ولي العهد بقوله من عين الإرياني إستئنافًا على الاستئناف. وهكذا لم يذكر غير الإرياني مع أننا الخمسة كنا نشترك في العمل والقرارات تصدر بتوقيع ولي العهد نفسه.

شراء راديو

وقد بقيت مترددًا بين تعز واريان إلى سنة ١٣٦٦هـ الموافق سنة ١٩٤٧م. وهناك، في تعز، كنا قد بدأنا نطّلع على طلائع الحياة الحديثة ونتطلّع إليها. وقد كان السيد حسين الويسي ينزل في غرفة مجاورة لغرفتي في الدار الشرقي من مقام العرضي وكان يتردد على عدن ويعود بالكثير من الكتب والصحف بما فيها صوت اليمن. وكنت أطلع على كل ما يأتي به من صحف ومجلات وكتب. وقد لا يصدق القارئ إذا قلت له أننا لأول مرة نستمع إلى الراديو. ولذلك فقد تاقت نفسي لشراء جهاز ولكن كيف لي بذلك وقد كان شراء الراديو ممنوعًا تحت حجه أنه يذيع أغاني يحرم استماعها. وبعثت رسالة رجاء إلى الإمام يحيى أطلب فيه السماح بشراء راديو للاستماع إلى الأخبار وما يذاع من برامج ثقافية وعلمية وجاء الجواب بقلم الإمام يحيى نفسه على ظاهر رسالتي يأذن بشراء الراديو ويقول (ومثلكم ممن لا يلهو بسماع الملاهي)، ليؤكد بذلك أن منع اقتناء أجهزة الراديو على المواطنين إنما باعثة خوف الفتنة عليهم بما يذاع من الأغاني المحرمة، ولمّا أمن عليّ الفتنة أذن بالشراء. أسجل هذه الحادثة لأعطي للمطلع صورة عن العزلة التي كانت مضروبة على اليمن في عهد الإمام يحيى إلى حد أن المواطن يحتاج من أجل أن يقتني جهاز راديو إلى إذن خاص من الإمام وبقلمه.

الفصل السادس

ثـورة الدسـتـور

مقدمات ثورة ١٩٤٨م:

بقينا خلال هذه الفترة على إتصال مع العديد من الإخوان العاملين في القضية الوطنية ممن هم في صنعاء وفي عدن. وكان للأستاذ الزبيري والسيد عبدالله بن علي الوزير والأستاذ المسمري والأستاذ محي الدين العنسي معرفة بالشيخ حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين في مصر وإن لم يكن أي منهم منضمًا إلى الإخوان المسلمين. وكانوا يشرحون له الأوضاع في اليمن وما تعانيه من جهل وفقر ومرض وعزله فوجدوا منه إذنًا صاغية ووعدهم بالمساعدة والعون، وقال إن هذا القطر المبارك، اليمن، له تاريخ مجيد في الاستجابة للإسلام ونصرته ونشره في أنحاء العالم وإني لأرجو أن يعيد التاريخ نفسه فيكون هذا البلد منطلقًا لتجديد الإسلام وإعادة سيادته وتحرير أقطاره من الاستعمار ولعلنا ننجح في إنشاء حكومة إسلامية يجد الإخوان المسلمون فيها مناخهم الصالح لبذر بذور الدين الصحيح ووعدهم بإرسال من يعتمده ليدرس الأوضاع ويعمل بالتعاون مع الأحرار ورجالات اليمن على وضع أقدام الأحرار على طريق الثورة الصحيح ودفع العجلة إلى الأمام بالسرعة الممكنة. وجاء السيد الفضيل الورتلاني الجزائري أحد أحرار ومناضلي الجزائر الذين شردتهم فرنسا فأستقر بالقاهرة وأتصل بالإمام حسن البنا وتأثر به، وكان هو عنده أثيرًا فأنتدبه إلى اليمن. وكان الشباب من الأحرار يعتزمون تجاوز الإمامة إلى إنشاء مجلس سيادة أو إمامة[1]، ولكن

(١) في ذلك التاريخ وفي ظروف اليمن المتخلفة لم يكن يخطر علي بال أي من العاملين في الحقل الوطني إقامة نظام جمهوري وإنما كان هدفنا إقامة حكم دستوري يستطيع من خلاله الشعب أن يرعى مصالحه ويقطع دابر الحكم الفردي المستبد والظالم.

الثائر الجزائري الورتلاني، وكان على جانب من العلم والعقل والحصافة وحسن التقدير للأمور، رأى أن دائرة الثورة ضيقة الحلقات فهي لا تتجاوز مثقفي الشباب والمتنورين من رجالات اليمن، أما الجماهير اليمنية فهي على ما تعانيه من مظالم ومتاعب وما تقاسيه من جهل وفقر ومرض لا تفكر بالثورة ولا تنتظرها. ومعنى ذلك أن الثورة تفتقد القواعد الشعبية ولا يعلم إلا الله ردود الفعل التي ستواجهها بعد قيامها. فأقنع المتحمسين من الشباب بأن تجاوز الظروف والواقع دون رأي عام ووعي شعبي وقواعد شعبية سيكون نصيبه الفشل وأن الطريق الصحيح للثورة هو التخلص من الإمام المستبد المنغلق المتحجر العقلية ونصب إمام تتوفر فيه قابلية التطور والخروج من العزلة المضروبة على اليمن. ولا بد مع ذلك من أن تكون له شعبيته ووجاهته لدى القبائل الشمالية التي يتوقف على ولائها مصير الثورة، ثم لابد من أن يكون على جانب من العلم وأن يتحلى بشروط الإمامة المعتبرة في المذهب الزيدي. وقد وجدوا هذه المواصفات متوفرة بالسيد عبدالله بن أحمد الوزير، ولكن كيف يتم إقناعه بأن يتحمل هذه المسئولية؟ وقد أخذوا يفتلون له بالذروة والغارب وأستعانوا بالسيد الفضيل الورتلاني الجزائري والسيد العلاّمة الشهيد حسين محمد الكبسي[1] حتى اقتنع.

وبعد الاقتناع بدأ العمل لوضع الخطة للخلاص من الإمام يحيى ومن إبنه أحمد بضربة واحدة في يوم واحد وكُلِّف لتنفيذ العملية في صنعاء الشيخ علي ناصر القردعي المرادي والشيخ محمد بن قايد الحسيني ورفاقهما كما كلف في تعز العقيد حمود الجائفي والنقيب حسين بن صالح الشايف والشيخ محمد بن حسن أبوراس والمقدم محمد بن حسن غالب ورفاقهم.

(١) كان السيد حسين محمد الكبسي قد كلف برحلات رسمية إلي القاهرة وغيرها وكان له جهد في إلحاق اليمن بعضوية جامعة الدول العربية، وقد تعين في البداية عضوا مراقبًا ليس له حق الكلام. وبتعرفه علي الحياة في الخارج هاله الفرق الشاسع بين حياة اليمنيين خلف أسوار العزلة المضروبة علي اليمن بعيدًا كل البعد عن كل منجزات الحضارة العصرية في القرن العشرين وبين حياة الأشقاء العرب في أقطارهم فأقتنع بضرورة التغيير ووقف في ذلك مع الأحرار علي صعيد واحد وقام بدوره إقناع السيد عبد الله الوزير.

وفي ربيع الأول سنة ١٣٦٧هـ الموافق يناير سنة ١٩٤٨م أي قبل ثورة ٤٨ بشهر واحد كنت في إب مكلفًا بفصل بعض القضايا المستعصية بالاشتراك مع القاضي أحمد الجرافي. وفي هذه الأثناء ارتكب الإخوة العاملين في عدن ضد الحكم الامامي وبعد أن أنضم إليهم الأميرسيف الحق إبراهيم بن الإمام ومعه الشهيد أحمد البراق تلك الغلطة التي وقى الله شرها، وكانت حرية بأن تطيح برؤوس أو تملأ السجون بخيرة رجالات اليمن قبل أن يتم شيء مما كان مدبرًا. فقد كان الإخوان في عدن ينتظرون قيام الثورة وكانوا قد اتفقوا مع من في صنعاء على إشعارهم ببرقية من التاجر الشهيد الخادم غالب إلى وكيله في عدن بصيغة متفق عليها ولم تأتِ هذه البرقية وانما جاءت برقية من وكيل بريطانيا التجاري في الحديدة عن تواطؤ بينه وبين أمير اللواء القاضي حسين الحلالي بتكليف من ولي العهد جاءت البرقية لتقول أن الإمام يحيى قد مات ميتة مشبوهة. وبموجبها أرسل والي عدن مندوبًا إلى الأمير إبراهيم يعزيه بوفاة أبيه. وقبل أن يتثبت الإخوان وينتظروا وصول البرقية المتفق عليها تسرعوا واعتمدوا على برقية الوكيل التجاري الذي كان مدفوعًا من القاضي حسين الحلالي بحجة أن الإخوان قد أنساهم الارتباك عن تبليغهم فتسرعوا بنشر الميثاق المقدس[1] وفيه أسماء كل العاملين في الحقل الوطني ودعاة الإصلاح وفيه تشكيل الحكومة الجديدة ومجلس الشورى وإعلان السيد عبدالله بن أحمد الوزير إمامًا دستوريًا جديدًا. وكان اسمي ضمن الأسماء المنشورة كسكرتير أول لمجلس الشورى. وقد قالوا أن هذا التغيير قد جاء نتيجة لوفاة الإمام يحيى.

وقد توقع الجميع أن تقوم الحكومة بإجراءات أقلها اعتقال من جاءت أسماؤهم في الميثاق. وبدأ الإعداد لذلك فأعتزم ولي العهد أحمد الانتقال إلى صنعاء وأخذ يعد العدّة لذلك. وحاول السيد عبدالله الوزير أن يبرئ نفسه وينفي علمه فأصدر بيانًا يتهجم فيه على من في عدن ويتهمهم بأنهم أرادوا بنشر الميثاق إغراء الإمام يحيى برجال دولته المخلصين، وتظاهر الإمام يحيى بالإقتناع. وبقي الجميع يعيشون

---

(١) انظر نص الميثاق الوطني المقدس في الملحق رقم (٤).

القلق ويتوقعون وصول السيف أحمد من تعز. وحرت أنا فيما أعمله، وجزمت بعد التفكير بأنهم لا يمكن أن يؤاخذوا بعضًا ممن جاءت أسماؤهم في الميثاق المقدس ويتركوا آخرين فإذا اعتقلوا الجميع وفيهم كل رجالات اليمن المعدود بهم فالمثل اليمني الدارج يقول (قتلة بين سبعة عرس)، وإن كانت الأخرى فسوف أنجو مع من نجا ولذلك فلم أحاول أن أقوم بشيء على سبيل النفي أو الاعتذار أو أعمد إلى الفرار.

ثورة الدستور

كان نشر الميثاق المقدس قد دفع الذين بأيديهم أزمة أمور تنفيذ الثورة بدافع الخوف إلى سرعة التنفيذ حين رأوا أنفسهم في سباق مع الإمام والإشاعات تشيع كل يوم وصول ولي العهد إلى صنعاء. وحدد يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني سنة ١٣٦٧هـ للتنفيذ. وجاء يوم الأربعاء وأنتظر العالمون ببواطن الأمور أن يسمعوا الخبر، وعاشوا يومها على أعصاب متوترة ولكنهم لم يسمعوا شيئًا، فقد تردد القردعي في جواز قتل الإمام يحيى وطلب فتوى من العلماء تبرر القتل ويلقى بها ربه فأعطاه عبدالله بن أحمد الوزير الوثيقة بالمبررات وأجلت العملية إلى يوم الثلاثاء من الأسبوع التالي.

وأشرق صباح الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨م وكانت قد أعدت العدة ووزعت المسئوليات بين رجال الثورة[١] إبتداءً بالإمام الجديد الذي كان عليه أن يحتل قصر غمدان إلى الرئيس جمال جميل الذي عهد إليه بضبط الأمور في العاصمة صنعاء. أما عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر الذي كان يعتاد مرافقة الإمام يحيى في النزهة على العربية أو على السيارة فقد ذهب إلى حمام علي بآنس قبل الثلاثاء بأيام تجنبًا لمصرعه مع الإمام يحيى. وكان قد عهد إليه بقطع الطريق على الإمام أحمد إذا أفلت من الموكلين به في تعز وحاول الوصول إلى صنعاء عن طريق السيارة التي كانت تمر بحمام علي.

(١) اختلفت الآراء حول ماهية ما حدث في عام ١٩٤٨ وهل كان ثورة أم إنقلابًا. يجد القارئ رأيي حول مفهوم الثورة في الملحق رقم (٥).

وخرج الإمام يحيى صباح يوم الثلاثاء إلى ساحة القصر للمواجهة والاتصال بالجمهور كعادته اليومية. بعدها ترك المكان على سيارته على غير عادة فقد كان الإمام يحيى يفضل الركوب على عربة تجرها الخيول حرصًا منه على البترول. وجاء القاضي عبدالله العمري على غير عادة وركب السيارة على غير عادة أيضًا، وقد اتجها إلى زيارة بعض المزارع التي تخص الإمام في المنطقة الجنوبية فيما وراء منطقة حزيز وتبع الركب السيد أحمد الشامي والرائد حسن العمري والقاضي عبدالله الشماحي على الدراجات ليعرفوا وجهة الإمام. وبعد أن عرفوا ذلك عادوا ليخبروا عن الوجهة ويقولوا أن القاضي عبدالله العمري في السيارة مع الإمام وكان هذا قد اتفق مع السيد عبدالله الوزير على التعاون معه والانتفاع بمقدراته وتجاربه ولهذا عين في الميثاق المقدس وزيرًا للدولة. وخشي الوزير من التأجيل وعزم على أن يضحي بالعمري ليتغدى بالإمام قبل أن يتعشى به. وخرج القردعي ورجاله على سيارة شحن عليها طربال استتروا بسلاحهم تحته وقفوا أثر الإمام إلى سواد حزيز على بعد نحو عشرة كيلومترات. وفي مضيق هناك وقفوا يترقبون عودة الإمام بعد أن وضعوا على الطريق أحجارًا تضطر سيارة الإمام إلى الوقوف عندها. وما إن وقفت السيارة أمام الحواجز حتى أصلوها وابلًا من الرصاص، فصُرِع الإمام مع العمري وكل من في السيارة، وعاد القردعي ومن معه إلى صنعاء بعد أن تأكدوا من مقتل الإمام يحيى وذهبوا توًا إلى السيد عبدالله بن علي الوزير، الذي كان له دور في تشجيعهم، ولم يبلغوا الإمام السيد عبدالله بن أحمد الوزير ولا هو، أي عبدالله بن علي أبلغه، فوصل نبأ مقتل الإمام يحيى إلى سيف الإسلام الحسين قبل أن يصل إلى جمال جميل وعبدالله بن أحمد الوزير، فأسرع إلى دائرة البرق وأرسل برقية إلى ولي العهد أحمد يعلمه بما كان. وكان هذا هو ما ينتظره ولي العهد، وربما يريده، ولهذا ظل يسوف في ما كان قد وعد به من الوصول إلى صنعاء برغم إلحاح الإمام يحيى على طلبه. لقد وصل الخبر إليه في تعز قبل أن يصل إلى جمال جميل وعبدالله الوزير في صنعاء فدبّر نفسه وغادر تعز في غفلة عن الموكلين به من الأحرار، وقد بلغهم نبأ تحركه ولكنه لم يكن قد بلغهم حدوث ما

حدث في صنعاء فقدروا أن تحركه إستجابة لطلب أبيه الإمام، وبذلك أفلت أحمد من الفخ الذي نصب له.

وعاد الحسين بعدما تم له ما يريد من إبلاغ أخيه أحمد إلى قصر دار السعادة ودار الشكر ليطمئن النساء والأطفال وجمع أخوته وأمر بإغلاق أبواب صنعاء، ولم يتنبه إلى احتلال قصر غمدان والثكنات العسكرية بل أكتفى بتحصين دار السعادة ودار الشكر. وبلغ السيد عبدالله الوزير الخبر بعد مرور أكثر من أربع ساعات من بلوغه إلى الحسين فأسرع ومعه إبن عمه السيد محمد بن علي وحارسه الخاص عزيز يعني إلى قصر غمدان واستولوا عليه.

كان القصر محصنًا وفيه قوة كبيرة من رجال الأهنوم المخلصي الولاء للإمام يحيى ولديهم من الأسلحة والمدافع ما كان يمَكّنهم من وأد الثورة في يومها الأول. وكانوا أرادوا منع الوزير من الدخول ولكنه وقف موقفًا بطوليًا فجذب إليه رئيسهم وهزّه هزات أستسلم بعدها ومن معه وفتحوا أبواب القصر للإمام الجديد عبدالله الوزير ومن معه. وجاء أعوان الحسين متأخرين يريدون الإستيلاء على قصر غمدان فأعيدوا على أعقابهم. وبعد استيلاء الإمام عبدالله الوزير على قصر غمدان تفرغ الرئيس جمال جميل لتصفية الحساب مع سيف الإسلام الحسين فأجتمع مع إخوانه الضباط ومنهم العمري والسلال والثور وعنبه والشرعي والمروني وحزام المسوري والرحبي والسعيدي وأحمد الشعساني، فكلف حسن العمري باحتلال الإذاعة واتجه جمال ومعه السلال وعنبه والسعيدي وغيرهم إلى دار السعادة ودار الشكر فضرب عليهما وعلى من فيهما من أولاد الإمام يحيى نطاقًا محكمًا. وبدلًا من أن يضرب الحسين المحاصرين له من وراء أسوار القصر بمن معه من العكفة (الحرس) ويصليهم نارًا حامية خرج بنفسه إلى باب القصر وأستدعى الرئيس جمال بحجة التفاهم معه وكان ينوي الكيد له بالقبض عليه وقتله. ولكن الرجل العسكري المحنك أجاب عليه أنه لا مجال للتفاهم وأن عليه أن يتجه إلى المجلس المنعقد في القصر بغمدان برئاسة السيد عبدالله الوزير الذي بويع إمامًا، وهنالك في وسعه أن يقول كل ما يريد أن يقوله. فغضب الحسين غضبًا أفقده

صواب الحكمة والحيطة التي كانت تقتضي منه بأن يعود إلى القصر ويغلق أبوابه ثم من وراء الأسوار يأمر بضرب النار، ولكنه أمر بذلك وهو خارج القصر فسبقه الرئيس جمال بقوله (إقدح) فأطلقت الرصاص من عدة جوانب فصرع الحسين وأخوه المحسن وقدرت لأخيهما يحيى النجاة فأرتمى معهما متظاهرًا بأنه قد أصيب ثم تسلل بين صيحات الهرج والمرج والارتباك قاصدًا قصر غمدان فقبض عليه قبل الوصول إليه وسيق إلى سجن غمدان، وهكذا انتهت المقاومة في صنعاء إلى حين.

وقد استقرت بعد ذلك الأحوال بصنعاء وبُويع الإمام عبدالله الوزير إمامًا دستوريًا وتلقب بالداعي ثم بالهادي، وكانت البيعة في صنعاء محل إجماع، بل وجاءت البرقية من سيف الإسلام الحسن من محل إقامته في قفله عذر مُبايِعة للوزير ومُخاطِبةً له بلقب أمير المؤمنين. ولم تطل الفرحة بما ترآى من الاستقرار والإجماع، فقد جاءت برقية من تعز تقول أن ولي العهد أحمد قد أفلت من قبضة مراقبيه وأنه توجه نحو الحديدة. وجاءت أيضًا برقية من أمير قضاء ريمه السيد يحيى بن محمد بن العباس يهاجم فيها الوزير ويسأله عن مصير الإمام وكيف كان موته ويعلن مقاومته وعصيانه، وقد كان ذلك باعثًا على عقد اجتماع رَأَسه الإمام الوزير لدراسة ما يجب إتخاذه. وجاء الرأي الحازم من الإمام الوزير نفسه، فقد قرر أن ينهض هو شخصيًا على رأس جيش مدعم بالمدفعية لمطاردة ولي العهد في تهامة حتى يضطر إلى الاستسلام أو الفرار إلى السعودية. وقوبل القرار من المجتمعين بالموافقة والتقدير الكبير وأُعِدّت القوة اللازمة لتنفيذ ذلك. وكان الإمام الوزير يعتمد في ذلك على ما له من شعبية لدى المواطنين في تهامة، وعلى ميل القوات المرابطة هناك إليه ونفورها من أحمد لقسوته وعجرفته. ولو تمت هذه الخطوة لأمكن أن تغير مجرى الأحداث ولكنه عاد فتراخى وأخلد إلى الاطمئنان الذي أعطاه الاستقرار في صنعاء وغيرها من المناطق والسيل من البرقيات التي جاءته مهنئة ومبايعة ومعترفة من الداخل والخارج. وجاء قادة الأحرار من الخارج، ووفَدَ عددٌ من الإخوان المسلمين. وجاء عدد من الأشياع والمحسوبين وأغرقوا

الإمام الوزير بمطالبهم المتنوعة بين طالب عمل وطالب إصلاح. وكانت مطالب بعضهم مقرونة بشيء من الإلزام بدالة لم تكن مستحسنة في تلك الظروف التي كان مصير الثورة فيها في مهب الريح مما حمل الإمام على أن يقول قولته التي رواها عنه رئيس حرسه عزيز يعنى للإخوان في سجن نافع، فقد قال أنه جرى اختلاف بين الوزير والمطاع وأصر الإمام على رأيه وأحتد المطاع مذكرًا بأن هناك ميثاقًا مقدسًا يجب أن نحترمه جميعًا ولن نسمح أن تعود البلاد إلى سالف عهدها وأن الاستبداد والفردية يجب أن تنتهي. وتدخل عزيز يعني ولطّف الموقف وخرج المطاع محنقًا وأخذ رئيس الحرس لمحاولة إقناع الإمام برأي المطاع لأنه يتفق مع نصوص الميثاق ويحذّر من بوادر الشقاق في مطلع الثورة وولي العهد يصول في حجة فقال الوزير محتدًا «ماشي يا عزيز. إنهم يريدون أن يجعلوني لعبة في أيديهم دع الأمور تستقر وسترى أنه سيكون لي ولهؤلاء الملحدين يوم أصفيهم فيه وأريح اليمن من أفكارهم الملحدة». إذًا فقد كان يضمر بالأحرار شرًا كما كانوا هم أيضًا يرون في مبايعته إمامًا دستوريًا خطوة إلى ما يريدون.

وفي يوم الثلاثاء، يوم مقتل الإمام يحي، بعث ولي العهد أحمد برقية إلى الإمام عبدالله الوزير يحثه فيها على حفظ الأمن وضبط الأمور في صنعاء وأنه في طريقه إليه. وتحرك فعلًا نحو صنعاء، ولكن برقية الإمام الوزير جاءته تقول من أمير المؤمنين الداعي عبدالله الوزير إلى الأخ سيف الإسلام أحمد حفظه الله. نعزيكم وأنفسنا بوفاة والدكم الإمام يحيى رحمه الله وعلى أثر وفاته أجمع ذوو الحل والعقد على اختيارنا للإمامة وتكليفنا بالقيام بها، فلم يسعنا نظرًا للموقف إلا الإجابة مكلفين غير مختارين. فليكن منكم الدخول فيما دخل فيه الناس ولكم لدينا المكانة والاحترام والسلام. وجاءت البرقية إلى أحمد وهو في قلعة باجل فكان أن أعلن نفسه إمامًا وبث دعوته من هناك برقيًا وتحريرًا وتكنى بالمؤيد بالله الناصر وأجاب على الوزير يقول: من أمير المؤمنين المؤيد بالله الناصر أحمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحي بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى بن رسول الله إلى الناكث الغادر الذليل الحقير عبدالله الوزير. لقد ركبت مركبًا

صعبًا عن طريق الغدر والخيانة وإنك ستسقط في الهاوية في القريب ذليلًا حقيرًا وإني زاحف إليك بأنصار الله الذين سترى نفسك تحت ضرباتهم معفرًا فريدًا ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله والعاقبة للمتقين والله المستعان[1].

وفي نهار الجمعة ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧هـ (٢٠ فبراير ١٩٤٨ م) وصل أحمد إلى حجة وبعث بقواته وأرسل رسائله إلى المشائخ وأعيان القبائل معزيا بالإمام، وناعيًا للإسلام، ومحفزًا للأخذ بالثأر. ولم يقتصر على ذلك بل بعث رسالة إلى الملك عبدالعزيز معلمًا له بالحادث ومنذرًا بأن الحركة لا يقتصر خطرها على اليمن بل سوف تمتد إلى مملكته، وطلب منه أن يتناسى ما بينهما من خلاف وأنه سيكون له إبنًا مطيعًا إذا قبل أن يكون أبًا عطوفًا، وطلب منه النجدة وأرسل الرسالة بواسطة الأمير السديري أمير جيزان فبعثها هذا برقيًا. وجاء الجواب بالأمر إلى أمير جيزان بنجدة أحمد بما يطلبه منه وما يتوفر لديه ووعده بأنه منجده ومؤازره إلى آخر نفس وآخر ريال وما عليه إلا أن يخوض المعركة في استبسال.

كان السيد علي بن حمود أمير كوكبان وأحد الأعلام المنظور إليهم قد تعاهد مع الإمام عبدالله الوزير والأمير علي الوزير وسيف الإسلام الحسين عند التقائهم في زبيد على أن يكونوا جميعًا ضد ولي العهد أحمد، وأن يبايعوا عبدالله الوزير ويكونوا أعوانه. وكان سيف الإسلام الحسين موافقًا على ذلك ومثله علي بن حمود. ولكن ولاية الأمير علي بن عبدالله في المحويت وربط الطويلة، مقر حكم علي بن حمود، به أوجد شقاقًا ونفاسة بينهما. وقد استغل الإمام أحمد ذلك فبعث برسائله إلى علي بن حمود يعده ويمنيه، وكان هذا قد عرف من الميثاق المقدس الذي نشر قبل أوانه أنه تعين فيه وزيرًا للعدل ولم ير ذلك متكافئًا مع ماله في نفسه من مكانة، وكان يطمح إلى رئاسة الوزراء أو رئاسة مجلس الشورى. ولهذا فقد استجاب لدعوة ولي العهد وعزم على أن ينكث بالعهد بحُجة أنهم لم يتفقوا

(١) لمزيد من تفاصيل الأحداث في صنعاء يمكن العودة إلي كتاب «اليمن الإنسان والحضارة» للقاضي عبد الله الشماحي.

على قتل الإمام يحيى وإنما اتفقوا على القيام في وجه أحمد إذا مات أبوه موتًا طبيعيًا. وحفزه على ذلك أيضًا ما كان بينه وبين الأمير علي الوزير فترصده حتى جاء من المحويت قاصدًا صنعاء ومارًا بالطويلة وكوكبان محل ولاية علي بن حمود، وكان في قلة من الجنود ثقة بما بينه وبين علي بن حمود من العهود فقبض على الأمير الوزير وخيره بين أن يبعث به إلى حجة إلى عدوه اللدود أحمد أو أن يخلي سبيله ليواصل مسيره إلى صنعاء مجردًا من أي قوة إلا من قوة بعثها معه لتخفره إلى صنعاء، فاختار الثانية. وواصل السير إلى صنعاء وسار السيد علي بن حمود في غدْرَته فأخذ يُهَيِّج القبائل ويحرضهم على الأخذ بثأر الإمام يحيى. وأنهالت القبائل إلى حجة تعلن عن مناصرتها لأحمد وعزمها على الأخذ بثأر الإمام، هذا والإمام الوزير ومعه الأحرار في صنعاء يشتغلون باستقبال الوافدين من الخارج معتمدين على ما أبداه الشعب اليمني ببرقياته ورسائله من تأييد وولاء، ومستندين إلى ما للإمام الوزير من مركز ديني تدعمه العقيدة في نفوس القبائل اليمنية، بينما كان ولي العهد يفتقد هذا المركز وهذه العقيدة. ولكنه كان يملك الرهبة، لقد كان يعيش على حد تعبير الشاعر إبراهيم الحضراني في نفوس المواطنين رهيبًا جريئًا على سفك الدماء فتاكًا فصدق فيه وفيهم قول الحضراني:

فعش في نفوسهم رهبة   لكيما تكون لهم سيدا

وقد ضم أحمد إلى هذه الرهبة البراعة في استغلال مقتل أبيه وأخويه وإثارة العاطفة الدينية في نفوس القبائل الشمالية فثارت ضد الوزير وثورته. وحتى أولئك القبائل الذين وصلوا إلى صنعاء وبايعوا الوزير وأعطوه المواثيق وأعطاهم السلاح والمال كانوا في طليعة المهاجمين لصنعاء، وقد احتجوا لتبرير نكثهم للعهد بأنهم لم يكونوا يعلمون عندما تعهدوا للوزير أنه مشارك في قتل الإمام يحيى ومتآمر عليه. لقد أهمل الوزير ورجال حكومته الاستعداد للحرب حتى جاءت الأنباء بتحركات أحمد في حجة وعلي بن حمود في الطويلة وكوكبان وحينئذ قرروا إرسال حملتين، حملة إلى شبام وعلى رأسها السيد محمد بن محمد عبدالله الوزير لمواجهة علي بن حمود وحملة إلى عمران وعلى رأسها السيد محمد بن علي الوزير لمواجهة الواصلين من حجة.

وقد وصلَت حملة شبام إلى هنالك مارة ببني مطر وهمدان وقد واجهها علي بن حمود شرف الدين بعدد كبير من القبائل الموالية لأحمد، وكان السماح للحملة بالدخول إلى شبام فخًا نصبه لها علي بن حمود وما كادوا يستقرون حتى أطبقت عليهم القبائل التي كانت تتمركز في المناطق الإستراتيجية واضطرتهم إلى الاستسلام وسيق قائد الحملة ومن معه أسرى إلى حجة حيث أودع قائدها السجن ثم أعدم بعد ذلك ولم ينج من الأسر إلا الشيخ عبدالله بن صالح أبولحوم الذي قاتل مع أصحابه وصمدوا في مواقعهم حتى تم تسليمهم بشروط مشرفة.

وكذلك كان الفشل حظ حملة عمران، فقد وصل بها قائدها السيد محمد بن علي الوزير إلى عمران وكان رجلًا مقاتلًا وشجاعًا ولكن الرأي قبل شجاعة الشجعان. وكان قد سبق أن تمرد على الإمام يحيى ودعا إلى نفسه وتحصن في معاقل بني حشيش وقبض عليه الإمام يحيى وأعتقله وظل معتقلًا حتى ضمنه إبن عمه السيد عبدالله الوزير فأطلق سراحه. وقد وصلت الحملة إلى عمران مجتازة همدان وعيال سريح، وكان أنصار أحمد قد سبقوها إلى عمران فتبادل معهم إطلاق النار وقرر هذا أن ينسحب إلى ضروان ليكون على صلة بصنعاء وقبل أن تطبق عليه القبائل في عمران فيضطر إلى الاستسلام. ولكن القبائل تبعته وقد حسبته منهزمًا وحاصرته في ضروان وكاد من معه أن يستسلموا للقبائل لولا أنه رفض ذلك وأثار من همم من معه فقاتلوا حتى خلصوا من الحصار وعادوا إلى صنعاء وكان لعودهم منهزمين أثر بالغ فت في عضد معنوية من في صنعاء من عسكريين ومدنيين.

وكانت الأخبار أيضا قد وصلت إلى صنعاء عن مصير حملة محمد بن محمد الوزير في شبام وسوقهم إلى حجة مأسورين، واهتزت لذلك اليمن كلها، وأصبح مشائخ القبائل اليمنية في تعز وإب وغيرهما يتسابقون إلى مراسلة أحمد وإعطائه ولائها وعهدها بالنصرة. وجاءت الأخبار أيضًا بالقبض على الأُستاذ أحمد محمد نعمان ومن معه في ذمار والقبض على السيد زيد الموشكي ومن معه في الحديدة فزادت الموقف إهتزازًا. وأشتغل الإخوان في صنعاء بعقد الجلسات والقاء الخطب

وكان هناك مجموعة من الإخوان المسلمين الذين لا يعرفون شيئًا عن اليمن وفيهم الخطيب المصقع عبدالحكيم عابدين، الذين ظنوا أن خطبة يلقيها أحدهم في الجماهير كفيلة بالنصر للثورة. كانوا يجهلون أن الجماهير الفعالة والتي تقرر مصير الحكومات هي القبائل الشمالية.

وقد تقرر بعد أن بدأ طوق الحصار يطبق على صنعاء أن يلجأوا إلى الجامعة العربية لتساعدهم بصد الهجوم أو على الأقل بإنقاذهم من الوقوع في قبضة أحمد، فجاء وفد من الجامعة على باخرة إلى جدة واستقدمه عبدالعزيز آل سعود إلى الرياض للتشاور. وجاءت برقية أحمد إلى الملك السعودي يرجوه فيها إحباط سفر وفد الجامعة لمدة ثلاثة أيام وهو كفيل بأن ينقض فيها على صنعاء وينهي الثورة والثوار، فحقق عبدالعزيز رجاء أحمد فأخذ يماطل الوفد حتى أضطرت حكومة الثورة إلى إيفاد وفد تكون من السيد الفضيل الورتلاني والقاضي محمد محمود الزبيري والسيد عبدالله بن علي بن عبدالله الوزير إلى الرياض وقد جهدوا جهدهم في أن يقنعوا الملك عبدالعزيز بإفساح المجال لوفد الجامعة ليواصل سيره إلى اليمن ولكنه ظل يسوف ويماطل. وذكّره السيد عبدالله الوزير بما بينه وبين أبيه علي بن عبدالله الوزير وابن عمه الإمام عبدالله بن أحمد الوزير من العهود والمواثيق على نصرتهم ضد أحمد وقال له إذا كان قد بدا لكم ما يدفعكم إلى التخلي عن النصرة فعليكم على الأقل أن تقفوا موقف الحياد غير مناصرين لأحمد، فقال الملك بحدّة ولكنكم قتلتم الإمام يحيى الشيخ الكبير وسطوتم على عرشه إننا لا نقر السطو على العروش بالثورات المسلحة لقد سنيتم سنة سيئة. وتضايقت حلقات الحصار على صنعاء ومن فيها ولكن الإمام الوزير ومن معه كانوا يعتقدون أن في وسعهم الصمود في قصر غمدان أيامًا ولم يكن يخطر ببالهم أن قصر غمدان ومن فيه هم أول من يسلم ويستسلم. فقد استطاع أولاد الإمام يحيى المسجونين في القصر وفي أحد الأماكن المتميزة لا رقابة عليهم ولا حيلولة بينهم وبين التحرك والمراسلة والتآمر واستمالة كل من في القصر من الجنود ماعدا محسن هارون الحارثي الذي رفض الانصياع للترغيب والترهيب وأبى الخيانة والغدر وقد أستشهد فيمن استشهدوا في حجة ضحية وفائه.

وفي الساعة الثانية من غروب يوم الجمعة ليلة السبت ٣ جمادى الأول سنة ٦٧ (١٣ مارس ١٩٤٨م) وجهت المدافع إلى القصر الذي ينزله الإمام الوزير وأخذ الجنود يطلقون النار إلى نوافذ القصر وينادون الإمام الوزير للاستسلام فأستسلم ومن معه بدون قيد ولا شرط، رافضًا نصيحة القاضي محمد السياغي بمواصلة الكفاح فساقهم عدد من الجنود الذين لا يؤبه لهم ولا يُهتم بهم إلى سيف الإسلام يحيى بن الإمام يحيى السجين في القصر فأمر بهم فزُجوا في السجن وحملوا القيود وأُشعلت النيران من القصر إشعارًا بالنصر فتجاوبت معها كل الأسر الصنعانية الموالية للإمام أحمد فاشتعلت النيران وخرج القاسم بن الإمام إلى الإذاعة ليعلن فشل الثورة.

وكان الإمام الوزير قد اجتمع مع قادة الثورة حينما شعر بالخطر وقرروا عدة قرارات منها قيام الإمام إلى رداع ليتخذ منها قاعدة عسكرية يدعو اليها قبائل مراد والبيضاء والحبيشية والرياشية وغيرها من القبائل الموالية له وينيب في صنعاء السيد حسين عبدالقادر والسيد عبدالله بن علي الوزير والرئيس جمال جميل وتعيين السيد علي بن عبدالله الوزير اميرًا للوائي إب وتعز على أن ينوب عنه الشيخ عبدالوهاب نعمان في إب ويسحب كمية كبيرة من الذهب والمال إلى رداع مع سحب معظم السلاح والذخيرة، وغير ذلك من القرارات التي لو نفذت لغيرت مجرى التاريخ اليمني ولكنه القدر الذي إذا نزل عمى البصر. أما بقية المقاومين من الشباب والأحرار والطلاب فقد أنهاروا في نفس الليلة، وقُبض عليهم وسيقوا إلى السجن ودخلت القبائل صنعاء لتنهب كل شيء فيها وحتى الأسر الموالية للإمام أحمد لم تنج من النهب، وبجهد جهيد استطاع رجال أحمد واخوته حماية القصور وخزائن الإمام يحيى، وعاثت القبائل فسادًا واعتدوا على الحرمات وأفزعوا العوائل وقتلوا النفوس البريئة.

ولقد روى لي القاضي أحمد السياغي نائب إب وكان قد دخل صنعاء مع القبائل الداخلين أنه وكان في طريقه إلى قصر غمدان رأى امرأة حاملًا خرجت لبعض شأنها ورآها بعض القبائل فظن أنها تخفي حليا أو مجوهرات تحت ثيابها

وتتظاهر أنها حامل لتنجو بما معها. وبدلا من أن يمد القبيلي يده ليحس ما عليها ويتعرف على ما تحت ثيابها سل جنبيته (خنجره) وطعن المرأة الحبلى فبقر بطنها وسقط الجنين إلى بين رجليها على الطريق وماتت المرأة وطفلها. ومر الرجل الجلف القاسي وكأن شيئًا لم يكن فاشمأز ضمير القاضي السياغي وأمر مَنْ معه من الجنود بالقبض على القاتل وأودعه في سجن القلعة ولكنه شكا أمره إلى سيف الإسلام العباس الذي كان على رأس القبائل الذين دخلوا صنعاء واستباحوها واستحلوا ما فيها، وكان الإمام أحمد قد أباحها للقبائل قبل دخولهم وكانت أطماعهم من أعظم حوافزهم إلى أن يأتوا إلى صنعاء من كل صوب وأوب، فأمر العباس باطلاق القاتل لأنهم قد أباحوا صنعاء وما فيها ومن فيها للقبائل. وذهبت المرأة وطفلها ضحية طمع القبيلي وظلم الحاكم، وهذه القصة تمثل فظيعة من الفظائع التي ارتكبت في صنعاء وغيرها.

تسابق المواطنون للقبض على الدستوريين وسوقهم إلى السجون وجاءوا بالذين فروا منهم مثل الأخ القاضي عبدالسلام صبرة والعزي صالح السنيدار والشهيد أحمد المطاع والسيد علي عقبات، وجاء أمر الإمام أحمد بسوق من في صنعاء إلى حجة فقرنوهم بالأغلال في أعناقهم ووضعوا المغالق في أيديهم لا يمرون بقرية أو مركز إلا واجههم المواطنون بالسب والشتم ورموهم بالأحجار والقاذورات حتى وصلوا حجة، فصلبوا في الشمس ثلاث ساعات أمام نافذة يطل منها أحمد متشفيًا وشامتًا ثم زُجّوا في سجن نافع. وكان الإمام عبدالله الوزير والأمير علي الوزير ومن معهما من آل الوزير قد أُودعوا في سجن قاهرة حجة وهو أحسن بكثير من سجن نافع، كما أُنزِل الرئيس جمال جميل العراقي في سجن المنصورة وهي أحسن أيضًا من نافع.

ابتلعت سجون الإمام أحمد كل أو معظم الأحرار. ولم ينج منها إلا القاضي محمد محمود الزبيري والسيد عبدالله بن علي الوزير والفضيل الورتلاني الذين كانوا في الرياض حينما سقطت صنعاء. وكانوا يوم سقوط صنعاء عائدين على طائرة أرادت النزول في المطار الجنوبي، الذي كانت قد احتلته القبائل، فلم يدعوا

الطائرة تهبط بل أطلقوا عليها الرصاص، ولو سمحوا لها لوقع في يد الإمام السيد الفضيل الورتلاني والقاضي محمد محمود الزبيري والسيد عبدالله بن علي الوزير. وقد أضطر الطيار إلى الهبوط في عدن وهناك واجههم اليمنيون، الذين انقلبوا هم الآخرون إلى مناوئين للثورة، فلاحقوهم بالأذى والمضايقة. وأرادوا الانتقال إلى مصر فمنعوا من دخولها، وهكذا كل قطر عربي لم يسمح لهم بدخوله. وقد ذهب الوزير والزبيري.. الأول إلى الهند حيث مات هناك شهيد الغربة وذهب الثاني إلى باكستان حيث قاسى من الجوع والمهانة ما لا يتحمله إلا أولو العزم. وقد عاش في كوخ في ضاحية كراتشي وبمرتب بسيط كان يتلقاه من إذاعة باكستان لقاء حديث ديني يلقيه من الإذاعة مرتين في الأسبوع. وقد قيض الله له بعد ذلك الرجل المؤمن والشاعر المبدع عمر بهاءالدين الأميري سفير سوريا في باكستان فأخذ بضيفه وعرّف به السفراء العرب فتحسن حاله بعض الشيء حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر فأنتقل إلى القاهرة. أما الفضيل الورتلاني فقد عاش أربعة أشهر على ظهر باخرة تجوب به الموانى دون أن يُسمح له بالنزول، حتى نزل أخيرًا في تركيا بجواز مستعار وبقي فيها حتى فاجأه المرض فانتقل إلى بيروت للمعالجة وهناك استأثر الله به فمات غريبًا مشردًا.

أحداث تعز والحديدة

ذلك ما كان في صنعاء، أما في تعز فقد كان من المفارقات أن يوكل حفظ الأمن فيها إلى العكفة حرس أحمد الخصوصيون وقد كان الأحرى أن يكلوا ذلك إلى الشهيد الحر الأميرالآي محمد سري الشايع ومن معه، ولكنها الأقدار تعمي البصر والبصائر. وقد قرر السيد زيد الموشكي ومعه القاضي عبدالله عبدالاله الاغبري والنقيب حسن بن صالح الشايف والأستاذ علي ناصر العنسي والشيخ محسن الصعر وكان ضابطًا في الجيش والسيد يحيى بن محمد الباشا نجل أمير لواء تعز السفر إلى صنعاء عن طريق الحديدة، ويمر الموكب بحيس فزبيد حيث ينضم إليهم وزير المالية في حكومة الدستور الخادم غالب ويمضون جميعًا إلى

الحديدة. وقد أستقبلهم الحلالي أمير اللواء بحفاوة وأظهر لهم كامل الولاء للثورة مما حمل الخادم غالب على أن يتدخل ويقنع حكومة الثورة بالإبقاء على الحلالي في إمارة اللواء بعد أن كانت الحكومة قد بعثت بالسيد زيد بن يحيى عقبات أميرا للواء خلفًا للحلالي وأستدعت الحلالي إلى صنعاء إشتباهًا بموقفه المساند لأحمد عند مروره من الحديدة إلى حجة. وقد كان رجال الثورة ينخدعون بظواهر الأمور ويحسنون الظن حتى بمن قد أظهروا ممالاتهم لولي العهد. وقد كان الإبقاء على الحلالي سببًا في تمكينه من القبض على الخادم غالب وعلى السيد زيد الموشكي ومن معه وعلى السيد زيد عقبات الذي أُرسل من صنعاء خلفًا له وساقهم جميعًا إلى سجن مناخة ثم إلى حجة.

الأحداث في إب

أما في إب، حيث كنت، فقد كان سيف الإسلام الحسن في القفلة في زيارة تفقدية لمزارعه وأمواله هناك وكان نائبه القاضي أحمد السياغي يدير أمور اللواء. وقد مر علينا يوم الثلاثاء دون أن نسمع خبرًا جديدًا، وكنا ذلك اليوم في المقيل وبعده ذهبت إلى بيت صهري القاضي أحمد النزيلي للمبيت وكنت أنزل لديه. وبعد أن أديت صلاة العشاءين جاءني رسول النائب السياغي يستدعيني إلى الحكومة، ولمّا كان عهدي به لم يمر عليه أكثر من ساعة فقد توجست خيفة من هذه الدعوة. وكان أخشى ما أخشاه أن تكون قد قامت الحركة في صنعاء وفشلت وصدرت الأوامر بالقبض علي وعلى غيري ممن جاءت أسماؤهم في الميثاق الوطني المقدس، ولكني لم أجد بدًا من إجابة الدعوة حتى لا يصدق علي المثل العربي (بلهاء تدلني على سرها) لو أبديت تلكوءًا.

وذهبت إلى دار الحكومة حيث يقيم السياغي واستغربت أنه لم يقابلني في مكتب العمل كما هي العادة بل استدعاني إلى غرفته بأعلى مبنى الحكومة. ودخلت عليه فوجدته منهارًا لا يملك عينيه من البكاء فعرفت أن شيئًا قد حدث. ولم يكلمني بل رمى إلي برقية تقول: من الإمام الداعي عبدالله بن أحمد الوزير إلى

نائب لواء إب القاضي أحمد السياغي حفظه الله. لقد كان ما قضاه الله وأمضاه من وفاة المغفور له مولانا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميدالدين رحمه الله ورضي عنه في صباح يومنا هذا وقد أجتمع أهل الحل والعقد وكلفوني بالقيام بأمور المسلمين وبايعوني على كتاب الله وسنة رسوله وعلى الطاعة في المنشط والمكره فلم نجد بُداً من القبول. فنأمركم بأخذ البيعة ممن قبلكم وحزم أمور اللواء والتعاون مع القاضي الوجيه عبدالرحمن بن يحيى الإرياني والأخ أحمد بن محمد مفضل والأخ يحيى عبدالقادر على تسيير أمور اللواء والمحافظة على الأمن، ومروا خطباء المساجد بالخطبة لنا وأفيدونا بكل ما يتجدد. فقلت للنائب وعلام البكاء والرجل قد نيف على الثمانين وإنما هو هامة اليوم أو الغد فالواجب التجلد والثبات لإثبات أنك من رجال الأحداث. فقال إنما تذكرت حالة النساء والأطفال وما أكثرهم فقلت له فكروا الآن في الشعب اليمني. وفيما نحن في الحديث إذ وصل السيد يحيى بن عبدالقادر ولما كان الإمام عبدالله الوزير قد أمر النائب بالتعاون معه فقد رمى إليه بالبرقية وأستطلع رأيه فقال له الرجل نحن الآن لا ندري ما موقف ولي العهد وما أظن إلا أنه سيعارض فمن الحكمة أن لا نستعجل الجواب حتى نتصل بتعز، وأستأذن بالخروج. وأراد النائب السياغي أن أبيت معه في الحكومة مادمنا قد قررنا تأخير الجواب، وكنت قد وافقت على تأخير الجواب وإن كان رأيي المبادرة بالرد والاستجابة للمبايعة ولكني لم أستحسن التحمس للموضوع ورأيت ذلك من الخرق قبل أن نتبين الموقف، فقلت له أن من الحكمة أن لا يطرأ أي شيء غير طبيعي وسأعود للمبيت في بيت القاضي النزيلي وآتيكم في الصباح الباكر، وإن جدّ شيء هام فيمكنكم أن تبعثوا لي. واتفقنا على هذا ونزلت من الطابق الأعلى وفي الطابق الثاني كان السيد يحيى عبدالقادر رحمه الله وتجاوز عنه ينتظرني ليخبرني أنه قد بعث برقية فيها التهنئة للإمام الوزير وفيها البيعه له وعلي أنا أن أحذوا حذوه إذ قد أخبره مأمور البرق أن الإمام يحيى قد مات مقتولاً وأن العاصمه صنعاء قد استسلمت للإمام عبدالله الوزير. وأستدعيت مدير البرق لأستفصله وأتأكد من خبر القتل فأكد ذلك وقال أن القاضي عبدالله العمري الوزير الأوحد في حكومة الإمام يحيى قد قُتِل معه أيضًا. فقلت للسيد

يحيى إذًا فمن واجبنا أن نبلغ النائب السياغي فعارض ذلك بشدة وفهمت أنه يريد أن لا يرد النائب السياغي فيعتبر غير موال فيكلف هو بالقيام بأعمال اللواء. وقد استهجنت ذلك ولا سيما مع من ائتمن وأستشار، فقلت للسيد يحيى أنا على عكس رأيكم تمامًا فلأن يرد السياغي ويعلن بيعته وهو كما تعرف ركيزة من ركائز العهد الحميدي خير من أن لا يرد، إن في ذلك تأييدًا للثورة وضغطًا على المترددين. ولم يقتنع بوجهة نظري ولكني أبرقت بإسمي تهنئة ومبايعة ولم يرتح ضميري إلى مخادعة السياغي فحررت له أخبره بأني قد بعثت برقية والسيد يحيى بعث أيضًا بولائه للحكومة الجديدة، وأكدت له أن الإمام يحيى مات مقتولاً وقلت له ولك أن تختار ما تريد، فسارع إلى إرسال برقية يعرب فيها عن ولائه للإمام الجديد فثُبِّت على عمله.

كانت البرقيات ترد من صنعاء بإسم السياغي، وكان في بداية الأمر، وقبل أن يعرف بإعلان ولي العهد نفسه إمامًا وإصدار البيان والرسائل والقصائد من قلعة باجل وهو في طريقه إلى حجة، يعمل بإخلاص وجدية، ولكنه بعد أن سمع ذلك أصبح سلبيًا يتردد في كل أمر يجريه وأصبح يحيل القضايا التي تَعْرُض عليّ وعلى السيد يحيى عبدالقادر. وضايقه بعد ذلك الذين كانوا موتورين منه من أيام ولايته، ثم تلقى رسائل من ولي العهد، وبعد ذلك أصبح قلق النفس غزير الدمعة غير راغب في شيء من العمل. وكان الشيخ على عنان يهدده وكذلك الشيخ علي بن محسن فدعاني وألتمس مني أن نرسله إلى حبيش أو يريم أو أي بلد نريد لأنه لا رغبة له ولا إطمئنان في البقاء في إب ومزاولة الأعمال في نطاق من الحاقدين عليه والمتربصين به. وقلت له إن ما تطلبه ليس إليّ وحررت في تلك اللحظة برقية إلى الإمام أستأذنه في إرساله إلى يريم للعمل هناك بعيدًا عن أعدائه في إب وجاء الجواب بطلبه إلى صنعاء، وغادر إب ليلًا عن طريق بعدان مصحوبًا بالنقيب عبداللطيف بن قايد بن راجح. ولم تمض أيام حتى جاءنا الخبر بأنه وصل إلى معبر وتوجه منها إلى آنس فريمة فحراز ومر عبر جبال السراة حتى وصل إلى حجة وأرسله الإمام أحمد على رأس جيش إلى صنعاء.

وبعد سفره كنت والسيد يحيى عبدالقادر نشترك في تسيير الأمور. ومع أنه

كان هو الذي يوقع على الأوامر والرسائل إلا أن أنصار الإمام والعكفة الذين جاءوا من تعز كانوا يعرفون من الذي يحرك الأمور بولاء للثورة والتزام بمقرراتها، ولذلك فقد نجا السيد يحيى الذي كان يتصدر للأمور، ليلة إعلان فشل الثورة والقبض على الإمام عبدالله الوزير، بينما قبض الجنود علي أنا ولم أنج من القتل إلا بفضل تدخل السيد محمد بن محمد المنصور والسيد علي عبدالله بن قاسم حميدالدين عامل صبر الذي صادف وصوله إلى إب في طريقه إلى صنعاء. وتحول السيد يحيى عبدالقادر من مسئول أمام الإمام عبدالله الوزير ومن موال له إلى مسئول أمام الإمام أحمد وموال له.

وجاء يوم ١٩ ربيع الثاني (٢٩ فبراير)، وفيه وصل إلى إب الأستاذ أحمد محمد نعمان قادمًا من عدن في طريقه إلى صنعاء، وكان معه عدد كبير من الأحرار وممن كانوا يسمون بالفدائيين يحملون السلاح. وكانت الأنباء قد جاءتنا أن الطريق بين صنعاء ويريم غير آمنة ولا سالكه وحاولت أن أصرف الأستاذ أحمد عن السفر عن طريق يريم ونصحته بأن يعود إلى تعز وإذا كان يستعجل الوصول إلى صنعاء قام من هناك عن طريق الجو، فقال لدينا حرس ومرافقون يعتد بهم وعَودنا من هنا إضعاف لمعنويات الناس العاملين مع الثورة ولا يمكن أن أعود أبدًا وسأتصل بكم بعد أربعة أيام من صنعاء. فقلت له إنك تجازف بنفسك وبمن معك وأنا أعرَف بالمناطق الشمالية والمائة والمئتان بل والألف لن يغنوا عنك شيئًا إزاء تحرك القبائل، وإذا كنت تخاف إضعاف المعنوية بالعودة من هنا فإنك ستعطي الجانب الآخر نصرًا تنهار معه المعنوية فيما إذا أُصِبتم أو قُبِض عليكم. فأصر بعناد غريب، وكان القدر المنتظر له في ذمار هو الذي ملأه عنادًا ليقضي الله أمرًا كان مفعولا. وأخيرًا قلت له إذًا لتذهب إلى يريم وتبقى فيها وترسل من يأتيك بأخبار الطريق فوعدني بذلك. ووصل إلى يريم وقيل له أن في الطريق من يتربص بهم وكانت قد جاءت الانباء بذلك فأبرقت له إلى يريم أتمنى عليه العودة فإن يريم نفسها قد لا تكون المكان الذي يأمن الانسان فيه على نفسه. وانذره العامل في يريم بما يتربصه في الطريق فأصر على مواصلة السير، وكان يظن أن من معه جديرون بأن يحموه إلى

أن يصل إلى صنعاء، وأن خطبة من خطبه البليغة كفيلة بأن تقنع من قد يعترضهم في طريقهم من القبائل، وإذا نزل القدر عمي البصر.

وبالعناد الذي قابل به نصائحنا في إب قابل برقيتنا إليه ونصح الناصحين له في يريم، وغادرها بمن معه وكان فيهم القاضي أحمد بن قاسم العنسي مؤلف التاج المذهب والشيخ أمين عبدالواسع نعمان والشيخ جازم الحروي والأستاذ محمد صبرة والأستاذ محمد الفسيل والشيخ ناصر العريقي والصحفي اللبناني رشيد سنّو وغيرهم من أعيان المهاجرين الذين أمدوا الحركة بالمال والجهد وعلى رأسهم الدحان. ولم يسيروا إلا بضع كيلومترات عن يريم حتى تلقاهم الشيخ زيد عمران بقبائله من عنس وقد رحبوا بهم في البداية وأحسنوا الترحيب، ثم لم يشعروا إلا وقد أحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم وأمروهم أن يسيروا داخل الدائرة التي أحاطوهم بها وحذروهم بأن كل من يحاول الخروج عن الدائرة أو يحاول الفرار سيقتل حالاً. وهكذا ساقوهم محصورين حتى أوصلوهم إلى سجن ذمار، وهنالك جردوهم من السلاح وألبسوهم بدلاً عنها القيود والأغلال.

وجاءتنا الأخبار في نفس اليوم وقال السيد يحيى عبدالقادر لقد نصحتهم فلم يرعووا فما الذي بقى بيدك وأيدينا غير الاسترجاع والدعاء. فقلت له ذلك ما فعلناه ولكنه يجب أن نعمل شيئًا، فقال وماذا في وسعنا فقلت له لنجند ثلاثة أو أربعة الاف من مواطني اللواء تحت قيادة وزير الدولة الشيخ علي بن محسن ومثلها تحت قيادة وزير الدولة الشيخ أحمد بن حسن باشا، وكان قد أُعطي درجة وزير دولة بقرار من الإمام أسوة بإبن عمه علي بن محسن وقد كان الرجلان متنافسين. وجُمِع العدد المطلوب ولكن معظمهم بدون سلاح وماذا يعني جيش بدون سلاح، فرؤي أن أسافر أنا والسيد محمد بن محمد المنصور إلى تعز لنجيء بما أمكن من السلاح لتسليح من لا سلاح له من القبائل الذين تجمعوا تحت إمرة علي بن محسن وأحمد بن حسن. أما النقيب الشهيد عبداللطيف بن قايد بن راجح فكان قد كُلف بمرافقة النائب السياغي إلى يريم وعاد ليجند جيشًا لإنقاذ من في ذمار. وقد وافق السيد يحيى على الرأي بدون تحمس وذهبت أنا والسيد محمد المنصور

إلى تعز وكان أميرها من قبل الإمام الجديد السيد محمد بن أحمد باشا، وعُدنا بالسلاح المطلوب وتم تجهيز الجيش القبلي بقيادة الشيخين.

كان السيد محمد بن أحمد باشا من الدهاة المعدودين وقد رأى أن بقاء العكفة (حرس ولي العهد) في تعز خطرًا عليه فيما إذا انقلبت موازين الأمور، وهو قد رآها تنقلب، فعمل على إرسال حوالي مأتين من الحرس المشاغبين المدربين المسلحين بالسلاح الحديث إلى صنعاء سلامة من شرهم. ولكنه بعد أن غادروا تعز إلى إب أبرق إلينا برقية يرجو فيها إبقاء العكفة في إب تفاديًا لخطر منتظر منهم على من في ذمار، الأستاذ نعمان ومن معه. وحرصًا منا على سلامة الإخوان في ذمار أبقينا العكفة في إب مع أن من في ذمار قد وقعوا في الخطر وهم في سجن الجيش النظامي في ذمار ولن يسلمهم إلى العكفة، ولكن كانت الأقدار قد شاءت أن يقبض علينا هؤلاء العكفة ويسوقونا مكبلين إلى تعز.

الفصل السابع
الإعتقال والسجن في حجة

سقوط الثورة الدستورية والقبض علينا

وجاءت ليلة السبت ٣ جمادى الأول سنة ١٣٦٧هـ (١٣ مارس ١٩٤٨م) تلك الليلة المشئومة التي سقطت فيها صنعاء وقبض على الإمام عبدالله الوزير ومن معه من الأحرار، وأعلن ذلك سيف الإسلام القاسم بن يحيى حميدالدين من إذاعة صنعاء آمرًا جميع الجيش والمواطنين بالقبض على من سماهم الدستوريين المجرمين قتلة الإمام يحيى[1]. وسمعنا الإذاعة أنا والأخ الأستاذ أحمد المعلمي وسقط في أيدينا. ولقد كان في وسعنا أن نفر في الساعة الأولى من سماعنا للخبر لأن الراديو الذي أستمعنا إليه هو الراديو الوحيد في المدينة ولكنا قلنا أن الفرار يعتبر خيانة وإذا سقطت صنعاء فقد يكون في إمكاننا أن نصمد في إب وتعز ولو إلى حين. لقد عز علينا أن لا يتجاوز عمر الثورة سبعة وعشرين يومًا، ثم إلى أين نذهب.. إلى التشرد والضياع وقد لا ننجح ونقع في أيدي الحاقدين الهمج. وقررنا أن نبقى وليكن حظنا حظ إخواننا الذين قُبض عليهم في صنعاء ومنهم الإمام عبدالله الوزير ورئيس الوزراء الأمير علي عبدالله الوزير وسيف الحق إبراهيم رئيس مجلس الشورى. وكان هؤلاء معهم الكبسي والمطاع والعنسي والحورش وجمال جميل وغيرهم من رجالات اليمن وقادة الثورة قد وقعوا في قبضة أحمد، وعاد إلى أفكارنا المثل الشعبي (قتله بين سبعة عرس).

---

(١) كان الإمام الجديد أحمد بن يحيى قد أرسل رسالة إلى السياغي ليقبض على من في إب وكنت منهم. انظر رسالة الإمام في الملحق رقم (٦).

وقررنا البقاء، وجاء مساء الأحد ٤ جمادى الأول سنة ١٣٦٧هـ (١٤ مارس ١٩٤٨م) وكان مدير البرق «الحنبصي» قد تلقى الأخبار من صنعاء ونقلها إلى السيد يحيى عبدالقادر الذي تحول بقدرة قادر إلى نصير لولي العهد. وأَسرّ إلينا مدير البرق أن السيد يحيى بعث الرسائل إلى ولي العهد في نفس اليوم الذي بعث فيه البرقية بالبيعة للوزير. وتبين أنه كان يلعب على الحبلين ويتصل بالجهتين ولهذا فلم يجد حرجًا في إصدار الأوامر إلى العكفة والجيش الموجود في إب للقبض على الأحرار وتعقب من يفر منهم. أما أنا والأخ المعلمي فلم يحتج الجنود إلى أوامر بالقبض علينا فقد اندفعوا من تلقاء أنفسهم، وكان معظمهم وعلى رأسهم عبدٌ لسيف الإسلام الحسن يقسمون الأيمان أنهم لا يرضون بشيء دون أنفسنا، ويتسابقون ويتباهون في الحصول على شرف قتلنا والشرب من دمائنا. وأيسنا من الحياة واستسلمنا لقدرنا ولاسيما بعد أن رأينا طلقات الرصاص تخترق نوافذ المكان الذي كنا فيه في مبنى الحكومة. ولكنه قيض الله السيد محمد بن محمد المنصور والسيد علي بن عبدالله حميدالدين فبذلا جهودًا كبيرة للحيلولة بين الجند وبين قتلنا. وقالا لهم، ليُعْتقَلا ويرى فيهما الإمام رأيه، وأنتم إذا أندفعتم من تلقاء أنفسكم فسوف يعاقبكم الإمام على تصرفكم بدون أمره. وتراجعوا إزاء هذا التهديد، ورضوا بأن يقتصروا على الحبس والقيد. وأخذ السيدان وجوههم على أن لا يمسونا بسوء، ومع ذلك فقد كانت ظهورنا وأكتافنا هدفًا لطبانات البنادق حتى وصلنا السجن. وسارعوا إلى قيدنا بقيدين كبيرين يعجزاننا التحرك بهما إلا بمشقة، ورموا بنا في زاوية من الحبس يضعون فيها الرماد وبقايا التمباك وكان ذلك في الساعة السادسة بالتوقيت الغروبي من مساء الأحد ٤ جماد الاولى الموافق ١٤ مارس ١٩٤٨م. وقد ارتمينا فوق كومة من الرماد فكان فراشًا وثيرًا. ومع ما قاسيناه من أتعاب وتوتر أعصاب فقد أسلمنا أنفسنا للنوم، وكان نومًا عميقًا لا يوقظنا منه إلا طرقات مطارق السجانين وهم يقيدون من يقبضون عليه من الأحرار الذين نشطوا في الستة والعشرين يومًا التي هي عمر الثورة، وكان فيهم محمد بن أحمد المفتي ومحمد لطف الصباحي والأستاذ عقيل عثمان. وبعد أيام

جاءوا بالقاضي محمد الأكوع محمولًا، فقد حاول الفرار فوقع من على السطح فانكسرت رجله، ومع ما في رجله من الكسر فأنهم لم يعفوه من القيد ليصوروا أبشع ما يتصوره المرء من الوحشية والهمجية. وكان الجنود قد اودعوا مجموعة كبيرة من أعيان إب في سجن الجلالية، وكان كثير منهم لا ناقة له في الموضوع ولا جمل ولكن الجنود والعكفة ساقوا كل من يريدون نهبه من التجار ونحوهم إلى السجن، وكان فيهم عبده الصباحي ومحمد علي الصباحي ويحيى العاضي وعلي حسن صالح وأحمد الشويطر ومحسن سلام وغيرهم ممن لا شأن له بالثورة.

وقد سلب الجنود كل ما معنا وبقي بعضها في مكان السيد يحيى الذي كنا ننزله معًا وفيها الجنبية والمسدس، وقد سلم الجنبية إلى الإمام أحمد الذي أعادها إلي بعد خروجي من السجن. وأنا أسجل هنا الحقيقة وأقسم بالله أني لا أحقد على أي ممن أساءوا إلي في تلك النكبة التي شملت وعمت وأوشكت أن تقضي على الأماني والآمال للشعب اليمني، وإنما أسرد هنا ما حدث وليسامح الله الجميع.

الرحلة إلى سجن تعز

بعد أن وصل الإمام عبدالله الوزير ومن معه من علية القوم وأحرار اليمن إلى حجة أودعوا السجون، وجاء إليها أيضًا الأستاذ أحمد محمد نعمان ومن معه وفيهم القاضي محمد الربيع والقاضي إبراهيم الحضراني وكانا قد أنتدبا من تعز بالسفر إلى يريم لمحاولة جمع جيش من القضاء للعمل على إنقاذ من في ذمار، فصادف وصولهما إلى عراس على رأس فشل الثورة وإنتصار أحمد فقبض عليهما القبائل وأُدخِلا ذمار معتقلين لا منقذين وإنضمّا إلى ركب الأستاذ نعمان. وكانوا قد وضعوا الأغلال على أعناق المقبوض عليهم ووضعوا المغالق، وما أدراك ما المغالق، على أيديهم. ولا يمكن أن يتصور مايجده (المُمَغْلَق) من تعب المغالق إلا من جرّبها.

أقول أنه بعد أن أودع الإمام أحمد كل أعدائه في سجن نافع والقاهرة بحجة وفي سائر سجون اليمن غادر حجة إلى تعز وتجاوزها إلى القاعدة، ومن هناك طلب وصولنا من إب إلى القاعدة. وجاء محمد الكول من مقدمي الحرس يلزمنا

بالتأهب للسفر إلى الإمام وأن علينا أن نمشي على أقدامنا مقيدين إلى القاعدة، وقلنا له أن هذا متعذر أو متعسر وأنه لا يمكن أن نصل القاعدة إلا بعد أيام. وبعد اللتيا واللتي وافق الجنود الفطنون في الأذى على فك القيود وإستبدالها بالسرات، أي الأغلال، على الأعناق بحيث يُقَّرَن كل خمسة أو ستة في قرن واحد يجر بعضهم بعضًا. وقد أعفوا القاضي محمد الاكوع عن السرة بل وجاءوا بحمار ليركب عليه لأنه مصاب بكسر في رجله. ورآنا ونحن نمشي على أقدامنا يجرجر بعضنا بعضًا وهو راكب على الحمار فقال أرأيتم كيف صدق المثل القائل (رب ضارة نافعة).

خرجنا من إب بعد الظهر ونحن ثلاثة وثلاثون شخصًا هم كل من رأوا إيصالهم إلى الإمام. أما الباقون فقد تركوهم في حبس إب لأنهم أقل خطرا وبعضهم لا شأن له بالثورة، وكذلك كان أكثر من في الركب معنا ممن لا شأن لهم بالأمر، ولكن العكفة يريدون أن يقدموا لمولاهم وجبة دسمة، وقد حسبوا ذلك يتوفر بكثرة عدد المكبلين بالأغلال. وخرجنا من إب متجهين إلى القاعدة والناس على جانبي الطريق يدعون لنا بحسن المخرج والنساء يبكين ويندبن بأصوات مرتفعة بينما الخارجون من صنعاء وعلى رأسهم الإمام الوزير وكثيرون من رجالات اليمن قد خرجوا بين لعنات المواطنين ورميهم بالتراب والقاذورات. وبهذا يمكنك أن تقارن بين المشاعر هنا وهناك، وأين تكمن الروح الحضارية والإنسانية ورقة الأفئدة والإيمان اليماني.

واصلنا سيرنا مشيًا على الأقدام، والأغلال تثقل كواهلنا حتى وصلنا السياني في الثالثة بعد الغروب – أي التاسعة –، ولم يجدوا لنا منزلًا ينزلونا فيه فساقونا إلى جامع البلدة، وقد أخذ منا التعب كل مأخذ، فأرتمينا على الحصير وكأننا على فراش وثير. ولن أنسى أنني وأنا في شبه غيبوبة من شدة التعب انني لم أشعر إلا وشخص يغمز رجلي وركبتي ليخفف مما أجده دون أن اطلب منه ذلك أو حتى يستأذن مني وأنتبهت وأردت أن أمنعه ولكنه أصر على أن يؤدي هذه المهمة التي كنت أحوج ما أكون إليها. وسألته عن اسمه فقال فلان خشافة من بعدان ويؤسفني أن لا يكون اسمه الآن حاضرًا في ذهني لأسجله، وقد شكرته بعد ذلك وأردت

أن أعطيه قلمًا كان معي فرفض وقلت له أنه سيؤخذ مني فخذه أنت فأصر على الرفض. وفي الصباح جاء الناس لأداء صلاة الصبح وفوجئوا بنا هناك وكانت معالم الحزن والتأثر بادية على وجوههم. أما الحاج عبده، وهو مقهوي ينزل المسافرون في بيته، فقد أنفجر باكيًا بصوت مسموع حين رآنا في تلك الحالة والأغلال على أعناقنا تربط بعضنا ببعض، فزجره أحد الجنود. وقمنا للصلاة وكان المشكل الذي لا حل له هو عند ذهابنا إلى دورة المياه فقد تعذر علينا قضاء الحاجة إلا بصورة جماعية وكان ذلك صعبًا وغير مألوف وكذلك كان عند الوضوء. لم يأتونا بطعام الصبوح (الفطور)، كما أننا لم نتناول طعام العشاء وتناول الجنود فطورهم دون أن يفكروا أننا مثلهم بشر نحتاج إلى الطعام. وكنا قد التقينا في محل الوضوء بأناس من حجور، وهم من غلاة المتشيعين المتعصبين، جاءوا كجيش لتصفية من بقي في العدين متمردًا، كالشيخ علي بن محسن والشيخ أحمد بن حسن فلما رأونا والأغلال على أعناقنا عرفوا أنّا من (الدستوريين)، وهذا هو الاسم الذي أطلق على الوزير ومن عمل معه. وما رأونا حتى هبوا يريدون الاعتداء علينا فمنعهم الجنود الذين معنا فأوسعونا سبًا وشتمًا لأنّا قتلنا (أمّام) أي الإمام. وقلنا لهم نحن في إب على بعد ست مراحل من صنعاء فكيف قتلنا أمّام، فقالوا أنتم السحرة الذين سحروا الوزير حتى قتل أمّام، فقلنا لهم لسنا بسحرة ألا ترون أنا قمنا إلى الصلاة قبلكم ونحن على هذه الحالة فقالوا أنتم يهود دستوريين. فقلنا أما دستوريين فنعم، وسأل أحدهم من هذا الذي يتكلم فقال أحد الجنود المرافقين لنا هذا القاضي عبدالرحمن الإرياني ووالده كان رئيس الاستئناف وشيخ الإسلام فقال لا إله إلا الله يخرج من العود عودين فعود كرسي لمصحف وعود مندف يهودي، وما ينفع الجد الأول. وأراد أحدنا أن يشرح له أن الثورة قد جاءت لمصلحته ومصلحة أمثاله من المضَلّلين ولكن الجنود زجروه بشدة.

وبعد أن أخذ الجنود قسطهم من الطعام والراحة ساقونًا مشيًا على الأقدام نحو القاعدة حيث الإمام أحمد، وفي مشارفها إلتقانا آلاف من الناس وفيهم الكثير من العكفة الذين أخذوا يطلقون الرصاص وينشدون الأهازيج التي تسب

الوزير وأعوانه، والدستور وقومه. وكان الإمام أحمد ينزل في دائرة البرق، وقد صفّونا أمام ذلك الدار والأغلال في أعناقنا، وأطل الإمام من النافذة وجاء القاضي أحمد الحضراني ليأخذ لنا صورًا. وتركونا في الشمس حوالي ساعتين وقد جفت حلوقنا من العطش بعد المشي الطويل والتعرض للشمس الحارة وطلبنا الماء فمُنِع منا وأستغثنا فلم نُغَث. وسمع طفل من أطفال إب الذين جاءوا مع الركب فذهب وجاء بكوز فيه ماء وفي غفلة من الجنود مد به اليّ فشربت ولم يدعني الجندي استكمل حاجتي من الماء ومد يده ليأخذه مني ولكني تمسكت به وأردت إعطاءه لمن بجانبي من الإخوة. ولكن الجندي الجلف رام أخذه بشدة فرميت به إلى الأرض والإمام ينظر من النافذة فتعطف وتكرم وأذن بأن نُعطَى شيئًا من الماء وأن نحمل على سيارة شحن كانت واقفة في الشمس إلى سجن العرضي في تعز.

وصعدنا إلى السيارة بمشقة كبيرة ولم أستطع الصعود فحُملت على أيدي الجنود ورموا بي في السيارة وكانت كقطعة من النار لتعرضها للشمس طويلًا. وحشرونا في السيارة ومعنا عدد من الجنود كانوا يهزجون على طول الطريق قائلين (لعنة الله على الدستور وأصحابه، وعلى زمرة الداعي واحزابه). والداعي هو الإمام عبدالله الوزير فقد تلقب أولًا بالداعي ثم تلقب بالهادي. ومررنا من تعز ولم نر في الناس إلاّ واجمًا أو مشفقًا حتى وصلنا إلى باب دار الضيافة حيث يوجد عناصر من القبائل الشمالية فهبوا يهتفون بكلمات نابية ويبصقون علينا. وأذكر أن الأستاذ عقيل عثمان رحمه الله، وهو أحد المعتقلين، كان في حالة شديدة من العطش فكان يفتح فاه ليبصق إليه الباصقون، ويفعلون فيتلمض ليبل لسانه.

وأستلمَنا هناك النقيب علي بن علي الجائفي أحد رئيسي الحرس الملكي. وقد أمر منذ وصولنا بتكبيلنا بالقيود ضمًا إلى الأغلال التي علينا، فقلنا له أن هذا غير معقول ولا معهود أن يبقى السجناء وهم داخل السجن مقيدون وعليهم الاغلال فقال إنه يعرف ذلك ولكنه يحتاج إلى أمر من الإمام بحل الأغلال عنا ولما الححت عليه قال مؤنبًا: نعم يا قاضي عبدالرحمن صدقتم الدستوريين والأحزاب ونسيتم حاشد وبكيل وهم الذين يقيمون الدول ويسقطونها في اليمن على مدى التاريخ أو

أنكم لم تقرأوه. فقلت له أننا من أجل حاشد وبكيل قمنا بالمحاولة، فقال ولكنكم لم تأخذوا رأيهم وتتفقوا معهم من قبل الحركة. فقلت له ذلك شأن الإمام الوزير ولا شأن لنا في ذلك، ولكني أريد أن أقول لك أن الذين اتفق معهم الوزير من حاشد ومن بكيل قد دخلوا صنعاء لينهبوا مع الناهبين، فقال ومن هم هؤلاء الذين أتفقوا مع الوزير. وأحسست بأنه قد سبق لساني بما لا ينبغي أن أقوله فقلت له لا بد أن يكون هناك من اتفق مع الوزير ولا يمكن أن يقوم بالحركة دون أن يكون قد أتفق مع بعض القبائل، والوزير كما تعرف له وجاهته عند القبائل وكثيرون هم الذين يعتقدون أحقيته بالإمامة. فقال ولكنه أستعجل بقتل الإمام فرفضه حتى أصحابه فقلنا للنقيب ليس الآن وقت العتاب ولكنه وقت المروءة والشهامة والقبيلة وشيمتك لا ترضى بأن نحمل القيود في أرجلنا والسرات في أعناقنا، فخجل الرجل وأعتذر بأن الأمر ليس في يده ولكنه سيبرق للإمام يستأذن منه بفك الأغلال. وحاولنا إقناعه بأن ما نطلبه هو الشيء الطبيعي وأنه الرسمي علينا وله صلاحيته ولكنه أسرع فأبرق للإمام برقية جاء ردها في المساء بالأمر بفك الأغلال وبقاء القيود. وكنا قد لقينا جهدًا جهيدًا في محاولة الوضوء للصلاة وقضاء الحاجة إذ كان الكنيف ضيقًا لا يتسع لأكثر من واحد وهذا الواحد بدوره لا يستطيع الجلوس لقضاء الحاجة فصبرنا على ما نعانيه وأمتنعنا عن الطعام والشراب. وما صدقنا أن الأغلال حلّت عن أعناقنا حتى ذهبنا ارسالًا إلى دورة المياه. وتذكرنا قول أحد الزهاد للخليفة الرشيد وقد رآه يزهو بملكه المترامي الأطراف فقد قال له لو أنه منع عنك الطعام والشراب بماذا كنت ستشتريه. فقال بشطر من ملكي، فقال لو حبس خروجه عنك كم كنت ستدفع ليسهل خروجه، فقال سأدفع ملكي كله لو طلب مني. فقال الزاهد فما أحقره من ملك ثمنه أكلة وبولة.

التهديد بالإعدام

وبعد أن استرحنا من الأغلال هدأ بالنا بعض الشيء، ولكنه جاء الإمام أحمد من القاعدة وجاءتنا أخبار إعدام الإمام الوزير وبعض بني الوزير والسيد زيد

الموشكي فأزعجنا ذلك أيما ازعاج. وقلنا إن الذي يقدم على قتل هؤلاء لا يتورع عن قتلنا، ولم يطل بنا الانتظار فقد جاءت ليلة الجمعة وفيها ايقضنا الرسم أنا والأخ المعلمي من النوم وأمرونا بأن نحرر مالنا من وصية فقد أمر الإمام بإعدامنا بعد صلاة الجمعة. وأسرعنا إلى كتابة الوصية وكلنا مستسلم وراض بقدره وغير متهيب ولا حزين، ولكن الإخوة الذين كانوا معنا وهم زهاء ثلاثين واحدًا في مكان واحد قد أفزعهم الأمر ولم يذوقوا طعم النوم، أما نحن فقد عدنا إلى النوم وكأن شيئًا لم يكن، لقد غمر برد الرضى قلوبنا. وفي اليوم التالي جاء الرسم يقولون إذا كنتم تريدون الاغتسال فقد جهزنا لكم الماء لتستعدوا للإعدام وقمنا فاغتسلنا وتوضأنا وصلينا ركعتين وانتظرنا النداء بأسمائنا. وكانت العادة أن الإعدامات تتم بعد الخروج من صلاة الجمعة، ولكنه مضى الوقت المحدد ولم يناد أحد بأسمائنا فقلنا في أنفسنا لعل الإمام قد ثاب إليه رشده وأستشعر حرمة دم المسلم. ولكن الرسم أنذرونا أن الأمر تأجل إلى الجمعة المقبلة، لقد أرادوا أن نظل نعيش التوقع والقلق. وفي الجمعة التالية طلبوا منا الاستعداد واستعدينا. وفي دورة المياه تمكنت من تحرير رسالة إلى أخوتي أوصيهم بأولادي خيرًا وأواسيهم بأني لست وحيدًا في هذا السبيل بل قد سبقني قوافل الشهداء ابتداءً بالإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام. وقلت أنا على ثقة أن الله تعالى سينزلنا منازل الشهداء ويعد للإمام أحمد دركات القتلة وقد بعثت الرسالة مع الولد عبدالله بن عقيل الإرياني الذي استشهد في المحابشة في ثورة ١٩٦٢م، وكان يتردد إلينا من لدن الأخ القاضي عبدالله بن محمد الإرياني ليوافينا ببعض المأكولات، وكان الجنود يسمحون له بالاتصال بنا لأنه طفل صغير ولينالوا نصيبهم مما يحمله. وقد أستطعنا أن نسرّب معه تلك الوصية التي وصلت إلى أخوي عبدالله رحمه الله ومحمد حفظه الله فأزعجتهما أيما إزعاج وحمل الأخ عبدالله نفسه ومعه الولد محمد يحيى بن علي الإرياني ووصلا إلى تعز لمراجعة الإمام واسترحامه. وقد قابلاه واستأذنا بزيارتي فأذن الإمام لهما بذلك، وجاءا بالأمر إلى رئيس الرسم النقيب علي الجائفي فماطلهما أيامًا حتى اضطرا أن يدفعا له مبلغًا من النقود ليسمح بالزيارة وليرفق في معاملتنا.

نهب بيوت الأُسرة في إريان

وجاء الأخ عبدالله والولد محمد واستدعيت إليهما، وقد هالني منظرهما، ولاسيما الأخ عبدالله رحمه الله، فكان الهم قد رسم على وجهه أخاديد لا عهد لي بها. وحضر الجلسة النقيب الجائفي حتى لا نتجاوز في الحديث السؤال عن الحال والأولاد. وقد أخبراني فيما أخبراني عنه أن جيشًا بقيادة الشيخ العُمَري قد وصل إلى إريان ونهب كل ما وقعت يده عليه في حصن ريمان وفي بعض بيوت هجرة إريان وقبض على الأعيان وساقهم إلى يريم حيث أطلق سراحهم عاملها السيد علي أبو طالب، فعادوا إلى البلاد ليجمعوا شمل الأطفال والنساء الذين تفرقوا فرارًا من معرة الجيش، وليبحثوا عما بقي من الأثاث. وكانت أيدي الناهبين قد أمتدت إلى المكتبة التي خلفها الوالد رحمه الله وفيها من الكتب القيمة ما لايوجد في غيرها، وقد أستطاعوا إسترداد بعضها شراءً بالمال. وجاء من يدعو الجائفي فتركنا منفردين وأغتنمنا فرصة الانفراد فأخبراني بما تم في حجة من الإعدامات فقلت لهم إنه قد بلغنا فأخبرونا بمزيد من الإعدامات ذهب ضحيتها السيد حسين الكبسي ومحي الدين العنسي وأحمد حسن الحورش وأحمد البراق والشيخان محمد بن حسن وعبدالله بن حسن أبوراس والنقيب حسن بن صالح الشايف ومحمد صالح المسمري وعبدالوهاب نعمان وعبدالله بن محمد الوزير ومحمد بن محمد الوزير ومحمد بن علي الوزير وغيرهم. وجاء الجائفي ليقول لنا كفاية يا قاضي، فأفترقنا وكانت الأخبار قد ملأت قلبي همًا وحزنًا، فإعدام من أُعدم بهذه الصورة الجماعية وبدون محاكمة وكأنما هم فريق من الغنم، والأخبار عن النهب وما تبعه من أضرار نالت أسرتي وغيرها من أهالي المحل بسببي قد أثقلني حزنًا، ولكنه ليس أمامنا إلا التسليم. وقد هوّن عليّ بعض الشيء أن أخي عبدالله، وهو يخبرني بما حصل، قد أحس ألم وقع الأخبار عليّ فطوى الموضوع وقال لي لا تهتم أبدًا فالمال يأتي ويذهب وكل ما يهمنا هو سلامتك وقد وعدنا الإمام بذلك. وعدت إلى الإخوان وأخبرتهم بأسماء الذين أعدموا مؤخرًا وهالهم الأمر وفزعوا له، وقالوا إذًا فلن يبقي على أحد، فقلت لهم اطمئنوا فإن الذين يعنونه هم الذين يخشى منافستهم وعملهم ضده.

وبعد أيام جاء أخي محمد وكان قبل الثورة حاكمًا في ناحية المخادر فأحسن الإمام إستقباله وعينه حاكمًا في الشعر وقال له لا تتكلموا من أجل الوجيه، يعنيني، فلابد من طلوعنا صنعاء ونطلبه إلى هنالك ونعيده إلى عمله. وشكره الأخ محمد وكان قد رفع إليه قصيدة فيها إستعطاف وقال فيها إننا نطلب محاكمة أخينا فإذا قضت عليه الشريعة بالإعدام فأعدموه ونحن راضون بحكم الشرع، إننا نريد أن نحتكم معكم إلى القرآن. ولما استقبله قال له بل نعفو عنه ونحسن إليه فقال له أخي تكرموا إذًا بفك القيد عنه حتى يحين عفوكم فأمر بفك القيد عني وعن الأخ المعلمي. وجاء الأخ محمد للزيارة ومعه الأمر بفك القيد وكما هي العادة فقد ماطل الجائفي في التنفيذ حتى دفع له مبلغًا من المال. وقد كان هذا الأمر مصدر سرور لجميع المساجين وكان فيهم الشيخ علي بن محسن باشا والشيخ عبدالواحد بن حميد والشيخ أحمد بن حسن باشا فأبدوا من السرور أكثر مما يعطيه الأمر. فقلت لهم أقتصدوا في التفاؤل فقالوا ولِما وقد أنقلب الأمر من الإنذار بالإعدام إلى الأمر بفك القيود هذا بالنسبة لكم فكيف بنا. وقال أحمد بن حسن، وكان يحفظ شيئًا من الأدب (إذا تاب الإمام على ابن ضاوي فبشر كل عاصي بالسلامة).

سجن حجة مرة أخرى

ومرت الأيام وأهلّ علينا شعبان (يونيو ٤٨) وهو الشهر الرابع الذي يهل علينا ونحن في السجن بتعز، وكانوا قد جاءوا بالسيد أحمد بن يحيى الخباني سجينًا، ولم يكن له نشاط في أيام الثورة وإنما أخذ بسابقة صداقته مع الوزير. وقد كان هو أول من يغادر السجن فقد أمر الإمام بإطلاق سراحه بمساعي السيد محمد بن يحيى الذاري، وكان رحمه الله من السعاة بالخير. وبرغم أن السيد أحمد يختلف عنا كثيرًا فقد كان إطلاقه مبعث أمل في الخلاص لأمثاله على الأقل. وأندفع الأمل بقوة حينما دخل علينا في إحدى الليالي سيف الإسلام علي بن الإمام يسألنا عن حالنا ويطلب منا أن نقدم ضمانات بالتوبة النصوح وأن من عاد منا إلى العمل ضد الدولة فقد أباح دمه وماله، وعليه بعد ذلك أن يتقدم بها إلى الإمام ويشفع

لنا. وأسرع كل واحد منا ليحرر الضمانة المطلوبة وبالنص المطلوب وسلمناها إلى الجائفي ليسلمها إلى سيف الإسلام علي ليقدمها إلى الإمام مصحوبة بشفاعته، ولكنه سلمها إلى الإمام رأسًا، ويبدو أنه لم يكن قد أخذ إذن الإمام في هذا السعي الخيري وأخذها الإمام وأطلع على بعضها ثم رماها بعد أن مزقها. وخاب الأمل الكبير، وليس ذلك فقط بل لقد جاء بعد يومين شاعر قبلي من الحيمة وألقى قصيدة شعبية نارية يحرّض الإمام على التنكيل بقتلة أبيه وأعداء الإسلام وعبدة الشيطان الذي سموه الدستور. وقد تأثر بها الإمام وحركت أضغانه فدعا الجائفي إليه وقال جهز من لديك للسفر إلى سجن حجة وسنعين من يصحبهم. وجاء الجائفي وقبل أن يخبرنا بالسفر لنأخذ أهبتنا له دعاني ودعا الأخ المعلمي وأمر بإعادة القيود إلى أقدامنا ولم نفهم في البداية المغزى من ذلك ولكني قلت للإخوان إنه السفر إلى حجة فأعدوا أنفسكم، وكانوا بين مؤيد للحدس ومستبعد له.

وقبيل الغروب جاءونا بالسرات، فرجوناهم أن يفكوا عنا القيود إذ ليس من المعقول أن نقوى على السفر ونحن مكبلون بالقيود بأرجلنا ومغلولون بالأغلال بأعناقنا، فرفضوا وقالوا لن تسافروا على أقدامكم بل على السيارات. ونادوا عليّ أنا والأخ المعلمي والقاضي محمد الأكوع وأخيه القاضي إسماعيل والمشائخ علي بن محسن وعبدالواحد بن حميد وعبدالحميد بن مقبل وأحمد الجلال أحد حراس الإمام الذين نشطوا في الثورة وقرنوا بعضنا في غل والبعض في غل آخر ونزلوا بنا إلى سجن الشبكة وضموا إلينا حمود الجائفي وأحمد المروني ومحمد حسن غالب ومرشد المروله، أحد العكفة، والسعيدي وهو من العكفه أيضًا وحشرونا جميعًا في سيارة شحن واحدة ومعنا أكثر منا من الجنود أهل حجور يرأسهم عامل الحيمه السيد حمود الخاشب. وكان الإخوة مقيدين كل واحد منهم بقيدين وليس عليهم أغلال وكان من حسن حظهم أنهم لم يجدوا غلًا في حبس الشبكة فأضافوا قيدًا للتسوية. وقد يكون العدل مطلوبًا حتى في الظلم ولكن هيهات أن تستوى حالتنا بحالتهم فالغل مع القيد لا يقدر قدرها إلا من جربها وخاصة عند محاولة الطلوع إلى السيارة والذهاب إلى دورة المياه والوضوء للصلاة.

وغادرنا تعز وسألنا السيد أحمد المروني والمقدم محمد حسن غالب عما بلغنا

من محاكمتهما فقال السيد أحمد المروني إنها محاكمة الذئب للحمل والغرض منها التوصل إلى إعدامنا. وأردت أن أطمئنه وقد كان في حالة يأس فقلت له ولما المحاكمة إذًا وقد أعدموا العشرات بدون محاكمة وأنا أرى عكس ما أستنتجته وأنهم يريدون إعفاءكم من الإعدام، فقال عسى الله، وعليه علائم اليأس والقنوط وقد غاضت منه النكتة التي يعتادها ولم يبق له أي أمل في الحياة. وكذلك كان المقدم حمود الجائفي إلا أنه لا يتكلم وقد أراد أن يعبر عن يأسه بطريقة أخرى غير طريقة الكلام والتوجع وذلك عند وصولنا إلى الحديدة فقد طلب من أحد عارفيه من الجنود الموجودين في الحديدة موسًا ليستن به على حد قوله ولكنه كان أحد الإخوة قد سمعه يبدي عزيمته على الانتحار. وجاءوا إلي لإبلاغي الخبر وقمت إليه أنا وزملائي في السرة فقلت له ماذا بلغنا عنك، فقال لا شيء مادمنا نسير إلى الموت فلنخلص إذًا من هذا الإذلال والتعب اللذين نقاسيهما من السفر ومن هؤلاء الجنود. فقلت له يا أخي إن الانتحار يعبر عن أقصى درجات الجبن. لماذا تنتحر فتخسر الدنيا والآخرة وتكون قاتلًا دعهم يقتلوك لتكون شهيدًا من شهداء الوطن، وإذا خسرت الدنيا فقد ربحت الآخرة. أما التعب والإذلال فكل ذلك له حساب وجزاء عند الله تعالى. ومازلت به أُذكّره وأنصحه وأعظه حتى صرف النظر ولم أدعه حتى أستحلفته بالله أن لا يفعل. ولاشك أنه يذكر لي ذلك بعد أن نجا من الإعدام وخرج من السجن وتقلبت به المناصب في أيام الإمام أحمد ثم سجن مرة أخرى وفر وعاد ثم جاءت الثورة فرأت له حقه وعمل في عدة مناصب سفيرًا في القاهرة ورئيسًا للوزراء كنت أنا نائبه في تلك الفترة وعضوًا في المجلس الجمهوري.

وواصلنا السير من الحديدة إلى حجة، وصعدت بنا السيارة على جهد كبير في طريق شقت في تلك الجبال الشامخة التي لا يتصور المرء أن من الممكن أن تسير عليها سيارة. وكم كنت أتمنى مما قاسيناه من التعب أن تهوي بنا السيارة من إحدى الشوامخ لنستريح مما نحن فيه. ووصلنا حجة وأستقبلنا أهلها بالسب والشتم وكان سجن حجه الرهيب، نافع، أرحم بنا مما قاسيناه من حمل الأغلال

والقيود والطريق المتعبة. وكان الجنود يوسعوننا تأنيبًا وسخرية وسبًا ولكن العامل الخاشب هو الذي لم نسمع منه كلمة نابية. ودخلنا نافع وأستقبلنا الحاشدي مدير السجن وناصر علي جرامه أحد الرسم المشهود لهم بالقسوة والغلظة. وقال الحاشدي وأنت معهم يا إرياني الله المستعان، ثم وجه خطابه إلى ناصر علي قائلًا له إبدأ به تخيّر له السّك الكبير. وجاء بالسك وهو عبارة عن حلقتين توضعان في الرجلين بينهما عمود موصول يتعذر معه الجمع بين الرجلين ويصعب معه المشي جدًا. وقد فكوا عنا الأغلال وأبقوا لنا مع السك قيدًا واحدًا بينما أضافوا للإخوان الذين كانوا يحملون قيدين وليس عليهم أغلال سكًا فوق القيدين. وقد حملوني إلى الزنزانة التي أعدت لي حملًا لعدم قدرتي على المشي كما حملوا الكثيرين ممن معنا. وقد كان المكان الذي نزلت فيه أنا والأخ المعلمي مكانًا مظلمًا وبجانب الكنيف المكشوف التي تفوح منه روائح لا تطاق. وكان قد سبقنا إلى هذا المكان وزير المالية في حكومة الثورة الشيخ الخادم غالب الوجيه رحمه الله وهو في نفس الوقت من كبار التجار الذين أسهموا بأموالهم في مساعدة حركة الأحرار في عدن وكان صديقًا حميمًا للشهيد أحمد المطاع. وقد أستقبلنا أحسن إستقبال خفف الكثير من متاعبنا ووزع علينا ما كان لديه من الفراش وكنا ننام على التراب، وأطعمنا وأسقانا وأمدنا بدفعة مما يتمتع به من صبر وتحمّل ورضى وتسليم.

كان وصولنا صدمة عنيفة لكل من في السجن في نافع وفي القاهرة، لأنهم كانوا قد سمعوا عن إطلاقنا في تعز وعن إنفراجات كبيرة، كما بلغهم تمرد بعض القبائل على الإمام أحمد، فقد كانوا يعيشون على الأمل الذي أثبت لهم وصولنا أنه أمل خائب وتفاؤل متسرع. وقد أبدع الشاعر إبراهيم الحضراني في وصف اليأس الذي قضى على الأمل بقصيدة طويلة مطلعها:

الآن آن لمقلتي أن تدمعا ولقلبي المحزون أن يتصدعا

وكان قد رأى ناصر علي جرامة وهو يدق السك على قدمي فأشار إلى ذلك بقوله:

ويجر رجلًا لو يقاس نعالها بجبين سيده لكانت أرفعا

لم نتمتع بمرافقة الشهيد الخادم غالب كثيرًا فقد جاء أمر بنقله إلى القاهرة وأعتبرنا ذلك رفقًا به وعطفًا عليه وتخفيفًا عنه لأن الفرق بين السجنين واسع جدًا. ولكنه لم يمض عليه يومان في القاهـرة حتى صعقنا لخبر يقول أنه قد أنزل مع الأمير علي بن عبدالله الوزير إلى ساحة الإعدام لإعدامهما. ولم نصدق، وظننا أننا نستهدف لحرب نفسية من قبل الحاشدي وجنوده، ولكنا سمعنا صوت الموسيقى وهي تنشد السلام الملكي، وكانت لا تفعل ذلك إلا في أعقاب الإعدام. وجاء المقاطيع الذين كانوا مسجونين معنا في مكان واحد وهم أهل الجرائم من قتله ولصوص ونحوهم، وكانوا يسمحون لهم بالخروج ليأتوا بالماء من الزعبلي، جاءوا ليؤكدوا لنا الخبر ويقولوا أنهم رأوا بأعينهم إعدام الخادم غالب والأمير علي الوزير، وقد أعدمهم أحد الأخدام المقاطيع المجرمين ويدعى علي عياش كانوا يعطونه عشرة ريالات على كل رأس يقطعه. وجاء علي عياش وقلنا له كيف أعدمتهم يا علي وهم الذين قاموا بما قاموا به من أجلك ومن أجل أمثالك، فقال سامحوني يا أسيادي لقد أعطوني عشرين ريالًا على الرأسين وأنا محتاج كما تعلمون، وأنا مستعد أن أعدم كل من يطلبون مني إعدامه إذا أعطوني عشرة ريالات على كل رأس. وصدمنا صدمة كبيرة للحادث وعرفنا أن الشوط بطين وأن الجميع مرشحـون للإعدام وإنما الإمام يريد التوزيع للإعدام بين الفينة والفينة ليستمر الرعب والإرهاب. وهذا هو شأن السجين الذي يعيش في الأماكن المظلمة أنه يبلغ به اليأس إلى حد القنوط ويبلغ به التفاؤل إلى حد انتظار الفرج بين آونة وأخرى.

كان الإمام أحمد بعد أن اطمأن أن أعداءه قد أصبحوا في قبضة يده وتحت رحمته، قد بدأ مجزرة الإعدامات بإعدام الإمـام عبدالله الوزير والسيد زيد الموشكي في القاهره بحجة. ثم توالت الاعدامات في اوقات متفرقة في ساحة الإعدام بحجة فأعدم الأمير علي الوزير ومحمد بن محمد الوزير ومحمد بن علي الوزير وعبدالله بن محمد الوزير والنقباء محمد حسن أبو راس وعبدالله بن حسن

أبو راس وحسن بن صالح الشايف والشيخ محسن هارون وعزيز يعني والخادم غالب الوجيه والأستاذ محمد صالح المسمري والسيد أحمد المطاع والسيد حسين الكبسي والأستاذ محي الدين العنسي الذي أنشد وهو يواجه الموت في ساحة الإعدام:

كم تغربت في سبيل بلادي   وتعرضت للحمام مرارا

وأنا اليوم في سبيل بلادي   أبذل الروح راضيًا مختارا

كما أُعدم الأستاذ أحمد حسن الحورش وأحمد البراق والشيخ عبدالوهاب نعمان وأحمد ناصر القردعي. كما أعدم في صنعاء وتعز علي سنهوب وعلي محسن هارون ومحمد ريحان ومحمد قائد الحسيني وحسين الحسيني وعلي العتمي وجمال جميل العراقي والأميرالاي محمد سري الشايع والعنجبة. وقد مرت الأعوام الأولى على الأحرار في السجن وكلهم ينتظرون أن يدعوا للإعدام ويمثل حال كل واحد منهم قول الشابي:

يمشي على صدري الزما   ن ويزحف الكون الكبير

بعد وصولنا نافع بفترة انتقلنا من ذلك المكان المظلم إلى مكان آخر في الطابق الثاني ينزله السيد الشاعر محمد المطاع رحمه الله وكان هو والشيخ نعمان محمد نعمان والشيخ صالح المقالح والأستاذ قاسم غالب من بقايا سجناء سنة١٣٦٣هـ (١٩٤٤م). وقد نُقل السيد المطاع من القاهرة إلى نافع تنكيلًا به لأنه بعث إلى الإمام أحمد، وكان لا يزال وليًا للعهد، قصيدة فيها الكثير من الاحتجاج الذي أعتبره أحمد غير مؤدب. كان المكان صغيرًا يمكن أن يكون مترين في ثلاثة ومع ذلك فقد ضمني أنا والأخ المعلمي والمطاع والقاضي عبدالله عبدالاله الاغبري وإبن أخيه ياسين محمد عبدالاله وكنا نقاسي من الزحام ونتأسى بقول الشاعر:

سم الخياط مع الأحباب ميدان   وقد تضيق مع الأعدا خراسان

السجن في نافع

في ليلة من الليالي رأيت رؤيا جاء فيها إليّ والدي رحمه الله وخرج بي من الباب الأول للسجن إلى محل الرسم وأنطلق هو نحو إحدى الغرف الكثيرة التي رأيتها أنيقة وجميلة، وأردت أن أدخل معه الغرفة فقال لي لا، عد أنت إلى الحاشدي، والحاشدي هو مدير الحبس، ليفك عنك القيد فقد جاء أمر بذلك. وعدت إلى الحاشدي فقال لي ليس الآن، ادخل وسنطلبك فيما بعد. ودخلت ثم دعاني مرة أخرى وفك عني القيد. قصصت على الإخوان الرؤيا ولدي تفاؤل كبير وقال أحدهم أضغاث أحلام فقلت لكني أرجو أن لا تكون كذلك. ومضت ثلاثة أيام وفوجئت بالحاشدي يدعوني إليه ويكلمني بلطف وفي النهاية قال لي أرني السك والقيد. وظننت أن ناقلًا قد نقل إليه أنّا قد تمكنا من فك إحدى الحلقتين وأنّا نفكه عند النوم، فأريته ذلك ولم يدقق بل قال لي أدخل الآن وسندعوك فيما بعد، تمامًا كما رأيت في الرؤيا. ودخلت والإخوان ينتظرون على أحر من الجمر ليعرفوا سبب الداعي، فقد كان في كثير من الأحيان يدعى أحد الإخوان فلا يعود بل يساق إلى ساحة الإعدام. وانفرجت عليهم عندما رأوني عائدًا ولما أخبرتهم عما قاله الحاشدي، وقلت لعل أحد المقاطيع قد نقل إليه أنّا نفك الأسكاك عند النوم فأراد أن يتأكد. فقال الشيخ علي بن محسن أبدًا إنها رؤيا والدك وسترى. وبعد ساعات جاءني ناصرعلي جرامه يقول لي أن المدير، وكان هذا هو لقب الحاشدي، يريد أن يفك عنك القيد والسك ولكن ماذا ستحول له قيمة قات، فقلت له أن مصروفي لديه فليأخذ ما يريد. وذهب إليه وعاد ليقول تفضل وخرجت وعدت بدون سك ولا قيد وكأنما نشطت من عقال وقد عجب الإخوان للرؤيا التي جاءت كفلق الصبح وجاءت في وقت خيم فيه علينا اليأس على إثر جواب جاءني على برقية إستعطاف رفعتها للإمام وجاء في الجواب ما يلي: (لقد أطّلعنا على برقيتكم إلى الخائن الغادر عبدالله الوزير وفيها تقولون أنها قد تمت الثورة وأصبح الخطباء في كل مسجد يخطبون له من أول جمعة وتم كل ذلك دون أن يُسفك دم بري لكأن الإمام الشهيد وأولاده غير أبرياء وما هكذا تورد يا سعد الإبل ورحم الله والدنا ووالدكم

ورضي عنهم). وتهامس الإخوان أن البرقية تتضمن حيثية الحكم عليّ بالإعدام، وكذلك توقعت أنا فجاء الأمر بفك القيد والسك ليزيل القلق والانتظار ويحيى الأمل.

ومرت بنا الأيام وجاء يوم سابع ربيع سنة ١٣٦٨هـ (٥ فبراير ١٩٤٩م) ويصادف الذكرى الأولى لمقتل الإمام يحيى، فأحيوها بالدرس في كل الجوامع وبإعدام عدد من الأحرار في صنعاء وتعز وحجه. ففي تعز أُعدم محمد سري شايع، والعتمي وسائق السيارة التي كان عليها القردعي ومجموعته الذين قتلوا الإمام يحيى. وفي صنعاء القائد جمال جميل العراقي والحسيني وبقية قتلة الإمام. وفي حجه محسن هارون وعزيز يعني، وكان يومًا مشئومًا بالنسبة إلينا نحن السجناء.

وجاء يوم ٢ جماد الأولى سنة ١٣٦٨هـ (٢ مارس ١٩٤٩م) اليوم الذي ننتظر في صبح غده الفرج العام بصفته أول ذكرى لانتصار أحمد، إذ بالجندي الطيب علي حمود يأتي فيسر إلى أحدنا بأن الخطر يتجه إلى ستة عشر شخصًا، واستبعدنا ذلك إذ معناه الحصاد لستة عشر مسلمًا. ولم يطل بنا الانتظار فقد دعي في ليلة ٣ جمادى الإخوان المروني وعكارس وأبو طالب وغالب سري والشامي والشماحي وصبرة ومحمد حسين عبدالقادر والسلال والمسوري وغالب الشرعي ومحمد المطاع أخو الشهيد والعزي صالح وعلي محمد السنيدار والصفي محبوب وحسن العمري، دعاهم المدير وأمر بالتثقيل عليهم بالحديد وأعادوهم إلى أماكنهم ووضعوا على باب كل مكان جنديًا للحراسة، ومُنِع الاختلاط وأشاعوا أن أمـًرا إماميًا صدر بإرسالهم إلى تعز. وأُقيّم في صبيحة هذا اليوم حفل بالذكرى الأولى للانتصار، وبعده أتجه عبدالله عبدالكريم وأحمد جحاف والعجا وكاتبه توفيق والحاشدي إلى نافع ودعوا إليهم الإخوان الستة عشر ووجهوا إليهم عدة أسئلة حول المؤامرة على قتل الإمام يحيى وعن قتل إبنيه الحسين والمحسن، وهي عينها الأسئلة التي سألوا عنها بعد الحبس، وقد كانت أجوبتهم كلها متفقه على نفي العلم. ولم ترقهم هذه الأجوبة فأمروا بتفريقهم في السجن ومنع إختلاطهم وجثم الرعب على نافع الرهيب. وقد عادوا لاستجوابهم مرة أخرى وجمعوا لهم بين الترغيب والترهيب

ولم يظفروا بأي جواب يخالف ما أجابوا به سابقًا، فتوعدوا أربعة منهم بالجلد وهم السادة أحمد الشامي وأحمد المروني ومحمد عكارس والعزي صالح السنيدار، فلم يتغير موقفهم. وظنوا أن التهديد مجرد وعيد لا يمكن أن ينفذ.

وفي اليوم الثاني نفذوا وعيدهم فجلدوا كل واحد منهم أربعين جلدة وقد تولى جلدهم الرسمي الفظ غليظ القلب فاقد الضمير ناصر علي جرامه فأوجعهم ضربًا. فعادوا وأجسامهم متورمة ومحمرة وبعضهم دامية فأسعفناهم بما لدينا من وسائل قليلة وشنينا حربًا حامية على الرسمي اللعين وتعاطف معنا بعض الرسم بما فيهم الحاشدي. وكان موقفًا غريبًا أن يعطف هؤلاء القساة وهم الذين سبق لهم أن قادوا عددًا من رجالات اليمن إلى الإعدام دون أن يرف لهم جفن. لقد جاءت الأوامر بالجلد مخالفة لعوائدهم وتقاليدهم فاستنكروها حتى قال الحاشدي: «مع الإمام سيف أما الجلد فما ترضاه القَبْيَلة»، يعني أنه يفضل القتل على الجلد. وقد أستمر الجلد خمسة عشر يومًا ولكنه كان ضربًا خفيفًا وكان الإخوان يلبسون الثياب الغليظة كالمعاطف والكروك[1] ويلبسون عليها ثيابًا خفيفة لإخفائها، ولو أنه أستمر الجلد كما كان في اليوم الأول لقضى على حياتهم.

وقد استمرت الحراسة ومنع الاختلاط ثلاثة أشهر وكان الغرض منها الإيلام، وقد اعتبرناها نهاية لوسيلة الإعدامات التي ملتها النفوس وأشمئزت منها الضمائر، وبعد أن انتشرت أخبار السفك والقتل فصورت اليمن في الخارج في صورة مسبعة أو مجزرة. وبينما كان أهل حجة يسرعون إلى ساحة الإعدام لينعموا بالمناظر الدموية البغيضة أصبحوا لا يحضرون إلى حفلات الإعدامات إلا بالقوة أو الحيلة كما فعلوا حينما أعدم هارون ويعني، فقد زعموا لهم أن الإمام سيصل فخرجوا لاستقباله حتى واجهتهم الاعدامات فعاد أكثرهم أدراجه.

وفي ١٩ رمضان ١٣٦٨هـ (١٦ يوليو ١٩٤٩م) مرضت مرضًا شديدًا أشفى بي على الموت وكنت أفقد الوعي وأهذي هذيانًا غريبًا كتب الإخوان أحمد المعلمي

(١) جمع كرك وهو معطف يتخذ من فرو الغنم الأسود ويغشا باطنه بقطعة من الجوخ.

وعبدالله عبدالاله الأغبري معظمه. ومن أغربه أنّا كنا في يوم من الأيام، قبل المرض، نتذاكر عن بيت شعر للمتنبي وأُنسينا صدر البيت، وحاولنا تذكره وسألنا كل أديب ومتأدب فلم يذكره أحد. وحينما كنت أهذي خيل إلي أني أتكلم مع الولد محمد بن عقيل الارياني وأني سألته عن صدر البيت فأملاه علي ورددته عنه وكتبه الإخوان. ومرة أخرى كأني مع السيد محمد الذاري نتذاكر في تفسير آية فقلت له آتنا بتفسير المنار، وكأنه جاء به إليّ فأمليت نحو صفحة من تفسير المنار. ومرة أخرى كأني قد أُطلِقت ووصلت إلى البيت وأنهم أخبروني أن ابنتي الصغرى ماتت وأنا في السجن وأنهم كتموا عني ذلك لكي لا يزيدوا في همومي، وكتب الإخوان ذلك. وبعد فترة جاءني رسول من إريان بالمصروف وسألناه هل من خبر وكيف الأولاد فقال كلهم بخير فقلت له والبنت الصغرى فقال يرحمها الله وسألنا متى فعرفنا منه أن الموت كان قبل مرضي وعجبنا وعجب الإخوان.

الإنتقال إلى حبس القاهرة

وفي شوال ١٣٦٨هـ (أغسطس ١٩٤٩م) رفع مدير نافع كما رفع الإخوان إلى الإمام خبر مرضي الشديد ولا طبيب إلاّ متطبب يدعى محمد الخميسي وأنا مصاب بحمى التيفوس فجاء الجواب بنقلي أنا والأخ المعلمي والقاضي عبدالله عبدالاله والقاضي محمد الأكوع والصفي محبوب والقاضي أحمد العنسي إلى سجن القاهرة. وتشاءم المتشائمون وظنوا أنّا سنخرج منها إلى ساحة الإعدام كما فعلوا بالخادم غالب، وكنت في حالة من المرض أتمنى معها الموت وأتوق إلى الشهادة. ولكن كيف لي بالصعود إلى القاهرة وأنا في تلك الحالة. وجاءني مدير نافع بجنديين قويين تناوبا حملي على ظهريهما إلى أن بلغا بي القاهرة وكان خروجنا من نافع في الليل وحينما شممت الهواء الطلق شعرت بالعافية. وكنت في كل يوم أحسن مني في الذي قبله حتى استعدت عافيتي. وكان قد سبقنا بالخروج من نافع إلى القاهرة الأستاذ أحمد نعمان والسيد حسين الحوثي والسيد عبدالملك المطاع وعلي عقبات وأحمد العنسي ومحمد العلفي ثم تبعنا بعد حوالي سنه عدد

كبير ممن بقي في نافع فيهم السيد أحمد الشامي وحمود الجائفي وعبدالسلام صبرة وحسن العمري ومحمد حسن غالب وإبراهيم الحضراني وعبدالله السلال وغيرهم.

في القاهرة كان رؤساء الرسم الهندي رئيس النظام والشيخ راجي شيخ الأهنوم والشيخ محمد حزام والشيخ حزام البرغشي شيخا حجور، فلم يطمئن الإمام إلى حراسة النظام لوحدهم ولا حجور بمفردهم ولا الاهنوم بشيخهم فجعلهم كلهم حراسًا على المساجين يتحكمون فيهم وينوعون إيذائهم، وكانوا فوق ذلك كالضرائر.

رضى هذي يهيج سخط هذي فلا نخلو من إحدى السخطتين

وعند نقلي إلى القاهرة جاءوا جميعهم يريدون أن يعيدوا القيد إلى قدمي. وعبثًا حاول الإخوان أن يفهموهم أن القيد قد فك عني وأنا في نافع بأمر من الإمام، فقد أصروا على أن واجبهم هو أن يقيدوني ولا مانع لي من أن أراجع الإمام. ومرة أخرى حملت القيد وراجعت الإمام الذي لم يرد على برقياتي المتتابعة. وجاء سابع ربيع الثاني سنة ١٣٦٩هـ (٢٦ يناير ١٩٥٠م) أي الذكرى الثانية لمقتل الإمام يحيى واكتفوا بالدرس في المساجد، ولم يقربوا قرابين الدم بل جاء بعد أيام منها الإذن بخروج الأستاذ نعمان نهارًا إلى حجة حيث كان أهله قد جاءوا إليها وأعطي بيتًا ليضمه معهم. وقبيل ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩هـ (٢٠ فبراير ١٩٥٠م) وهي الذكرى الثانية لانتصار الإمام وفشل الثورة استدعى الإمام أحمد الأستاذ نعمان إلى تعز ليحضر الاحتفال بما كانوا يسمونه عيد النصر. وقد حضر الاحتفال وألقى خطبة رنانة يمجد فيها الإمام ويشكره على عفوه عنه، وكان الناس يقولون أنه أول من يُعدَم، وطلب العفو عن من بقي من المساجين. كانت الخطبة هي ما يقتضيه المقام ويطابق الحال ولكن بعض الإخوان انتقدوا الأستاذ لأنه تزلف للإمام على حساب المبادئ وقلت لهذا البعض أنا متأكد أنك لو طُلبت من الإمام وطلب منك الكلام لقلت في تمجيده أكثر مما قاله الأستاذ نعمان، وأنا الآخر لو وقفت في موقف الأستاذ لقلت ما قاله وليس في وسعي أن أقول غير ذلك لأني أخطب

بين يدي طاغية وحيثيات الحكم علي بالإعدام لا تزال قائمه، وكلنا يعرف نزوات الإمام ونفسه المشحونة بالغضب والحقد معًا وأنه كما قال السيد أحمد المروني على سبيل النكتة لو تعثر في مكانه لقال أعدموا أحدهم في حجة. والأستاذ نعمان إذًا معذور بل هو لم يقل ما نلتمس له فيه العذر.

كان الأستاذ نعمان يظن، وكنا نظن معه، أنه لن يعود إلى حجة وأنه سيستدعي عائلته إلى تعز. ولكن بعد ثلاثة أيام من يوم ١٣٦٩/٥/٣هـ (٢٠ فبراير ١٩٥٠م) فوجئنا به يصل إلينا ليفاجئنا في ليلة من الليالي بدخوله، فقد عاد ليعيش في حجة نهارًا مع أهله ويعيش في السجن ليلًا واستغربنا تقلبات الإمام بين الرضى والسخط والعفو والانتقام، وقررنا أن لا أحد يطمئن ويأمن نزواته حتى ولو كان قد أطلق سراحه.

وبعد سنة شكونا إلى الإمام ما نقاسيه من الروماتيزم لطول المكث وعدم الحركة ورجوناه السماح لنا بالقيام بالدورة يوميًا مع الحرس ونعود محبسنا قبل الظهر وجاء الجواب في شهر جماد الأولى سنة ١٣٧٠هـ (فبراير ١٩٥١م) بالموافقة على خروجي وخروج الأخ المعلمي والقاضي عبدالله عبدالاله الأغبري والأخ القاضي محمدالأكوع وأولاد الوزير أحمد بن محمد وأحمد بن مُحُمد وعبدالصمد وعباس أبناء محمد بن علي وأولاد علي الوزير إبراهيم وعباس وقاسم وزيد، وشعرنا بإنفراجة ولم يعد السجن ثقيلًا كما كان.

الوشاية ومنع الخروج من السجن

مرت بنا أيام ونحن نخرج الصباح ونعود في الظهر مما مكننا من التعرف على جميع المناطق حول حجة. وفي ذات صباح وكنا خارجين كالعادة قال الحراس (يسك)، وهي كلمة تركية مما خلفته تركيا في اليمن من تعليمات الجيش ومعناها ممنوع. وقلنا لماذا، فقالوا لقد جاء من الإمام إلى النائب الأمر بالمنع وأطلعونا على النص وهو كما يلي:

من الإمام إلى نائب حجة حرسه الله

نسأل الله لكم الشفاء والعافية تأملوا هذا واعملوا به. جميع الموقوفين في القاهرة والمنصورة الذين أذنا لهم بالدورة يكون منع الجميع فالأيام أيام برد اعرفوا هذا والسلام عليكم. ٢٩ صفر سنة ١٣٧١هـ (٢٩ نوفمبر ١٩٥١م)

وقد أبرقنا بما يلي إلى الإمام:

مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله.. في الوقت الذي كنا ننتظر فيه رحمتكم بالإطلاق فوجئنا بالمنع من الدورة التي لم نحرص عليها إلا لأنها دليل رضاكم، وليقيننا بعدم السبب منا فقد كانت دهشتنا عظيمة إلى ما نتصوره من شدة الصدمة على عائلاتنا المرتقِبَة إنعامكم بالإطلاق فإن يكن قد افترى مفتر ممن اولعوا بإيغار صدركم على المنيبين فبحق الله وحق رسوله أن تأمروا نائبكم بطلبنا معه ليظهر لكم كذبه وسوء قصده في تغيير قلبكم الرحيم. ٦ ربيع الأولى ٧١هـ (٥ ديسمبر ١٩٥١م)[١].

لم يذكر الإمام سببًا في البرقية ولكن لا بد أن ثمة سببًا، قد تكون وشاية من أحد المنافقين في حجة. ولم نكن أبدًا نتصور أن الوشاية آتية من أحدنا وممن يضمنا وإياه دار واحدة ومحبس واحد ومصير واحد حتى جاءنا في ليلة من الليالي الأستاذ نعمان ليقول لنا أن سبب المنع رسالة من أحد المساجين معنا وقصيدة من آخر تجاوز الله عنهما. والرسالة تقول أنَا ندعو إلى القحطانية ونكفر بالإمامة ونعادي ونحتقر السادة ونريدها جمهورية إلى غير ذلك. ونحن في الحقيقة لم نكن نحتقر السادة، وكل ما كنا ندعو إليه هو التآخي والتسوية وعدم الاستعلاء، وكنا نشجب العنصرية، وكان قد كبر عليهم أن يقول أحدنا لأحدهم يا أخ فلان دون أن يناديه بيا سيدي فلان. أما قصيدة الثاني فهي تحريض وإثارة لعصبية الإمام أحمد واستعداء له علينا، ولكن الإمام أحمد لم يعمل أكثر من منعنا عن الدورة. وقد أكبرنا فيه روح التسامح بعد أن عرفنا ما ذهب إليه من الدس والافتراء والتحريض والاستعداء ومن زملاء لنا وشركاء في القضية.

(١) نسجل هذا النموذج للمراجعات الخانعة التي كنا نبعثها دون جدوي.

وقد استمرت الوشايات والتحريض، وفزعنا لاستمرارها وحسبنا الوشاية قد نجحت حينما خطب الإمام في عيد النصر وقال في خطبته (إن أناسًا يحلمون بحمار عزير ويلهجون بالجمهورية وهيهات وما نرى إلا أن رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها) ثم أنشد:

ماذا يريدونها لا در درهم إن الخلافة لايطوى لها علم

وقد صدرت صحيفة النصر التي كانت تصدر في تعز وفيها يقول الإمام أحمد إن هؤلاء الذين وضعناهم في دار الأدب، أي دار الاعتقال، أرى رسلهم تختلف، ولكني أسمع فأتصامى وأنظر فأتعامى، وما ينتظر الخاسرون إلا كما ينتظر اليهود حمار عزير على أنهم يهدفون إلى شيء خيالا ويريدون من الأمر محالًا فستحصدهم السيوف قبل ذلك ثم أنشد البيت.

الرد على الوشاية

وكنت قد رأيت أن أبعث للإمام رسالة أُكَذّب فيها الوشايات وأشرح خطورة فتح المجال للكلام على العنصرية التي نرفضها نحن فتفرض علينا وتنسب إلينا كذبًا وزورًا. فكانت خطبة الإمام من الدوافع لنا إلى تعجيل إرسال الرسالة لأنّا فهمنا منها أن الدساسين قد أصابوا هدفهم من رفع ما رفعوه، وقد أرادوا به التقرب إلى الإمام من ناحية والإضرار والتنكيل بنا من ناحية أخرى. فبعثت رسالة مطولة فيها الكثير من الخنوع والخضوع والتزلف، يخالف ما ننطوي عليه، وإنما جاء بعد أن خطب الإمام خطبته في عيد النصر وفهمنا أنه يعنينا تأثرًا بالوشاية التي تقول أنّا نريدها جمهورية لا إمامة، وقد جاء في الرسالة:

[إنه لما كان المعهود من جلالتكم أنكم إذا بدأتم إحسانا تممتموه وإذا أسديتم جميلا صنتم صفوه عما يجلب الكدر ويعكس الأثر، وقد كنا ممن أذقتموه حلاوة إحسانكم بعد تلك الحوادث الأليمة فلمسنا بوادر رضاكم وشممنا بارقة الخير من حسن التفاتكم بالإذن لنا بالدورة وبما سمعنا من وعودكم الجميلة. واعتمادًا عليها انتظرنا الخطوة الأخيرة التي تعيدنا إلى حظيرة رضاكم وتنشلنا من الهوة السحيقة التي أوقعنا فيها إعراضكم عنا وغضبكم علينا فإذا بنا نفاجأ بالمنع من الدورة أولًا ثم ما تعقبه من إعادة القيود من دلائل تغير الوجهة الشريفة كان

آخرها الخطاب الملكي في عيد النصر فعرفنا أنكم لم تخالفوا المعهود ولا فارقتم المألوف من خلائقكم النبوية الشريفة إلا لسبب من الأسباب المعقولة، فعدنا حينئذ إلى أنفسنا نناقشها الحساب ونشدد عليها في الاستجواب ونستعرض ماضينا لعلنا نعرف السبب أو نقف على ما يصح أن نعلل به ما طرأ من تغير فخرجنا من ذلك النقاش باليقين الكامل أنه لم يكن منا سبب ولا شبه سبب يغير مجاري أنظاركم. ففهمنا أنّا ضحية وشاية دنيئة من خسيس مغرض، ولكنا كنا نجهل نوعها إلا ظنونًا وتخريصًا.

وأنا قبل أن أسرع في الرفع عمّا أريد كشفه أستميح من جلالتكم العفو عن كثرة شكوانا من الوشايات والواشين وأؤكد لمولاي أنه ليس معنى ذلك أنّا نتهم عدالتكم بالأخذ بالوشاية لمجردها والتأثر بها على علاتها وأن تجرّمنا من ذلك وكيف وجدكم المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم قد تعرض لمثل هذا التأثر حين جاءه الفاسق الوليد بن عقبة يخبره أن بني المصطلق ارتدوا وامتنعوا عن أداء الصدقة فبعث عليه السلام خالدًا لقتالهم ولولا أنه وجدهم ينادون بالأذان للصلاة، الأمر الذي كشف كذب المخبر، لأوقع بهم. ولولا أن الوحي كان يقطر سلسلًا من سلسل لكانت النتيجة العمل بالوشاية قبل التثبت بالسيئة. ولكن الله تعالى ما كان ليقر رسوله على خطأ صونًا لجانب العصمة فأنزل قوله سبحانه: يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا.. الخ. فأمر المسلمين وعلى رأسهم رسوله بالتبيّن والتثبت في مثل هذه المواقف وحذرهم من العمل قبل ذلك فيصيبهم الندم لعلمه تعالى بأن الناس قلما يخلون من الأغراض والأهواء. ومرة أخرى أستميحكم العفو وأرجو أن تسمحوا لي بأن أقدم بين يدي جلالتكم كلمة صريحة هي بالنصيحة أشبه منها بالتبرئ والتخلص.]

وقلت في رسالتي:

[يا أمير المؤمنين إن ظلام الحيرة التي أوقعنا فيه إعراضكم عنا بعد بوادر الإقبال ووعيدكم بعد الوعد بالأفضال عامًا وبعض العام حتى فهمنا أخيرًا أنها رفعت إلى مقامكم وشايات من السجن نفسه استخدمت لها عدة وسائط من أذناب وأذيال الوشاة داخل السجن وخارجه. وهذه الوشاية من شأنها أن توهم جلالتكم بأن هناك من يفكرون بالدعوة إلى العصبية الجاهلية التي جاء الإسلام لمحوها ومحقها والتي ما من حق أمرء مسلم أن يفكر فيها أو يدعو إليها والتي أهون أضرارها أن تقسم الأمة إلى معسكرين بعد أن تمتعت بالوحدة الوطنية المتينة طيلة حكم مولانا الإمام الشهيد رضوان الله عليه الذي كان يحرص الحرص الشديد على هذه الوحدة. وذلك المعسكران يا مولاي هما السنة والشيعة أو الزيدية والشافعية أو القحطانية والعدنانية. وهذه الفكرة لا وجود لها في عالم الحقيقة وإنما أوحت بها حالة السجن ونسجتها خيالات أناس فقدوا مراكزهم فأرادوا أن يفرضوا سيطرتهم على إخوانهم المنكوبين معهم فيتخذون منهم خدمًا بينما يحلون هم محل الأئمة الذين يجب أن نقدس ونحترم حقوقهم، ولما استشعروا المقاومة من الجانب الآخر ألصقوا بهم هذه التهمة فأرادوا أن يستعيدوا ما فقدوا من مكانتهم وسمعتهم بإحياء هذه الفكرة التي تثير الأحقاد والضغائن وتحدث الشقاق والفرقة وليست في صالحهم كأقلية ولا في صالح أي من الطرفين. وهم مع ذلك يتوهمون أنهم يستجدون بها عطفكم، ويثيرون عاطفة القرابة والرحم، ويوهمونكم

أنكم جميعًا أمام خطر مشترك فيقربهم هذا منكم يقضون بذلك بيدكم على أناس قد فهموا منهم بعد محاولات كثيرة أنهم لن يتعاونوا معهم في وقت من الأوقات. وغرض ثالث وهو خلق مشكلة لحكومتكم يستغلونها في مصلحتهم وأقل أضرارها أن تخلق وحشة وسوء تفاهم وفقدان ثقة بين الحكومة ورعاياها، وتنزل الضرر ببعضهم مما يتفاقم ضرره على مر الأيام ويدعو إلى الاضطراب والقلق في البلاد.]

وقلت في الرسالة إن مصدر الوشاية لا يتعدى مصدرين كلاهما يعيش على أحلام إنتظار الخلافة والطموح إليها فمن لم يلزم جانب التقديس لهم ويسايرهم في أفكارهم الأشعبيه فهو ناصبي، أو بعبارتهم الحديثة قحطاني يدعو إلى العصبية الجاهلية ويرفض أهل البيت، وهم لا يرون بأهل البيت إلا أنفسهم لا سوى، وأنهم كثيرًا ما لوحوا لنا تارة وصرحوا أخرى، كلما حصل نقاش واصطدام يوجبهما ضيق السجن وكثرة الإحتكاك واستحكام الأنانية أو بعبارة أخرى التأله في تلك النفوس المريضة بالتزمت والعصبية، بأنهم سيرفعون إلى الإمام بشأننا وأننا ما كنا نلقي بالًا لهذا الوعيد على أساس أنه لن يجد رافعه إصغاءً، عملًا على الأقل بالمثل العامي الحكيم، إذا كان المتكلم مجنون فالمستمع بعقله. وقلت للإمام في الرسالة بأنه قد كان يخطر في البال أن يقول قائل عني بأني ممن يرغب في دخول البلاد في الوضع الإصلاحي في عهده أو نحو هذا ولكني ما تصورت في يوم من الأيام أن يقول قائل إني أوصي بدعوة الجاهلية وأستجيز تفريق الجماعة أو أنحرف في عقيدتي عن الجادة. وإني أرى هذه الفكرة من السخف بحيث أخجل أن أحدث بها نفسي فضلًا أن أشافه بها غيري. وذكرت له كيف كان والده الإمام يحيى يحارب المظاهر العنصرية حرصا منه على تماسك وحدة الأمة اليمنية حتى أنه اعتقل السيد العلامه علي بن يحيى عقبات لا لشيء إلا لأنه كان يخطب خطابة تثير طائفة من الأمة لها مذهبها الخاص حين تجاوز مدح أهل البيت إلى النيل من السلف الصالح.

ورويت له حادثة حضرتها وسمعت ما دار فيها بين الإمام يحيى وبعض طلاب المدرسة العلمية في مطلع إفتتاحها فقد حدث أن اصطدم السادة الكباسيه من طلاب المدرسة العلمية بالطالب عبدالقادر بن إسماعيل أبا سلامة والقاضي

حسين العنسي الأبيين الشافعيين في مناقشة حول الصحابة افضت إلى سب الكباسية للثلاثة الراشدين رضي الله عنهم، مما حمل عبدالقادر إلى أن ينال من أمير المؤمنين علي عليه السلام، ونمى الخبر إلى مسامع الإمام يحيى فجاء في اليوم التالي إلى المدرسة وجَمَع الطلبة ونصحهم بوجوب التآخي وتجنب الخوض في هذه المسائل ووبخهم على ما حدث، وكان حظ الكباسية من التوبيخ أوفر. وبعد أن وبّخَهم وقرّعهم التفت إلى عبدالقادر وقال له «وأنت إذا كان في قلبك خبث فخليه في قلبك ولا تظهره أمام المتعصبين فيؤذونك».

وقلت للإمام بأن من يمكن أن يكون عدوًا له هم أعداء بيته القاسمي من الأسر الهاشمية التي تطمح إلى الحكم وتشرئب أعناقها إلى عرش الخلافة وهو يعرفهم حق المعرفة. أما نحن فإن أقصى ما يطمح إليه الطامح منا هو أن ينال وظيفة تليق به في ظل حكمه وأن يصبح من المقربين العاملين بإخلاص. وقلت له إني من أسرة يعرف مقدار تعلقهم بأهل البيت وأنهم بذلوا في ذلك النفس والنفيس في وقت كان يعتبر التعلق بأهل البيت جريمة تبيح العرض والدم في العهد العثماني. ونحن وإن كنا لا نتوقف على نصوصهم في الفروع فلأنّا عملنا بأصل من أصولهم وهو (إن كل مجتهد مصيب). والاجتهاد يتبعّض والملتقى مع ذلك واحد وهو الكتاب والسنة.

وختمت الرسالة بالقول:

[يا أمير المؤمنين إني أهيب بعدلكم الوفير وعقلكم الكبير وحمكتكم الموفقة إلى طول النظر والتأمل في عواقب الإصغاء إلى مثل هذه الوشايات التي يريد بها صاحبها أن يصيب بسهم واحد أكثر من هدفين. وأعيذ جلالتكم بالله أن يجد المغرضون سيئوا النية من جلالتكم بالإصغاء إليهم واضع بذور هذه الفكرة الخبيثة المفرقة بين أبناء الأمة التي تنتظر منكم حفظ وحدتها وجمع شتاتها، وتنظر فيكم باعثها من رقدتها، في هذه الحقوب التي يعيش فيها طائشون وناشئون أغرار لا يقدرون من عواقبها ما نقدره ولا يعرفون من نظر الدين إليها ما نعرف. أقول هذا وأنا في السجن لا أعرف ما يجري وراء جدرانه، ولكني متأكد أنها فكرة ميتة لا حياة فيها إلا في أدمغة المغرضين الموسوسين. ولكنكم إذا ألقيتم إليها بالًا منحتموها الحياة في محيط الطائشين الأغرار، فالمقاومة كما قيل عنصر من عناصر البعث لميت الأفكار. فتأملوا هذه الجملة جيدًا وجلالتكم خير من يعرف ما يهيج النفوس ويسكنها، وأنتم أعظم من ساس هذه الأمة على الطريقة الحكيمة التي وضع أساسها الإمام الشهيد رحمه الله.]

بعث الرسالة بتاريخ ١٣ شوال سنة ١٣٧٢هـ (٢٥ يونيو سنة ١٩٥٣م) بواسطة رئيس الهيئة العلمية السيد أحمد بن محمد زبارة وكنت أعرف أنه من أكثر الناس بعدًا عن إثارة العصبية العنصرية أو ما يسمى بالعدنانية والقحطانية وأكثرهم تحذيرًا منها لأنه درس التاريخ ويعرف كم دماء سفكت بين العدنانية والقحطانية في الأندلس وغير الاندلس جرّت على الإسلام الوبال والنكال بسبب هذه الدعوة، ويعرف أن الدعوة إليها دعوة إلى العصبية الجاهلية التي جاء الإسلام لمحوها واستئصالها، ولهذا فقد أدّى الأمانة وسلم الرسالة إلى الإمام. وجاء رد الإمام عليها ببرقية يقول فيها: من الإمام إلى القاضي عبدالرحمن الإرياني بواسطة النائب وصلت رسالتكم المطولة ولا نعلم شيئًا مما ذكرتم ولا ندري من شوش عليكم ونحن لا نرضى بشيء مما ذكرتم الخ. وأطمأنينا إلى أن رسالتنا قد وصلت إلى الإمام وعملت عملها وأنها قد نجحت في محو ما علق بذهن الإمام من آثار وشاية الأخوين سامحهما الله.

أما كيف عرف الأستاذ أحمد نعمان أمر رسالة وقصيدة الوشاية فذلك ما يجب أن نسجله إعترافًا بالفضل لأهله. فلقد كان الأستاذ أحمد أستاذًا للسيد أحمد إبن عبدالملك المتوكل نائب حجة، وكان هذا شابًا متفتحًا ومتطلعًا إلى الجديد الذي وجده عند الأستاذ أحمد نعمان، وقد أشمئز ضميره من كيد بعض المعتقلين لبعضهم والطعن في الظهر فأسرّ إلى الأستاذ بأمر الرسالة والقصيدة، ولم يكتف بذلك بل طلب منه أن يبلغنا وأن ينصحنا بتحرير رسالة تبطل مفعول الوشاية وهكذا كان. وقد أستأثر الله بهذا الشاب النبيل بعد سنوات وكان أن رثيته بقصيدة مطولة وفاء بحقه علينا قلت فيها:

خطب اسال الدمع من مقلتي	**وأضرم الأحزان في مهجتي**
أذاب قلبي بأوار الأسى	**وأطلق المقصور من عبرتي**
ويلي من الأيام مابالها	**ماتأتلي تفتن في محنتي**
ما سلمتني كف احداثها	**من نكبة الا إلى نكبة**

تـريـد مــن إعنَـاتـهــا أن ترى ممتـهـنًـا مـاصـنـت مـن دمعتي

ولــم أهـــن دمـعــًا عـلـى عزه أيــام كــان الـصـبــر فــي حوزتـي

امــا وقــد أفـضـت إلــى مقتل مــنــي فــأصــمــتــه عــلــى غــرة

وفـوقـت سـهـمًـا لـهـا بـعـد أن أفــرغـــت الــســم عــلــى النبلة

فـكـيـف بـالـصـبـر عـلـى جـرحـها والخـطـب قد أريـى عـلى قدرتي

أبـعـد ذاك الـكـوكـب المـرتجـى فـي أفـق الـتـجـديـد والنهضة

مـن كـان بـدرًا فـي سمـاء العلى يـنـيـر لـلـساريـن فـي الظلمة

ويـوضـــح الـنــهـــج لشبابنا إلــى الـعـلــى والمجـد والـعــزة

ومنها:

يــحــارب الـكـيـد ولا يرتضي مــا يـنـسـج الافــاك مـــن فرية

اخــلاقـــه كـــانـــت لإخـــوانـــه كـالجـانـب المظـلـول فـي الروضة

قـــول كـــريـــم وفـــم بـاســم وكــل مــا يـحـمـد مـــن شيمة

ومنها مخاطبًا لوالده:

وأدّرع الـصـبـر فـإن الأسى قسّمه المقدار بالنصفة

مصابك اليوم مصابي وهل انسى الذي أسداه من نعمة

هيهات ان أنسى وقد جاءني فقيدنا المرحوم في البكرة

وقــال بـشـراك فـهـا أنني أحمل اطلاقك في راحتي

ووجـهـه يُـنْـبِـئُ عـن بشرة بـأنـه شـاطـرنـي فرحتي

تالله لا أنـسـى أساريره مشرقة تطفح بالنشوة

وطـلـعـة مـنـه رأيـنـا بـهـا ايمن ماعاينت من طلعة

لــذا تـرانـي مـا تمثلتها إلا حللت الغرب من مقلتي

وانت أن تصبر فأنت الذي يعلم الناس هدى السنة

وأن يذب قلبك حزنًا فقد قام لك الحادث بالحجة

الحياة داخل السجن

كانت الحياة في نافع مؤلمة فقد كان نافع قبر الاحياء، ولكن بعد انتقالنا إلى سجن القاهرة تحسنت الأمور وتسنى لنا العيش عيشة مقبولة. وقد تيسر لنا في القاهرة الكتابة والمطالعة في العديد من الكتب[١]، منها ما كان يصلنا علنًا بموافقة نائب حجة ورَسَم السجن ومنها ما كان يدخل خلسة. كما تمكنا من إرسال الكثير من الكتابات إلى خارج السجن إلى الإخوان في إريان أو غيرهم، وقد كنا نرسل ذلك بالبريد بعد اطلاع الرَسَم على ذلك والموافقة عليها. أما ما كنا نرغب في اخفائه فقد كان يرسل سرًا بطرق متعددة، منها أن توضع الرسالة بين طبقتين من طبقات أغلفة الكتب، التي كان كثير منها من الكتب المخطوطة واغلفتها من الجلد المبطن بطبقات من الورق، ويتم غراء الطبقتين ببعضها فلا يشك أحد في وجود شيئ بينهما. كما أن الحركة داخل السجن، وفيما بعد خارجه أيضًا، كانت متيسرة لنا مما خفف الكثير من الضيق.

وقد كانت المراسلة بيننا وبين الاخوين عبدالله ومحمد والاولاد في إريان أسبوعيًا عن طريق البريد ومع من يرسلونه بحاجتنا من الفلوس والمؤنه. وكنا نكتب للاخوان كل ما يدور في السجن من أخبارنا وأحوالنا[٢] كما كانوا يكتبون لنا ما يستجد في أحوالهم ومراجعاتهم المستمرة للإمام وردوده عليهم، مما كان يخفف

---

(١) انظر الملحق رقم (٧) وهو عبارة عن قائمة ببعض الكتب التى تركناها خلفنا عند الخروج من السجن. ورسالة إلى الاخوان تحوي قائمة بكتب قرأناها وأعدناها إليهم.

(٢) لاعطاء القارئ فكرة عن ماكان يشغلنا ونحن في السجن، يمكن الإطلاع على الملحقين رقم (٨) الذي يحتوي على بعض صفحات من مذكرات السجن التي كنا نسجل فيها الماجريات اليومية، كما يحتوي الملحق بعض الرسائل العلنية، ورقم (٩) ويحتوي علي بعض الرسائل السرية.

عنا وحشة السجن ولوعة الاشتياق أحيانًا، أو تزيد الحزن والألم عندما تحمل ما لا يسر من أخبار الأسرة وأحوالها، كما كان الأمر عندما حمل لي البريد نبأ مقتل الولد عبدالقدوس بن أنس الارياني، الذي قتله أجير لهم وهو طفل لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره لخلاف تافه حول قطعة أرض. وقد آلمني مقتله كما آلمتني أسبابه مما حدى بي إلى إرسال رسالة مطولة إلى الإخوان أحثهم فيها على تغيير سلوكهم نحو الشركاء والأُجراء، وأنصحهم برأيي فيما يجب أن يكون عليه الحال، وقد قلت لهم في الرسالة:

[هذا هو سابع كتاب مطول أكتبه إليكم من السجن عن غير طريق البريد، أرجو أنها وصلت وأنها كلها محفوظة. كما أرجو أن تحفظوا كل كتبي إليكم سواء ما في البريد أو غيره. وأريد أن أتحدث إليكم بهذا الكتاب عما لا يمكن أن أحرره في البريد، إما لأنه مما لا تسمح به الرقابة أو لأني لا أحب أن يطلع عليه المراقبون. ولا أريد أن أخبركم عن شيئ من أحوالنا فإنها معلومة لديكم ولا مانع من أن نوضح متجددها في البريد، وإنما أريد أن أخبركم عن أحوالكم أنتم، فإنها في المدة الأخيرة غير مرضية، أي أنها ليست كما أحب أن تكون، والماجرايات الأخيرة زادت حالتي سوءًا إلى سوء، وحادثة قتل الولد عبدالقدوس تركت في نفسي أسوأ أثر لأنها الأولى من نوعها، فلم يسبق لها نظير ولا حدّث محدِّث نفسه بارتكاب مثلها، حتى في أيام الفوضى، فجعلت أفكر في الأسباب الدافعة لهذا المجِرم إلى جريمته الشنعاء التي لا أسوة له فيها ولا سلف. فلم أهتد إلى سبب معقول غير القول بأنه إستعمال الشدة وزيادة الضغط والإضطهاد وعدم التسامح والرفق في هذا العصر الذي أصبح فيه الإستعباد والإسترقاق أو السخرة وإستغلال مواهب الغُير ومتاعبه من الجرائم التي لا تغتفر، والاثقال التي لا تحتمل، وأصبحت معاملة الناس والأُجراء بتلك المعاملة التي تسود فيها القسوة والإستغلال غير سائغة، ولو مهما كان المستغلُون جهالاً أو من طبقة العوام، لأن الدين يحرم علينا ذلك أولاً ثم أنها معاكسة لموجة الزمان القائمة الآن، ومن غالب الدهر غُلِب.

إن إستعمال الرفق بالشركاء والتسامح معهم والتغاضي عن هفواتهم هي التي تجعل للإنسان محلاً في قلوبهم معمورًا بالحب، وبذلك تكون الحياة سعيدة لا ينغصها الخوف ولا يكدرها التوقع. إنه لو خير القاضي أنس بين خروج هذه الجربة التي كانت سببًا في قتل إبنه من ملكه على أن يبقى إبنه وبين العكس لاختار ألف مرة أن يبقى ولده ويفقد الجربة وغيرها معها. وإذًا فلماذا نستعمل القسوة فلا نتسامح في نصف قدح أو قدح أو أكثر حتى نضطر هذا الجائع إلى أن يدافع عن قوام حياته بمثل هذا العدوان الذي يفقده الحياة. إن العاقل يستطيع أن يستوفي حقه بدون إجحاف بحق الغير فيكون مرضيًا عند الله محبوبًا عند الناس يفدونه بالأرواح بدلاً من أن يقولوا (الله يهلكهم، الله يشلهم، شغلونا.. آذونا).

إجعلوا مراقبة الله في هؤلاء الذين يعيشون في كنفكم نصب أعينكم، وحاسبوا أنفسكم في معاملتهم حسابًا دقيقًا، فلا تكرهوهم على عمل ولا تمطلوهم بأُجرة، ولا تجحفوا بحقهم



من يمين القارئ:

القاضي عبدالله بن يحيى الإرياني
القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي عبدالله بن محمد الإرياني

ويجلس أمامهم:
لطف بن محمد بن يحيى الإرياني
يحيى بن عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
مطهر بن عبدالله بن محمد الإرياني



من يمين القارئ:

القاضي محمد بن محمد الإرياني
القاضي عبدالرحمن بن حسن الإرياني
القاضي عبدالله بن يحيى الإرياني
القاضي محمد بن يحيى الإرياني
القاضي لطف بن محمد الإرياني
القاضي حسين بن محمد الإرياني

ويجلس في الأمام:

القاضي محمد بن يحيى مالك الإرياني
القاضي عبدالكريم بن علي الإرياني
القاضي أحمد بن محمد الإرياني
القاضي مطهر بن علي الإرياني

في غلة، ولا فلان ما أمتثلش الأمر قيدوه.. ما رضي يطلع يريم خرجوه من البيت.. ما سارشي يشقى يسير له من بلادي.. يطْلق مالي.. انزلوا كسروا له الباب.. راجموا له بالشماتر. اتركوا هذا كله وتعاملوا معهم المعاملة التي يجب أن يعامل بها المسلم أخاه المسلم، وسترون أنهم يكونون أسرع إلى مرضاتكم وأقرب إلى النصح لكم.

تأكدوا يا سادتي أن حادثة قتل الولد عبدالقدوس هي ذلك الإنفجار الذي يقولون عنه أنه نتيجة الضغط الحتمية، فانظر إلى نفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي. إني لا أكاد أتصور تلك المعاملة التي تعاملونهم بها لبشاعتها وشواهتها، لأني قد عرفت مرارة الإضطهاد والهوان والضغط فازددت لها كراهة وعلى مستعملها ضد الغير نقمة وحقدًا، ووجدت في فلسفة المتنبي في قوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت إيلام

فلسفة خاطئة، فإني لم يسهل عليّ الهوان بعد أن ذقته بأنواعه في هذه السجون المتعددة، بل على العكس تنبهت عندي حاسة الألم منه والكراهة له حتى أن ما كنت لا آبه له قبلًا أصبحت آلم لأدناه وأقلّه، وهكذا الناس فانظر إلى نفسك إلخ.

لو فكرتم فيما غرمتموه في هذه الحادثة وما خسرتموه من حيثية وما فقدتموه من المركز الممتاز وما خرقته الحادثة من سياج الهيبة والقداسة اللتين كانتا، لو فكرتم في ذلك لهان عليكم أن تتنازلوا قليلًا في معاملة هؤلاء الناس ولربحتم بذلك كرامتكم ومركزكم الممتاز وحيثيتكم وكثيرًا من المال الذي أنفقتموه، كل ذلك في نظير التنازل عن شيئ من الأنانية، والتسامح عن قليل من الحَب أو البن.

إن الشيوعية قد كادت أن تلتهم العالم، وهي فاعلة في يوم من الأيام، فمرنوا أنفسكم وربّوا أولادكم على التسامح والتعود على أن يعيشوا من كسبهم وثمرة أعمالهم ولا يعوّلوا على هذا النزر اليسير من الغلّة التي يتجاذبون عليه مع الأجراء والشركاء، وعلى الجملة فكل ما أرجوه منكم هو إحسان المعاملة مع الناس عمومًا والأجراء خصوصًا والقرابة بوجه أخص، وأن تعطوا الناس الحق من نفوسكم، ولا تطلبوا منهم ما ليس لكم، ولا تدخلوا مع أحد في نزاع ولا خصام، وليكن كل ذلك بحكمة وبصيرة بحيث لا يطمع فيكم طامع في باطل ولا تعطون دنية في حق.

أما الأولاد الذي يجب عليكم النظر في مستقبلهم وإيثار المصلحة لهم مع عمق النظرة وبعد مرمى الرأي، فإن خير ما تقتنونه لهم هو حسن تربيتهم وتعليمهم التعليم الصحيح الذي يؤهلهم للإعتماد على أنفسهم في شق طريق الحياة وإختيار السبيل الموصل إلى الرزق، وذلك في نظري ما كان ليتم بدون إرسالهم إلى الخارج للدراسة. وخير لكم ولهم أن تنفقوا قسطًا وافرًا مما تريدون إقتناءه لهم في تعليمهم حتى يكون لكل واحد منهم ثروة في نفسه من مؤهلاته ومعارفه، عليها بعد الله يتكل ويعتمد. أما الثروة من المال ونحوه فإنها بعد أن تتضخم الأسرة ويتعدد أفرادها لا تكون إلاّ سببًا لشقائهم وتنازعهم وتجاذبهم، وليس كذلك إذا تعلموا وتثقفوا وأعتمد كل واحد منهم على نفسه وانتهج طريقًا في حياته، فهذا

تاجر وهذا زراعي وهذا عالم منتج وهذا كاتب يحسن إستغلال مواهبه وبيانه، وهذا طبيب، وهذا.. وهذا. ولا شك أنكم مهتمون بتعليمهم الآن، ولكنه ذلك اللون الواحد من التعليم الذي لا ينتج إلاّ شاعرًا أو حاكمًا. وهل يمكن أن يكونوا كلهم حكامًا؟ لا. ثم إن المستقبل سيصبغ الحياة بالصبغة التي يريدها ولن ينفق فيه إلاّ من كان من رجاله الذين يفهمون الحياة فهمًا صحيحًا فيسايرونها. ولم يكن زمن هذا الجمود الذي ترونه في الحياة اليمنية بالذي يطول، ومن البعيد أن تبقى اليمن جامدة والعالم من حولها متحركًا، ولا بد من أن تجرفها موجة التطور والرقي فيغزوها العلم والحضارة رضي أهلها أم أبوا، فيجب والأمر كذلك أن تعدوا الأولاد لزمنهم وتسلحوهم بسلاح مستقبلهم وإلاّ طمرتهم الموجة ودفنتهم بين طبقات الخمول، ففكروا تفكيرًا جديًا في طريقة إرسالهم إلى الخارج.....][١]

النشاط الأدبي في السجن

كان سجن حجة يضم بين جدرانه الكثير من علماء اليمن وأدبائها ومثقفيها. ولذلك ما إن تراخت قبضة الإمام عن من فيه حتى تحول السجن إلى مرتع للنشاط الفكري والأدبي. وتحولت قاهرة حجة إلى مدرسة نبغ فيها السادة أولاد علي الوزير وقالوا الشعر الجيد في وقت مبكر. أما الانتاج الادبي فقد أنتج القاضي عبدالله الشماحي والأستاذان أحمد المعلمي ومحمد الفسيل كتيبات في التاريخ فيها من التحليل ما يمنع من أن ترى النور في عهد أحمد وإن كان القاضي الشماحي قد أهدى بعض ما كتبه للبدر. وصدرت مجلة أسبوعية كانت تسمى (الندوة) لا يتناقلها إلا السجناء وفيها القصائد الجيدة للسيد أحمد الشامي والسيد أحمد المروني والعزي الفسيل والعزي محمد بن أحمد صبرة والأستاذ المعلمي، وفيها المقالات الجيدة. وقد صدرت عدة أشهر حتى جاء أمر من الإمام في إجراء التفتيش، ربما عن وشاية داخلية، ولكن نباهة السيد أحمد إبن نائب حجة وطهارة ضميره جنبتنا مشكلة كانت ستعيدنا إلى نافع. فقد نبّه الأستاذ نعمان الذي أسرع فنبّهنا فوارينا كل شيء ولم نبق إلاّ على الأعمال الظاهرة كديواني الآنسي وعمارة وغيرهما من الكتب التي ندرسها، وقد كان في ذلك فشل لوشاية الواشين.

---

(١) في الرسالة، وهي طويلة، مواضيع أخري، ويمكن الاطلاع عليها كاملة في الملحق رقم (٩) الخاص بالرسائل.

وقد كان مما أنتجته أنا قصيدة مخمسة تنوف على ألف بيت شرحت فيها كل ماجرى لنا وللإخوان، وكنت أبعث ما يجتمع منها إلى الأخ الأستاذ نعمان ليحفظها لديه إلى خروجنا لأنّا كنا دائمًا معرضين للتفتيش. وبعد خروجنا من السجن لم نظفر إلا بنحو النصف أما البقية فقد غرقت في البحر المتلاطم بالأوراق والوثائق لدى الأخ الأستاذ.

وفي هذه الأثناء قمنا بالتعليق على ديوان عمارة اليمني بالاشتراك مع الأخ أحمد المعلمي. وفكرنا في إخراج ديوان الآنسي الحميني وطلبنا الإذن من الإمام والسماح بدخول الكتاب وسمح بذلك فاشتركت مع الأخ القاضي عبدالله عبدالإله الأغبري في تصحيحه والتعليق عليه وأهديناه إلى الإمام الذي أمر بطبعه على نفقة الدولة[1] وكان بذلك يريد أن يثبت أن في وسع مسجونيه أن ينتجوا ويكتبوا. أما كيف فكّرنا بديوان الآنسي بالذات فلأنه في نظرنا من أحسن ما قيل من الشعر الحميني باللغة الصنعانية الدارجة، وقد كان بعض الإخوان يحفظون قطعًا منه يتغنون بها فأُعجبنا بها لأنها تمثل ظروفنا مثل قصيدته التي يقول في مطلعها:

ليت شعري من أكثر ترقاب الفرص　　فيك ياطير واحتال واحتاش

وتردد عليك كل يوم حتى اقتنص　　شاردك والحذر من قدر لاش

وربط ساق رجلك وقصر بالمقص　　من جناحك طويلات الارياش

وتجاوز على ظلم حبسك في القفص　　بعد ما كنت مطلق في الأعشاش

والتي يصور فيها حالة العصفور المحبوس في القفص والتي يقول فيها:

كم يقلب من الفكر وجهه في السما　　إن سمع في الهوا خفق الاجناح

ويطرب غناه ان رأى خضره وما　　ويصفق جناحه ويلتاح

ويضنوه مرتاح وفي الجهل العما　　كيف محبوس مشتاق يرتاح

---

(١) طبع الديوان في مصر أواخر عام ١٣٦٩هـ.

ثم هو يوصي بالصبر فيقول مخاطبًا للطير:

طيرعند الله إفراج وعند الله سعه — من مضايق على بابها أقفال

فَتْحَها الصّبر فَاصْبر فرأس المنفعه — فيه وكم لك من الخلق امثال

وفيها القصيدة الإلهية التي يقول فيها:

ياحي ياقيوم — ياعالم بما تخفي الصدور

ياموجد المعدوم — ياذا الإنتقام ممن يجور

وقد غيرنا ترتيب القصائد في الديوان لنجعل هذه القصيدة أول قصيدة لتكون أول ما تقع عليه عين الإمام فلعله يعتبر ويخشى العقوبة والانتقام منه تعالى.

النشاط السياسي

برغم القيود المفروضة علينا في السجن فإن ذلك لم يمنع اتصالنا بروافد الحركة الوطنية بعدن، وقد تواصلنا مع الشيخ عبدالله بن علي الحكيمي صاحب جريدة السلام التي خلفت صحيفة صوت اليمن في التعبير عن الحركة الوطنية وبالاستاذ عبدالله عبدالوهاب نعمان صاحب صحيفة الفضول. وكنا نهرّب إلى عدن بعض ما نكتبه سرًا مثل الكتيب الذي وضعناه حول القضاء في اليمن والذي نشره فيما بعد الأخ أحمد المعلمي بعنوان «الشريعة المتوكلية في اليمن».

وأما داخل السجن فقد أثيرت الكثير من القضايا السياسية ودارت نقاشات عديدة حول ما يجب علينا أن نعمل، وقد زاد الحماس لذلك بعد ثورة مصر عام ١٩٥٢م. وقد تجاوزنا النقاش الشفهي إلى ادارة مناقشات مكتوبة يعرض كل واحد فيها رأيه ويعرض ذلك على الآخرين لإبداء آرائهم. وقد احتفظ الأستاذ محمد أحمد نعمان ببعض من ذلك ونشره بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ [(١)].

(١) نشر ذلك تحت عنوان «من وراء الأسوار». والمرفق رقم (١٠) يحوي ردي على ما دار من نقاش.

وقد خلصت الآراء إلى وجوب العمل على خطين متوازيين، أولهما التوعية والتثقيف للشعب ولأكبر عدد ممكن من مشائخ القبائل الذين كان لهم حينها ثقل حاسم في سير الامور عند الازمات. وقد بدأنا ذلك في نطاقنا الضيق الذي نقدر عليه وذلك بتثقيف الرهائن وبعض الجنود الذين كانوا موجودين في السجن، وقد كان من بينهم الشيخ الشهيد حميد بن حسين الاحمر والشيخ أحمد حسين جغمان إبن أخي الشيخ راجي أحد رؤساء الرسم. ومع أن المحيط ضيق الا أنه سرعان ما أنتشر بواسطة هؤلاء إلى خارج السجن وأصبح السجناء، الذين كان ينظر إليهم على أنهم ملحدون وكفرة، محل تقدير وإحترام، ولا أبالغ فأقول تقديس. فقد كان الحافظ أحمد محبوب وهو الذي رموه بالأحجار والأذى عند دخوله السجن يتلقى الهبات والنذور ويُطلَب منه الدعاء. وكما جاءتني رسائل من القاضي حسن الشماحي والقاضي عبدالله الجوبي وهم من علماء حجة المتزمتين يطلبون مني فيها الإجازة، وقد أجزتهما لأنهما أهل لذلك. وهذا يعتبر في ذلك التاريخ تحولًا كبيرًا في أفكار المتزمتين من الخاصة والمغرر بهم من العامة بعد أن كانوا يرون إلى من يسمونهم بالدستوريين كملحدين وكفرة. وثانيهما، محاولة نفخ روح الطموح في سيف الإسلام محمد البدر إلى ولاية العهد وهذا ما يحاربه أعمامه وأبناء عمه الحسن ويعارضونه أشد المعارضة. إذًا فالعمل في هذا المجال معناه بذر بذرة التفرقة بين الإمام أحمد وأخوته لأنه لابد وأن تدفعه عاطفة الأبوة إلى إيثار إبنه. وقد عُهِد إلى بعض الإخوان الذين لهم سابق صلة بسيف الإسلام البدر بأن يعملوا على نفخ روح الطموح بالبدر ليكون وليًا لعهد أبيه. وكما فعل الإمام يحيى فسمح للسيد محمد زبارة بأن يقوم بأخذ البيعة لإبنه أحمد بولاية العهد وتظاهر بعدم الرضى لأن المذهب الزيدي لا يرى ولاية العهد، ويقول أن أول من أبتدعها في الإسلام معاوية حيث بويع لأبنه يزيد في حياته. وكما كان المنافسون لأحمد كثيرون وأقوياء كذلك هم المنافسون لابنه البدر أكثر وأقوى ولذلك فهو في حاجة إلى أنصار مقتنعين بالفكرة يعملون لها بحذق ودرايه، ولوّحوا له بأنه سيجد بغيته فيمن بقي في السجن من الأحرار. وقد طمع البدر بكسب الأحرار، فأخذ

يعمل لدى والده ليخفف من غضبه عليهم ويوقف رهق سيفه فأوقف الإعدامات ونقل من بقي في نافع إلى القاهرة والمنصورة. وكان يوم وصل مَن في نافع إلينا إلى القاهرة يوم عيد وإن كانوا كما نُقِلنا قبلهم من سجن إلى سجن ولكن هيهات أن يستوي السجنان، فهناك قبر الأحياء وفي القاهرة الأماكن اللائقة والخروج والدخول في محيط القلعة والخروج إلى المسجد للصلاة والقراءة، وفيها استطعنا أن نكتب وننتج.

وسمح الإمام لإبنه البدر بالإتصال ببعض المعتقلين يعدهم ويمنيهم، ولم يفعل ذلك الجانب الحسني لأنه في أعماله يستتير بفكر الحسن المتحجر. ولكنه لما عاد سيف الإسلام عبدالله من الخارج بدأ الاتصال على حذر وسرية فبعث لي بنسخة من ديوان الآنسي الذي حققناه مطبوعًا، كما أتصل بالأخ الأستاذ نعمان الذي كان في حكم الطليق، وبعث بمبلغ من المال لمواساة المنقطعين من المساجين.

أستدعى البدر إليه إلى الحديدة السيد أحمد الشامي والأستاذ إبراهيم الحضراني وكانا أثيرين لديه فعملا جاهدين من أجل تثبيت فكرة ولاية العهد لدى البدر ومن أجل التخفيف على المساجين وإطلاق من يمكن الاستفادة منهم في مجال بعث ولاية العهد. وقال السيد أحمد الشامي قصيدته الرائعة يمدح بها الإمام أحمد وينوه بمواهب البدر وأهليته لتحمل المسئولية بعد أبيه الإمام ومما جاء فيها هذان البيتان يخاطب الشاعر فيهما البدر:

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده وفاء وشكرًا بل جزاءً محتما

فلا نبضت للشعب روح ولا علت له راية حتى يكب جهنما

الفصل الثامن

ولايـة العهـد

الخروج من سجن حجة

تأثر الإمام لقصيدة الشامي وعزم على العمل لإعلان ولاية العهد لإبنه البدر، وكان أن اختاروني لوضع صيغة ولاية العهد والدعوة إلى مبايعة البدر بها. ولم يأت الإطلاق بدون مقدمات، فقد أمر الإمام بخروجي للمعالجة في مستشفى حجة على أثر رفع قرار من الدكتور فضل الله الزاقوت، السوري الذي كان يعمل على مساعدة المعتقلين بكل ما يستطيع وقد سبب ذلك لتقديمه للمحاكمة في حادثة محاولة الهندوانه واللقيه اغتيال الإمام أحمد في مستشفى الحديدة. وكان الدكتور الزاقوت يعمل في نفس المستشفى وقد كان رد الإمام على القرار يقول لا بأس بخروج الإرياني إلى المستشفى للمعالجة وسنطلبه إلينا قريبًا. وكان الوعد هذه المرة صادقًا فقد أمر الإمام إلى نائب حجة رحمه الله بإرسالي مصحوبًا أي مع جندي إلى ولي العهد البدر، وكان هذا هو الخطوة الثانية إلى الحرية المطلقة. وعدت إلى القاهرة لوداع الإخوان وبرغم أنهم قد قابلوا الأمر بالسرور والتفاؤل وبرغم أن الحرية لا شيء أغلى ولا أحلى ولا أثمن منها إلا أني قد شعرت وأنا أخرج من معتقل القاهرة بكآبة لا يقدر قدرها. وكان الإخوان على سور القلعة يتابعونني وأنا أغادرها وأشير ويشيرون بالتحية والوداع.

كان اطلاقي في شعبان ١٣٧٣هـ (ابريل ١٩٥٤م)، ولم أتأخر في حجة خوفًا من أن يبدر للإمام فكرة تأخير الإطلاق كما فعل مع عبدالسلام عمر العاقل أحد معتقلي حجة الذي أطلقه فتأخر يومًا في حجة فأمر بإعادته إلى السجن، وكان

قد غادر حجة فاتبعوه بجنود من الحرس منهم علي حمود الآنسي الذي كان يقوم بخدمات جليلة لمعتقلي نافع، السجن الرهيب وقبر الأحياء، فكان يخرج الرسائل ويعيد الردود ويأتي بالنقود المرسلة من وراء مدير نافع، ويعمل على كل ما يطلب منه المعتقلون عمله. وقد كان من حسن حظ عبدالسلام العاقل أن علي حمود كان على رأس الجنود الذين وكل إليهم اقتفاء أثره وإعادته إلى سجن نافع. وفعلًا فقد عاد به الجنود من كحلان وباتوا في شرس وقال علي حمود لرفاقه من الجنود خذوا قسطكم من النوم وسأتولى الحراسة عنكم ونام الجنود ولكن علي حمود رتب للسجين الفرار ودله على الطريق وأعطاه شيئًا من النقود ونام مع من نام من أصحابه. وفي الصباح افتقدوا السجين فلم يجدوه وتبعوه إلى أثناء الطريق فلم يلحقوا به لأنه أتى من طريق جانبي. وعاد الجنود إلى حجة بدون عبدالسلام ودخل الجندي الطيب إلى السجن وأخبر المساجين بأنه سهل لعبدالسلام سبيل الفرار. وبلغ الإمام الخبر فأمر بحبس الجنود، وقال الجنود أن علي حمود هو الذي تكفل بحراسته وكان الحاشدي مدير السجن يعرف صلته الحسنة بالمساجين فرفع للإمام بإدانته، فأمر هذا بإرساله إلى القفلة مغلولًا. وهكذا كان، وقد ظل فيها سنتين كان المعتقلون يبعثون له المساعدة حتى أستأثر الله به فتوفي في السجن بعيدًا عن الأهل والولد وكانت هذه التضحية محل تقدير كبير وكم تمنينا أنه عاش إلى بعد قيام الثورة ليكرّم على مافعله. وفي هذه الحادثة دليل على مدى تأثير المساجين على من حولهم من جنود ورهائن ومعتقلين، فهذا الرجل الذي ضحى في سبيل إنقاذ سجين هو من آنس البلد الشديد التعصب للإمامة والأعمى الاعتقاد والولاء.

من أجل ما أسلفت توجهت أنا فورًا من قاهرة حجة إلى الحديدة التي أمر الإمام بإرسالي إلى ابنه المقيم فيها. وقد هطلت علينا أمطار غزيرة ونحن في طريقنا إلى الأمان فابتلت ثيابنا التي علينا ولما أردنا أن نستبدلها بما على البغلة التي كنت عليها وجدناها هي الأخرى مبلولة وبتنا في الأمان على قعايد (أسرّة) من حبال الليف ليس عليها أي فراش وبثياب مبلولة. وقد نعمنا مع ذلك بنوم هادئ لم نعهده، إنها هناءة الحرية.

وفي اليوم الثاني واصلنا سيرنا على البغلة يصحبنا الجندي الموكول بنا وخادم البغلة حتى وصلنا الطور، وهناك نزلنا لدن العامل الذي كان قد أُبلِغ من ولي العهد بأن سيارة ستصل لتقلنا إلى الحديدة، وانتظرناها طويلًا فلم تصل إلا قبيل العصر. وقد نزلنا في القناوص تنفيذًا لرغبة سائق السيارة الذي اتضح فيما بعد أنه كان له هناك خليلة يحب أن يراها، وهنالك ولأول مرة نسمع صوت (الفونغراف) الحاكي وإحدى إسطواناته تدار على أغنية (بساط الريح) لفريد الأطرش. إنها أول مرة في حياتي أسمع فيها صوت فريد الأطرش، فالحاكي كان ممنوعًا في عهد الإمام يحيى ولا يزال الناس يذكرون أن أحد هذه الفونغرافات قد عثر عليه الشرطة مع أحد المواطنين في صنعاء فصلب هذا الحاكي ومعه مالكه يومًا كاملًا في الشمس على باب المجلس العالي لكي يشهد الناس فيحذروا من إقتناء هذه الملاهي التي كانت محرمة بشدة في عهد الإمام يحيى، لذلك فقد قلت أن هذا تطور قد يصاحبه تطور آخر في سائر المجالات. وواصلنا السفر إلى (الضحي) وهناك عزمنا على المبيت.

مشاورات البيعة

وفيما أنا نائم على قعادة السّلب (حبال الليف) إذ بمن يوقظني من نومي، وفتحت عيني لأرى الأستاذ إبراهيم الحضراني قد جاء لاستقبالي على سيارة جيدة. وبعد التحية والتهنئة قال هيا، قلت إلى أين.. قال إلى الحديدة فقلت له إني متعب فتصور أنا آتين اليوم من الأمان الذي سرنا منه إلى الطور على البغلة ومنه إلى هنا على سيارة وقد (غرّزت) بنا، أي غاصت عجلاتها في الرمال، وأبت الخروج منه إلا بعد الدفع الذي كنت أساهم فيه، فقال ولكن هذه سيارة صغيرة وجديدة وماهي إلا ساعتين حتى تكون في دار الضيافة وعلى سرير وثير. فنهضت وسرت معه، وفي طريقنا إلى الحديدة بدأ الأستاذ إبراهيم يحدثني عما استجد في موضوع ولاية العهد ويلمح لي بأن النية تتجه إلي تكليفي بالقيام بوضع صيغة البيعة مدعومة بالأدلة المبررة للخروج على المذهب الزيدي الذي لا يرى ذلك. فقلت

له ولكن أنا خارج الآن لتوي من السجن ولم أر أولادي وبلدي، وأخشى أن يكون في هذا العمل ما يعيدني إلى السجن قبل أن أراهم، فلا أدري بعد ما هو رأي الإمام أحمد في الموضوع وهل سيقف ليمنع عنا شر أخوته وعلى رأسهم الحسن، وكانت قد بلغتنا معارضتهم. فقال الأستاذ إبراهيم ولكن السنا اتفقنا على أنه لا سبيل إلى العمل الوطني إلا من خلال البدر ومن خلال بذر الخلاف بين أفراد الأسرة المالكة، فقلت له صحيح ولكن علينا أن لا نرتجل. لا بد أن نرى مواقع أقدامنا المستقبلة ودعونا نستطلع الآراء خارج السجن ومن معنا ومن علينا ونعرف مدى تحمس الإمام للموضوع. فقال ولكن البدر مستعجل وهو متكفل بموافقة أبيه وأنت في طليعة من زيّنها له وسيقول ما قاله عمر بن أبي ربيعة لإبن أبي عتيق. ولم ينشد ماقاله ابن أبي ربيعة بل أتبع كلامه بضحكه مجلجلة وفهمت أنه يشير إلى قول ابن أبي ربيعة:

لا تلمني وأنت زينتها لي   أنت مثل الشيطان للإنسان

فقلت له لن أكون ذلك الشيطان ولكن من مصلحة البدر نفسه أن تكون وسائل النجاح مكفولة، ومع ذلك دعنا نفكر إلى الغد، وكنا قد وصلنا دار الضيافة فانزلت في أحسن مكان فيه وارتميت على السرير ونمت ونامت الفكرة.

وجاءني في اليوم التالي السيد أحمد الشامي مُرحِّبًا ومهنئًا، وطرق نفس الموضوع وكان ردي عليه على نحو ماردیت به على الأستاذ إبراهيم، وأبديت له ترددي. وقد قمت بما قمت به من إبداء التردد بل والممانعة للإستعجال لغرضين إثنين: الأول، التأكد من السلامة في المستقبل. والثاني، أردت أن لا أصدق بالإندفاع على ما يقوله المعارضون من أن الغرض هو إثارة الفتنة بين أفراد الأسرة المالكة وتفريق صفوفهم.

تعهد البدر بالإصلاح

وكان الشامي قد أخبرني أن البدر سيستقبلني في نفس اليوم، ولكنها مرت

يومان وثلاثة أيام ولم يستقبلني بعذر المرض تارة والانشغال تارة أخرى، فعرفت أن السيدين الشامي والحضراني قد أخبراه عن ترددي فأراد أن لا يُظهر التلهف على موافقتي على القيام بما يريده بينما ظل الشامي والحضراني يعملان على إقناعي. وبعد أخذ ورد طويلين قلت لهما إن الذي يهمني في الدرجة الأولى هو أن أعرف رأي الإمام وهل سيحمينا من ضرر أخوته أم سيقف في جانبهم إذا جد الجد فيعيدنا إلى حيث كنا في حجة. وقال الإخوان أما هذا فمكفول ومضمون فقلت إذًا فدعونا نتأكد من ذلك من البدر نفسه. وفي نفس اليوم دعيت لمقابلة البدر وقد دعاني إلى الطابق الأعلى من دار النصر في الحديدة وجلسنا جلسة مطولة تعهد فيها البدر عن الإمام بحمايتنا، وقال لي هل تتصورون أنه من الممكن أن أقوم أنا بالعمل دون موافقة الإمام، فقلت لا أتصور ذلك ولكن هناك فرقًا بين الموافقة المدفوعة بعاطفة الأبوة وبين الموافقة عن إقتناع وإستعداد لمواجهة ردود الفعل من الجانب الآخر. فقال إنها الموافقة عن اقتناع ولكنه لن يتظاهر بالرضى حتى لا يؤخذ عليه مخالفة المذهب.

وبعد أن حلف لنا البدر على أن يكون بجانبنا يحول بيننا وبين أذى عمه الحسن ومن معه، أسرّيت للسيد أحمد الشامي قائلًا له هذا لنا فما للشعب. فدفع السيد أحمد الشامي البدر إلى أن يبادرني، وقبل أن أطلب منه ذلك، بالعهد المغلظ على المصحف الشريف بأن يكون مع دعاة الاصلاح في كل مايرونه لإصلاح البلاد وتطويرها وأن يتجاوز في موافقته ما وافق عليه إمام الدستور عبدالله الوزير وأن يستعين بالخبراء من مصر وأن يتعاون مع حكومتها ويخرج باليمن من عزلتها.

صيغة البيعة

وقد عدت بعد هذا العهد إلى دار الضيافة لإعداد الصيغة التي نسجلها فيما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه ومن والاه وبعد، فإن

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم. والله سبحانه وله الحمد والمنّه لم يترك هذه الأمة هملا ولا تركنا رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم إلا على بيضاء واضحة ليلها كنهارها فرسم لنا الطريق وحدد الحدود وأوضح المعالم، وجعل لكل حُكم حِكمة ولكل أمر ونهي عِلّة وباعثًا تدور جميعها في مدار واحد هو درء المفسدة وجلب المصلحة، فحيث تجد المصلحة فهناك تجد الحكم الذي تقتضيه تلك المصلحة.

وإن أعظم ما تقتضيه المصلحة وتحث عليه الشريعة هو النظر في شئون الأمة، وإقرار أمرها في نصابه ليقر بذلك أمنها، وبالتالي تقر نفوسها وتتم طمأنينتها بوضع ما يكفل جمع كلمتها، ولم شتاتها، وحفظ وحدتها، ويجنبها مهاوي الفتن ومزالق الأهواء، وبواعث الاضطرابات، فيحقن بذلك دماءها ويحفظ كيانها. ومن أجل ذلك أوجب الله على عباده نصب إمام عادل يضم شعثهم ويقيم حدودهم ويسد ثغورهم ويحكمهم بالعدل ويطبق فيهم شريعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد أُسِند النظر في ذلك إلى العلماء من أبناء هذه الأمة لأنهم أعرف بالمصالح التي عليها مدار الأحكام الشرعية. فمن أختاره أهل الحل والعقد في الأمة للإمامة، حين يخلو الزمان من إمام قائم، تعين ووجب على الأمة مبايعته وبالتالي طاعته وتنفيذ أوامره في المنشط والمكره وفي كل حال من الأحوال ما لم يأمر بمعصية الله.

ولما كنّا في المدة الأخيرة قد لمسنا شيئًا من تبلبل أفكار الأمة وشيوع القلق في نفوسها من جراء ما يدور في أكثر الأوساط من حديث حول ولاية عهد الخلافة الناصرية المتوكلية الهاشمية في بلادنا العزيزة، وما يبديه كثير من العقلاء والمخلصين من تخوف على مصير البلاد فيما إذا أستأثر الله، بعد عمر مديد، بخليفته مولانا صاحب الجلالة أمير المؤمنين الناصر أحمد بن أمير المؤمنين المتوكل يحيى بن أمير المؤمنين المنصور محمد بن يحيى حميدالدين أيده الله، وأمر الأمة لا يزال في يد المصادفات، وحبل أمورها مُلْقَى على غاربها، والأمة لا تزال مشتتة الأهواء موزعة النوازع، لم تتحدد وجهتها ولا ألتَفّت حول مثل واحد

ولا أتجهت قلوبها إلى غاية واحدة، إنها إن كان ذلك قبل أن يوضع الأمر في نصابه جديرة بأن تدخل في دور فوضى عارمة قد تُفقد البلاد إستقلالها وتعرض وحدتها للانقسام ورابطتها للانفصام، ولاسيما والعدو الأجنبي البعيد عنا في الدين والجنس والوطن رابض في جنوب البلاد يترقب الفرصة وينتظر المناسبة وذوو الأغراض من الاستغلاليين والانتهازيين يعملون جاهدين ليجعلوا من هذا الموضوع حقلًا لبذر الشقاق والانشقاق.

فمن أجل ذلك كله، رأينا نحن الواضعين اسماءنا أدنى هذا، أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عهده إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام في غدير خم كما يقول أهل البيت وفي عهده إلى أبي بكو رضي الله عنه على قول من يقول بذلك من غيرهم، ثم أسوة بأول الخلفاء الراشدين أبي بكر رضي الله عنه في عهده إلى الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، وفي عهد عمر إلى واحد من خمسة نفر، رأينا أن نقوم بواجبنا نحو بلادنا وأمتنا وأن نهتم بأمر المسلمين لئلا نخرج عن دائرتهم بإهمالنا وتقصيرنا كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام بأن نضع حدًا لهذا التبلبل ونضيق المجال على جولات الأغراض السيئة لتهدأ النفوس، وتسكن القلوب، وتتجنب الأمة سبل الفتنة التي يوشك أن تسوقها الأهواء إلى مهاويها. فاستخرنا الله في ذلك ثم قررنا مجتمعين إختيار مولانا سيف الإسلام البدر محمد إبن أمير المؤمنين الناصر أحمد بن يحيى حميدالدين حفظه الله وليًا لعهد والده صاحب الجلالة عمّره الله، يخلفه على عرشه حين يستأثر الله به، وبايعناه من الآن إمامًا شرعيًا بيعة شرعية تبتدي حين ينتهي حكم البيعة التي في أعناقنا لجلالة والده الإمام أطال الله عمره. وشرطنا عليه العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعدل في حالتي السخط والرضى، والأخذ للضعيف من القوي وللبعيد من القريب، والرفع من شأن الأمة والعمل لصالحها وخيرها، وإستشارة صالحيها وعلمائها وذوي الرأي فيها في الهام من أمورها والمحافظة على إستقلالها ووحدتها وحفظها في ذات أنفسها وإخلافها في كَلِّها ويتاماها والعمل على تحقيق آمالها وأمانيها وتقدير ثقتها بسموه حق قدرها.

نعم بايعناه على ذلك وعلى السمع والطاعة في المنشط والمكره وفي المحبوب من

الأمور والمكروه وفي كل حال من الأحوال وأمر من الأمور إلا في أمر فيه انتهاك لحرمات الله أو اقتراف لمعصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولم نقصد بهذا الاختيار، علم الله، إلاّ إنامة الفتنة قبل يقضتها والقضاء عليها في مهدها وتجنيب البلاد الوقوع في مهاوي الفتن المتوقعة والتي يخافها كل مطلع على التاريخ الإسلامي العام والتاريخ اليمني الخاص، ولا أردنا به إلاّ حقن الدماء وجمع كلمة المسلمين.

كل ذلك كان منا بعد النظر والتروي، والمراجعة التي جعلتنا مقتنعين بأن سمو الأمير البدر هو الشخصية الوحيدة المحبوبة التي يمكن أن تجتمع عليها كلمة الأمة وتسكن إليه نفوسها، نظرًا إلى ما له من ماض مشرق وصحيفة ناصعة وضاءة. ولم نأل جهدًا في حسن الاختيار لأنفسنا ولأمتنا وحكومتنا وأملنا بمولانا أمير المؤمنين أيده الله وهو أحرص الناس على إقرار أمر الأمة وأمنها وأعلمهم بما على جلالته من المسئولية أمام الله إن هو ترك أمر الأمة لقى فعرّضها بذلك إلى ما يخافه المخلصون من فتن وانقسام، أملنا فيه أيده الله أن يتوج هذه البيعة بإقراره لها وإعلانه عنها، وإلاّ فحسبنا أنّا من جهتنا قد أدينا النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولإمام المسلمين وعامتهم، وحمل جلالته دوننا المسئولية بعد إقامة الحُجّة وهو أعرف منا بواجبه نحو بلاده ورعاياه. وفقه الله إلى مافيه خير البلاد والعباد. وحرر في ٧ رمضان الكريم سنة ١٣٧٣هـ (١٠ مايو ١٩٥٤م).

العمل على أخذ البيعة

كان هذا هو نص البيعة وقد عدت في اليوم التالي إلى البدر وعقدت جلسة ضمت الأستاذين الحضراني والشامي وتمت الموافقة على النص ونقلت عدة نسخ منها لأتولى أنا أخذ توقيعات العلماء عليها في زبيد وتعز وإب وليتولى آخرون القيام بذلك في سائر أنحاء تهامة وحجة وصنعاء إن أمكن. وغادرت الحديدة على سيارة خاصة كان يقودها السائق محمد القصوص من السواقين الخصوصيين. وقد بتنا في زبيد وكان شهر رمضان المبارك قد أظلنا فتناولنا طعام الافطار على

مائدة العامل في زبيد السيد أحمد محمد الشامي ونزلنا في الحكومة. وبعد الفطور أستدعيت علماء زبيد، وكنت قد أعلمت العامل بالمهمة، وجاء كل علماء زبيد ولم نجد أي عناء في أخذ توقيعاتهم فقد تسابقوا إلى التوقيع لأنهم فهموا من تلميحي في الكلمة التي ألقيتها عليهم أن الإمام وراء هذا العمل. وقد تمثلت بما لقيته منهم من لين ومطاوعة قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في وفد الأشعريين التهاميين: أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبًا وألين أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وغادرنا زبيد إلى تعز، وفيها نزلنا في بيت الأخ الشهيد القاضي عبدالله بن محمد الإرياني رحمه الله. وفي اليوم التالي جاءني الإخوان الوشلي وعقبات والكبسي ومحمد يحيى مطهر وغيرهم من العلماء مرحبين، وفتحنا عليهم الموضوع وتردد أكثرهم خوفًا أن لا يكون الإمام موافقًا، ومجرد أن يقوم بالعمل جماعة من سجناء حجة يدعو في نظرهم إلى الاشتباه والرعب ايضًا، وتركتهم يذهبون على ترددهم. وفي اليوم التالي زرت النائب السيد حمود الوشلي رئيس الديوان الملكي رحمه الله وكان أبرز من هناك من العلماء بإعتبار أن منصبه أعلى منصب وقلت له هل تتصور أنني أنا الذي خرج لتوه من السجن وهو حتى الآن لم ير أولاده وأقاربه يمكن أن يقوم بمثل هذا العمل دون أن يكون جلالة الإمام موافقًا عليه بل آمرًا به. وما زلت به حتى أقتنع فوقّع على صيغة البيعة وما رأى الآخرون من العلماء توقيع الوشلي حتى أستشعروا أن ذلك بأمر من الإمام، وكنت قد أعددت نسختين إحداهما للإمام والأخرى لولي العهد ووقّع الجميع بدون تردد بل وبشبه تسابق. وبقي السيد محمد بن يحيى الذاري، وكان لي صديقًا حميمًا، وقد زرته في إحدى الليالي الرمضانية وعرضت عليه صيغة البيعة وقد تم التوقيع عليها من جميع العلماء الموجودين في تعز. وكنت أنتظر منه مناقشة ومستعدًا للسماع والرد، ولكنه رحمه الله لم يكلفني ذلك فقد طالع الصيغة حتى النهاية ووقع عليها وأعادها إليّ.

إيقاف العمل للبيعة

وبينما أنا أتأهب للسفر إلى إب لأخذ تواقيع علمائها قبل سفري إلى إريان لزيارة الأهل، إذ برسالة شديدة لهجة الاحتجاج تأتي من الحسن إلى الإمام يقول فيها أن الذين اشتركوا في قتل الإمام الشهيد وتآمروا عليه قد عادوا الآن ليعملوا على تمزيق الأسرة وإثارة الفتنة فنحن نطالبكم نحن وجميع الأسرة من رجال ونساء وأطفال بإيقافهم عند حدهم وإعادة الإرياني والشامي إلى السجن بحجة. بعدها جاءتني رسالة من الإمام أحمد يقول فيها «أوقفوا كل عمل في موضوع ولاية العهد وألزموا الولد أحمد الشامي بذلك فالأمر خطير وأرسلوا إلينا الصيغة التي تم التوقيع عليها». وبعثت بإحدى النسختين إلى الإمام والأخرى إلى البدر ورديت على الإمام أقول: «إنّا لم نعمل إلاّ بناءً على أن عملنا على أمركم ومحل رضاكم وبتكليف منكم ولِمَا رأينا في الأمر من مصلحة تجنب اليمن الفتنة التي تنتظره بعد غيابكم». وقد توقفنا عن جمع التواقيع على البيعة، إلاّ أن ما تم كان قد عمل عمله في إثارة موضوع ولاية العهد فبقي الأمر متداولاً. وفي الليلة التي تجهزت فيها للسفر إلى إريان جاءتني رسالة أخرى من الإمام يلزمنا فيها بعدم الخوض في الموضوع بأية صورة من الصور[١]، وبعدها توقف العمل في موضوع ولاية العهد.

وسافرت من تعز على سيارة إلى إب. وكنت قد حملت معي أمرًا بإطلاق الولد مالك بن محمد الارياني الذي كان سجينًا على إثر القبض على أوراق منه بعثها إلى صحيفة فتاة الجزيرة في عدن، ومن أجله ذهبت لمقابلة النائب القاضي أحمد السياغي. وقد تكلم هو عن موضوع ولاية العهد وقال ناصحًا «لقد كنت أتمنى أن لا تدخلوا في هذا الموضوع الشائك والخطير ولاسيما وأنتم في طريقكم من السجن إلى حياة الحرية»، فقلت له ولكني مكلف ولم يكن في وسعي أن أقول لا، وقد كنت أتصور في الموضوع شيئًا من الخطر ليس على المستوى الذي تكشّف. فقال ولكن الإمام أحمد يقول لأخوته إن الإرياني والشامي هما اللذان قاما بالأمر واقترحاه وزيناه للولد البدر، فقلت له إنني في الحقيقة لا أجرؤ على تكذيب الإمام إذا كان

(١) انظر صورة رسالة الإمام في الملحق رقم (١١).

قد قال ذلك ولكن عليكم أن تفكروا أنتم هل من الممكن لرجل مثلي خرج لتوه من سجن تجاوز ستة أعوام أن يفتعل لنفسه مشكلة قد تعيده إلى الحبس، وربما تسير به إلى القبر. فقال هذا صحيح ولكن (من يقرأ زبورك يا داود)، وهو مثل يضرب لمن يكون بيده الحق ومع ذلك لا يجد من يفهمه أو يعذره. فقلت له إن المستقبل وحده هو الكفيل بأن يجعلهم يفهمون (زبور داود)، أما أنا فما في يدي حيله، فقال لابد لي إذا ألتقيتُ بسيف الإسلام الحسن أن أحكي له هذا الحوار لأخفف من حدة غضبه عليك، فقلت له إذًا تكون مشكورًا.

السفر إلى إريان ثم صنعاء

وسافرت إلى إريان في أواخر رمضان وكان الإمام قد حدد الإجازة بشهر واحد برغم أنها إجازة تأتي بعد غياب طويل مَرّ فيها ضروب الويل وتنوعت فيها الآلام. ولم يستقبلني الإخوان هناك بالطبول وطلقات الرصاص كما فعلوا في أعقاب خروجي من السجن في سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م). وكانت النكبة قد أفقدتهم الحماس، هذا إلى جانب أن أخي الأكبر عبدالله كان عاتبًا علي لأنني على حد تعبيره لم أخلص من المشكلة حتى دخلت في مشكلة أخرى ربما تكون أعقد من الأولى، ولكنه اطمأن نوعًا ما حينما شرحت له أني قد وقفت موقف المتردد بل الممانع حتى تأكدت من رضى الإمام وحمايته وحتى وجدت أنه لا مناص من القيام بالعمل.

وقضينا أيام العيد مع الأولاد والإخوة وكأننا ولدنا من جديد. وطال بنا المقام، حتى تحرك الإمام من تعز إلى صنعاء لاستقبال الملك سعود الذي جاء في زيارة رسمية لليمن في ذي القعدة عام ١٣٧٣هـ الموافق يوليو ١٩٥٤م، وعند تحركه أبرق يستدعيني إلى صنعاء. وشق علي وعلى الإخوة والأولاد أن نفترق مرة أخرى وبعد طول غياب، ولكني لم أجد مع ذلك بدًا من التوجه إلى صنعاء على البغلة إلى يريم، وهناك وجدنا سيارة شحن كبيرة تابعه للتاجر غمضان فركبنا عليها. وكانت الأمطار غزيرة جدًا ولذلك فقد غرّزت (أي غاصت في الطين) بنا السيارة في

قاع شرعة، ولم نتمكن من الخلاص برغم المحاولة من قبل كثيرين من أبناء القرى المجاورة. وبت على السيارة وحاولنا الحصول على (قارشة) للركوب عليها إلى ذمار فلم نجد، فبقينا اليوم التالي حيث نحن وبعثنا المرافق يحيى الكوكباني، وكان هذا يقوم بمنافعنا ونحن في سجن حجة وكان همزة الوصل بيننا وبين الأستاذ نعمان يقوم بإخراج الأوراق الممنوعة ويجيئنا بالرد، وقد بقي بعد خروجنا حتى أطلق الأخ المعلمي فجاء معه وبقي لدينا ورافقنا في هذه الرحلة، بعثناه إلى إحدى القرى ليأتينا بطعام فجاءنا بدجاجة وشيء من الخبز الشعير وعصيدة وضعت في جلد خروف مدبوغ. واستغربت لأنه لايزال في الدنيا من تعوزهم حتى الاواني الفخارية حتى يأكلوا طعامهم على الجلود. وطبعًا لم نأكل من تلك العصيدة وأكتفينا بجزء من الدجاجة وشيء من خبز الشعير. وجاءتنا الحمير من ذمار وركبت على أحدها ومررنا بين جداول المياه التي خلقتها الأمطار الغزيرة وقد سقط الحمار وأنا عليه إلى إحدى الحفر العميقة فغرق وغرقنا معه وابتلت ثيابنا، ولم نصل إلى ذمار إلا بعد مرور هزيع من الليل. ولم نطرق على أحد من الأصدقاء أبوابهم تحاميًا من الإزعاج ونزلنا في بيت (المقهوي) حجيرة.

وفي الصباح جاءنا القاضي حسين ذعفان للزيارة وقد أعد لنا بغلة للركوب عليها إلى معبر ووصلنا معبر بعد الظهر ويَسّر الله سيارة شحن أخرى كانت آتية من الحديدة عن طريق وادي الحمام ومدينة العبيد وقد ركبنا عليها في نفس اليوم وكانت السيارة تحمل اسمنت وكان المطر يهطل فأضطر السواق إلى أن يضع عليها طربالًا حتى لايتحجر الأسمنت من أثر المطر، ولكن كيف للمسكين أن يدخل صنعاء بسيارة مطربلة وقد صدر منع حازم لذلك على أثر اغتيال الإمام يحيى من سيارة مطربلة. وقد ساقونا مع السيارة إلى الجمرك ومن هنالك افلتنا لنتجه إلى بيت صديقنا السيد محمد بن محمد النعمي رحمه الله وقد أضطررنا إلى أن نطرق بيته في الليل. وقد رحب بنا الرجل الكريم وفتح لنا بيته وأنزلنا في أعلى مكان فيه (المفرج) ونمنا نومًا عميقًا. وهكذا كان سفرنا بهذه الطريقة في ذلك الوقت.

مقابلة الإمام والأمير الحسن

وفي الصباح ذهبنا إلى مقام الإمام وكنا نتوقع أن تمر أيام قبل أن نتمكن من الحصول على الإذن لأنه كان قد تعود على الاحتجاب، ولكن لحسن الحظ فقد هيأ الله لنا المقابلة في نفس اللحظة التي وصلنا فيها إلى باب قصر بستان الخير، فقد كان في مواجهة عامة فما إن رآني العكفة وفيهم محمد الكول الذي قبض علينا في إب وساقنا إلى القاعدة مشيًا على الأقدام قبل سبعة أعوام حتى هبوا لإفساح الطريق أمامي. ودخلت بدون إذن، وهش الإمام حينما رآني وأخذ بيدي وكان بجانبه صهره السيد عبدالله عبدالكريم فسلمني إليه وقال له هذا ضيفك فقال أهلًا وسهلًا. وكان السيد عبدالله ينزل في البيت المجاور لقصر بستان الخير وذهبت مع أحد الجنود، الذين حمّلونا الأغلال من إب إلى تعز، إلى بيت السيد محمد النعمي الذي نزلنا فيه ليحمل حقيبتي وأغراضي إلى المقر الجديد.

وأردت أن أتجاهل غضب سيف الإسلام الحسن ومطالبته بإعادتي إلى السجن وأذهب لزيارته وكان له مكتب مؤقت في القصر الذي ينزل فيه الإمام، وقد ذهبت لزيارته ومعي السيد عبدالله عبدالكريم وكان هذا قد وقع على صيغة البيعة للبدر ولكن كل من وقع يعتذر بالإرياني إنه الذي جاء بالفكرة وأحرجه في التوقيع، يريد كل واحد أن يبرئ نفسه ولو على حساب الآخرين. وقابلنا الحسن مقابلة عادية ليس فيها البشاش المعتاد ولا الغضب المنتظر.

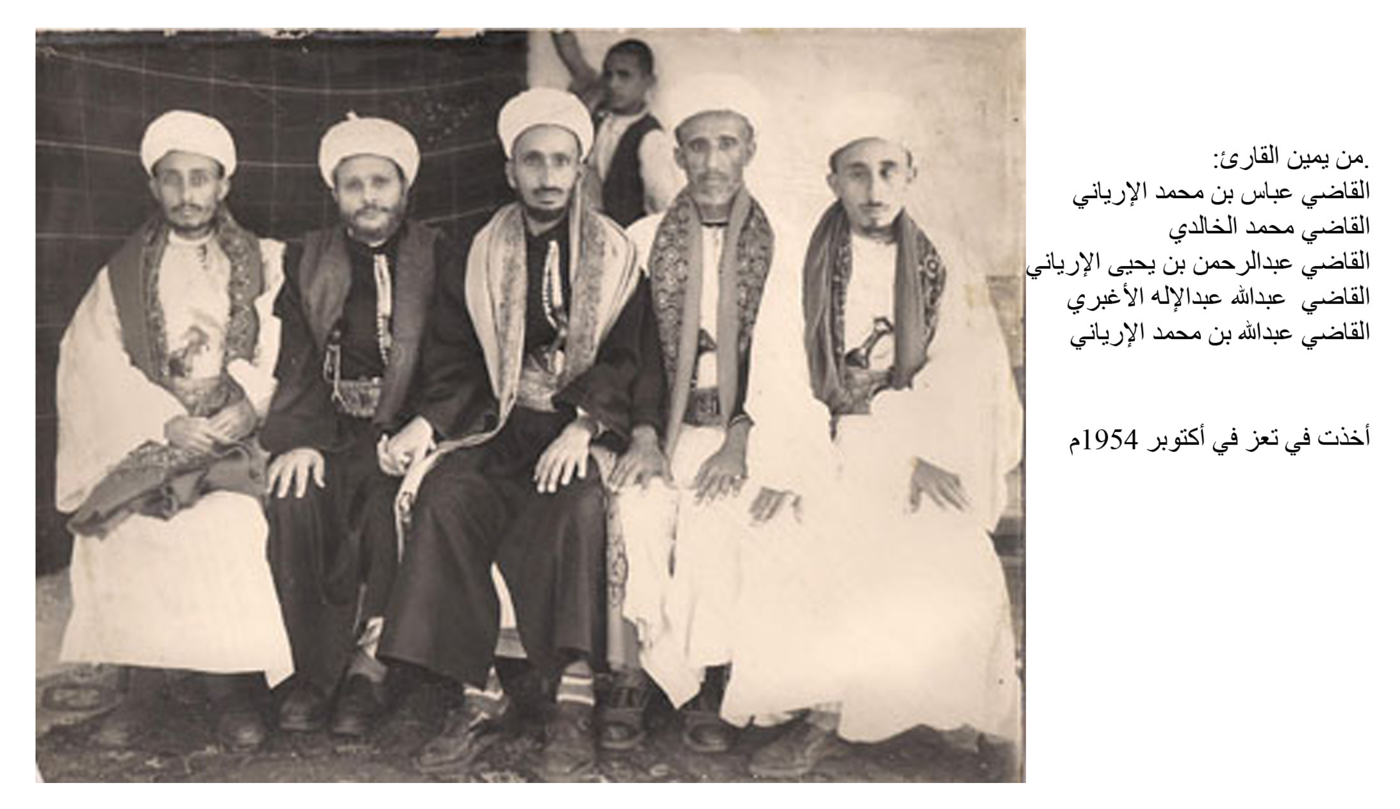
كانت قبائل الشمال ترد على صنعاء للسلام على الإمام بأعداد كبيرة وأمامهم البقر والغنم التي يقدمونها هدية للإمام ويسمونها (ضيفة). وكانت القبائل تتباهى أيها يصل بعدد أكبر، وببقر وغنم أكثر. وكان الإمام يقبل ما يقدمونه ويحول لهم أضعاف ثمنها على نائبه في صنعاء سيف الإسلام الحسن. وكان هذا يحسب حساب الريال الواحد فكان متضايقًا من وجود الإمام بصنعاء لأنه سيخلي بحوائله الخزينة، ولهذا فلما دخلنا عليه أخذ يشكو من القبائل وزيارتهم وضيفتهم وما يكلفون الدولة من المغارم. وكان ينتظر أن نسايره في رأيه فنفند تصرف الإمام معهم بالإنعام عليهم، فقلت له على سبيل المزاح ولكن الأمر قد تغير من عهد الملك

المكرم أحمد بن علي الصليحي إلى عهد الإمام أحمد، فقال بماذا تغير، قلت لقد تحدث التاريخ أن الملكة السيدة زوجة الملك المكرم كانت تخالف زوجها في رأيه بأن تكون صنعاء هي العاصمة وتؤثر عليها (ذي جبلة) التي أتخذتها فيما بعد عاصمتها. ولكي تثبت له سداد رأيها طلبت بعض القبائل الشمالية فجاءت هذه طلبًا للغنيمة والعطية وفيما كانت تحتشد أمام القصر فتحت النافذة وطلبت إلى الملك أن يطل على الجموع ليحييها فأطل هذا فلم ير إلا سيفًا يلمع ورمحًا يبرق وقالت له عليك الآن أن تعيدها إلى بلدانها راضية فأنفق الملك مبالغ كبيرة لكي يصرف تلك القبائل إلى منازلها راضية. وقالت الملكة تعال معي الآن إلى (ذي جبلة)، وذهبا معًا ونزلا في القصر الكبير الذي لا يزال قائمًا حتى الآن وجاء المواطنون في اليوم التالي من المناطق المجاورة مرحبين وليقدموا الضيافة. واحتشدوا أمام القصر ينتظرون الإذن لهم بتقديم قرابينهم. وفتحت الملكة النافذة وقالت للملك اشرِف عليهم، واطل الملك على الجموع فلم ير إلا مَن يقود بقرة أو يسوق حمارًا يحمل السمن أو البر أو مَن وراءه عدد من الغنم يريد تقديمها إلى القصر. وحياهم الملك فجأروا بالدعاء له ليقبل منهم هديتهم وقبلها ولم يقابلها بشيء. فقالت له الملكة أرأيت أن العيش هنا والمنعة هناك. وقلت لسيف الإسلام لقد جاءوا إلى الصليحي ليتلقوا عطاياه دون أن يقدموا شيئًا، أما اليوم فإنهم يأتون بالبقر والغنم بين يدي زيارتهم والإمام ينعم عليهم بما يراه وهذا تغيير كبير بين العهدين. فقال ولكنهم يأتون بهذه الأبقار لأنهم يعلمون أنهم سوف يأخذون أضعاف ثمنها، والله تعالى يقول ولا تمنن تستكثر. وكان يقترح أن نؤيد رأيه الذي يقول أنه يجب أن يقطع الإمام عمن يأتي الصلة حتى لا يأتي الآخرون من أقصى الشمال فقلنا له أنه من الصعب علينا أن ننصح بهذا وهم يرون أن لهم حقًا في هذا المال.

المصارعة مع أبناء الحسن

كان الإمام ينوي أن يطيل مدة البقاء في صنعاء ولهذا فقد توجه إلى الروض، قرية القابل، لتقضية بعض أيام الخريف في قصر دار الحجر وقد استدعانا معه

إلى هناك ونزل هو في القصر ونزلنا في الملحقات أو ما يسمى بمفرج الشذروان. وبقينا يومين وكان غالب أوقات سيف الإسلام الحسن معنا، وكان هناك القاضي أحمد السياغي نائب الإمام في إب. وفي أحد الأيام جاء الأمراء الشباب أولاد الحسن وأبناء عمهم واقترحوا على القاضي أحمد السياغي أن يتصارع معهم وقبل هذا وصارعهم مجتمعين ومنفردين وكان قوي العضلات رحب الذراع. وانتقلوا إليّ فقلت لهم أنى غير مصارع ولم أصارع في حياتي، فقالوا ولكنك تحسن خلق المشكلات، يشيرون بذلك إلى ولاية العهد. فقلت لهم أنتم تعرفون من هو خالق المشكلات، ولكنهم لم يقنعوا وكانوا ممتلئين بالغضب والنقمة، وهجموا علي ولم أقاوم، ووضع أحدهم يده على عنقي كما لو كان يحاول أن يخنقني وهو يقول (عاد ترح لك من التدخل في شئون الأسرة)، أي ستترك التدخل. ولم أجب، وهب سيف الإسلام الحسن الذي كان يشهد المعركة ففرقهم وزجرهم وأخذ بيدي ليقيمني وقمت وأنا عازم على أن أغادر المحل إلى صنعاء في تلك اللحظة. ولكن السيد عبدالله عبدالكريم هدأ من ثائرتي وقال إنهم لم يريدوا إلا (السفاط) أي المصارعة فقلت له ولكنه سفاط الحمير الذي لا يحتمله بنو آدم، فقال إذًا انتظر الصباح ثم أنت وما تريد. وقبل أن ننام جاء من يخبرنا أن الإمام سيعود غدًا إلى صنعاء فقلت إذًا لقد كفاني الله شر إتخاذ موقف منفرد. وجاء الصباح وعاد الإمام وعدنا معه إلى صنعاء، وفي نفس اليوم فاجأنا بالسفر على الطائرة خفية إلى تعز دون أن يشعر إخوته أو الآخرين لوداعه. ولغط الناس كثيرًا بإشاعة تقول أنه اكتشف مؤامرة من أخوته تستهدف حياته بسبب خلافهم على ولاية العهد. وقال لي السيد عبدالله عبدالكريم ونحن نستمع إلى هذه الاشاعات، هذا كله بحسن مساعيكم، يعني أني الساعي لاعلان ولاية العهد. فقلت له أما أنا فقد أُمرت فأطعت ولكنك وغيرك وقعتم بمجرد الطلب مني دون أن ترجعوا إلى رأي الإمام. فقال إنما أردت المزاح والاّ فنحن جميعًا مشتركون في المسئولية. وعزمت على أن أسافر في صبيحة اليوم التالي، وبعثت للبحث عن (قارشة) للركوب عليها لأن السيارات لا وجود لها، وكفاني ذلك مجي برقية في تلك الليلة إليّ من الإمام يقول «يكون وصولكم غدًا على الطائرة وقد أمرنا الجرموزي بذلك»، والجرموزي هو مدير الطيران، وعدنا في أواخر ذي الحجة إلى تعز.



من يمين القارئ:.
القاضي عباس بن محمد الإرياني
القاضي محمد الخالدي
القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي عبدالله عبدالإله الأغبري
القاضي عبدالله بن محمد الإرياني

أخذت في تعز في أكتوبر 1954م



من يمين القارئ:
القاضي أحمد عبدالرحمن المعلمي
القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني
السيد محمد بن حسين عبدالقادر شهيد 1955م
الاستاذ علي ناصر العنسي

أخذت في تعز في منتصف الخمسينات

الفصل التاسع

إنقلاب المقدم الثلايا

مقدمات الإنقلاب

وجاء عام ١٣٧٤هـ (سبتمبر ١٩٥٤م)، ومرت أشهُره السبعة الأولى دون أن يكون فيها حادث يذكر، حتى جاء يوم الخميس ٧ شعبان عام ١٣٧٤هـ (٣١ مارس عام ١٩٥٥م) بانقلاب الثلايا الذي نصّب على رأسه سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى إمامًا خلفًا لأخيه أحمد، الذي أُرغم على التنازل له عن الخلافة. و قبلها كان الثلايا رحمه الله قد اتصل بي مبديًا لي التبرم والاستياء العام اللذين يسودان الجيش والشعب من جراء تردي الأوضاع وعدم قيام الإمام أحمد بتنفيذ أي وعد من وعوده بالإصلاح في أعقاب ثورة ١٩٤٨م، ومصرحًا بأن الصبر قد نفذ والسكوت لا يجوز على هذه الأوضاع. فالإمام أحمد محتجب باستمرار، والناس يأتون فلا يجدون من ينصفهم وينظر في شئونهم.

وكان الإمام قد نفى أخاه الحسن إلى أمريكا فعينه مندوبًا دائمًا لليمن في الأمم المتحدة، ولكي لا يؤلب عليه كل أفراد الأسرة فقد أستدعى إلى تعز سيف الإسلام عبدالله وعينه وزيرًا للخارجية وكلّفه بالنظر في شئون الناس وعرض ما يهم منها عليه. ولكن عبدالله كان قد عاد من الخارج، بعد غربة طويلة، مقتنعًا بضرورة تغيير أسلوب الحكم وعمل شيء لاستهلاك نقمة الشعب. وكانت ولاية العهد قد عملت عملها في بذر بذور الخلاف بل والحقد والنقمة والتربص، فلم يرق له أن يلهيه أخوه أحمد بمنصب لا وجود له، وأخذ يعمل مع بعض الشباب وبعض ضباط الجيش وعلى رأسهم الثلايا الذي أجزل له الوعود والعهود بالإصلاح واخراج

اليمن من العزلة والقفز بها إلى حياة القرن العشرين التي تحياها الأقطار العربية الشقيقة على الأقل. وتعهد بأن يكون حُكمه ديمقراطيًا، له حكومة مسئولة لها صلاحيات أمثالها في البلدان العربية، وله مجلس شورى.

وأنساق المقدم الثلايا بقلبه الطيب وإيمانه المخلص وراء تلك العهود والوعود مدفوعًا برغبته الجامحة في أن يعمل شيئًا في سبيل الشعب دون أن تراق الدماء وتدمر البلاد، وحَسِب أنه إذا أستعان بأحد أفراد الأسرة الحميدية المالكة، الذي ليس له رهبة أحمد وعناده وصلابته، فإنه سيصل إلى الغرض دون مآسٍ وخراب ودمار. وهذا عبدالله هو أكثرهم تفتحًا ومعرفة بالعصر الحديث ومتطلباته، وقد تعهد له العهود المغلظة على الوفاء بما وَعَد، ثم إنه اذا نكث العهد سيكون من السهل بعد أن تخلصنا من أحمد به أن نتخلص منه بالخطوة الثانية.

كان هذا هو منطق الشهيد الثلايا رحمه الله، وأبديت له تحفظي في نجاح العملية والإمام أحمد على رأس الدولة ثم إن عبدالله لا يقل مكرًا عن أخيه أحمد وله ارتباطات خارجية قد تساعده على التخلص منا جميعًا. ولحظت إستياءه لترددي فقد قال إذًا مع من نتعاون إذا كنتم أنتم تضعون أمامنا المخاوف، إن الحالة أصبحت لاتطاق وهي جديرة بالتضحية. فقلت له دعني أفكر اعطني مهلة وافترقنا على هذا.

وجاءني عبدالرحمن الغولي وعلي المطري والضابط عبدالرحمن باكر يشجعون على الخطوة، وكان المطري من خاصة سيف الإسلام عبدالله ففهمت أنهم مرسلون من قِبَله لإقناعي. وكأنهم طلبوا منه أن يدعوني إليه لإقناعي فدعاني، وذهبت إليه في مكانه في الدار الشرقي بمقام العرضي، ولمست منه الحذر فلم يطرق معي موضوع التغيير وإنما أخذ يشكو من تردي الأوضاع وضرورة الخروج باليمن من عزلتها وإيجاد حكومة عصرية حديثة، وأن هذا مفتقر إلى التعاون. وقد قابلته بحذر مماثل فقلت له صحيح كل ما قلتموه والشعب متفائل جدًا بوجودكم بجانب الإمام الذي أقعده المرض عن مزاولة الأعمال وأنكم بما عُرِفتم به من تفتح ومعرفة

بالحياة في الخارج سوف تعملون على تغيير الأوضاع وإقناع الإمام بما فيه مصلحة العرش والشعب معًا. فقال ولكنكم تعرفون صلابة الإمام وعناده وأنه لن يرضى بأي جديد، ولاسيما إذا كان هذا سيأتي على يدي فليس هناك أمل ولكن سنعمل ما نستطيع فقلت له قد يكون من المفيد أن يجتمع أمراء الأسرة ويقدموا مقترحات ونصائح ويصوروا للإمام خطورة الاستمرار على هذه الحال على العرش وعلى الأسرة. فقال لقد فعلوا هذا وأنا في الخارج فغضب الإمام وقال أتريدونني أن أستجيب لما رفضه والدي الإمام الشهيد، فقالوا له ولكن أشفقوا على الأسرة فقال (سأعمّر بوريي) وليأت من بعدي الطوفان[1]. فقلت له إذًا هي المحنة التي عليكم أن تعالجوها بما ترون. فقال ولكن لابد من التعاون فاليد الواحدة لاتصفق، وافترقنا على غير اتفاق ولا مصارحة.

وكان سيف الإسلام عبدالله يعمل في نطاق الأسرة فاستطاع أن يضم إليه أخاه السيف العباس والأمير الحسن بن علي والأمير الحسن بن الحسن وغيرهم ممن له وزن في الأسرة ومنهم سيف الإسلام اسماعيل. وكان المقدم الثلايا يتردد على صنعاء ليتصل بضباط الجيش ويعقد معهم اتفاقات، وكان يتصل بي بين الفينة والفينة ليطلعني على ما جدّ من الأمر وكنت أبدي له ملاحظاتي ومخاوفي، وكنا جميعًا ومعنا الأستاذ أحمد نعمان نرى أن الأمر محتاج إلى احتياطات كثيرة قبل التنفيذ. وكانت الأخبار عن مرض الإمام ترشحه للموت بين يوم وآخر وكنا نخشى عودة سيف الإسلام الحسن بعد وفاة الإمام، ولم نكن واثقين من قدرة البدر على مقاومته، ولهذا اشترطنا أول ما اشترطنا عند قبولنا للقيام بالدعوة إلى ولاية العهد أن يكون الإمام وراء العمل وحاميًا له.

حادث الحوبان وبدء الإنقلاب

ولكن الأقدار هيأت حادثة الحوبان ففجرت الموقف، وأراد المقدم الثلايا أن

(١) (والبوري) وعاء من الفخار مثقب يوضع فيه التتن (التنباك)، ويوضع فيه النار، ويوضع علي رأس المداعة (النارجيلة) للتدخين. وتعميرة البوري معروفة في اليمن لا تحتاج إلي تفسير، ومعني ما قاله الإمام أحمد (سأخذ حظي من الأمر ثم لا أبالي بما يكون بعدي).

يتخذ منها وسيلة ضغط على الجيش ليقوموا بالإنقلاب بدلًا من أن يفروا إلى خارج الحدود. وقد كان ذلك في يوم الأربعاء ٦ شعبان سنة ٧٤هـ (٣٠ مارس ١٩٥٥م) حينما خرج بعض أفراد الجيش للاحتطاب من الحوبان فثار بينهم وبين الأهالي شجار لأنهم قطعوا شجرة تخص أحد الأهالي، وأفضى الشجار إلى مقتل أحد الجنود، فعاد رفاقه إلى تعز وبدلًا من أن يرفعوا القضية إلى الجهات المختصة لتتخذ الإجراءات اللازمة في مثل هذا اتجهوا إلى عرضي تعز (معسكر الجيش) يهيبون بالجيش ليأخذ بثأر شهيدهم. فخرج الجيش بدون وعي إلى الحوبان فقتل ونهب وهدم البيوت وعاد إلى العرضي. وذهبت السكرة وجاءت الفكرة، فعرفوا أنهم قد تجاوزوا حدودهم وأن الإمام سوف ينتقم منهم، وأخذوا يفكرون في الفرار. وجاءهم الثلايا والحاج مرشد السريحي وقالوا لهم إن الذي أهانكم وسبب لأن ترتكبوا هذه الأعمال ضد إخوانكم المواطنين المساكين هو الإمام الذي أضطركم إلى أن تخرجوا للاحتطاب فنشأ الخلاف بينكم وبين المواطنين. إن الجيوش في العالم لها قدرها واحترامها وهي حاميه الأوطان فهم يأكلون أجود الطعام ولهم مطعمهم وملبسهم وشربهم الذي لا يختلف عن ما يجده الموظف وكان يجب أن تكون هجمتكم على قصر الإمام لا على أكواخ الرعية. والآن وقد فعلتم ما فعلتم فإنكم لن تنجوا من العقاب الشديد، ونحن كضباط مستعدون لأن ندخل مع الإمام في معركة من أجلكم وبدلًا من أن تفروا إلى خارج الحدود وتتشردوا تعالوا نحاصر القصر ونرغم الإمام على التنازل لأخيه عبدالله الذي وعد بتوفير مرتباتكم وحمايتكم ومعاملتكم كما تعامل الجيوش في العالم، وأقتنع الجنود وتحمسوا. وكان أن جاء يوم الخميس ٧ شعبان سنة١٣٧٤هـ (٣١ مارس ١٩٥٥م) بأحداثه التي سنلخصها من كتيب كنت قد كتبته بتكليف من الإمام أحمد عن انقلاب خمسة وخمسين، وهو وإن كان قد كتب كما يريد هو، لا كما نريد نحن وتريد الحقيقة، إلاّ أن الحقائق مطويات في طياته ومغلفات في أغلفة تشف عما وراءها ومنه ننتزعها ملخصة فيما يلي:

أحداث الإنقلاب

كنت أسكن ببيت في (صاله) بعيدًا عن مقر الجيش ومقام الإمام في عرضي تعز، وكنا قد سمعنا بأحداث الجيش وأعتقدنا أنها قد أنتهت بإنتقام الجيش وانتظارهم لأوامر الإمام بحقهم. وفي يوم الخميس ٧ شعبان سنة١٣٧٤هـ (٣١ مارس ١٩٥٥م) فوجئنا في الصباح الباكر بأحد المرتبين بصالة لينهي إلينا بأن الجيش قد ضرب حصارًا على القصر والمقام في العرضي، واحتل المباني الحكومية، وفتح مخازن الذخيرة ووزع السلاح على من لا سلاح له، واستولى على السيارات والمطار وقطع أسلاك البرق والتلفون، وأحتل محطة اللاسلكي. وأضاف، وقد أرسلني قائد المرتب الضابط أحمد معصار لأعرض عليكم الأمر الذي بعثه إليه المقدم الثلايا البارحة والذي يقول فيه: «إلى إخواننا مفرزة صالة حرسهم الله. لقد كان من إخوانكم الجيش ضرب الحصار على القصر الملكي في العرضي واحتلال المباني الحكومية والمراكز المهمة حتى يكون تنفيذ مطالب الجيش. فنأمركم بإسم الجيش بالاحتفاظ بما لديكم، والانتباه على مراكزكم، والمحافظة على القصر ومنع اخراج أي شيء منه». وقلت له أنتم تعرفون القوانين العسكرية وعليكم أن تنفذوا أوامر قائدكم وهو المسئول. ولم يكد يذهب الجندي حتى جاءنا جنديان على سيارة يقولان أنهما ملزمان بإيصالنا إلى القيادة العسكرية، وقد رفضت الاستجابة لهما لأنهما لا يحملان أمرًا خطيًا فذهبا. وبعد ساعة عادا ومعهما غيرهما يحملون أمرًا بخط المقدم يقول: يرجى سرعة وصولكم الآن إلى العرضي السعيد ولا قبول للعذر فمولانا سيف الإسلام عبدالله في إنتظاركم ١٨مارت ١٣٧١هـ[1]، معلم الجيش مقدم أحمد الثلايا. وقال الجنود أسرعوا فجميع العلماء من رجال الديوان الملكي والهيئة الشرعية والحكام وضباط الجيش ينتظرونكم. وذهبت مع الجنود إلى مقر القيادة حيث وجدت المقدم الثلايا يصدر أوامره لإيصال بقية رجال الدولة بينما طلب من الأمير الحسن بن علي الدخول إلى عمه السيف عبدالله ليأتي به. وجاء

(١) هذا هو التاريخ كان معتمدًا في الماليات ودوائر الجيش وهو التاريخ الذي خلفه الأتراك وهو يعتمد الأشهر الرومية بالتاريخ الشرقي ويستعملون الهجري في السنين.

الأمير عبدالله وبقية العلماء وقال القاضي محمد الشامي أمير لواء البيضاء الذي صادف وجوده بتعز مخاطبًا المقدم لماذا دعوتمونا، فقال إنكم جميعًا قد عرفتم ما وقع في الحوبان على الجيش ومنهم، وقال أنه فوجئ بوصول الجيش إليه إلى بيته يطلبون منه أن يقودهم إلى حركة ترغم الإمام على التنازل لأخيه عبدالله لأنه أي الإمام قد عجز عن القيام بالامانة التي في عنقه نحو الأمة، وإذا لم يستجب، أي المقدم الثلايا، فسيكون أول قتلاهم. وأنهم سيقتلون كل من خالف أو قاوم ذلك. وقد قاموا بضرب الحصار على المقام واحتلوا جميع المراكز المهمة ولم يبق إلاّ أن يتنازل الإمام عن الخلافة لأخيه عبدالله أو يكون نسف القصر وهدمه على رؤوس من فيه. وقال أحد الحاضرين إذا كنتم وأنتم رجال الجيش قد قررتم هذا فلماذا دعوتمونا. فقال لأنكم العلماء ورجال الحل والعقد وعليكم مبايعة الإمام الجديد. وتكلم القاضي محمد الشامي وقال إننا لسنا كل العلماء ورجال الحل والعقد ولستم كل الجيش والأحسن أن يقتصر الطلب على أن ينيب الإمام أخاه عبدالله ويطلق يده في تصريف الأمور. وقوبل هذا الرأي بالاستحسان وأفاض الأستاذ أحمد نعمان الكلام في إستحسانه بما يقربه من أذهان الجيش، وقال المقدم الثلايا أنه سيعرضه على الجيش ليروا رأيهم. وفعل وعاد يقول أن الجيش مصر على رأيه وإذا عُورِض رأيه فإنه سيقتل الإمام والمعارضين لبيعة عبدالله. وأستقر الرأي بعد هذا على إرسال جماعة إلى الإمام ليعرض عليه الأمر، ويطلب منه اطفاء الفتنة بالتنازل، وذهب القاضي محمد الشامي والسيد محمد الذاري والسيد محمد الحوثي أمير اللواء والأمير الحسن بن علي وحملوا نص التنازل الذي يطلبه الجيش. وبينما نحن في انتظار عودة هؤلاء إذ بناء نسمع طلقات الرصاص تتوالى وتتعالى. وأصيب الجميع بالهلع، وخرج بعضهم ليعود بجلية الأمر وهي أن الإمام رفض التنازل فبدأ الجيش بإطلاق النار على القصر وسيثنون بمن في العرضي. وقد تذَرّع الجيش بأن ضابط المقام أحمد ناجي أطلق النار على أحد الجنود وأنهم ردوا عليه، ولكنه كان معروفًا أنهم أرادوا باطلاق النار الضغط على الإمام أحمد حتى يذعن للتنازل. وعاد الثلاثة الموفودون إلى الإمام بمحرر يقول فيه: أما إنابة

الأخ عبدالله عنّا في القيام بالأعمال فما هو إلا من باب نقل ما في اليمين إلى الشمال، ولكنها على هذه الصورة غير ممكنه فليس هذا إليكم بل هو إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، أما أنتم فاللازم أولًا الإنتصاف منكم للرعايا الذين أحرقتم بيوتهم، وأنتهبتم أموالهم، وروعتم أطفالهم. وسمع الحاضرون الجواب فرأوه حلًا مناسبًا للمشكلة وأرادوا إقناع الجيش إلى أن الإمام قد استجاب لطلبهم. ولكنهم فطنوا إلى مافيه من الوعيد لهم فعلت أصواتهم وصاح بهم الحاج مرشد السريحي منذرًا (ما معكم إلاّ السيف عبدالله إمام وإلاّ إمام وإلاّ قحطنا رؤوسكم. والله ما يخرج واحد منكم إلاّ مبايعًا أو مقتولًا). وإزاء هذا الإصرار رأى المجتمعون أن يبعثوا إلى الإمام وفدًا آخرًا ليشرحوا له الأمر ويطلبوا منه تفادي الوقوع في الفتنة. وبعثوا السيد أحمد زبارة والسيد محمد الذاري والقاضي محمد الحمدي حاكم ذمار والقاضي محمد الشامي والأمير الحسن بن علي. ولما وصلوا إليه طلبوا إلى الإمام أن يتنازل لإخماد الفتنة وحقنًا للدماء، وأخذ هذا ورقة وكتب عليها: حيث طلب الجيش بتعز بتأثير العوامل الأجنبية والأصابع الاستعمارية أن نتنازل للأخ سيف الإسلام عبدالله عن الأعمال فقد تنازلنا له عنها وشرطنا عليه العمل بشريعة الله والعرض علينا فيما دق وجل. ولما سمع من كان حاضرًا من الجيش لفظة التنازل التي جاءت في المحرر صفقوا وأجاب إخوانهم في الخارج بإطلاق النار استبشارًا وإعلانًا للانتصار. وتلا ذلك أن مد سيف الإسلام عبدالله يده للبيعة فبايعه الحاضرون إذ لم يجدوا مخلصًا لهم مما هم فيه إلا ذلك. وأنتقل سيف الإسلام عبدالله إلى المكان الخاص بالإمام في عرضي الجيش وأخذ يبعث البعوث إلى المناطق لأخذ البيعة. فأمر الحاكم الأول بصنعاء السيد قاسم بن إبراهيم والسيد أحمد بن محمد زبارة بالتوجه إلى صنعاء بمحررات إلى السيف العباس، وأمر القاضي عبدالله عبدالاله الأغبري والسيد أحمد بن محمد باشا والقاضي محمد الزهيري إلى البدر في الحديدة، وأمر الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي يحيى المحبشي إلى حجة بأوامر إلى نائبها السيد عبدالملك، وأمر السيد مطهر الكحلاني والسيد محمد المقدمي بالتوجه إلى القفلة والأهنوم والقاضي

محمد الشامي والسيد اسماعيل الشامي بالتوجه إلى إب والسيد أحمد بن المهدي بالتوجه إلى الشرف والسيد مطهر بن يحيى عقبات بالتوجه إلى ذمار والسيد حمود الوشلي نائب الإمام بالتوجه إلى صعدة. وكان بعض الحاضرين قد رشحني بالسفر مع من سافر إلى الحديدة أو حجة فعارض السيف عبدالله ذلك بشدة. وسافر الوفد إلى الجهات المختلفة، وعدت أنا إلى صالة على أساس أن مهمتنا أنتهت بالبيعة، وهكذا فعل غيري من الإخوان. ولكني لم أنته من تناول طعام الغداء حتى جاء الجنود بسيارة يطلبون عودتي إلى سيف الإسلام. وعدت معهم وحاولت أن أصل إلى جامع العرضي لأودى صلاة الظهر ولكن الجنود رفضوا قبل أن يكون الوصول إلى الإمام الجديد. وتبعتهم إليه وقد عاتب كل الإخوان على عودهم إلى بيوتهم وتركه وحيدًا وهو محتاج إلى التعاون. وفي المساء أذن لهم بالمبيت في بيوتهم ما عداي أنا والسيد حمود الوشلي والسيد زيد عقبات فقد رفض السماح لنا بذلك فبتنا لديه.

وفي الصباح ٨ شعبان (١ أبريل) ونحن نتناول طعام الإفطار جاء أحد الجنود ببرقية مستعجلة طالعها الإمام فأربد وجهه، ولاحظنا عليه الانفعال والتأثر ولم نشأ سؤاله عما تحويه البرقية. وبعد الفطور رمى إلينا بالبرقية وفيها ما يلي: من محمد بن أمير المؤمنين إلى سيف الإسلام عبدالله لقد ساءنا وساء عموم الناس ما بلغ من البغي والعدوان اللذين أسفرت عنهما المؤامرة التي دبرتموها ضد صاحب الجلالة أمير المؤمنين فنحذركم العدوان على جلالته وننذركم بسؤ عاقبة هذا البغي الصارخ وليعلم البغاة والمتآمرون أنهم سوف يلقون جزاهم في القريب العاجل. أعدنا البرقية إلى الإمام عبدالله وبدا عليه أنه ينتظر تعليقنا ولكنّا لذنا بالصمت، فوجه الخطاب إلي قائلا: أطلعتم على البرقية، فقلت نعم. فقال ما عندكم، فقلت هذا شيء منتظر، فأربد وجهه وقال لا لا.. لم يكن منتظرًا ولكنّا أسأنا إلى أنفسنا حين ركنّا إلى الخائنين وتركنا الأستاذ أحمد نعمان يذهب مع الذاهبين. فقلت له إنه لو بقي الأستاذ نعمان لما تغير الموقف. ودعا المقدم الثلايا ورمى إليه بالبرقية فقرأها وأعادها ولم يطرأ عليه أي تغير أو إنفعال، ولم يزد على أن قال له (مابش خوف). ونهض وتحدثنا مع الإخوان عن رباطة جأشه

وخور الإمام عبدالله. وقد أنتج وصول البرقية التفكير في إتخاذ إجراء احتياطي، وأسفر عن إرغام الإمام أحمد على مغادرة قصر العرضي مع العائلة وإخلائه للإمام الجديد. ولذلك بعث الذاري والأمير الحوثي لإقناع الإمام بذلك. وذهب هذان وعادا بالموافقة على نقل العائلة إلى قصر صالة والإمام أحمد إلى قصر دار الناصر وأنه حدد الساعة الثانية ليلًا لتنفيذ ذلك. وأستبشر الأمير بالموافقة ودعا المقدم الثلايا لإبلاغه ولكن هذا توجس خيفة من هذه الموافقة السريعة، وكان على حق في هذا التوجس فلم يرد الإمام إلاّ إخراج النساء والأطفال من القصر ليتسنى له مناجزة الإمام الجديد ومن معه. وأسرّ الثلايا إلى الأمير بما جعله يقتنع برأيه. وأستأذن السيد أحمد زبارة بزيارة الإمام أحمد، وكان قد أحيط علمًا بما جاء من البدر إلى عمه من التهديد والوعيد، فأذن له الثلايا بذلك وقد عاد من الزيارة يحمل منشورًا مطولًا يحذر فيه الإمام أحمد الجيش من مغبة عملهم على أهليهم وبيوتهم في مناطقهم في الشمال ويعدهم بالعفو التام العام وتحمل كل ما عليهم من ديات وتعويضات لأهالي الحوبان. عرض زبارة المنشور على الإمام الجديد وكان هذا لا يزال يتظاهر أنه إنما جعل من نفسه صمام أمان من الفتنه ولصون حياة أخيه أحمد ولكنه مع ذلك قد عارض بشدة توزيع المنشور ولكنه أبقاه في يد زبارة فسربه إلى الآخرين.

كان يوم الجمعة ٨ شعبان سنة ٧٤ هـ(ابريل ١٩٥٥م) يومًا مليئًا بالتناقض والارتباك، فقد كان لوصول برقية ولي العهد أثره في اضطراب التفكير، وفيه قرر الإمام الجديد الاتصال بالملك سعود ليسبق بذلك الاتصال المنتظر من البدر. ولم يكن بينه وبين الملك شفرة، وكان دفتر الشفرة الذي يخص أخاه أحمد لدن عبدالملك العمري فأخذه منه بالقوة، وأبرق للملك سعود برقية يقول فيها إن الإمام أحمد تنازل عن العرش إجابة لطلب الجيش وأنه اضطر إلى قبول هذا العرش حرصًا على سلامة البلاد وتفاديًا من الفتنة وطلب التعاون معه. فجاء جواب الملك سعود يشعره أنه قد تلقى الحقائق من الأمير البدر ويحذره من أن يمس الإمام أحمد بأذى، ويقول له أنت تعرف ما بيننا وبين الأخ الإمام أحمد من وعود وعهود وأنه لايمكننا أن نتخلى عما قطعناه على أنفسنا لأن الشهامة العربية والأوامر الدينية

تأبى ذلك. وبعد إطّلاع عبدالله على جواب سعود قرر إرسال وفد من العلماء ليشرح القضية ويحاول الإقناع، وعين لذلك السيد يحيى الكبسي وحاكم تعز الأول محمد بن علي المجاهد والقاضي أحمد الجرافي عضو الاستئناف، ثم أبدله بنائب إب أحمد السياغي. كما قرر إرسال وفد إلى مصر لأخذ البيعة من السيف الحسن ومن معه من الأمراء الموجودين في القاهرة، وليشرح للحكومة المصرية حقيقة الحال، وعين لذلك السيد محمد الذاري والسيد زيد عقبات وضم إليهما السيد محمد بن محمد المنصور الموجود في القاهرة. وقد عاد فنقض هذه القرارات وصرف النظر عنها.

وجاء يوم السبت ٩ شعبان سنة ٧٤ هـ (٢ ابريل ١٩٥٥م) بت ليلة السبت في صالة وكانت طلائع الفشل قد أطلت بقرونها. وكان بودي لو يبتعثني الإمام الجديد في ضمن وفد إلى أي منطقة لننجو من عواقب الفشل والوقوع في قبضة الإمام أحمد ولكنه كان يرفض دائمًا قبول ترشيحي، فتأخرت في البيت حتى جاء جنديان يحملان أمرًا من المقدم الثلايا هذا نصه: القاضي المحترم عبدالرحمن الإرياني حفظه الله. صدرت السيارة عجلوا الوصول فلا ينبغي تأخركم ومفارقة العرضي فمولانا يشكو تأخركم وإنقباضكم وغيركم عن الأعمال وليس في ذلك إلاّ الخطر على الجميع وهذا إنذار، والسلام عليكم ٢٠ مارت سنة١٣٧١. وأسرعت إلى العرضي حيث وجدت الإمام الجديد مع ثلة من العلماء على أهبة الدخول إلى الإمام أحمد. وواجهني الإمام عبدالله قائلًا يجب أن ندخل جميعًا إلى الإمام وأن نكون صرحاء معه وأن يصارحه العلماء بوجوب التنازل الصريح وبإصدار أوامره إلى ولده البدر وإلى رؤساء القبائل للتوقف عن تجهيز الجيوش للزحف على صنعاء وتعز، وكان قد شعر بأنها قد بدأت تتحرك، وإلا فإني سأترك الجيش يصنع ما بدا له. وكان هذا تهديد للجميع، فقلنا له نحن مستعدون، وذهبنا معه جميعًا إلى الإمام أحمد وكان فينا الذاري وعقبات والكبسي والوشلي والحمدي ومحمد بن القاسم واليدومي والمجاهد والحوثي. ووصلنا إلى الإمام فإذا هو يتوسط غابة من السلاح، السيف أمامه والخنجر في وسطه والمسدس إلى جانبه والرشاش بين يديه. وكان

قد سبقنا إليه أخوه الإمام الجديد وتحدث معه بعض الساعة ثم استدعانا وأنتظر من العلماء أن يقولوا كلمتهم ولكنهم لم يقولوا أكثر من استعراض الموقف وتخوفهم من الفتنة وأحالوا إلى الإمام أحمد أمر تفاديها، فقال لقد فعلت كل ما يمكن فعله لتفادي الفتنة وليس بعد الآن إلا الموت الأحمر دفاعًا عن النفس والحرم. وأضطر الإمام الجديد إلى أن يتحامل على نفسه ويقول، بعد أن حلف الأيمان المحرجة، أنه لا شأن له بالحادث ولا طمع له بالعرش وإنما هو الحرص على حياة الإمام والخوف من الفتنة، وطلب التنازل الصريح وتحرير أوامر إلى البدر ورؤساء القبائل بالتوقف عن مهاجمة صنعاء. فقال له الإمام أحمد دع الأمر لي وسوف أدبره وأطفي الفتنة دون دماء وأفرق العشائر وأعيد البدر وأفعل كل ما تريدون. ولكن عبدالله أصر على طلب التنازل الصريح ومنع القبائل من مهاجمة صنعاء. وكثر الأخذ والرد بين الحاضرين، وأسَرَّ إليّ أمير اللواء السيد محمد الحوثي برأي وطلب طرحه كحل فقلت أنه طالما أن سيف الإسلام يقول أنه لاغرض له غير إطفاء الفتنة ويقسم على ذلك فلنتعاون على ذلك فيحرر الإمام أحمد رسائل إلى البدر والقبائل والجيش النظامي والبراني يلزم فيه الجميع بالهدوء والإنقياد لسيف الإسلام عبدالله على أن يقوم هذه الفترة بالأعمال كنائب عن أحمد ويكون التظاهر أمام الجيش بأنه يجري الأعمال كملك ريثما تطمئن النفوس ثم يكون توزيع الجيش الثائر في المراكز والمجيء بغيرهم في العاصمة الثانية تعز، وبعد ذلك يعود عبدالله إلى عمله في الخارجية والنظر في غير الهام من الشئون كما كان قبلًا. وقد وافق الإمامان القديم والجديد على ذلك وأخذ أحمد يحرر المحررات إلى الجيش والقبائل وإلى البدر فحرر إلى البدر ما يلي:

الولد البدر حرسه الله وأعانه والسلام عليكم. ما بلغ عزمك عمران إلا من أخبار الناس فالتلغراف مقطوع والشيفرة وصلت وفيها أغلاط خطية فلم أتمكن من حلها. وقد حصل الظن أنها لم تكن التي نعمل بها أوهي القديمة ولا والله أعلم أين هي الآن. والمراد أن هذا بواسطة الأخ سيف الإسلام الفخري حرسه الله فقد كان التنازل على قيامه بالأعمال على كتاب الله وسنة رسوله والشريعة المطهرة، فعند وصول هذا أنا أحجرك بحجر الله سبحانه وألزمك بالتوقف الآن بعمران أو

حيث يصلك هذا وسلم للمشايخ والعقال مصروفًا كل واحد بقدره والزمهم بالعودة محلاتهم. وفي عزمي الوصول إلى عمران فألزم بإفتقاد المطار. والأخ الفخري حرسه الله قد كلفته بإرسال نظام إلى صنعاء ويجمع المواتر الموجودة ويكونوا عليها إلى صنعاء فالخشية هناك كم ضعفاء ومساكين ونساء وأطفال فلا تترك مجهودًا في التوقف. وصدرت كتب للمصلي وغيره عجلها إليهم الله الله، والانتظار للإفادة والله المعين. إجتهد في تسكين الناس ومنع الفتنة ولو تضحي بدمك فأبذل الجهد في هذا فإني والله أحب أن ألقاك عند الله وأنت شهيد ولا وأنت قائد فتنة وأنت بمحل من الكمال والله المعين. ٩ شعبان سنة ٧٤، إذا وصل هذا وأنت بحجة فتوقف مكانك.

وكتب إلى الجيش ما يلي:

إلى المحبين الكرام سلمهم الله. لقد كان ما كان من ما سبق في علم الله سبحانه. والآن لعل الله سبحانه قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح، فإنّا حملنا الأخ سيف الإسلام عبدالله حفظه الله الحُجّة وكان التنازل على أن يقوم بالأمر ويجريه على شريعة الله سبحانه ولم يبق ما يوجب الأخذ والرد. وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء، فليقف كل واحد محله والأخ سيف الإسلام حفظه الله يخرج إلى محله بالعرضي للقيام بأعمال الناس وعليكم جميعًا إعتماد أوامره ومن خالف هذا فعليه حجة الله، والله المعين والموفق وقد كان منا التحرير إلى الملحقات بوقوف كل واحد محله وعود من قد خرج بيته وسيرسلها الأخ الفخري حفظه الله، والسلام عليكم. ٩ شعبان سنة [١]٧٤.

حرر الإمام أحمد ما حرره وأرضى به الإمام الجديد ولكنه أشترط أن يفك عنه الحصار. ولكن عبدالله عارض ذلك بشدة بحجة أنه إذا خرج الإمام أحمد فهو يخشى عليه من أحد الجنود كما أنه لا يوافق على أن يتنازل الآن ولكنه يعاهد الله أنه بعد إنتهاء الفتنة واستتباب الأمن سوف يتخلى عن العمل على شرط أن يظل

(١) انظر صورة التنازل في الملحق رقم (١٢).

هذا الوفاق مكتومًا. وقد رمقه الإمام بنظرة معبرة ولم يعقب ولا تراجع عما حرره، وكأنه كان في حاجة إلى شيء من الوقت ليستكمل إعداده للانقلاب على الانقلاب. والتفت إليّ يقول أتذكرون صدر البيت من قول المتنبي أنا الغريق فما خوفي من البلل، فقلت له نعم يقول المتنبي:

الموت أهون لي مما أكابده   أنا الغريق فما خوفي من البلل

فعلّق الإمام الجديد بقوله ليس الآن وقت الأدب والشعر وعلّق العلاّمة الذاري رحمه الله فقال نعم لقد حال الجريض دون القريض[١].

وفي هذا اليوم كان مقتل الغماري وابن أخيه وجنديين من الجيش وكان الغماري قد وصل بالمنشور الذي حمله السيد أحمد زبارة ليعرضه على الجنود فمنع من ذلك وطلبه المقدم الثلايا إليه. وكان هذا مصابًا بالحمى الدينية فما هو إلاّ أن رأى المقدم حتى سل خنجره وأراد أن يغمده في صدر المقدم. وحملت أحد الجنود شهامته وحماسه ففصل بين المقدم والخنجر فقُتِل ولكن بعد أن سدد طعنه للغماري مات منها وكان ابن أخيه يحمل مسدسًا فأشهره وقتل أحد الجنود وقتله آخر فأسفر الحادث عن أربعة قتلى.

عدنا مع الإمام الجديد، وكان أول ما فعله أن أمر بتصوير محررات الإمام أحمد ليرسل صورًا منها إلى الجهات المختلفة[٢]، وأعلن نفسه إمامًا وتلقب بالمتوكل على الله. وأمرني أن أذهب مع علي رجاء وسامي أبو عز الدين إلى وزارة الخارجية للإشراف على ما يحررانه من التبليغات إلى الدول العربية وأمهات الصحف ودور النشر والإذاعات. وقلت له أن هذا ليس من اختصاصي، فقال عليكم أن تشرفوا فقط وتُوَجِّهوا. ولفَتّ نظره إلى أن ذلك سيكون مخالفًا لما تم عليه الاتفاق فقال وما الذي بقي بعد ما حرره الإمام بقلمه من التنازل.

وخرجت لأجد الشيخ حميد الأحمر يبحث عني ليأخذ رأيي فيما حدث ويقول

(١) الجريض هو الريق، والمثل يعني أن جفاف الريق الناتج عن الخوف قد حال دون قول الشعر.
(٢) انظر صورًا لبعض هذه التبليغات في الملحق رقم (١٢).

أنه بعد مقتل الغماري بعثوا لتطويق الجيش البراني وطلبوا وصوله للبقاء في العرضي وهو يعتبر ذلك حجزًا وتوقيفًا، وقلت له إذهب إلى المقدم وانتظر عودتي. وعدت من الخارجية والمقدم مع الشيخ حميد في خلاف فهذا يريد توقيفه في العرضي مكرمًا وذلك يأبى عليه ويقول أنه لا يعارض الحركة. وتدخلت في الأمر وشرحت للمقدم الخطورة التي ستترتب على الخلاف مع الجيش البراني الذي يلتف حول الشيخ حميد، ونصحته بأن يعتمد على الشيخ حميد في تهدئة البرانية الغاضبين لمقتل الغماري ولا يتم ذلك إلا وهو معهم، فإذا أضفتم إلى الإثارة الأولى بأخرى أكثر استفزازًا فانتظروا الفتنة. ووافق المقدم وقال عليكم إقناع الإمام، يعني عبدالله، فقلت له نعم ودخلت على هذا وشرحت له خطورة انشقاق الجيش البراني فقال ما هو رأيكم فقلت كيف ترون الشيخ المحجاني المرتب في القاهرة فقال يبدو أنه مخلص وقد وصل إليّ وتعهد على الإخلاص والوفاء فقلت إذًا علينا أن نقنع الشيخ حميد بأن يبقى مع خاصة أصحابه في القاهرة ولا يغادرها. فقال ولكن الشيخ حميد صاحب البدر وقد عمل في صنعاء لصالحه، فقلت إذًا اطلبوه إليكم وخذوا تعهده على حسن الطاعة وأمروا بسحب الجيش من الجحملية ويبقى في عهدة الشيخ حميد ومن معه، فوافق على ذلك وطلب حميدًا وتحدث معه وتعهد له.

وفي نفس اليوم وصل وفد منتدب من علماء صنعاء ومن مشائخ القبائل للاستطلاع إذ أشتبه البعض بصحة التنازل وظنوا أن الإمام قد قُتِل، والحوا على السيف العباس حتى أضطر إلى إرسال السيد عبدالقادر بن عبدالله والقاضي محمد أحمد الحجري مع الأمير الحسن بن علي وقد عرض عليهم الإمام عبدالله المحررات التي من الإمام فعادوا بها إلى صنعاء ومعهم أمر إلى العباس بإرسال وفد بمحرر الإمام إلى البدر ليأخذ منه البيعة، فبعث وفدًا مكونًا من الأمير يحيى بن الحسين والسيد قاسم بن إبراهيم والقاضي أحمد الجرافي والقاضي محمد الحجري والسيد حسين بن عبدالقادر وقد إنتهى بهم السير إلى عمران وهناك احتجزهم الجيش المرسل من البدر إلى عمران وأخذوا منهم المحررات وبعثوها إلى

البدر وطلبوا الإذن بالوصول إليه، ولكن الأحداث في تعز كانت أسرع فعادوا من عمران بعد انتصار الإمام أحمد.

وفي هذا اليوم جاءت برقية أخرى من الملك سعود فيها تهديد ووعيد فكان لها أثر كبير في إضعاف المعنوية. كما جاء من عامل صبر علي بن عبدالله حميدالدين محرر فيه ما يدل على انتقاضة ومن لديه من الجيش البراني فشعر السيف عبدالله بأن هناك ما يوجب عقد جلسة، وجمعنا وعرض علينا البرقية ومحرر العامل، وكان يعطي البرقية الأهمية الكبرى، فقلت له لا يجب أن تلتفتوا إلى تهديد سعود والخطرعلى مرمى بندق منا في إنتقاض عامل صبر ومن معه من الجيش. وبعد أخذ ورد تقرر إرسال الأمير الحسن بن الحسن وأمير اللواء محمد الحوثي والشيخ حميد الأحمر والشيخ المحجاني إلى العامل المنشق ويحملون معهم محررات الإمام وقد عادوا بالعامل والمشاغبين من عرائف البرانيين. وقد أخذ عليهم الإمام عبدالله العهد وأعادهم على أعمالهم في صبر. وجاءني الشيخ حميد فقلت له كيف تمكنتم من إقناعهم فقال لقد انفردنا بالعامل وأصحابنا العرائف وقلنا لهم أنه لا يحسن التحرك الآن قبل الإذن من الإمام فقد يكون في ذلك ما يدفع الجيش بالإقدام على قتله فوافقوا على النزول ولكنهم مع الإمام أحمد. وفي هذا اليوم جاءت برقية من أمير الحديدة السيد محمد أحمد باشا، والد عامل تعز يحيى بن محمد، يوبخ فيها السيف عبدالله ويتهدده مما جعل هذا يأمر بحبس ابنه يحيى فحبس في العرضي. وجاء من يقول لي أن قائمة قد أعدت بحبس مجموعة منهم أنا والشيخ حميد الأحمر والنائب الوشلي وصالح محسن بحجة أنّا ممن عمل في الدعوة إلى ولاية العهد. وانزعجت لذلك وذهبت إلى المقدم الثلايا لأقول له يظهر أن حركتهم هذه ستكون مطية للانتقام. فقال ما الخبر فقلت له بلغ أن قائمة قد أعدت لحبس مجموعة منهم أنا والوشلي، فقال كانت عرضت فكرة للإمام عندما جاءت برقية البدر ولكني أقنعته وبالنسبة إليك فمن المستحيل أن نسمح. ومع اطمئناني إلى صدق المقدم إلا أني خشيت أن يُغلب على أمره، ووجدت أن ربط السيف عبدالله بيني وبين البدر، بتأثير عملي سابقًا لولاية العهد، تجعلني في خطر محتم إن انتصر الامام الجديد أو القديم، وبدأت أفكر بالفرار.

وجاء يوم الأحد ١٠ شعبان سنة ١٣٧٤هـ (٣ ابريل ١٩٥٥م)، وفيه فكرت بالفرار مع عامل تعز السيد يحيى الباشا إلى أتباعه في التعزية ومنها إلى حيث نقرر فيما بعد، المهم أن نخرج من الأربعة الأميال المربعة التي تطالنا فيها سلطة الإمام الجديد. ولكن كيف بنا وعامل تعز في الحجز. وذهبت إلى الإمام عبدالله وطلبت إليه أن يأذن لعامل تعز بزيارة قصيرة لأولاده ليطمئنهم على سلامته فأذن بضمانة ذهابي معه وعودي به. وذهبنا إلى بيت العامل بتعز، وقبل أن يرى أولاده قلت له تعال معي إلى الفرار على سيارتك من طريق عصيفرة إلى التعزية ووافق مغتبطًا. وخرجنا مسرعين وركبنا السيارة وحالما صعدنا إلى السيارة جاءت سيارة وعليها خمسة جنود ليعيدونا إلى العرضي فقلنا لهم لقد كنا في طريقنا إلى العودة فاتبعونا، وأبوا علينا إلاّ الركوب معهم فامتثلنا أوامرهم وعدنا لنقول للمقدم لماذا استعجلتم علينا فقال إنه مولانا يعني عبدالله.

إن فشلنا في الفرار مع عامل تعز لم يسلمنا إلى اليأس، فقد جعلنا نفكر بطريقة أخرى. ويصادف أن أطلب سيارة لنقلي إلى صالة للغداء فيأتي السواق محمد حميشان، وهو معروف لدي ومعروف بالولاء للإمام أحمد، فدعوته لتناول طعام الغداء وبعده أظهرت له أنّا مرغمون على العمل مع الإمام الجديد وأني أريد الفرار إلى خارج الحدود، وطلبت إليه أن يجهز السيارة بالبترول اللازم وجعلت له جعلًا مغريًا، وأخذت عهده على الوفاء والإخلاص، واتفقنا على السفر اليوم التالي. كما أني قد فكرت في الوقت نفسه بأننا قد لا نتمكن من الفرار، وباحتمال فشل الانقلاب فعملت على الإلتقاء بالنقيب علي مانع وأبديت له إمتعاضي مما يحدث وأنه ليس لي يد فيه وطلبت منه إبلاغ ذلك إلى الإمام أحمد.

التمست حميشان في اليوم التالي فقيل لي أنه أرسل بمهمة إلى صنعاء فقلت في نفسي إن الأقدار تسد الأبواب في وجوهنا ولكن لنحاول مرة ثالثة. وكانت هذه المرّة مع النائب السيد حمود الوشلي، وقد تفاهمت معه على الفرار معًا واتفق هو من جهته مع الشيخ محمود عبدالحميد أحد مشائخ المسراخ المتبوعين وحددنا ليلة الثلاثاء لذلك.

ولكنه جاء يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٧٤هـ (٤ ابريل ١٩٥٥م) ليضع الفصل الأخير في المسرحية الغريبة العجيبة المليئة بالتناقضات. كانت فكرة الفرار قد أستبدت بي وجعلتني أستعجل الساعات إلى المساء لنفر بحياتنا من بطشة الإمام أحمد، وكان فشل الثورة قد أصبح في حكم المؤكد. وقد قمت مبكرًا وتناولت طعام الإفطار وسارعت إلى العرضي حيث وجدت هدوءًا غير منتظر ولكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة فيما أرى، ولم يغير رأيي أني دخلت على الإمام الجديد وهو ينظر في الأوراق تقدم إليه ويبت فيها وكأنها قد اتسقت له الأمور. ورأيته مشغولاً عني بالأوراق فخرجت عائدًا إلى صالة لأرتب أموري إستعدادًا للهرب في مساء اليوم وكنت على موعد مع النائب الوشلي والشيخ محمود عبدالحميد إلى بعد الغروب. ولهذا فلقد كنت انتظر وصول السيارة بفارع الصبر، ولكنها لم تأت. فقلت في نفسي لعل الأقدار تضع عقبة جديدة في طريقنا. وبينما أنا أفكر في طريقة للوصول إلى بيت الوشلي في الموعد المحدد إذ بي أسمع أصوات سيارات عديدة. وأسرعت إلى النافذة لأجد عددًا من السيارات تتسابق إلى قصر صالة وعليها نساء وأطفال، وجاء من يقول لنا أن عليها عائلات الإمام. وكنا نجهل الطريقة التي سُمح لهم بها بالخروج من القصر، وكان عبدالله يعارض ذلك معارضة شديدة. ولكنا لم نلبث بعد عودة السيارات أن سمعنا طلقات الرصاص، وجاء من يقول لنا أن السيارات التي عادت عليها عبدالله العبد ومحمود إسماعيل والضابط محمد إسماعيل الأكوع الذي عهد إليه الجيش بحراسة الإمام أحمد فخانه وتحول مع الإمام وسهل خروج العائلة من الحصار ونقلهم إلى صالة، وأن الجيش قد قتل الأكوع وعبدالله العبد ومحمود إسماعيل واستولى على السيارات وأعلن الإمام أحمد الانقلاب على الانقلاب وكتب إلي أخيه يقول:

أرى خلل الرماد وميض نار وأخشى أن يكون له ضرام[1]

---

(١) البيت الأول لنصر بن سيار والي آخر ملوك بني أمية على خراسان، وقد بعثه منذرًا بما بدا يطل من تحرك بني العباس.

فيلزمكم بما قد كان منكم تدارك ما هنالك والسلام

وإلا فاعلموا علمًا يقينًا بـــأن جـزاكـم مـوت زؤام

واستمرت الحرب على أشدها، وأمر المقدم مَن في القاهرة بضرب القصر بالمدافع فضَرَبت ولكن على مقر القيادة في العرضي. وأمر الإمام وقبل أن يحرز النصر بالتنصير (أي إشعال النار على سطوح البيوت إشعارًا بانتصاره). وانطلت الحيلة وأشعل الناس النيران، فهبطت معنوية الجيش وأخذ بعضهم يركنون إلى الفرار، وبعضهم ينضم إلى أحمد. وثبت المقدم ومعه الحاج مرشد السريحي وقوّوا من عزائم الجيش التي كانت قد وهنت. وفرارًا من قنابل المدافع تحول الإمام الجديد ومن معه إلى مكان الجنود في الأدوار السفلى واستمرت الحرب طيلة ليلة الثلاثاء ويومها،١٢ شعبان. وحينما ضاقت حلقتا البطان دخل المقدم الثلايا إلى الإمام عبدالله ومن معه وقال لهم إن ما وقعنا فيه من فشل أنتم سببه فقد قلنا لكم دعونا نقتله فعارضتم وقلت لكم دعونا نقصف القصر بالمدافع فنهدمه على رؤوس من فيه فرفضتم، وخرج متوعدًا فمال الوشلي إلى الكبسي وقال له مشيرًا إلى عنقه إنها قصة أبي لبابة مع بني قريظة حين أشار لهم بيده إلى عنقه إنه الذبح. وهدّتهم الشدة فقرروا الاتصال بالإمام أحمد ليرجوه ايقاف إطلاق النار حتى يتم التفاهم. وانتدبوا السيد محمد الذاري لذلك، ولم يتمكن من الذهاب لإستمرار إطلاق النار، ولكنه اتصل تلفونيًا بالإمام أحمد يرجوه إيقاف إطلاق النار فأجاب هذا إنه في موقف المدافع وعليهم أن يوقفوا إطلاق النار. وبعث رسالة لأخيه عبدالله يقول فيها لقد كان البغي على النفس والعرض والمال فقد حصرتم الإمام في بيته وأطلقتم الرصاص على عائلته وأولاده وأخذتم الذهب المودع لدى علي عبدالملك وهو من غلات أملاكنا، وطلب منه إرسال من لديه من العلماء للمراجعة وإلا فسيكون مواصلة ضرب مقر القيادة بالمدفعية لهدمه على رؤوس من فيه. وقد أجاب الإمام عبدالله على الإمام أحمد أنه أخذ ما لدى علي عبدالملك من الذهب بولايته الشرعية على أساس أنه من مال بيت المال وأما تهديدكم لنا بالمدافع فإنا

سنقابل ذلك بالمثل وأشد ولم يوافق على إرسال العلماء ولعله لو فعل ذلك لوجد له ولهم مخرجًا.

وحينما أشتد ضرب المدفعية على عبدالله ومن معه، طرح على العلماء فكرة الاستعانة ببريطانيا بطلب طائرات لضرب القصر وتهديد القبائل المتجمعة في عمران. وأراد أن ينتزع منهم الموافقة، فقالوا له ولكن كيف سيقابل الشعب استعانتكم بالأجنبي واستدعائكم له ليتدخل في شئون البلاد، إن ذلك سيزيدهم التفافًا حول الإمام أحمد ونقمة علينا. فقال يمكن أن نعلن أنا استأجرنا ذلك، فقالوا له ولكن من يصدق أن هناك طائرات حربية للإيجار، فصرف النظر[1].

استمرت الحرب ليلة الثلاثاء ويومه. وفي منتصف ليلة الأربعاء فر المقدم الثلايا والحاج مرشد السريحي، وكان الجند قد فروا جماعات لما عانوه من القصف المدفعي. وقد نجا السريحي بنفسه وفر إلى عدن وبقي هنالك ولم يعد إلا بعد ثورة ٢٦ سبتمبر. وأما طيب القلب المقدم الثلايا فقد أنتهى به المطاف إلى قرية اللوازم من قرى جبل صبر على بعد بضع كيلومترات من صالة، فقبض عليه المواطنون. أما الإمام عبدالله ومن معه فقد بعثوا إلى الإمام أحمد يعلنون إستسلامهم، وأرسل هذا أمير العكفة محمد مرعي فأمر بحبسهم وربطهم بعمائمهم وساقهم إلى مبنى وزارة الخارجية يتقدمهم السيف عبدالله.

الإعتقال والتقديم للإعدام

هذا ما كان من شأن الإخوان في العرضي، أما أنا في صالة فقد فوجئت في منتصف ليلة الأربعاء بالجنود ومعهم الأمير الحسن بن الحسن جاءوا للقبض علي وإيداعي السجن في إحدى غرف الدار الشرقي بعد أن منحوني قيدًا كبيرًا

(١) كان الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيري رحمه الله يهاجم الحركة من صوت العرب ويتهم عبد الله بالارتباط ببريطانيا. وكان الكثيرون ينكرون عليه ذلك، ولكن هذه المحاولة تؤكد صحة نظرة الأستاذ الزبيري الذي كان موقفه من الحركة محل إنتقاد كثيرين ممن كان يرى أن الحركة هي فقط حركة الجيش وحركة الثلايا وأنهم ما جعلوا سيف الإسلام عبد الله على رأسها إلا إرضاء للقبائل على أساس أن يأتي دوره بعد إزالة الشبح الرهيب أحمد.

أعاد لي شريط الماضي منذ كان اعتقالنا في إب سنة ٤٨ إلى أن أطلق سراحنا. وخلوت إلى نفسي وقد تركوني في المكان لوحدي وقلت لها إنه مشوار جديد إلى حجة إن قُدرت لنا السلامة من الرحلة إلى العالم الآخر. وبينما كنت أسبح في الأفكار السوداء إذ بي اسمع صليل القيود وإذا بثلاثة نفر يدخلون علي وورائهم الجنود يؤنبونهم ويتهمونهم أنهم جاءوا من عند الإنجليز. وحاولت أن اعرفهم فلم أعرف غير علي أحمد الضبة. وبعد خروج الجنود سألته عن رفيقيه فقال أحدهما عبدالملك الطيب والآخر محمد شعلان، فقلت وما الذي جاء بكم من عدن فقالوا بعثنا الإخوان لاستطلاع الأحوال وحث الجيش والثلايا على القضاء على الإمام. وقلت ولكن ألم تسمعوا بالحرب فقالوا سمعنا بها هنا في صالة والجنود يقتادوننا إلى السجن.

وفي صبيحة يوم الأربعاء ١٣ شعبان سنة ١٣٧٤هـ (٦ ابريل ١٩٥٥م) فوجئنا بوصول المقدم الثلايا مكتوفًا. وقد فك عنه الجند الوثاق وأبدلوه ثلاثة قيود دخل وهو يرسف بها فاسودت الدنيا في عيني، وكنت آمل له النجاة. ولما رآني قال «وأنتم هنا وما ذنبكم فنحن الذين أكرهناكم واكرهنا غيركم من العلماء على العمل، أقول هذا براءة للذمة». فأكبرت هذه المثالية منه وازددت أسفًا عليه. كان ثابت الجأش وضيء الوجه باسمًا. كان قد حدد مصيره، ولا أزال أذكره وقد جاء أحد عبيد الإمام يوبخه فنهض ينازله وهو بقيوده ويقول له اسكت يا كلب، مع سيدك سيف ونحن في إنتظاره ولكني لا أريد أن أسمع توبيخًا من كلب مثلك. وانصرف العبد ولم ينبس بكلمة واحدة. وجاء الأمير الحسن بن الحسن يسأله عن عمه عبدالله وكيف تركه فقال تركته في منتصف الليل وهو مستسلم وقد سمح لنا بالفرار أنا والحاج مرشد كما وافق الجيش على ذلك حرصًا علينا. وذهبنا معًا عن طريق الحوبان، وهناك التقينا بجماعه من القبائل تبادلنا معهم الرصاص وجرح الحاج مرشد ونجوت أنا وغيرت إتجاهي نحو اللوازم. وهناك كنت قد عجزت عن التحرك خطوة واحدة نتيجة السهر عدة أيام والتعب فملت إلى القرية فأكرموني وأطعموني وكان ذلك ثمنًا لرأسي فقد قبضوا علي وأوصلوني إلى هنا. واحفاه الأمير السؤال عن عمه فقال له وأنت لماذا لم تنزل أمس وأنت معنا من أول الثورة فقال لقد منعني الرصاص فقال

له كان يجب أن تأتي لتتذوق الحرب وتطعم الرصاص فإنه لا يكفي أن (توقزوا)[١] من داخلكم ثم تضحوا بالناس الآخرين. وانسحب الأمير دون رد.

وبعد ساعة جاء المقدم الآنسي رئيس الشعبة العسكرية ومعه ثلة من الحرس الملكي يستدعون المقدم الثلايا إلى الإمام، وعرفنا أنه يساق إلى ساحة الإعدام. وبعد نصف ساعة جاء الجنود ليأخذونا، وكان قد انضم إلينا القاضي يحيى السياغي والأستاذ نعمان محمد نعمان، وحملونا على سيارتين وقلنا في أنفسنا إنه السيف ولا شيء غيره. وفي طريقنا إلى الميدان رأينا رأس عبدالرحمن باكر مصلوبًا فأزداد يأسنا من الحياة، واستسلمنا لقدرنا بكامل الرضى والاطمئنان.

وساقونا إلى الميدان حيث أوقفونا صفًا ليأخذ كل واحد دوره في الاعدام بعد المقدم الثلايا. وكان الإمام يخطب في الجيش ويدور عليهم ويعلن عفوه عنهم لأنه غرر بهم المقدم. وقرب مني في حال دورانه على الجيش فقلت له أرجو أن تتثبتوا ففي الميدان من وصل اليوم من الخارج ولا شأن لهم في الحركة من قريب أو بعيد. أما أنا فقد مضى علي يومان في صالة، لقد كنت معتزلاً للفتنة وقد أبلغتكم ذلك بواسطة النقيب علي مانع، فأجاب والله يا أخي ما بلغني شيء[٢].

إعدام المقدم الثلايا والآخرين

خطب الإمام في الجيش قبل تنفيذ الإعدام معددًا انعاماته على المقدم الثلايا وكيف أنه غرر بالجيش وأثار فتنة في البلاد، ثم قال لهم أترون هذا حقيقًا بالحكم عليه بالإعدام، فقالوا جميعًا نعم.. نعم، وفي المقدمة الجيش الثائر. وكان أراد أن يسبر غورهم وهل سيقول قائلهم لقد أخطأ المقدم ولكن عفو الإمام أعظم ليغير حكمه عليه، ولكن الإيجاب كان جواب سؤاله فأمر بإعدامه. وانتظرنا أن يدعى أحدنا للاعدام بعده، إلاّ أن الإمام مرق من الميدان مسرعًا، وكأنه خاف ردود الفعل. وبينما نحن ننتظر مصيرنا في الميدان إذ بجيش أجش تضرب أمامه الطبول قد

(١) الوقزة في اللغة اليمنية (السوس).

(٢) سمع الأستاذ نعمان محمد نعمان ما قاله الإمام فقال لي نجوت ورب الكعبة مادام قد ناداك بـ (يا أخي)، ولم يكن يعرف أنه سيقتل أخويه الحقيقيين عبد الله والعباس.

جاء من حجة وعلى رأسه الشيخ علي بن محسن باشا والقاضي محمد الأكوع وكانا من المسجونين في حجة، وقد اغتنم الاستاذ نعمان والسيد أحمد الشامي الحادث فدفعا البدر إلى إطلاق جميع من بقي في الحبس في حجة وفيهم السلال والجائفي وغيرهما. وطلع علينا في طليعة الجيش علي بن محسن والقاضي محمد علي الأكوع والتفتّ إلى الأخ الأستاذ نعمان محمد نعمان وقلت له أرأيت:

كذا قضت الأيام مابين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

لقد أطلق إخواننا ولكننا نحن عدنا إلى السجن وربما إلى الموت.

أمر الإمام بإعادتنا إلى حبس صالة، فأعادونا وعاد إلينا شيء من الأمل. وكان القاضي يحيى السياغي أكثرنا تفاؤلًا فقد طلب من بيته أن يأتوه ببعض ما يحتاج من الأدوات، فقلت له رحمه الله لا تسرف في التفاؤل ولا تطلب شيئًا فإنه سيكون من نصيب الجنود[1]، فقال ولماذا التشاؤم وقد أعادنا من الميدان ولو كان يريدنا لأَمَرَ بإعدامنا، فقلت له لقد تعودنا من إعدامات ٤٨م أنه يوزع الإعدامات ليستمر الرعب والإرهاب. وهكذا كان، فقد اعدم يوم الخميس ١٤ شعبان (٧ إبريل) القاضي يحيى السياغي حاكم تعز الثاني والضابطان محسن الصعر ومحمد ناصر الجدري، وفي يوم الجمعة ١٥ منه (٨ إبريل) أُعدم الضابط علي حمود السمة، وفي السبت ١٦ شعبان (٩ إبريل) أُعدم الشيخ علي حسن المطري والشيخ عبدالرحمن الغولي، وفي يوم الأحد ١٧ منه (١٠ إبريل) أُعدم السيد محمد بن حسين عبدالقادر والضابط حسين الجناتي، وفي يوم الاثنين ١٨ منه (١١ إبريل) أُعدم القاضي حمود السياغي والضابط أحمد الدفعي، وفي يوم الأربعاء ٢٠ منه (١٣ إبريل) أُعدم في

---

(١) لقد ذهب كل ما جاء به القاضي يحيي إلي الجنود بما في ذلك البالطو الذي كان عليه حينما سبق إلي ساحة الإعدام فأخذه الجلاد الوشاح قبل إعدامه وقد كان لهذا البالطو قصة فيها عبرة فقد أخذه الجلاد الوشاح من على السياغي حينما أعدم وشاء الله أن يرتكب الوشاح جريمة قتل فيحكم عليه بالقصاص ويساق إلى الإعدام وعليه البالطو فيأخذه من عليه السياف محمد سالم العبد وتأتي ثورة ٢٦ سبتمبر فيعدم محمد سالم والبالطو عليه فيأخذه الذين أطلقوا عليه الرصاص ويختفي خبره وقد خلف وراءه عظة وعبرة.

حجة الأميران سيف الإسلام عبدالله وسيف الإسلام العباس وفي صنعاء أُعدم القاضي عبدالله الشامي وفي يوم الأحد ٢٤ منه (١٧ ابريل) أُعدم الضابط قايد معصار، وكان السادس عشر في عدد المعدومين وبإعدامه انتهت الإعدامات وقد أرتوى السيف وأرتوى الطاغية.

الخروج من الحبس

كنا ننتظر كل يوم أن نساق إلى الإعدام ولاسيما أنا كنا قد سمعنا أن الإمام يقول سنضحي يوم الجمعة بكبشين أقرنين أملحين ولما سُئل عمن يعنى بهذين الكبشين قال الإرياني والوشلي. وعاودنا شيء من الاطمئنان حينما بلغنا أنه قد أطلق سراح الوشلي وأعاده إلى عمله وأن السيد العلاّمة الذاري رحمه الله قد رمى نفسه بين أقدام الإمام يشفع لي، وأن الأستاذ صالح محسن وهو محل ثقة الإمام قد حاول من جهته ليخفف من غضبة الإمام، ولكن التشاؤم كان يعاودنا في كثير من الأحيان. وبعد أحد عشر يومًا مرت علينا في السجن واليأس والرجاء يتجاذباننا إذا بنا نفاجأ بالإمام يصل إلى صالة ويأتي معه ولي العهد البدر ومعه الأستاذ أحمد نعمان والسيد أحمد الشامي، فرجحت كفة الرجاء لولا أنه كان الأمر بالقبض على الضابط قايد معصار، وكان لا يزال طليقًا، وإرساله إلى سجن تعز. وكان هذا قبل ظهر ذلك اليوم قد قضى وقته لدينا وتناول طعام الغداء معنا، وكان ذلك غريبًا فقد كان الضباط يتحامون الجلوس معنا والتحدث إلينا، وكان الرجل يبدو ساهمًا مثقل النفس بالهموم. وفي منتصف هذه الليلة وكنا قد نمنا فوجئنا بالأستاذ محمد أحمد نعمان قد جاء ليوقظنا وهو يحمل أمرًا بإطلاقي وإطلاق عمه نعمان محمد نعمان. وفُكّت عنا القيود في تلك الساعة وخرجت من السجن وكنت أسكن في بيت بجانب القصر وذهبت في تلك الساعة إلى البيت حيث أيقظت الأولاد من نومهم، وقد وجدت الأولاد والعائلة في حالة يرثى لها فقد كانت الاشاعات ترشحني للاعدام يوميًا، فهم يعيشون مع الترقب والخوف وقلق الانتظار وأنا في نظرهم لا حيّ فيرجى ولا ميت فينعى، فكانت فرحة اللقاء بعد اليأس عظيمة.

وفي اليوم التالي نزلت إلى العرضي وفي طريقنا إليه التقينا بامرأتين عائدتين من العرضي وهما تنتحبان بحرقة زائدة وسألنا عن سبب بكائهما فقيل لنا أن الإمام قد أعدم الضابط قايد معصار وهو ابن إحداهما وزوج الأخرى. وتأثرت لهما بالغ التأثر وانقبضت نفسي وعدت إلى تشاؤمي وكدت أعود من حيث أتيت، ولكني رأيت في ذلك ضعفًا فواصلت المسيرة حيث التقيت ببعض الإخوان وفهمت منهم أن قايد معصار هو آخر ضحية وعاودني شيء من الاطمئنان.

مصر والسعودية تهنئآن الإمام

أكبر الناس في الخارج إعدام الإمام لأخويه ولم يكبروا إعدامه لأربعة عشر يمنيًا وأضعاف هذا العدد وأولئك الشهداء الذين أعدمهم في سنة ١٩٤٨م. وقررت مصر والسعودية إرسال وفد من الدولتين إلى اليمن للإطلاع على الأحوال فيها. وجاء الوفد المصري برئاسة حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية في مصر وأحد رجال الثورة إلى جدة ولم يبلغها حتى كان الإمام أحمد قد انتصر فواصل السفر إلى اليمن ومعه وفد سعودي برئاسة الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف في المملكة السعودية ليهنئا الإمام بالنصر. ونظر الوطنيون على اختلاف أرائهم في حركة الثلايا، التي أوهن منها اقترانها باسم السيف عبدالله، نظروا إلى مجيء وفد من مصر ليهني الإمام أحمد ويبارك أعماله في إعدام ١٦ يمنيًا تورعوا عن قتله ولو فعلوا لتغير مجرى الأحداث، رأوا في ذلك خروجًا على مبادئ ٢٣ يوليو التي ترى الوقوف بجانب الحركات التحررية. وقد تعمد الإمام أن يستقبل الوفد في الغرفة التي تعرضت للقصف المدفعي زاعمًا أنه كان فيها ليبهرهم ببطولته. أقول أنهم نظروا إلى هذه الزيارة بازدراء واعتبروها مأخذًا من المآخذ على ثورة عبدالناصر. وقد بقي الوفد ثلاثة أيام، وأسر بعض الإخوان إلى الوزير الشافعي استنكار الكثيرين لهذه الزيارة فأعتذر بأن لديهم معلومات بأن السيف عبدالله كان مرتبطًا بأمريكا وبريطانيا وأنهما وراء حركته، ومصر كما يقول ضد الاستعمار وحرب عليه، من أجل ذلك كان موقفها مشايعًا للإمام. وقيل له أن الحركة وطنية اتخذت من السيف عبدالله علمًا مؤقتًا، فقال كان عليكم أن تبلغونا قبل قيامها.



من يمين القارئ:
القاضي عبدالله الشماحي
عضو الديوان الملكي
السيد محمد أحمد الشامي
مدير الإذاعة
القاضي عبدالرحمن الإرياني
نائب رئيس الهيئة الشرعية
السيد حمود الوشلي
نائب الإمام ورئيس الديوان
السيد زيد عقبات
العضو الأول في الديوان

أخذت في منتصف الخمسينات في تعز



من يمين القارئ: القاضي محمد بن علي الأكوع
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي عبدالله بن محمد الإرياني

أخذت في تعز في أواخر 1955م أو أوائل 1956م

الفصل العاشر
برنامج العمل الوطني

خروج النعمان إلى القاهرة

ومرت أيام، ورأى الإمام أن يبعث ولي عهده البدر إلى السعودية ومصر ليشكرهما على موقفهما المؤيد لطغيانه. وذهب هذا ومعه الأستاذ نعمان الذي كان قد حاز الرضى الكامل نتيجة لموقفه ضد حركة عبدالله ووقوفه مع البدر. ولما وصل الأستاذ نعمان إلى القاهرة قابل بعض الصحفيين والإذاعيين الذين وجهوا إليه بعض الأسئلة على أساس أنه قد أصبح من رجال الحكومة اليمنية المتوكلية، فقال في بعض تصريحاته إن الإمام يعزم على العمل لتطوير البلاد وتقدمها والخروج بها من العزلة، وسمع الإمام الحديث من الإذاعة فجن جنونه. وفي ليلة من ليالي رمضان وكنت في مجلس الإمام، والنعمان والبدر لم يعودا بعد من رحلتهما، فوجئت بالإمام يناديني بصوت مرتفع ويقول ألا ترى إلى صاحبك هذا الذي يتجاوز حدوده ويقول أن اليمن منعزلة وغير متطورة وإننا من الآن عازمون على إخراجها من العزلة، إننا أخطأنا بالركون إليه وهو الخائن الأول وأرسلناه مع الولد البدر ولكنا سوف نحاسبه حسابًا عسيرًا. وحاولت أن أخفف من حدة غضبه وأحمل كلام الأستاذ محملًا حسنًا ولكنه لم يقبل. وفي الواقع أني خفت على الأستاذ نعمان وتمنيت لو أتمكن من إبلاغه الموقف حتى يتدبر أمر نفسه، وقد يرجح عدم العودة، ولكن عودته كانت أسرع من ذلك. وقد عاتبه الإمام على ما أعتبره تجاوزًا للحدود واستطاع أن يتخلص، وأيده البدر. ولكنه ظل قلقًا، ولم يبق إلاّ أيامًا قليلة حتى كان سفره إلى السعودية في مهمة، ومنها سافر إلى القاهرة بمساعدة سفيرها

عبدالوهاب عزام حيث إلتقى مع الشهيد الزبيري ووجدا من القاهرة موافقة على إفساح المجال لهما لمعاودة نشاطهما ضد حكومة اليمن فأصدرا أعدادًا من صوت اليمن وألقى الزبيري عدة أحاديث من صوت العرب أقضت مضجع الإمام وأصابته بالهوس والهلع، فبعث ينذر عبدالناصر بأنه إذا لم يوقف نشاط الزبيري ونعمان فسوف يربط اليمن بحلف بغداد. وكان عبدالناصر في معركة مع حلف بغداد فآثر مهادنة الإمام وأمر بإيقاف نشاطهما تفاديًا لما يكسبه حلف بغداد من نصر لو أنضمت إليه اليمن. وكان ذلك مأخذًا آخر لأحرار اليمن على ثورة عبدالناصر التي كانوا يعلقون عليها كبير الآمال في إنقاذ اليمن من حكم القرون الوسطى.

معاودة النشاط السياسي

وملنا نحن إلى السكينة فترة من الزمن تحت عوامل اليأس والخوف، ولكنه ما إن أبتعد عنا شبح المشانق حتى عاودنا التفكير فيما يجب أن نفعله لإنقاذ اليمن مما تعانيه. فاجتمعنا مع مجموعة من الإخوان فيهم الشيخ أمين عبدالواسع نعمان والشيخ سنان أبولحوم والشيخ حميد الأحمر، وتدارسنا الوضع وما يجب أن نفعله إزاء ما يعانيه الشعب من عزلة وضياع وإرتباط بالماضي ورفض الخروج منه. وكانت الأحوال قد ازدادت تدهورًا، وكان الإمام قد أعلن ولاية العهد لابنه البدر وأصبح هذا نائبا لأبيه في صنعاء إلى جانب إمارة لواء الحديدة. وأمِن الإمام أحمد طوارق الحدثان بعد التخلص من منافسة إخوته وأبنائهم بقتل من قتل ونفي من نفى وحبس من حبس فأخلد إلى الراحة وأسرف في تعاطي المخدرات وفي طليعتها المورفين الذي أدمن تعاطيه رغم تحذير الأطباء ونصحهم، فأثر ذلك على صحته وأعصابه وأسترخى شدقه وتعسر عليه النطق الصحيح. وبرغم كل ذلك فقد ظل مصير كل واحد منا بل مصير الشعب معلقًا بكلمة منه. كل ذلك فرض علينا أن نفكر فيما يمكن أن نعمله، واتفقنا على أن نضع برنامج عمل وطني نستخلصه من تجارب الثورات السابقة التي كان مصيرها الفشل فكان البرنامج التالي:

(نص برنامج العمل الوطني)

«إنه بناء على ما انتهت إليه الأحوال في اليمن من التأخر والانحطاط والتدهور في شئونها الدينية والدنيوية، نتيجة لما بلغت إليه حالة الإمام الصحية من السوء

حتى حالت بينه وبين أعباء الحكم ووعي مسئولياته، الأمر الذي أدى إلى ترك المواطنين تحت رحمة الاستغلاليين والمرتشين وفاسدي الضمائر يعيثون بهم عيث الذئاب بالغنم التي لا راعي لها. ذلك بالإضافة إلى ما تعانيه البلاد أساسًا من فقر وجهل ومرض وعزلة، كل ذلك مع إصرار الإمام أحمد على أن يتحمل بنفسه مسئولية الحكم دون أدنى تقدير لهذه المسئولية، بل أخذ يتعمد إهمال شئون البلاد السياسية والإدارية الداخلية والخارجية بصورة استهتارية متمسكًا بهذا الوضع الفاسد ورافضًا تغييره بتشكيل حكومة صالحة تتحمل عنه أعباء الحكم وتحاول عمل شيء لإخراج البلاد من وضعها السيء الذي يزداد سوءًا كل يوم داخليًا وخارجيًا. أما في الداخل فقد تظافر على الشعب أعداؤه الثلاثة الفقر والجهل والمرض، مضافًا إليها الاستغلال وفساد الإدارة. وأما في الخارج فإنه لا كيان محترم لحكومة اليمن في المجال الدولي ولا في المجال العربي حتى سمي اليمن بالعضو الأشل. هذا بالنسبة إلى ما تنتظره البلاد من مستقبل رهيب تتلخص مخاطره في التالي:

١ . وجود الأنجليز في الجزء الجنوبي من اليمن وتربصهم به وبثهم أذنابهم لبذر سموم التفرقة في البلاد وإثارة الطائفية ليتسنى لهم في يوم من الأيام التدخل في شئون بلادنا لتدعيم الوضع الذي يدين بالعمالة لهم وينفذ مقاصدهم وأهدافهم.

٢ . وجود المملكة العربية السعودية في الشمال وأطماع حاكمها في حكم البلاد وتحفزه واستعداده لتوحيد الجزيرة العربية تحت ظل العرش السعودي.

٣ . الانقسام الداخلي في الأسرة فالسيف الحسن غير راض على ولاية العهد للبدر ويرى لنفسه الحق بالحكم وسيسعى إلى ذلك بكل وسيلة بما فيها زج البلاد في حرب أهلية. وهناك آل المتوكل أهل شهارة الذين يريدون أن يرموا البلاد بثالثة الأثافي بترشيح محمد عباس لأنه كما يقولون حائز لشروط الخلافة المعتبرة في المذهب الزيدي وهم مستعدون لأن يخوضوا الحرب ضد من ينازعهم.

ونحن إذا استعرضنا التاريخ اليمني نجد أنه لن يعدم كل فريق من هؤلاء من يشايعه من اليمنيين ويخوضها حربًا عوانًا مع إخوانه، إذًا فالحرب الأهلية هي المنتظرة وليت أن في هؤلاء من يهدف إلى مصلحة البلاد وإصلاح الحكم، ولكن كل واحد منهم أسوأ من الآخر وكلهم لاتهمهم مصلحة البلاد ولا إستقلالها ولا تقدمها ولا عزتها ولا كرامتها وإنما هدفهم الوصول إلى الكراسي ثم يقولون للشعب الذي أقعدهم عليها قف حيث أنت من الجوع والجهل والمرض ليتسنى لنا أن ننعم بالملك والسلطان.

كل هذا حدا بطائفة مؤمنة من أبناء الشعب اليمني وزعمائه الذين يهمهم مصلحة وطنهم والحفاظ على استقلاله إلى الاجتماع في هيئة مؤتمر سري في النظر لوضع برنامج عمل لإقامة حكم صالح وحكومة تنفذه وتحفظ الأمن وتضبط مصالح الأمة والبلاد.

وقد عُقدت عدة جلسات دَرَس فيها المجتمعون حالة البلاد في الحاضر والوضع الذي يجب أن تكون عليه في المستقبل ووضعوا في إعتبارهم ما أستفادوه من تاريخ اليمن الطويل من أن تنازع أفراد الأسر التي اعتادت حكم اليمن بإسم الإمامة هو البلية كل البلية التي جرّت على اليمن كل مصيبة وكل كارثة وساقتها إلى الحروب الأهلية التي جعلت أهل الوطن الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض. كما أنهم وضعوا موضع الإعتبار تجاربهم الخاصة وما أستفادوه من دراسة ثورتي الأحرار والجيش في ٤٨ و ٥٥ وأسباب فشلهما، وقد تأكدوا أن أهم أسباب الفشل هو أن الثورتين قد قامتا معتمدتين على شخصيات من تزعموها ووقعتا من وراء ظهر الجماهير اليمنية وبعيدًا عن علم وفهم قبائل اليمن وعشائرها التي لا تزال ظروف اليمن الواقعية تضع في أيديها القدرة على إسقاط الحكومات وإقامتها فكان الفشل لذلك نتيجة حتمية.

وعلى ضؤ ما سلف قرر المجتمعون ما يلي:

١ ـ العمل الدائب منذ الآن على بث الوعي في الوسط القبلي وتفهيم المواطنين

من القبائل ما لهم من حقوق مهدورة وإثارة روح العزة والكرامة في نفوسهم واعتبارهم هم الجماهير اليمنية التي يجب أن تكون وراء كل ثورة.

٢ ـ بذل كل ما في الإمكان من جهد وطاقة وإتخاذ كل وسيلة لكي يفهم مشائخ القبائل ورؤساء عشائرها مدى الدور الذي يجب أن يقوموا به لإنقاذ بلادهم وإقامة حكم صالح فيها يشارك فيه الشعب في حكم نفسه بنفسه.

٣ ـ محاولة محو واقتلاع كل بذرة للفساد والاستبداد من التنافس والأحقاد بين القبائل وإقناعهم بأنه يجب أن تقوم كل قبيلة بالدور الذي هيئته لها إمكانياتها ومركزها الاجتماعي والقبلي مع التأكيد على أنه لن يُغمَط حق أحد منهم وأنهم سينالون حقوقهم التي حرموا منها في الماضي الحاقد الفاسد.

٤ ـ إذا اطمأن القائمون بالعمل إلى أن التفاهم بين القبائل ورؤسائها قد بلغ إلى الحد الذي يمكن الاعتماد عليه، فعليهم أن يخطوا خطوة ثانية ترمي إلى إيجاد تحالف قبلي وتحرير قواعد يتعهد فيها المتحالفون بالأيمان المغلظة على أن يكونوا يدًا واحدة وعضدًا وساعدًا وراء الزعماء الذين يريدون الخير والإصلاح لليمن، وفي كل ما فيه عزهم وشرفهم وحفظ بلادهم ورعاية مصالحها والسير بها إلى الأفضل، وعلى حفظ الأمن ومنع الفوضى، وعلى أن يعمل كل واحد منهم كل ما يستطيعه ليمحو من أذهان أفراد قبيلته وأتباعه خواطر السلب والنهب من المدن والقرى وأن يتناسوا كل ما بينهم من نعرات وأحقاد وخلافات على الحدود وغيرها وأن يكون مرجعهم في كل ذلك الشريعة الإسلامية لا الحرب القبلية.

٥ ـ بعد الاطمئنان إلى تقدم الوعي في الوسط القبلي، وحسن التفاهم بين المشائخ ورؤساء العشائر، والقيام بما أشرنا إليه في البند الرابع من التحالف يجب العمل على إيجاد مثل هذا الوعي في صفوف الجيش، لكن بحذر، ويجب أن يقوم الضباط الأحرار بدورهم فيعملون على إيجاد روابط مماثلة بين فصائل الجيش الذي تسوده الروح القبلية ولا يعرف الانضباطية

العسكرية، ثم يقوم ذلك بين الجيش وغيرهم من القبائل اليمنية. ثم لابد من محاولة إيقاظ ضمائر الجيش وإشعارهم بالوشائج الأخوية التي تربط بينهم وبين سائر المواطنين حتى يقتلع بذرة الاستبداد في نفوس الجيش من نزعة حب الاستغلال لإخوانه المواطنين والاستعلاء عليهم وحتى يعلم أن دماؤهم وأموالهم وأعراضهم كلها عليه حرام، وأن العلاقة التي يجب أن تقوم بينهم هي علاقة الإخاء والتراحم والتعاون على ما يعلي شأن الوطن ويجلب الخير والرخاء لجميع المواطنين.

٦ ـ نظرًا لما أسلفناه من أن التاريخ اليمني الطويل والتجارب المتكررة قد أثبتت أن نظام الإمامة في اليمن ماضيًا وحاضرًا هو مبعث مشاكل وكوارث وحروب وخراب ودمار للبلاد على مدى التاريخ، فإن المجتمعين قد قرروا تشكيل مجلس وطني يتحمل مسئولية الحكم. ويتشكل المجلس على النحو التالي:

أ . رئيس وعشرة أعضاء يكون من بينهم نائب الرئيس وسكرتير، ويختار الأعضاء من ضباط الجيش ومشائخ القبائل والأحرار المخلصين الذين تهمهم مصلحة الوطن.

ب. يستعين المجلس الوطني بمجلس شورى يتكون من رئيس ونائب وسكرتير أول وثان وسبعة وثلاثين عضوًا يختارون من العلماء والمثقفين.

ج. يقوم المجلس الوطني معتمدًا على تعاون مجلس الشورى وإرشاداته بتسيير دفة الحكم والإضطلاع بجميع شئون البلاد، سياسية وإدارية، داخلية وخارجية، ويمارس اختصاصات حكومة تعتبر انتقالية حتى يتم تشكيل حكومة دستورية تعطى صلاحيات أمثالها من الحكومات التي تعمل في ظل حكم ديمقراطي.

د . وقد رأى المجتمعون مستنيرين بدروس الماضي وتجاربه على أن سبق الحوادث بتحضير جهاز الدولة والحكومة وإعلان أسماء الوزراء وأمراء الألوية لا يتفق مع المصلحة لأن ذلك يثير غضب وحقد من أهملوا من الشخصيات التي لها طموحات إلى المناصب ولها في نفس الوقت تأثير على قطاع كبير

من المواطنين، كما رأينا ذلك في ثورتي ١٩٤٨ و ١٩٥٥ فقد حمل ذلك بعض الأسر على أن يكيدوا للثورة ويعملوا في صف أعدائها برغم العهود التي قطعوها على أنفسهم بنصرتها والإخلاص لها. وتفاديًا لذلك رأى المجتمعون ترك تشكيل الجهاز الحكومي للمجلس الوطني ومجلس الشورى مجتمعين يعلنانه في الوقت المناسب بعد استتباب الأمن ونمو الوعي على أن يكون مفهومًا من الآن أن نظام الحكم لا يجوز أن يخرج عن كونه شورويًا دستوريًا متمشيًا مع أصول الإسلام ومفاهيمه العامة ومع مصلحة البلاد.

٧ ـ إن الخطوة الثانية للعمل الوطني هو إعلان الجمهورية التي معناها حكم الجمهور وبعبارة أخرى حكم الشعب بواسطة ممثليه المنتخبين منه. وللمحاذير التي أسلفنا ذكرها مضافًا إليها ما قد يحدث من انزعاج في المملكة العربية السعودية الجارة من تغيير النظام في اليمن يدفعها إلى محاربته فقد رأى المجتمعون أيضًا أن يكلوا تحديد موعد إعلان الجمهورية إلى المجلسين مراعين في ذلك الظروف الداخلية والخارجية ومتأكدين من أن إتخاذ مثل هذه الخطوة لن تكون له ردود فعل تهدد الثورة نفسها.

٨ ـ على المجلسين بعد أن يستتب الأمن أن يعهدا إلى لجنة خاصة يعينها مجلس الشورى من بين أعضائه يكون لها الحق في الاستعانة بمن تريد من علماء التشريع والقانون وتكلف هذه اللجنة، المنتخبة من أهل الكفاءة والعلم والصلاح، بوضع دستور للبلاد يتفق ودينها وعقائدها واضعة في اعتبارها أن الإسلام يدعو إلى كل ما يكفل التطور والتقدم والأخذ بوسائل العصر الحديث وكل ما فيه مصلحة للشعب والأمة.

٩ ـ تنشأ جمعية تأسيسية يحال إليها الدستور للنظر فيه لإقراره أو تعديله أو الإضافه إليه وما أقر بالأغلبية يصبح واجب التنفيذ.

١٠ ـ مجلس الشورى هو الذي يحدد عدد أعضاء الجمعية التأسيسية ويضع قانونًا لإنتخابهم إذا قرر طريقة الانتخاب أو يعينهم بالإشتراك مع المجلس الوطني إذا رجحوا طريقة التعيين.

١١ . تتلخص صلاحيات مجلس الشورى المؤقتة فيما يلي:

أ . وضع دستور مؤقت لايخالف النظم الشرعية على أن يعمل به حتى يصدق على الدستور.

ب. يقوم بالمهمات المشار إليها في المواد السابقة.

ج. يقر ميزانية الدولة للفترة المؤقتة.

د . يصادق على المعاهدات أو يرفضها.

١٢ . يتم تأسيس حرس وطني من الشباب المثقف الواعي للمساهمة في حفظ الأمن وتوعية المواطنين وتقرر لهم مرتبات كافية.

١٣ . يجب الإسراع حالاً إلى تحسين حالة الجيش الذي هو رمز البلاد ومحل فخر الأمة، وترتب لهم المرتبات الكافية مع التموين الكامل والإعاشة والتجهيزات بحيث يكون للجندي اليمني من الاعتبارات ما يكون لغيره من سائر الجنود في الدول العربية المتقدمة.

١٤ . يجب الإسراع إلى رفع المظالم عن المواطنين والعفو عن البقايا الكاذبة وإعتماد الأمانة في تقرير الواجبات والرفق في تحصيلها.

١٥ . يجب محاربة الرشوة والمحسوبية في الدولة مع إقامة نظام حديث كامل في جميع دوائر الحكومة ليمنع الفوضى والتلاعب بمصالح الأمة ويكفل مع ذلك راحة الموظفين.

١٦ . تصان أموال المواطنين وأعراضهم وأرواحهم إلاّ في أمر شرعي. ويكون جميع المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات إلاّ ما كان للمواهب والأعمال، وتتاح الفرص للجميع.

١٧ . نظرًا إلى أن نسبة الأمية في الشعب اليمني من أعلى النسب في الشعوب فإن الدولة ستعطي كل اهتمامها لنشر العلم وبناء المدارس في المدن والأرياف بحيث يصير العلم في متناول الجميع ويكون التعليم مجانيًا.

١٨ . تكفل حرية الرأي والكلام والكتابة والإجتماع في حدود القانون وفي نطاق الحفاظ على الأمن.

١٩ . يجب تأسيس مجالس للألوية والبلديات على نحو ماهو موجود في البلدان العربية.

٢٠ يجب العمل على محاربة الجهل والفقر والمرض في غير هوادة وبكلما تسمح به وسائل الدولة والعمل بسرعة على شق الطرقات وتسيير المواصلات وإنعاش الزراعة واستغلال موارد البلاد وثرواتها المعدنية.

٢١ . للمنهج ملحق يعتبر جزءا متممًا له وله نفس ما للمنهج من الاعتبار[١].

١٣٧٥/٦/٢٥هـ (١٩٥٦/٢/٨م)

تجميع القوى

تم الاتفاق على هذا البرنامج وارسلت نسخ منه إلى الإخوان في صنعاء وإب والحديدة والقاهرة، وقد انصرفنا مع الآخرين على تنفيذ ما جاء في برنامج العمل الوطني المشار إليه بحذر شديد ودون ظهور يعرضنا إلى غضبة من غضبات الإمام أحمد تودي بنا. ومرت الفترة من منتصف ١٣٧٥هـ وحتى نهاية ١٣٧٧هـ (بداية ١٩٥٦م- منتصف ١٩٥٨م) بمرحلة هدوء في النشاط السياسي غلب عليه نشاط تجميع القوة والحوار بين المشتركين في العمل الوطني والتفكير فيما يجب أن يكون بعد هذا وحشد الأنصار للتغيير، وقلّت فيه المواجهة خوفًا من عواقب الأعمال المتسرعة التي تجرعنا مرارتها مرات. وكان معتمدنا في العمل الوطني بين القبائل الشيخ حميد الأحمر الذي كان أكثر المشائخ نباهة وإهتمامًا بالشأن العام، والتي

---

(١) لم نجد الملحق فيما وجدناه من الأوراق، ومما يجب التنبيه إليه أن هذا البرنامج قد ينظر إليه الآن بعيدًا عن الظروف التي وضع فيها . أنه متقاصر الطموح بعيد عن الثورية. ومن أكبر أخطاء البعض أنه لا ينظر إلي كل ما قام في الماضي من أعمال وانتفاضات من خلال ظروفها الآنية فيخطي كثيرًا في تقييمها والحكم عليها لأنه يحكم عليها بمقاييس المرحلة التي يعيش فيها لا بظروفها التي كانت قائمة.

كانت علاقتنا به قد بدأت قبل إنقلاب الثلايا، والشيخ سنان أبولحوم والشيخ قاسم حسن أبوراس وغيرهم. وقد بقيت في عملي في الهيئة الشرعية، وقد مكننا قربنا من الإمام وولي عهده من معرفة الكثير من الأمور التي كان معرفتها عونًا لنا في عملنا الوطني. كما كان قربنا من الإمام وولي عهده فرصة للإسهام في العديد من الأحداث الهامة التي اشتركت اليمن فيها مثل الحلف الثلاثي والإتحاد الفيدرالي.

الفصل الحادي عشر
الحلف العسكري الثلاثي

إستجابة الإمام أحمد للحلف

كان هناك سباق بين عبدالناصر وأركان حلف بغداد على كسب اليمن والسعودية وضمهما إليه، وقد نجح الرئيس عبدالناصر في إقناع الإمام أحمد والملك سعود بأن يعقدا معه حلفًا عسكريًا دفاعيًا. وقد استجاب الإمام أحمد مدفوعًا بالحرص على مهادنة عبدالناصر وسد سبل العمل في وجه الزبيري ونعمان ومن معهما ضد حكومته. أما الملك سعود فإن العداء التقليدي بين الأسرتين، الهاشمية التي تحكم العراق وتدعو إلى حلف بغداد والسعودية التي تحكم نجد، والتي انتزعت حكم الحجاز من الأشراف الهاشميين أسلاف حكام بغداد، قد دفع حكومة سعود إلى مد يدها إلى عبدالناصر لتتقوى به على خصومها الهاشميين. وقد قُدِّر لي أن أكون أحد أعضاء الوفد اليمني الذي رافق الإمام أحمد إلى جدة حيث إلتقى بالملك سعود والرئيس جمال عبدالناصر وسوف أسجل هنا مقتطفات من المذكرة التي سجلتها في هذه المهمة:

توجهنا في صبح يوم الخميس ١٣٧٥/٩/٨هـ الموافق ١٩٥٦/٤/١٩م إلى مطار الحديدة وكنت أول الواصلين إلى المطار مع الشيخ حميد الأحمر والسيد محمد الشامي، ثم تتابع وصول أعضاء الوفد وفي الأخير وصل الإمام أحمد وعليه بندقيته بحزامها وطيارها. ولاحظ البعض ذلك فعزموا على اقناعه بعدم لياقة ذلك وضرورة ترك البندق قبل مغادرة الطائرة في مطار جدة. وغادرنا مطار الحديدة على طائرتين سعوديتين كان على إحداهما الإمام وولي العهد ورئيس

الاستئناف وأمير الجيش والجرافي وعبدالرحمن الإرياني والسياغي ومحمد العمري وعبدالملك العمري وأحمد عباس والضباط عبدالله الضبي والجائفي والآنسي والظفري ومحمد محمود وأحمد كامل، وفي الثانية نائب الإمام حمود الوشلي وعقبات وعبدالله الشماحي وعبدالله الحجري والشيخ حميد الأحمر ومحمد بن أحمد الشامي ومحمد بن عبدالرحمن الشامي وصالح محسن والجبلي وأحمد حسين وعلي مانع وناصر المحويتي والطبيب الايطالي والمستشار حسن بغدادي المصري والفلسطيني نجيب عز الدين واللبناني الدكتور عدنان ترسيسي والأديب أحمد الحضراني، وكان على الطائرة اليمنية عائلة الإمام. كان أول ما طالعنا بعد مغادرة الطائرة جزيرة كمران اليمنية التي تقع في المياه الإقليمية لليمن ولا تبعد عن الصليف بأكثر من خمسة كيلومترات، وقد أسرعنا إلى النوافذ لنرى الجزيرة التي أغتصبها الإنجليز وربطها بمستعمرة عدن التي تبعد عنها بأكثر من خمسمائة كيلومتر، كما طالعنا بعدها مدينة جيزان اليمنية التي أستولت عليها السعودية، ولم نر بعدها ماهو معروف، ثم ليس إلا صحارى رملية ممتدة حتى جدة التي وصلناها في الثالثة صباحًا بالتوقيت الغروبي.

كان عهدي بجدة من سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٩م) أي قبل ثمان عشرة سنة وهي أحياء قديمة وبيوت متداعية وشوارع ضيقة، إذا استثنينا بيوت السفراء والأجانب على البحر. وقد أنكرتها لِما رأيت عليها من بيوت وقصور وشوارع واسعة الأرجاء معبدة بالإسفلت. كان في الاستقبال الملك سعود والأمير فيصل وكان قد ضُرب في المطار سرادق كبير لاستقبال الإمام والرئيس عبدالناصر، وقد أمه الملكان والأمراء وتبعناهم. وهناك كان التعارف وصافحنا الملك سعود يعرّفه بنا ولي العهد البدر. وبعدها اتجهنا إلى القصر الذي أعد لنزول الإمام والرئيس ناصر وكان قصرًا فخمًا صوالينه أشبه بميادين اتساعًا والمكيفات الهوائية متوفرة فيه بحيث يشعر المرء أنه في جبال حضور في كانون الأول. وكنت عند ركوبي على الطائرة قد شعرت بسخونة وارتباك في المعدة وزادني ما وجدته من البرد في الصالون تأثرًا. وبعد استراحة قصيرة في القصر استدعينا للذهاب إلى محل إقامتنا في فندق

الكندرة وهو الفندق الوحيد الذي يعتبر من الفنادق الأولى وتلحق به عدة فيلات، وقد نزلت أنا والوشلي وعقبات والشماحي في إحداها.

جاءتنا دعوة من الملك سعود لحضور حفل العشاء الذي سيقام على شرف الوفد اليمني. وذهبنا في الساعة واحدة غروبي وقد حضر الحفل الأمراء والوزراء والموظفون والسفراء وعدد كبير من رجالات السعودية وأعيان جدة. لم أرتح إلى منظر الفخفخة ورأيتها كثيرة على دولة يعيش شعبها في بيوت الشعر ومضارب الوبر، ولكن الإخوان قد برروا ذلك بأنه مثل على الكرم العربي. لم أتناول غير نوع واحد من أنواع الطعام هو السمك فقد كنت في الحقيقة مريضًا، وكنت آبى على نفسي الاعتراف بالمرض. وقد صادف أن السمك الذي تناولته كان متسممًا فأصبت بعده بإسهال كاد يقضي عليّ كما أصيب بنفس العارض كل الذين كانوا بجانبي وفيهم أمير الجيش وغيره. وفي أثناء العشاء قام الأستاذ الشاعر إبراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى السعودي بإلقاء قصيدة جيدة يشيد بالملكين وبالحلف الثلاثي.

عدنا بعد العشاء إلى محلاتنا في الفندق وقيل لنا أن الوفد سيتجه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة. وقد عز علي أن يحول المرض بيني وبين أداء العمرة في رمضان، وهي تعدل حِجّة مع الرسول كما ورد في الحديث، فتحاملت على نفسي وذهبت للعمرة مع المعتمرين وطفت وسعيت ماشيًا وكانت مجازفة أرجوا أن يسامحني الله فيها، ولم أتم السعي إلا وقد كدت أن أسقط إعياء. أتفقت في الحرم بآل المعلمي الثلاثة والأولاد عبدالله بن حسن وعبدالرحمن بن حسن وعبدالله علي محمد الإريانيين وغيرهم من اليمنيين. وعدنا إلى جدة وبي من التعب والمرض ما لا يعلمه إلا الله، فعزمت على ملازمة الفراش.

الإجتماع الرسمي والتوقيع على الحلف

وفي يوم الجمعة ١٣٧٥/٩/٩هـ الموافق ١٩٥٦/٤/٢٠م وصل عبدالناصر وذهب

الإمام والإخوان لمقابلته في المطار ولم أذهب. وكانت حسرة كبيرة[١]. وجاء الأمر من الإمام باجتماعنا في القصر لدراسة بنود الحلف والتشاور فيها ولكني لم أحضر، واستغرب الإمام ذلك وبعث إليّ القاضي محمد العمري، وكان يضطلع بالشئون الخارجية، فجاء ليقول أن الإمام أمر باجتماعي معه ومع أمير الجيش ورئيس الاستئناف والدكتور عدنان والدكتور حسن بغدادي والسيد عبدالرحمن أبو طالب لدراسة بنود الإتفاقية مرة أخرى. وهممت أن أعتذر فقال العمري رحمه الله وستنعقد بعد ذلك جلسة حول المائدة المستديرة يحضرها الملكان وعبدالناصر، فحرصت على أن لا يفوتني شرف حضورها كجلسة تاريخية، ومرة أخرى أتحامل على نفسي وأذهب إلى القصر. واجتمعنا منفردين وقررنا الموافقة على بنود الاتفاق وجاء الرئيس عبدالناصر والملكان حيث أمّوا مجلس الملك وانفردوا حوالي خمس دقائق دعينا بعدها لنحضر الجلسة. وأُملِيَت الاتفاقية وباركها الجميع وأُملي البروتوكول الملحق بها وأقروا الإذن للصحفيين والمصورين ليشهدوا التوقيع على الاتفاقية من قِبَل الرئيس والملكين وقد سلطوا أنوارهم على الأقطاب الثلاثة وهم يوقعون هذا الحلف التاريخي.

كان الوفد اليمني قد أقترح تبادل الرسائل بين الرئيس والملكين تنص على الوعد من الرئيس المصري والملك السعودي بأن تقف حكومتاهما بجانب اليمن لاسترداد حقها في مستعمرة عدن والمحميات والجزر اليمنية التي تحت الحماية البريطانية فوافق الملك سعود على ذلك بينما أبدى الرئيس جمال عبدالناصر ملاحظة خلاصتها أن الحلف حلف دفاع وأنه بهذا سيصبح حلفًا هجوميًا لأن لفظ الاسترداد تعطي هذا المعنى، ذلك إلى جانب أن الحكومات الثلاث ليست الآن على استعداد لإشعال حرب مع بريطانيا، وأن صدور مثل هذه الرسائل فيه استفزاز لبريطانيا يدفعها إلى خلق مشاكل للجميع. وقيل للرئيس المصري إن الرسائل ستظل سرية فقال أنها لن تخفى على بريطانيا. واستمع الإمام أحمد إلى هذه

---

(١) كنا لا نزال مخدوعين بعبد الناصر برغم موقفه من الأحرار اليمنيين وبرغم إرساله الوفد لتهنئة الإمام أحمد على طغيانه.

الملاحظة ووافق على تعديل الرسائل وعدلت بحيث صارت تعطي معنى أنه إذا حصل عدوان من بريطانيا على حكومة اليمن القائمة فإن الحكومتين ستقفان إلى جانبها. وبرغم أن ملاحظة الرئيس المصري قانونية إلاّ أنّا وجدنا في أنفسنا، وقلت للقاضي محمد العمري أرأيت أن الرئيس الذي يتزعم محاربة الاستعمار والدعوة إلى تصفيته لم يكن موقفه متناسقًا مع ما يرفعه من شعارات بينما كان الملك سعود المتهم بالرجعية والارتباطات الخارجية أكثر إستجابة للمقترح اليمني فهل فعل ذلك غافلًا عن ملاحظة الرئيس أم أنه مدفوع بالوفاء للحلف التضامني، فقال العمري إن مثل هذا مما لا تفوت الملك ملاحظته وإنما وَكّل إلى الرئيس المصري إبداءها مجاملة منه للضيف.

وخرجت من القصر وعدت لألزم الفراش مرة أخرى. وجاءتنا دعوة من عبدالوهاب عزام سفير مصر في السعودية لحضور حفلة العشاء التي يقيمها على شرف الرئيس والملكين ولكني اعتذرت. وجاء الصباح وكنت لا أزال متوعكًا. وجاء القاضي محمد العمري يدعوني لاجتماع مع القادة فاعتذرت له فأخذ معه الوشلي والشماحي وعقبات. وقد اجتمع الأقطاب الثلاثة في جلسة حضرها العمري ولم يحضرها رفقاؤه الثلاثة فقد أُمروا بالإنتظار خارج الجلسة وبعدها دعوا ليلقي القاضي عبدالله الشماحي قصيدة كان قد أعدها يشيد فيها بالحلف العسكري الثلاثي.

العمرة والزيارة

وفي مساء السبت أدّى الرئيس المصري العمرة وقد أحتشد الناس في مكة ليروا قائد ثورة مصر عبدالناصر، أما الإمام أحمد فلم يؤد العمرة إلاّ في مساء الاثنين. وقد كان إحتشاد الناس كبيرًا ليروا الإمام أحمد الذي تغلب على ثورتين وذبح حتى أخوته إبراهيم وعباس وعبدالله.

ذهبت يوم الاثنين ١٢ رمضان (٤/٢٣) إلى الميناء وكان منظر البواخر الكبيرة وهي تربض على الرصيف مباشرة منظرًا غير مألوف لنا نحن اليمنيين الذين

أعتدنا على ميناء الحديدة الذي ترسو فيه البواخر بعيدًا عن الشاطى وينقل ما عليها على المراكب الشراعية التي لا تستطيع بدورها أن تربط بالرصيف فيتولى الحمالون نقل ما عليها على ظهورهم، حتى الركاب. أعتمر الإخوان عدة مرات ولكني لم أعتمر غير عمرة واحدة لِما أجده من المرض.

وفي مساء الثلاثاء تبلغنا الأمر بالتأهب للسفر إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي، وفي صباح الأربعاء ١٤ رمضان (٤/٢٥) كنا في انتظار الملكين في مطار جدة وقد جاءا ومعهما ولي العهد. وبعد استعراض حرس الشرف صعد الإمام إلى الطائرة وصعدنا معه وصعد آخرون في طائرة ثانية وصعدت العائلة على ثالثة. وبعد طيران ساعة واحدة هبطت بنا الطائرة في مطار المدينة حيث وجدنا أمير المدينة ومعه رجال الدولة في الانتظار. واستعرض الإمام حرس الشرف، وفي صالون جميل تقدم الأمير عبدالله الفيصل المرافق للإمام ليقدم له المستقبلين. وقد كان المطار بعيدًا عن المدينة لغرض أن يكون خارج الحرم النبوي لضرورة وجود مهندسين وطيارين أجانب. واتجهنا إلى المدينة المنورة حيث يرقد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ومررنا في طريقنا إلى المدينة على سفح جبل أُحد ذو التاريخ الخالد الذي يقول فيه الرسول (أُحد جبل يحبنا ونحبه)، وإن المرء ليعجز عن التعبير عما يختلج في الفؤاد عند رؤية تلك المدينة المقدسة من ذكريات اقترنت بأعز وأقدس تاريخ للأمة الإسلامية بحيث لا يملك المرء إلا أن يعود إلى صدر الإسلام عبر أربعة عشر قرنا ليعيش بذكرياته مع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحابته الأبرار وأنصاره الذين تبؤوا الدار والإيمان. فهذا مسجد قباء وهذه هي ثنيّات الوداع وهؤلاء هن نساء الأنصار يزغردن ويغنين ويستقبلن الرسول عند مقدمه مهاجرًا قائلات:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

بالزغردة والأغاني والدفوف استقبلت المدينة الرسول الكريم ترحيبًا بمقدمه ولكن ما الذي نسمعه اليوم في استقبالها للوفد اليمني والترحيب به، إنها إحدى وعشرين طلقة من طلقات المدافع التي أعادنا سماعها من مطلع القرن الأول إلى أواخر القرن الرابع عشر، عصر المدافع والقنابل والطائرات والكهرباء والسيارات التي اتجهت بنا إلى القصر الملكي القائم في ضاحية المدينة بالقرب من سفح جبل سلع، وكان لا يزال العمل فيه جاريًا، وكان فيه جناحان نزل فيهما الإمام وعائلته وذهبنا نحن إلى الفندق الذي لا يقل عن فندق الكندرة والذي استقبلنا بما اشتهر به أهل المدينة من كرم من قديم الزمن، أيام كانوا يحبون من هاجر إليهم وكانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وكان بعضنا قد أخذ برخصة الإفطار في السفر وكنت إلى جانب ذلك لا أزال متوعكًا لهذا كنت في مقدمة المترخصين.

وبعد الظهر تحاملت على نفسي وخرجت لصلاة الظهر مع الإخوان في مسجد الرسول. وإليه مررنا بشوارع المدينة التي لا تزال تحمل طابعها القديم إذا استثنينا بعض البنايات والمستودعات التي بنيت حديثًا. وعند دخولنا المسجد ذهبنا توًا للسلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، ثم ملنا إلى الروضة وهي المكان الذي أشار إليه الرسول بقوله ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة. وقد صلينا ركعتين تحية للمسجد حتى أقيمت الصلاة فصلينا الظهر وبعده عدنا إلى الفندق وأخذنا حظنا من النوم حتى أيقظونا لصلاة العصر. وبعد أدائها في المسجد النبوي قمنا بزيارة بعض المعالم التاريخية، فذهبنا أولًا إلى مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى والذي وصف الله رجاله بأنهم يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين. وفي طريقنا إليه رأينا العِنَب بجانب النخيل والموز بجانب الرمان والبرسيم حتى كأن المرء يسير في ضاحية من ضواحي صنعاء وفي نفس الوقت يجد نفسه في ضواحي زبيد العامرة بالنخيل. عدنا من قباء إلى زيارة شهداء أحد، وهناك رأينا جبل الرماة، وهو أكمة صغيرة تشرف على ساحة المعركة التي وقعت في سفح جبل أُحد وابتلى الله بها المسلمين ذلك الابتلاء القاسي نتيجة لمخالفة أوامر الرسول من قبل حراس جبل الرماة، وقد بني على هذا الجبل بعض البيوت. وهناك وجدنا بعض الأضرحة التي يرقد فيها الشهداء وسموا لنا منهم

حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش، وقال دليلنا وهذا قبر عقيل بن أمية ولم أتذكر آنئذ هذا الاسم في ضمن من أستشهد يوم أحد فلا أدري أكان الدليل واهمًا أم أن ذهني خانني. وعدنا من أُحد إلى مسجد القبلتين، وهو مسجد صغير يقوم على أنقاض المسجد القديم وقد أرونا القبلة الأولى التي تقع خارج المسجد القائم الآن. وعدنا إلى محل الخندق أو ما يسمونه الآن المساجد الخمسة وهي مساجد متجاورة بنيت محل الخندق. وبعد زيارتها ذهبنا إلى البقيع فزرنا مابقي معروفًا من ضرائح الصحابة والقرابة وقد سمى لنا الدليل قبر السيدة فاطمة بنت الرسول صلوات الله عليه وعليها وقبري حفيديها علي بن الحسين وجعفر الصادق وقبور أمهات المؤمنين وقبر عثمان وعبدالله بن مسعود والعباس بن عبدالمطلب والإمام مالك وإبراهيم ابن الرسول وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[١].

وعدنا بعد ذلك إلى المسجد النبوي حيث وجدنا الإمام أحمد قد خرج لصلاة المغرب وقد زار الضريح ودخل الحجرة الشريفة وسلم على الرسول وصاحبيه. وقد صلينا المغرب جماعة ثم عدنا إلى الفندق، وحينما دنا وقت صلاة العشاء عدنا إلى الجامع وادينا الفريضة فيه وبعدها رأى الإمام أن يشترك مع المصلين في صلاة التراويح فصلاها معهم، مع أنها بدعه في مذهبه الزيدي. وبعد الصلاة زرنا الضريح مرة أخرى وعدنا بعدها إلى الفندق.

وفي صباح اليوم التالي أستيقضنا مبكرين لندرك صلاة الفجر جماعة في المسجد النبوي وقد رافقِنا الإمام في زيارة المعالم للمرة الثانية ثم اتجهنا بعدها إلى المطار حيث اقلتنا الطائرات إلى جدة، وكان الملك سعود في انتظار الإمام في مطار جدة وقد ذهبا توًا إلى القصر وذهبنا نحن إلى الفندق.

(١) يتعمد السعوديون الوهابيون إهمال المعالم التاريخية الإسلامية ومقابر أصحاب الرسول وآل الرسول تفاديًا لما يحصل من زائريها من أعمال تتنافى وما يأمر به الإسلام من إخلاص التوحيد لله وحده. ونحن مع اتفاقنا مع الإخوة الوهابيين في عدم جواز ما يقوم به العامة من تمسح وخضوع وتقبيل للأحجار ونداء لساكني القبور، إلا أننا ننظر إلى هذه المعالم نظرة أخرى فهي مآثر ومعالم تاريخية إسلامية يهم المسلمين في جميع بقاع الأرض حياطتها والمحافظة عليها وصيانتها من الاندثار. وفي الوسع مع ذلك أن يوكل بها أدلاء متعلمون يحولون بين الزائرين وبين ممارسة ما يمنع منه الإسلام. فنحن إذًا نؤاخذ إخواننا الوهابيين بمغالاتهم وجمودهم وضيق أفقهم ونطالب السعودية بالمحافظة على هذه المعالم من الاندثار وهذا ممكن مع المحافظة على أن لا يرتفع القبر أكثر من شبر.

هدية الملك سعود للإمام

عدنا يوم الخميس ١٥ رمضان (٢٦ إبريل) من المدينة وفي مسائه قمنا بالعمرة. وفي يوم الجمعة أدينا صلاة الجمعة في الحرم الشريف وفي يوم السبت كان الإمام قد قرر العودة إلى اليمن عن طريق البحر مع العائلة والمحظية التي أهداها له الملك سعود وهي سيدة سورية من عائلة معروفة من منطقة اللاذقية إسمها سميحة. وقد أستغربنا كيف يهدي الملك امرأة حرة إلى الإمام، ومن أين دخلت عليها الرِقّية وهي امرأة مسلمة حرة، وكان استرقاق الأحرار والحرائر من المسلمين العرب إحدى كبريات المآخذ على الملوك والأمراء السعوديين.

سافر الإمام ومعه عائلته وخاصته ومحظيته المهداه له من الملك سعود على باخرة سعودية، وسافرنا نحن على الطائرة إلى الحديدة ومنها على طائرة أيضًا إلى صنعاء. وقد وصلنا مطار صنعاء الشمالي حوالي العاشرة بالتوقيت الغروبي، وكنا عازمين على مواصلة السفر إلى تعز في نفس اليوم ولكن الطيار اعتذر عن مواصلة السفر. فانتظرنا في المطار رجاء الحصول على سيارة ولكن هيهات والسيارات في صنعاء لا وجود لها، واضطررنا إلى السير على الأقدام من الجراف حيث كان المطار سابقًا إلى صنعاء. وكنا مجموعة هم رجال الدول وفيهم الوشلي نائب الإمام والسياغي نائب الإمام في لواء إب وعقبات أحد رجال الديوان الشريف والحجري وزير المواصلات والمعارف والإرياني نائب رئيس الهيئة الشرعية وعبدالله عبدالكريم صهر الإمام. وقد قال أحدهم مازحًا لقد أسرفنا في استعمال السيارات في السعودية فكان لكل واحد سيارة خاصة يتنقل عليها فجاء هذا المشي المفروض كعقوبة للإسراف في الترف. وفي صنعاء أردنا أن نتجه إلى دار الضيافة ولكن كرم الأخ الحجري أبى عليه إلا أن يستضيفنا جميعًا في بيته، وفي الصباح الباكر غادرنا صنعاء إلى تعز، أما الإمام فقد وصل بعد يومين بقضه وقضيضه إلى الحديدة عن طريق البحر.

وبلغ الإمام تعليقنا على موضوع الهدية البشرية فتعمد أن يتطرق في إحدى

اللقاءات إلى موضوع الهدية البشرية ويستنكر فعل الملك سعود ويؤكد أنه بعد أن عرف منها أنها من إسرة عربية مسلمة من منطقة اللاذقية في سوريا أعتزلها وطلب من مفتي سوريا أن يطلب وليّها وأنابه في قبول العقد بها له كزوجة رابعة.

الفصل الثاني عشر
العدوان الثلاثي على مصر

موقف الإمام من العدوان

وجاءت أحداث ١٩٥٦م بالعدوان الثلاثي على مصر وقد أستقبلها الشعب اليمني بالألم بل والفزع على مصر عبدالناصر التي كانت كل أنظار الشعوب العربية المضطهدة تتجه إليها وتتوسم فيها المنقذ. ولكن الإمام أحمد على العكس من ذلك وبعد أن كان يجامل ويمتدح عبدالناصر حسب أنها جاءت نهايته، وكيف لا تكون نهايته ودولتان كبيرتان هما بريطانيا وفرنسا قد تعاهدتا على احتلال مصر وإنهاء عبدالناصر وبالإضافة إليهما إسرائيل التي كانت كفيلة بأن تقوم بالمهمة لوحدها مكتفية بالدعم البريطاني الفرنسي، فصمت الإمام صمت القبور ولم تصدر اليمن أي بيان يستنكر العدوان. ونصحّنا الإمام بأنه لابد أن تقول اليمن كلمتها في شجب العدوان الثلاثي على قطر عربي مسلم ولم يرد علينا. وفعل ما فعلناه من النصح الأستاذ محمد عبده نعمان وكان هذا من العاملين ضد الاحتلال الإنجليزي وجاء إلى الشمال وفتحت له الإذاعة في صنعاء أبوابها ليقول كل ما يريده ضد الإنجليز. ولاشك أن الإمام كان يثق به فقد رد عليه ردًا افرغ فيه كل ما في صدره من حقد على عبدالناصر، هذا العسكري (على حد تعبيره) الذي أوقع مصر في محنة وأعادها إلى عهد الاحتلال والاستعمار. وكان كلامه يعطي معنى (يستاهل) ومعنى التشفي والشماتة. وعرض علينا الأستاذ محمد عبده الجواب، وكان السيد أحمد زبارة حاضرًا وأكبر أن يقول الإمام ذلك عن عبدالناصر وهو في محنة مواجهة الاستعمار التي يجب أن يكون الجميع معه فيها، فرفع إلى الإمام عدم استحسانه. وبدأت سماء العدوان تنجلي عن مصر بتصريح روسيا ووقوف

ايزنهاور مع مصر في محنتها. وشعر الإمام بغلطته وأخذ يبحث عن محمد عبده نعمان ليستعيد الجواب منه وكان هذا قد سافر إلى صنعاء فاستدعاه منها. وكنت أنا حريصًا على أن آخذ صورة للأصل والجواب وترقبت عودة الأستاذ محمد عبده من صنعاء لأحاول ذلك ولكنه حينما التقيت به أفاد أنه قد أعاده للإمام.

قمة بيروت التضامنية

وجاءت دعوة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان إلى عقد مؤتمر قمة عربي في بيروت للعمل على تضامن العرب ضد العدوان، واستجاب له كل ملوك ورؤساء الدول العربية المستقلة. وأناب الإمام أحمد ابنه البدر وأحاطه بمجموعة من الرجال فيهم سيف الإسلام إسماعيل وحسن بن إبراهيم وأحمد محمد زبارة رئيس الهيئة الشرعية وأمير لواء البيضاء القاضي محمد الشامي وحسين الويسي وأنا والعقيد حمود الجائفي والعقيد الجرموزي والعقيد أحمد الآنسي والمقدم عبدالله الضبي. وعند ابلاغي باختياري ضمن الوفد ذهبت مع السيد أحمد زبارة إلى أحد المصورين في الحديدة لأخذ صور لجواز السفر وكان ذلك الجواز أول جواز أحمله.

وفي يوم الاثنين تاسع ربيع الثاني سنة ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦/١١/١٢م أقلعت بنا طائرتان ملكيتان الفتح والنصر من مطار الحديدة، ولم تمر علينا ثلث ساعة حتى كنا نرى اللحيّة وهي الميناء اليمني الوحيد الذي توجد فيه مغاصات اللؤلؤ. وبعد ثلاث ساعات هبطت بنا في مطار جدة حيث كان وزير الداخلية الأمير عبدالله الفيصل في استقبالنا مع بعض الأمراء، وقد نزلنا في قصر الزاهر وهو قصر فخم من القصور الملكية السعودية المشهورة بفخامتها وبذخها والتي تعيد إلى الأذهان ترف ألف ليلة وليلة، ولكن على الفن الأمريكي الحديث. وبتنا في جدة انتظارًا لتحري الطريق الأسلم في الوصول إلى بيروت جوًا، وجاءت توصية من الملك سعود من بيروت بنقلنا على طائرة سعودية عبر الصحراء إلى عمّان الأردن.

وفي صبيحة اليوم التالي، الثلاثاء ١٠ ربيع الثاني (١٣ نوفمبر) قامت بنا

الطائرة السعودية من مطار جدة ومررنا على بدر وأُحد والمدينة وتبوك وكلها لها شأن في التاريخ الإسلامي جعلتنا الظروف التي يمر بها العرب أن نستعيد كل ذلك التاريخ. وبعد طيران أربع ساعات، أغلبها كانت على صحراء قاحلة ماحلة، وصلنا مطار عمّان عاصمة الأردن. وكان علينا أن ننتظر هناك حتى يتم الاتصال بين عمان ودمشق وبيروت تليفونيًا لتحديد خط الطريق. وبرغم حرصنا على الوصول مبكرين لندرك الجلسة الأولى للمؤتمر فقد تأخرنا حوالي ساعتين حتى جاء الرد باستحسان السفر على السيارات. وكان الأمير يرغب في السفر على الطائرة توفيرًا للوقت ولكن الأردنيين عارضوا بشدة مبررين ذلك بأن أقل غلطة قد تذهب بنا إلى تل أبيب بدلًا عن بيروت. وقد سافر الملك سعود من الرياض إلى بيروت عن طريق السيارات برغم وعورتها ترجيحًا لطريق الأمن والسلامة. وكنت أنا أحرص على السفر بالسيارات لنتمكن من التعرف على الأراضي الأردنية والسورية واللبنانية التي لا يمكن أن نتعرف عليها لو سافرنا عن طريق الجو.

وتقرر السفر على السيارات، وكان أول ما مررنا به من المدن الأردنية (درعا) ثم الرسمة وهي بلدة صغيرة تابعة لحوران وقد رأينا دخان البترول الذي فجره الفدائيون الأردنيون والسوريون في جرش وسألنا السائق عن هذه الحرائق فقال هذه أنابيب البترول الذي كان يجريه الخائن نوري السعيد رئيس وزراء العراق إلى حيفا بينما كان قد أعلن في أعقاب حرب ١٩٤٨م أن العراق قد قطعت الزيت عن حيفا، ولكن هذا اللهب وهذا الدخان المتصاعد إلى السماء كالسحاب المركوم يدل على أن الزيت لا يزال يجري إلى إسرائيل سرًا بأوامر نوري السعيد تنفيذًا لأوامر أسياده الإنجليز. وقد دفعت العراق هذه التهمة بتأكيدها بأن الزيت مقطوع فعلًا من سنة ١٩٤٨م وإنما جاءت هذه الانفجارات والسحب الدخانية من البترول المخزون في الأنابيب نتيجة لارتفاعها في بعض المواضع وانخفاضها في أخرى. ووصلنا سفائن ثم الغباغب ثم إلى الحدود الأردنية السورية حيث عاد الحرس والمرافقون الأردنيون وحل محلهم الحرس السوري.

وواصلنا سيرنا ونحن نرى جبل الشيخ الممتد من سوريا فلبنان متوجًا بالثلوج.

وعلى مشارف دمشق كان في استقبالنا بعض الوزراء السوريين وقطعة من حرس الشرف، وترجل الأمير لاستعراض حرس الشرف، وحينما عدنا وجدنا أن السيارات قد أبدلت بسيارات سورية، وفي الحدود اللبنانية استبدلوا الحرس والسيارات السورية بحرس وسيارات لبنانية. وكان من أول ما واجهنا بعد تجاوز الحدود اللبنانية محلان متقابلان يكّون كل منهما مدينة صغيرة مبانيها على نمط واحد، وسألنا سائق السيارة فقال إن حكومة فرنسا المستعمرة بنت الكثير من هذه المساكن لجماعة من الأرمن الذين أنزلت تركيا ببلادهم الويل والخراب فلجأوا إلى لبنان في أيام الاستعمار فبنت لهم الحكومة المستعمرة هذه المساكن واقطعتهم مزارع من أموال الشعب اللبناني. وما قربنا من الجبل حتى رأينا لبنان على حقيقته، لبنان المشهور بجناته وأنهاره وأشجاره وأعنابه ومصايفه، ورأينا (صنين) و(الحرمون) وبينهما (زحلة) كأنها في أحضان أم تهدهدها فتذكرنا كافِيّة أمير الشعراء ورددنا أبياتًا منها. وانحدرنا إلى سفح الجبل الغربي وكان الجانب الغربي مضاءً بالكهرباء بحيث تشكل المحلات المتقاربة المتدانية مدينة واسعة الأرجاء. ومررنا (بعاليه) إحدى المصايف المشهورة ووصلنا بيروت المدينة التي بهرتنا بأنوارها وبالحياة الزاخرة فيها وتذكرنا ليل جدة المظلم إلا من أشعة أنوار تنفذ من نوافذ بعض القصور. وقد استقرت بنا السيارات أمام قصر فخم ضخم وكان ذلك هو هتيل (فندق) ريفييرا بشارع باريس وليس بأفخم فندق ولكنه من فنادق الدرجة الأولى. وقيل لنا تفضلوا فهنا ستنزلون ضيوفًا على حكومة لبنان.

لم يستقر بنا المجلس حتى دعينا إلى الحفلة التي أقامها رئيس الجمهورية كميل شمعون في فندق (سان جورج). وهناك في صالون واسع الأرجاء بقي المدعوون ينتظرون قدوم الملوك والرؤساء، وقد قطعوا الوقت بالحديث وتوزعوا جماعات. وبالمصادفة كان إلى جانبي وزير الأنباء اللبناني محمد صبرا ووزير خارجية العراق باش أعيان وقد كان حديثهما حول موضوع الساعة وما يجب أن تتخذه الدول العربية حيال العدوان الثلاثي. وكان الحديث فيما يبدو لي حديثًا شخصيًا فقد اتفقا على أن قطع العلاقات مع الدولتين المعتديتين يعتبر خطوة يجب أن تخطوها

كل دولة عربية، قالا ذلك برغم أن دولتيهما لا تريان ذلك، فالعراق ترى أن علاقتها ببريطانيا أعمق من أن تقطع من أجل مصر، ولبنان يرى أنه ليس من مصلحته كبلد سياحي أن يتخذ مثل هذه الخطوة، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى من لبنان سويسرا الشرق فلا شأن له بالقضية العربية ولا في هموم العرب. وتشعب الحديث بينهما وأنا أراه يستقيم تارة ويعوج أخرى، والتفت إلي الوزير صبرا يسألني عن علاقتنا مع الدولتين وهل نحن في عداد الدول التي ستقطع هذه العلاقة، فقلت له انه لا علاقة بيننا وبين فرنسا وأما بريطانيا فثمة قائم بأعمال في تعز وقائم بأعمال يمني في لندن وعمل كل واحد منهما هو أن يتسلم الاحتجاجات ويسلمها ولعلكم تستمعون إلى احتجاجات اليمن ضد عدوان بريطانيا على جنوبه المحتل، وبريطانيا من جهتها تحتج على ما تسميه اعتداء اليمن على المناطق المحتلة التي فرضت عليها حمايتها. وقال الوزير اللبناني إذا كان الحال كما وصفت فلماذا لا تريحون أنفسكم بقطع هذه العلاقات بهذه المناسبة فتربحون السير مع الدول العربية التي تضامنت مع مصر عمليًا كالسعودية وسوريا والأردن ولاسيما والحلف العسكري يشملكم. ولما كانت اليمن قد قررت عدم قطع العلاقات مع بريطانيا فقد وجدتني لا أملك الجواب المنطقي، ولكني قلت أن الاعتقاد السائد هناك أن قطع مثل هذه العلاقة ليس بذي فائدة عملية لمصر وأنها لا تضر ببريطانيا من قريب أو بعيد بينما وجود مثل هذه العلاقة قد تعمل على تخفيف عدوان بريطانيا على اليمن.

وجاء موكب الملوك والرؤساء ونهض الجميع لتناول طعام العشاء الذي قطعنا في تناوله ثلاث ساعات انتهت في الثانية عشرة مساءً، أي في السادسة ليلًا بالتوقيت الغروبي، إنها عادة غير حسنة تلك التي تجعلهم يقطعون ثلاث ساعات كوامل في تناول وجبة من الطعام. وعدنا بعد ذلك إلى الفندق، وفي اليوم التالي الاربعاء ١١ ربيع الثاني (١٤ نوفمبر) ذهبنا في الصباح لزيارة المتحف الوطني وهناك وجدنا غرائب الفن الروماني والفينيقي واللاتيني من تماثيل للآلهة وقطع فسيفساء وأواني خزفية يرجع تاريخ أقدمها إلى أربعة آلاف سنة. ورأينا نواويس

عليها تماثيل المدفونين تثير دقتها الإعجاب وكانت قد خلت من هياكل الموتى لأن التحنيط الفني المصري لم يكن معروفًا في فينيقيا. وقد خرجنا من المتحف معجبين بإهتمام الحكومة بهذه الآثار التي تثير الإعجاب والعظة والعبرة وتمنينا أن توجد حكومة في اليمن تهتم بجمع آثارها المعينية والسبئية والحميرية وبناء متحف لائق بها. وبعد الظهر تعرفنا على الميناء وزرنا المكتبة الشرقية وشرينا منها بعض الكتب.

كان الوفد اليمني أكثر الوفود لفتًا للأنظار نتيجة لظهورهم بالزي القومي اليمني غير المألوف ولا المعروف هنالك بعكس الزي السعودي، الذي يعتبر أغرب من الزي اليمني، والذي اعتاده الناس هناك لكثرة تردد السعوديين بالإضافة إلى أنه لا يزال زي الكثيرين في الأردن وسوريا. وقد جعلنا زينا المتميز محل حفاوة واهتمام الجهات التي زرناها إلا أنه كان يضايقنا تجمهر الناس حولنا وهم بين معجب ومستغرب وقد حد ذلك من حريتنا في التجول. حضرنا في المساء حفلة عشاء أقامها رئيس مجلس النواب اللبناني الأستاذ عادل عسيران ولا تختلف عن حفلة رئيس الجمهورية إلاّ أن الوقت قد امتد فيها إلى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

وفي يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني (١٥ نوفمبر) دعينا لحضور جلسة المؤتمر. وقبل ذلك قررت مع السيد أحمد زبارة أن نذهب للتعرف على مطار بيروت الذي يقال أنه سابع مطار في العالم من حيث الإعداد والتجهيز والاتساع وقد وجدناه فوق ما كنا نتصوره، وعدنا إلى دار اليونسكو الذي ستعقد فيه الجلسة. وانتظمت الجلسة حول مائدة مستديرة وأفتتح الجلسة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان فشكر الملوك والرؤساء على الحضور وندد بالعدوان الثلاثي ودعا إلى جمع الكلمة وتوحيد الأهداف والغايات ثم تلا البيان المشترك الذي أصدره المؤتمرون وهذا نصه:

«في العاشر والحادي عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٧٦هـ الموافق الثالث عشر

والرابع عشر من شهر تشرين الثاني، نوفمبر سنة ١٩٥٦م اجتمع في بيروت بناء على دعوة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية صاحب الجلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية وصاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية وسيادة الرئيس عبدالفتاح محمد المغربي رئيس مجلس السيادة في السودان وصاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا وصاحب الجلالة الملك فيصل ملك المملكة العراقية وصاحب الفخامة السيد كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية وصاحب الدولة السيد مصطفى بن حليم رئيس مجلس وزراء ليبيا نيابة عن ملكها والسيد عبدالحميد غالب سفير مصر في بيروت نيابة عن سيادة رئيس الجمهورية المصرية وصاحب السمو الملكي الأمير محمد البدر ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية نيابة عن مليكها وذلك لدراسة الموقف الذي نجم عن العدوان الذي أقدمت عليه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر وقطاع غزّة، وللاتفاق على ما يجب عمله لمناصرة مصر في دفاعها المجيد عن سلامة أراضيها وسيادتها، معتبرين أن هذا العدوان على مصر هو عدوان على البلاد العربية جميعها يقتضى توحيد السياسة والجهود حرصًا على المصلحة العربية المشتركة.

وقد أستعرض المجتمعون بارتياح التدابير التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرارات الصادرة بأغلبية ساحقة في ٢ و ٤ و ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦م وقدروا جهود الدول المحبة للسلام التي ساهمت في إصدار القرارات المذكورة القاضية بوقف القتال وسحب القوات المعتدية فورًا من الأراضي المصرية والعودة إلى ما وراء حدود الهدنة.

وقد أجمع الرأي على ما يلي:

١ . ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورة أعلاه وإذا رفضت بريطانيا وفرنسا الامتثال لقرارات الأمم المتحدة وامتنعتا عن سحب قواتهما من الأراضي المصرية فورًا وبدون قيد ولا شرط وكذلك إن خالفت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة وامتنعت عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط

الهدنة دون قيد أو شرط واذا تسبب عن موقف أي من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل جديد من شأنه أن يؤدي إلى استئناف الأعمال العسكرية اعتبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مسئولة بالتضامن عن استمرار الاعتداء وحينئذ تباشر كل دولة من الدولة الممثلة في هذا المؤتمر فورًا فيما خصها وعملًا بحق الدفاع المشروع عن النفس تطبيق المادة الحادية والأربعين من ميثاق الأمم المتحدة واتخاذ التدابير الفعالة التي تسمح بها أقصى إمكانياتها وفقًا لالتزاماتها بمقتضى المادة الثانية من معاهده الدفاع المشترك العربي.

٢ ـ الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التي رافقت الاعتداء على مصر، واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها، والعمل على حلها حلا يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها وذلك في نطاق الأمم المتحدة ومفاوضات تجري بين الفرقاء المعنيين بعيدًا عن أي مظهر من مظاهر الضغط والتدخل أو الإكراه وعلى أساس معاهدة ١٨٨٨م والمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في ١٣ تشرين/أكتوبر سنة١٩٥٦م.

٣ ـ تأييد مطالب الشعب الجزائري في نضاله حتى يحقق أمانيه القومية في الاستقلال والسيادة.

وإن المجتمعين يتوجهون بتحية الأخوة الصادقة والتقدير والإعجاب إلى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبدالناصر، وإلى القوات المصرية المسلحة وإلى شعب مصر مكبرين وطنيتهم وتفانيهم في الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها.

بيروت في ١٥/١١/١٩٥٦م»

وبعد الفراغ من تلاوة نص البيان طلب ملك العراق فيصل الثاني الكلمة، وكانت كلمة قصيرة شكر فيها رئيس لبنان على الدعوة وندد بالعدوان الثلاثي وتلاه الملك حسين ملك الأردن وألقى كلمة مطولة مجّد فيها مصر وبطلها بعد التنديد بالعدوان وأسف لعدم حضور باعث القومية العربية الرئيس جمال عبدالناصر.

وتلاه الرئيس شكري القوتلي وكان أكثر إشادة بمصر ورئيسها وتنديدا بالعدوان. ثم تلاه ولي عهد المملكة اليمانية فقفاهما في التنديد والإشاده. وألقى الملك سعود كلمة قصيرة، كما فعل رئيس وزراء ليبيا، وأطال في خطابه رئيس مجلس السيادة السوداني شارحًا ظروف السودان كدولة ناشئة ولكنه أعلن تضامن السودان مع مصر. وتكلم في الأخير سفير مصر عبدالحميد غالب شاكرًا للملوك والرؤساء على موقفهم التضامني وتم التوقيع على البيان وتفرق الجميع عائدين إلى أوطانهم.

أما نحن فقد بتنا في بيروت على أمل مرافقة الملك سعود إلى دمشق ثم مواصلة السير إلى الأردن. وقد قمنا بزيارة (بيت مري) و (عاليه) و (بحمدون) و (بعبدا) وهناك صلينا المغرب والعشاء تحت أشجار الزيتون وفي محل لا نظن أنه قد سجد لله على ترابه سجدة. وفي المساء خرجنا مع الأمير إسماعيل لشراء بعض الحاجات من السوق ثم الذهاب إلى إحدى دور السينما لنرى، لأول مرة، أحد الأفلام العربية ولكنه طال بالأمير وبأحد التجار المساومة في شراء قطعة جوخ أفضى إلى مشادة هدده فيها باللجوء إلى البوليس. وأخذنا بيد الأمير وعدنا به إلى الفندق ونسينا في غمرة ذلك السينما والأفلام.

السفر إلى دمشق

وفي يوم الجمعة ١٣ ربيع ثاني ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦/١١/١٦م قمنا مبكرين وأسرعنا إلى صالة الطعام لتناول طعام الإفطار. وكان أحد الجرسونات شاب مثقف وقد أخذ يناقشنا في موضوع الساعة، فسألنا سؤالًا غريبًا قائلًا هل أنتم أصدقاء الإنجليز؟ فقلنا له بل هو عدونا الأول فهو يحتل جزءًا من أرضنا ويوالي اعتداءاته علينا. فقال عرفت ذلك مما سمعته من صوت العرب ولكن رئيس جمهوريتنا مع الأسف صديق الإنجليز وصديق فرنسا. فقلنا له ولكن الذي سمعناه منه أنه يدين العدوان ويدين بالعروبة ويكفي أنه الداعي لهذا المؤتمر. فقال إنما فعل ذلك تغطية وترضية للشعب اللبناني الواعي ولو كان صادقًا في غيرته لقطع العلاقات مع الحكومتين كما فعل غيره. فقلنا له وبماذا تفسر موقف الرئيس شمعون من قطع العلاقات؟ فقال إن عذره المعلن أن بلادنا بلد سياحي يعتمد في دخله القومي على

السواح، ولكن الحقيقة أن الرجعيين من المسيحيين لا يزالون يتعلقون بأذيال فرنسا وهم يتخوفون من انصهار البلاد العربية في بوتقة دولة عربية واحدة ظنًا منهم أنهم سيصبحون أقلية بالنسبة إلى الوطن العربي الكبير وأنهم بالتالي سيضطهدون، ولا يزالون يذكرون أن فرنسا هي التي أنقذتهم من الاضطهاد العثماني. وقلنا له إنه لما يؤسف له أن يكون في لبنان من لا يزال يعيش في الماضي فيجعل من الطائفية ملتزمًا ومبدءًا برغم وجود الشباب المثقف المسيحي المتعلم الذي كان المفروض أن يسير على نهج الدين لله والوطن للجميع. فقال الحقيقة أن وجود المسيحيين الرجعيين كرئيس الجمهورية وأمثاله في لبنان هو نقطة ضعف بالنسبة إلى القومية العربية أما الشباب المثقف فرأيهم كرأيي وأنا أحد الشباب المسيحي الذي يدعو إلى القومية العربية ولكن لكل شاب كما تعرفون أباء وأقرباء ولهم تأثير كبير على أبنائهم وأقربائهم ثم إن الرأي الأول والأخير هو للساسة وهم ممن عاصروا الاستعمار الفرنسي وعاشروه ولنا أمل كبير في أن تنقرض هذه الأفكار بانقراض الجيل القديم وينشأ جيل يرى أن الدين لله والوطن للجميع[١].

فارقنا الفندق إلى السيارات التي أعدت لسفرنا إلى دمشق. وقد أدركنا ركب الملك سعود قبل وصوله إلى حدود سوريا، وهناك ترجل الملك والأمير لاستعراض حرس الشرف اللبناني المودع ثم الحرس السوري المستقبل، وواصلنا السير بعد ذلك إلى دمشق حيث نزل الملك سعود في دار الضيافة ونزلنا مع الأمير في فندق أميه الكبير. وقد كان في استقبالنا حشد حاشد من المواطنين يهتفون ويصفقون. وقد كان الفرق واضحًا بين لبنان وسوريا فما في سوريا كله عربي فهناك فندق أمية والنادي العربي وشارع الوليد وما في لبنان مستغرب فهناك فندق السان جورج وبريستول وشارع باريس. ولم تمض علينا في الفندق نصف ساعة حتى طلع علينا الرئيس شكري القوتلي بقامته المديدة ورأسه المليء بالتجارب والحكمة

(١) أعيد تسجيل هذا الحوار الذي مر عليه عشرون عامًا والحرب الطائفية في لبنان تشب أوارها والقتل علي الهوية مستمر إلي حد الجنون. وكم أتمنى أن أعرف أين يقف هذاالشاب المسيحي الذي لم يعطنا اسمه ببندقيته اليوم. لقد مر زمان وانقضت أعوام والطائفية في لبنان كامنة في النفوس كمون النار تحت الرماد حتى تفجرت لهبًا صاعقًا أحرق كل ما في لبنان من مؤسسات وفنادق وبنوك وبشر ولا يزال الشوط فيما يبدو بطيئًا.

ووراءه أحد موظفي القصر الجمهوري ولاشيء غير ذلك، فلا حرس ولا حفدة. وقد صافح الأمير ثم عاد فصافحنا واحدًا واحدًا. وبعد حديث قصير عن اليمن وأهله، وإعراب الرئيس القوتلي عن حبه لليمن وإعجابه بشجاعة أهله التي عرفها حينما كان ضابطا في الجيش التركي الذي كان يقوده أحمد فيضي الذي هب لإنقاذ صنعاء بعد أن دخلها الإمام يحيى في سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٥ م) وقد قدر له أن شهد معركة (عصر) المشهورة التي مني فيها الأتراك بخسائر فادحة، ثم قال لقد حان وقت صلاة الجمعة فهيا بنا إلى الجامع الأموي، وصحب الأمير في سيارته وتبعناهما إلى دار الضيافة. ودلف الرئيس والأمير وعادا وبجانبهما الملك سعود، ومن ثمة اتجه الركب إلى الجامع الأموي. وقد ترجل الملك ومن معه وترجلنا حينما وصلنا إلى بعد حوالي مائتي متر من الجامع، وكان على جانبي الطريق حشد حاشد من الناس كلهم يهتفون باسم جمال عبدالناصر. وتقدم مني السيد حسين الويسي رحمه الله فقال ارأيت هذه الظاهرة الغريبة، إن الجميع يهتفون لعبدالناصر البعيد عنهم وينسون الملك والرئيس والأمير الذين هم بين أيديهم، فقلت له إنهم يهتفون للقومية العربية والوحدة العربية المتمثلة بجمال عبدالناصر وأعتقد أن هؤلاء الزعماء مغتبطون بذلك، ألم يقل بالامس الرئيس القوتلي أن عبدالناصر باعث القومية العربية. ودخلنا الجامع فتصورت فيه عظمة التاريخ الإسلامي المجيد واستعدت الماضي على اختلاف صوره فأخذت بالعِبرة ولم املك العَبرة. لقد تصورت الإمبراطورية المجيدة وعلى رأسها الوليد بن عبدالملك باني هذا المسجد وقد أمتدت من الأندلس في القارة الأوربية الغربية إلى السند في القارة الأسيوية الشرقية فشكلت أكبر أمبراطورية عرفها تاريخ ما قبل الاستعمار البريطاني، تصورت ذلك فأخذني الزهو بذلك الماضي المجيد ولكني عدت أطوي القرون قرنًا قرنًا حتى استقر بي الزمن في حاضره الذي لا أجد العبارة التي تؤدي ما في نفسي لوصفه ويكفي أن أقول أن من أبرز مثالبه وجود إسرائيل.

حديث عن الزيدية مع قاضي دمشق

عدنا بعد الصلاة إلى الفندق حيث تناولنا طعام الغداء وبعده ذهبنا لزيارة

المتحف الوطني الغني بالآثار المتنوعة. وقد رأينا بعض الخناجر التي قال عنها الدليل أنها أهديت من أحد فراعنة مصر إلى أحد ملوك تدمر قبل أربعة آلاف سنة وكانت هذه الخناجر وأغلفتها لا تختلف في شيء عما لا يزال يتمنطق به رؤساء العشائر في جنوب اليمن. وقد أعتذر لنا الدليل بأنه ليس في إمكاننا أن نرى كل الآثار لأن الهام منها قد وضعت في مدافن خشية عليها من الغارة الإسرائيلية الجوية التي كانت منتظرة. خرجنا من المتحف إلى الغوطة وسرنا فيها نحو خمسة عشر كيلومترا، وعدنا للصلاة في الجامع الأموي ثم عدنا إلى جبل قاسيون حيث أشرفنا على دمشق كاملة. وبعد صلاة العشاء عدنا إلى الفندق، وجاء الرئيس القوتلي ليصحب الأمير إلى الملك سعود ثم يصحبهما إلى النادي العربي لحضور حفلة العشاء التي دعا إليها رئيس مجلس النواب ناظم القدسي. وقد قفونا أثرهم وهناك كان في الانتظار الوزراء والزعماء والمفتي والقاضي الشرعي. وقد كان من المصادفة أن يكون بجانبي القاضي الشرعي وقد دار بيننا حديث طويل، وقد سألت القاضي الشرعي عن معتمده في القضاء فقال إن في البلاد دستورًا وضعيًا له محاكمه المدنية وقضاته الحقوقيون وإنما يترافع إليه في الأحوال الشخصية كالإرث والزواج ونحوهما ومعتمده في القضاء هو مذهب الإمام أبي حنيفة، وقد يقضي بمذهب أحد صاحبيه محمد وأبي يوسف إذا كان ذلك أكثر ملائمة للزمن، وعلى الجملة فإن معتمده هو المجلة العثمانية مع تعديل طفيف. ثم سألني هو بدوره عن القضاء في اليمن فقلت له أن الشريعة الإسلامية هي المرجع الأول والأخير في حل جميع القضايا الشخصية والجنائية والمالية ومعتمدنا في ذلك المذهب الزيدي لا نخرج عنه إلا لإختيار الإمام يحيى أو الإمام أحمد. وقرأت في وجهه عدة أسئلة[١]، ولم أنتظر سؤاله بل واصلت كلامي قائلًا: وللعلم فإن المذهب الزيدي في اليمن لا يخرج عن مذهب المعتزلة في الأصول إلا في مسائل محصورة، أما

(١) عرفت فيما بعد عند اقامتي في دمشق أن علماء السنة فيها المنتسبين إلي مذهبي الشافعي وأبي حنيفة لا يزالون يعتقدون أن المذهب الزيدي من المذاهب المبتدعة الضالة. وقد حملني ذلك على طلب عدد من كتاب الروض النضير وأهديته إلي العلماء ليعرفوا أي شيء هو المذهب الزيدي وأنهم إنما يتهمونه لأنهم يجهلونه.

في الفروع فهو لا يخرج عن المذاهب الأربعة. وهو أكثر موافقة للإمام أبي حنيفه الذي يعده المؤرخون من أبرز تلاميذ الإمام زيد بن علي. ومن هنا كثر الاتفاق على أن المذهب الزيدي يفضل المذاهب الأربعة بتحرر علمائه فيما وضعوه من القواعد التي من أبرزها قاعدة (كل مجتهد مصيب)، فلم يفرضوا التقليد لإمام معين كما هو شأن سائر المذاهب التي ضيقت ميدان الاستنباط الواسع، بل تركوا لكل عالم الحرية في أن يستعمل عقله ومواهبه ومؤهلاته لكي يجتهد في فهم الحكم ويستنبطه من كتاب الله وسنة رسوله. ومن هنا برز في اليمن علماء مجتهدون كالإمام الشوكاني الذي أصبح لمذهبه أتباع في باكستان يدعون بالشوكانية ومثله السيد الوزير والسيد الأمير والسيد الجلال والشيخ صالح المقبلي وهؤلاء هم أبرز المجتهدين الذين كان لكتبهم ونقدهم أثر كبير في اعتدال كثير من العلماء الزيدية المتزمتين والجامدين. وأستمع إليّ القاضي الشرعي حتى أكملت كلامي ولاذ بالصمت، فعدت أقول له أن الشريعة الإسلامية واسعة الصدر ويستطيع الحكام المسلمون أن يستنبطوا منها أروع وأوفق وأحدث دستور في العالم، إنها شريعة القرآن الذي يتجدد بتجدد الزمان. ومما لاشك فيه أن الشريعة التي تدور أحكامها على جلب المصالح للإنسانية ودرء المفاسد عنها لا يمكن أن تضيق عن تقنين أي حكم، أما ما تمنع منه فهو ما تتفق العقول السليمة على أن فيه مفسدة فلا خير فيه، فأمّن الشيخ على كلامي. وكان رأيه أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة طيبة ولكنها تشتغل بالسياسة وتقول أن الدين دين ودولة، سيف ومصحف، ولكن هناك عالم ينتسب إلى الطريقة النقشبندية قد هدى الله على يديه عدد من الشباب المنحرف وأنه يعقد مجلسًا للمحاضرة يوميًا ويتكلم عن تفسير القرآن بطريقة حديثة ولا يشتغل بالسياسة، وفهمت أنه يعرض بالإخوان المسلمين وأن حضرة القاضي ذو نزعة صوفية.

وفي الحفل ألقى السيد حسين الويسي عضو الوفد اليمني قصيدة يحيّي فيها دمشق ورئيسها القوتلي يقول فيها:

يـاربـــة المجــــد التليد ومطلـع المجـد الجديد

يـاجـنـــة الـدنـيـــا ويا فـــوّاحـــة المـــرج المديد

مــا كـنـت أحـسـب أن أرا ك مـجـيـدة بـعـد الجمود

حتى طلعت على العرو بة في يدي شكري المجيد

خـفـاقـة بـالعـلم بالتقـ وى بـحـــرّاس البـنـود

أبـنـــاء يـعـــرب والأولـــى شادوا الحضارة في الوجود

ادمـشـــق حـيـــاك الحيا ووقيت من كيد الحسود

وليحي شكري في منا ر العـز فـي عـزم الأسـود

ولـيـحـــي أبـطـــال الكفا ح من القريب أو البعيد

وفي اليوم التالي يوم السبت ١٤ ربيع الثاني (١٧ نوفمبر) كنا نتأهب للسفر فإذا بنا نفاجأ بوصول الرئيس القوتلي الذي جاء لوداع سمو الأمير، وعجبنا لنشاطه وهو في العقد الثامن من عمره. وقد صادف وجود الطالبين اليمنيين يحيى جغمان ومحمد الرعدي، وكانا يدرسان في باريس فأمر الإمام بقطع مرتباتهما لأنهما كما يقال يشتغلان فيما لا يعنيهما، أي يهتمان بشئون بلدهما ويهمهما أن يتطور، وقد تركا باريس إلى سوريا وقد تسنى لهما مصافحة الرئيس القوتلي، وكانا قد راجعا في إلحاقهما بالجامعة السورية على حساب الحكومة السورية فلما رآهما التفت إلى مرافقه وأمر بإلحاقهما بالجامعة على حساب الحكومة فشكرناه معهما على ذلك.

في ضيافة الملك حسين

خرجنا من دمشق على السيارات قاصدين الأردن وكان في وداعنا الرئيس القوتلي ورئيس الوزراء صبري العسلي ورئيس مجلس النواب ناظم القدسي. وفي الحدود الأردنية كانت تنتظرنا قطعه من حرس الشرف ترجل الأمير لاستعراضها وركب على سيارة ملكية وواصلنا السير إلى مطار عمّان حيث كانت تنتظرنا طائره

سعودية خاصة أرسلها الملك سعود لتقلنا إلى جدة. كان في استقبالنا في المطار مدير الأمن وقائد الحرس وبينما نحن نستعد للصعود إلى الطائرة جاء رئيس الوزراء سليمان النابلسي ووزير الداخلية والدفاع عبدالحليم النمر وغيرهم يقولون أن جلالة الملك في انتظاركم في القصر وأنه يأمل أن تبقوا ثلاثة أيام في ضيافة جلالته فأعتذر الأمير شاكرًا وقال أنه قد أبرق إلى والده أنه سيصل اليوم إلى اليمن. فأتصل رئيس الوزراء بالملك وعاد ليقول أن جلالته مصر إصرارًا بالغًا وأنه سيتولى إبلاغ الإمام بتأخركم، ولم يجد الأمير بدًا من الموافقة. واتجهنا إلى قصر (زهران) حيث كان الملك في الانتظار، واتجه الأمير إلى مكتب الملك فورًا وبقينا في محل التشريفات مع رئيس الديوان ومع دولة هاشم المجالي رئيس الوزراء السابق. كان حديثنا عن اليمن وقال دولته إن اليمن مشهورة بشجاعة أهلها وإبائهم وحرصهم على استقلالهم وأنه لا يزال يذكر وهو طفل لم يتجاوز العاشرة كيف كانت اليمن تصلي الأتراك بثوراتها نارًا حامية حتى أطلقوا عليها (مقبرة الأتراك)، وأشاد بالمتطوعين اليمنيين الذين اشتركوا في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م وأكد أنه كان عدد منهم في موقع في القدس وأنهم رفضوا التسليم بعد أن سلّمت الجيوش النظامية. وقال أن عمّان كانت قبل ثلاثين سنة قرية صغيرة يسكنها ألفا نسمة وهي اليوم تضم ٢٥٠ ألف نسمة. والحق أنّا لم نشعر بأنه ينقصها شيء عن العاصمتين الشقيقتين إذا استثنينا ذلك الرصيد التاريخي الذي يجثم في دمشق الفيحاء.

وبعد هذا الحديث الطلي دعينا إلى جلالة الملك الذي صافحنا ورحب بنا وخرجنا بعد ذلك إلى فندق (فيلادلفيا) وكان يومها الفندق الأول والأفخم. وبعد تناول طعام الغداء وأخذ قسط من الراحة قمنا بجولة في المدينة وتمكنا من رؤية هذه المدينة الحديثة التي قيل لنا أنها تضم اثنين وعشرين مستشفى واثنتين وسبعين مدرسة ابتدائية وثانوية، وكانت بيوتها المبنية بالحجر الأبيض الناصع البياض آية في الجمال لا يعيبها إلا أن بعض بيوتها قد طلي باللون الأصفر. وفي المساء دعينا إلى حفلة العشاء التي أقامها الملك على شرف الأمير ورفاقه وقد اتجهنا في الوقت المحدد إلى قصر (بسمان) حيث أقيمت الحفلة الفنية الكريمة. وقد كان إلى جانبي عبدالحليم النمر وزير الدفاع والداخلية وقد جرى الحديث بيننا إلى ذكر الملك طلال والد الملك حسين، فقلت له هل صحيح ما كان يشاع

من أن مرضه كان مرضًا سياسيًا وأن لبريطانيا يد في ذلك؟ فأبدى من الاهتمام بالسؤال فوق ما كنت أنتظر وألتفت إليّ يقول أقسم لك بالله أن مرضه كان حقيقيًا، وكان قد سافر في عهد والده إلى سويسرا للعلاج ودعي بعد وفاته قبل إكمال العلاج فعاوده المرض بعد فترة قصيرة من ارتقائه العرش الأردني، ونحن لم نعتمد على الاطباء البريطانيين في تشخيص حالته بل طلبنا من عبدالناصر إرسال أشهر الأطباء المصريين وأكفأهم فأرسل أربعة أطباء فحصوا الملك مدة وقرروا أن علاجه مستعص، وأرسل للعلاج مرة أخرى. وفي أثناء تناول الطعام قام السيد حسين الويسي عضو الوفد اليمني فألقى قصيدة يحيي فيها الملك ويقول:

من بني جده اليمانين طرا	وبني عمه قبائل مأرب
آل غسان من أقاموا بحوران	وعمّان والشآم المراتب

وفي صباح الأحد ١٥ ربيع الثاني (١٨ نوفمبر) اتجهنا إلى القدس والخطوط الأمامية تنفيذًا لرغبة الملك، وكانت فرصة نحظى فيها بزيارة الأقصى الذي بارك الله حوله. جاء في الصباح وزير الدفاع لمرافقة الأمير، وكان أول ما طالعنا في طريقنا محل يسمى صويلح ثم الصلت وهي مدينة تقع في أعلى وادي مدين الذي يدعى وادي شعيب، وهو وادي خصب مكسو بالأشجار وفيه نهر صغير. وخرجنا من وادي مدين إلى سهل واسع فيه مدينة صغيرة تسمى (الشونة). وفي الشونة قصر كان الملك عبدالله ينزل فيه في الشتاء، وينزل في الشونة عرب العدوان. وفي السهل الواسع الممتد ما بين الشونة وأريحا حقول واسعة مكسوة بأشجار العنب واليوسفي، وقد اخبرنا السائق أنه كان سهلًا قاحلًا فأحاله اللاجئون الفلسطينيون إلى رياض وارفة كما نرى. وخرجنا من هذا السهل لنمر على الجسر الذي يعتبر أول حدود فلسطين العربية، وهو منصوب على نهر الشريعة، وقد تجاوزناه إلى أريحا ومنطقة البحر الميت أو بحر لوط. وأريحا مدينة جميلة محاطة برياض عامرة بالعنب والبرتقال والتفاح، ومنها إلى مدينة الطور التي تقع على رأس جبل الطور ثم العيزرية ثم مدينة القدس. وقد قصدنا توا إلى المسجد الأقصى حيث زرنا المسجد وصلينا ركعتين تحية للمسجد وارانا الدليل كبير السدنة مصطفى خليل



مع الأمير البدر في زيارة المسجد
الأقصى بالقدس
في 15 ربيع الثاني 1376هـ
الموافق 18 نوفمبر 1956م

الأنصاري محراب زكريا عليه السلام ومحله في آخر المقدم كمقصورة. وخرجنا منه إلى جامع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بجانب المسجد ومنظره عادي وليس فيه شيء من الزخرفة. ثم ذهبنا إلى قبة الصخرة وهبطنا من القبة في سلم صغير إلى محل الصخرة. وكنت في شوق لمعرفة الصخرة التي قرأت عنها في كتاب قصص الأنبياء للثعالبي أنها معلقة في الهواء ولا تعتمد على اسطوانة ولا قرار، وقد وجدتها صخرة عادية نتأت من الجبل فتكون تحتها غار صغير يمكن للإنسان أن يقف فيه، وطرف الصخرة ثابت في الجبل وفي اليمن آلاف الصخرات على مثل تكوينها وأكثر تجويفًا وأكبر حجمًا. وقد خرجنا منها إلى محل مرتفع يطل على المدينة ويسمى موضع القدم، وهو يشبه البرج. وفي حجر هناك ما يشبه وطأة قدم يزعمون أن عيسى عليه السلام قد رُفِع إلى السماء من هنالك. وصعدنا على سطح البرج وكان يرافق سمو الأمير علي الحياري، قائد الحرس، وقد أخذ يرينا مواقع اليهود ومواقع العرب في القدس وغيرها من المواقع التي امتدت إليها أبصارنا من هذا المحل. وقد شرح لنا أن حدود الأردن مع إسرائيل تمتد إلى ستمائة كيلومتر وليس بينهما منطقة حرام. وفي القدس لا يفصل بين القدس القديمة والجديدة الاّ سور، وقد كنا نرى اليهود وهم يطلّون من نوافذ وسطوح بيوتهم ليتفرجوا على الوفد اليمني الذين ربما لفتهم إليهم زيهم اليمني الغريب عليهم. وقد اتجهنا بعد ذلك إلى الخطوط الأمامية وكان أول ما قصدناه (النبي صمويل)، وهو اسم لمحل استراتيجي مرتفع يطل على القرى اليهودية ويستطيع أن يتحكم فيها، وكان حوله محاطًا بثكنات أو على الأصح خنادق للجنود عامرة بالجنود والأسلحة ووسائل المواصلات. وقد صعدنا إلى سطح البرج وقد كان الهواء ينفتح أمامنا إلى حيفا على البحر. وقد قدرنا الصعوبة التي يعانيها الأردن في المحافظة على حدوده الطويلة أمام عدوان إسرائيل المتكرر والذي يجعله في حالة حرب دائمة لأنها معرضة دائمًا لهذا العدوان الذي لا يدري متى يكون، فإسرائيل لا تحدد وقتًا لاعتداءاتها وإنما تعتدي حينما يحلو لها الاعتداء. وقد غادرنا هذا المكان عائدين نحو القدس ولكن عن طريق رام الله وهي مدينة فلسطينية عامرة وقد تجاوزناها إلى (النبي يعقوب) وفيه محل قيادة الحرس الوطني. وفي بناية هناك نزلنا حيث

وجدنا مائدة واسعة مؤلفة من عدة موائد عليها صحون كبيرة عامرة بالأرز واللحم وقيل لنا أن هذا هو طعام الجنود. وهناك مائدة كبيره محاطة بالكراسي وفيها ما لذ وطاب من الأطعمة الغربية وقد ملنا بالفطرة إلى مشاركة الجنود البواسل فأكلنا حتى امتلأنا وعبثًا حاولوا أن يصرفونا عن هذا الطعام إلى الأطعمة الأخرى ولكنا أسعدناهم بأخذ شيء من الفاكهة وشي من الكنافة النابلسية الشهيرة.

بعد الفراغ من الغداء، عدنا إلى القدس وتجاوزناها إلى أريحا التي تنخفض عن سطح البحر مائة وثلاثين مترًا. وقبل الوصول إليها ملنا إلى اليمين متجهين إلى البحر الميت الذي ينخفض عن سطح البحر أربعمائة متر. وقد قال بعض الرفاق هذه المنطقة هي بلاد النبي لوط عليه السلام التي جعل الله عاليها سافلها وأن هذا هو سر انخفاضها عن سطح البحر. وفي منطقة البحر الميت وجدنا ثلّة من الحرس الوطني وأربعة زوارق بخارية ركبنا أحدها وركب الحرس والمرافقون في الأخريات وكانت كلها مجهزة بالأسلحة المتطورة. وقد قمنا برحلة بحرية ممتعة قطعها استعجال الأمير العودة إلى عمّان، وقد وصلناها حوالي الواحدة بعد الغروب. وفي المساء رغبت أنا والسيد حسين الويسي والسيد أحمد زبارة برؤية فلم عربي، إذ كان هناك أفلام عربية تعرض في دور السينما، وكانت هي المرة الأولى التي نشاهد فيها فيلمًا عربيًا وقد عهدنا إلى الضابط المرافق وتم ذلك حيث شاهدنا فيلمين أحدها فيلم (عروس في المزاد) والثاني فيلم (مصطفى كامل). وقد أمتعتنا مشاهدتهما وانفعلنا لأحداثهما، ومما يدل على التأثر بهما أني لخصت قصتيهما في المذكرات التي حررتها في الرحلة بصورة تكاد تكون حاوية لكل أحداثهما. وقد عدنا من مشاهدتهما ولم يبق من الليل إلا القليل فنمنا غرارًا.

العودة إلى اليمن

وقمنا مبكرين يوم الإثنين ١٦ ربيع (١٩ نوفمبر) لنذهب إلى المطار توًا مقدرين أنّا لن نبيت إلاّ في اليمن. ولكنا فوجئنا في الصباح بإبلاغنا بأن جلالة الملك يرغب في استقبال الأمير في قصر زهران وأنه أيضا يرغب بوداع الأمير في المطار

وكان هذا كرمًا منه لا يلزمه به البرتوكول. وقد ذهبنا إلى القصر وأستقبلنا الملك وأهدانا أوسمة من وسام النهضة وهو وسام الحسين بن علي. وبعد توزيع الأوسمة خرج الملك والأمير وتبعناهما إلى المطار حيث تصافحنا مع جلالة الملك وصعدنا الطائرة الكبيرة. وقد أصيب الأمير سيف الإسلام إسماعيل بالذعر والوجل حينما رأى ثلاث طائرات حربية ترافق طائرتنا للحراسة، ولم يعاوده اطمئنانه إلاّ بعد أن عادت الطائرات الثلاث أدراجها. وقد قلت له أن وجود طائرات الحراسة قمين أن يبعث على الاطمئنان فلماذا فزعتم، قال لأنها دلتنا على خطر محتمل وما الذي تستطيع أن تعمله في حال تعرض إسرائيل لطائرتنا.

هبطت بنا الطائرة في جدة في الثانية والنصف بعد الظهر حيث كان في استقبال الأمير سمو الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية، وقد رافقنا إلى قصر الزاهر. وفي المساء أبدينا رغبتنا في أداء العمرة، فأعدوا لنا ثياب الإحرام وعددًا من السيارات. صلينا المغرب في جدة ومنها أحرمنا للعمرة واتجهنا إلى مكة المكرمة حيث وصلناها بعد صلاة العشاء، فصلينا العشاء جماعه أمام الكعبة ثم قمنا بالطواف واستلمنا الحجر الأسود بيسر وعدنا للسعي، وبعد التمتع بالحرم الشريف عدنا إلى جدة.

وفي الصباح اتجهنا إلى المطار وكانت الطائرة اليمنية الداكوتا (ظفار) تنتظرنا. وقال الطيار إن الطائرة خرجت لتوها من الإصلاح ولابد من طيرانه ساعة كاملة كتجربة قبل أن تقلنا. وفعل ذلك وعاد ليطمئننا أن الأمور على ما يرام، وتودعنا الأمير السعودي وتحركت بنا الطائرة في المطار إلى نهايته وإذا بالطيار يقول أن إحدى عجلات الطائرة محتاجة إلى إصلاح وأن ذلك يستلزم العودة ويستغرق الإصلاح ساعة. وأصر الأمير السعودي على عودنا إلى القصر، وعدنا. وبعد الساعة اتجهنا إلى المطار وقامت بنا الطائرة متجهة إلى مطار الحديدة، وكان الأمير إسماعيل في حالة يرثى لها من الخوف. وقد هبطت بنا الطائرة في المطار في الحادية عشرة بالتوقيت الغروبي، ولم تكن في المطار غير سيارة واحدة انحشرنا فيها مع الأمير وأوصلت كل واحد منا إلى محل إقامته.

مشروع ايزنهاور

وفي شوال سنة ١٣٧٦هـ الموافق مايو ١٩٥٧م وصل إلى اليمن سفير أمريكا في جدة يحمل إلى الإمام أحمد مشروع ايزنهاور المشهور ويعرض في نظير الموافقة عليه مساعدات أمريكية كبيرة. وخشينا أن يقبل الإمام الدخول في هذا الحلف ويتلقى مساعدات كبيرة تمد في عمر وضعه المتردي، هذا من جهة ومن جهة أخرى يربط اليمن بأحلاف عسكرية استعمارية قد تطيل هي الأخرى عمر حكمه. وكان لابد من أن نفعل شيئًا في سبيل فشل المبعوث الأمريكي فبعثت للإمام رسالة أنبه فيها إلى أن الخطر الحقيقي الموجود بالفعل هو خطر الاستعمار البريطاني في جنوب البلاد وأن قبول مشروع ايزنهاور سيغضب الجانب الروسي الذي أيد حكومة اليمن في قضية الجنوب. ولم المس ما يجعلني أعتقد أنه قد اطلع على تلكم الرسالة فبعثت له أخرى أقول فيها:

[استمعنا اليوم إلى صوت العرب وهو يذيع نبأً يقول أنه قد مر على البعثة الأمريكية خمسة أيام في تعز لم يقابلها الإمام أحمد وأن المسئولين في حكومته يقولون أن جلالته لا يريد أن تخرج بلاده من العزلة لترتبط في مشاريع وأحلاف استعمارية. ولكنا وبعد أن قابلتم البعثة فوجئنا بالإشاعة تقول أنكم قد قبلتم المشروع نظرًا إلى مضاعفة العرض الأمريكي بالمساعدة وإلى حاجة البلاد للمساعدة. ونحن نأمل، إذا كنتم قد وافقتم على المشروع، أنكم قد أوفيتم المقدمات والنتائج حقها من الدراسة. وقد سبق أن عرضت على جلالتكم رأيي في الموضوع عملًا بواجب النصيحة وأنا اليوم أضيف ما يلي:

إنه مما لاشك فيه حاجة شعبكم إلى المعونة الاقتصادية كأقصى ما تكون حاجة الشعوب إلى ذلك ولكن مشروع ايزنهاور هو كأي مشروع استعماري إثمه أكبر من نفعه ومصلحته لا تدرأ المفسدة الكبيرة من قبوله. وأنتم إذا قارنتم ووازنتم بين المصلحة والمفسدة واصلون إلى الاقتناع بأن المفسدة أكبر. ومعلومكم أن من قواعد التشريع الإسلامي أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة. إن المصلحة في القبول بالمشروع تتمثل في هذا الكسب المادي وربما الأدبي أيضًا ثم الاحتفاظ بصداقة المملكة العربية السعودية، وكل ذلك لا يساوي المفسدة التي تتمثل فيما يلي:

أولًا: خسارة صداقة روسيا التي وقف رئيسها يعلن للدنيا أنه في جانب اليمن إذا وقع عليها عدوان من بريطانيا وخسارة مساعداتها الملموسة. وقبول المشروع ستعتبره انحيازًا إلى الغرب الذي يضم بين دوله بريطانيا العدو اللدود لليمن ولكم شخصيًا وهل تنتظرون من أمريكا أن تقف موقفًا مماثلًا لموقف روسيا في حالة عدوان بريطانيا على اليمن، وهي الدولة التي تبارك الاستعمار وتشجعه.

ثانيًا: ثم تصوروا رد الفعل لدن الدولتين الشقيقتين مصر وسوريا حينما يبلغهم نبأ قبولكم للمشروع بعد أن أذاعوا وتكلموا كثيرًا حول رفض حكومتكم له، وأشادوا بموقفكم وأبدوا الاعتزاز به وباهوا بكم غيركم من الملوك والزعماء الذين قبلوه، وليس من الحكمة أن تفقدوا صداقة هاتين الدولتين الشقيقتين. إن رد الفعل سيكون حتمًا في فتح المجال واسعًا لحركة المعارضة فهم لم يوقفوا نشاطها إلاّ مجاملة لكم وإن خالفوا مبادئهم في ذلك.

ثالثًا: إن المشروع قد وسم بأنه مشروع استعماري وأن جميع الشعوب العربية المتطلعة إلى التحرر من الاستعمار ترفضه. وكما ترون فإنه قد جر في لبنان والأردن إلى سفك الدماء، والمسموع عنكم أنكم تناهضون الاستعمار وتعادونه بكل أشكاله وألوانه، وفي قبول المشروع ما يؤثر على هذه السمعة الطيبة. وإذا كنتم قد وافقتم ولم يعد من الممكن التراجع والتروي والمماطلة في الأخذ والرد حتى تكشف الأيام خطأ الذين قبلوه، وهي فاعلة قريبًا، فإن ذلك لا يمنعكم من الأخذ بالأسباب الاحتياطية فلا تنفضوا يدكم من صداقة روسيا حتى تضمن لكم أمريكا التأييد والوعد والوعيد التي ضمنتها صداقة روسيا في حال اعتداء بريطانيا على اليمن. فقد تنفذ بريطانيا ما تلوح به في الأيام الأخيرة من إقامة حكومة عربية في عدن وذلك هو السهم المسموم الذي ستسدده إلى الوحدة اليمنية التي ستكون جلالتكم مسئولة عن عدم تحقيقها. والسؤال الآن هل سيقف ايزنهاور كما وقف بلجانين يعلن للعالم إنذاره لبريطانيا أم أن اهتمامه ببقاء عدن - كمنطقة إستراتيجية - في يد الغرب سيكون راجحة الكفة. هذا ما خطر في بالي النصح به وأنتم أعرف ببواطن الأمور. أيدكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٩ شوال سنة ١٣٧٦هـ» (٢٨ مايو سنة ١٩٥٧م].

وقد أنكشف أن الإمام لم يقبل المشروع.

الفصل الثالث عشر
مشاركة اليمن في الاتحاد الفيدرالي

طلب الإنضمام في إتحاد فيدرالي

سبق أن أشرنا إلى أن الإمام أحمد كان يصانع عبدالناصر تارة بالسير في ركاب الدول المتحررة، حينما رفض مشروع ايزنهاور، وتارة بالتهديد بالإنضمام إلى حلف بغداد، كل ذلك ليوافق عبدالناصر على كم أفواه الأحرار وعلى رأسهم الزبيري ونعمان العائشان في القاهرة. وقد تم له ما أراد، فأقفلت الصحيفة الوحيدة، صوت اليمن، وحرّم على القاضي الزبيري الكلام من على منبر صوت العرب، ولاستمرار هذا الحظر أسرع الإمام أحمد إلى عقد الحلف العسكري الثلاثي الذي قام بين مصر والسعودية واليمن. ثم لما بدأت المحادثات بين مصر وسوريا على الدخول في الوحدة أسرع الإمام أحمد إلى طلب الإنضمام إلى دولة الوحدة الجديدة بعقد إتحاد فيدرالي. وأبرق لعبدالناصر يطلب منه أن لا ينفَضّ الجمع على إتفاقية قيام دولة الوحدة حتى يضموا اليمن إليها في إتحاد فيدرالي. وقبْل أن يبعث وفده إلى القاهرة طلب مجموعة من العلماء ورجال الدولة يستشيرهم وكنت أنا من بينهم. وقد كاد المجتمعون أن يجمعوا على أن في ذلك خطرًا على العرش وعلى اليمن، وكان أشدهم حماسًا المرحوم السيد محمد عبدالرحمن الشامي، وكنت أنا أرى أن في الإتحاد خروجًا باليمن من العزلة وتحقيقًا للكثير مما يطلبه الأحرار. وكنت أضع في إعتباري أن الرغبة صادقة وأنه لو لم يُنفّذ إلاّ بعض بنود الاتفاق ففيها مصلحة، أقلها الخروج من العزلة والاحتكاك بالخارج والتفاعل مع ما فيه من حركة وتطور وتقدم، ولكني لزمت الصمت ولم أفه ببنت شفة حتى وجه الإمام الخطاب إليّ قائلًا: وأنت ما رأيك. فقلت رأيي أن في الاتحاد قوة وتنفيذًا

لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعًا) وهو إذا لم ينفع لم يضر. ولما كانت الرغبة متوفرة لدى الإمام في قبول العرض لغرض لم يبده للمجتمعين فقد طرح آراء المخوفين جانبًا ورجح الإنضمام.

وتكون الوفد من التالية أسماؤهم:

سيف الإسلام ولي العهد محمد بن الإمام	رئيسًا
أمير الجيش النظامي علي بن أحمد بن إبراهيم	عضوًا
أمير الجيش الدفاعي محمد بن حسين الضمين	=
نائب لواء الحديدة محمد بن أحمد باشا	=
وزير المالية القاضي عبدالرحمن السياغي	=
وزير الدولة للشئون الخارجية القاضي محمد العمري	=
نائب رئيس الهيئة الشرعية عبدالرحمن الإرياني	=
عضو الديوان الملكي عبدالله الشماحي	=
المدير العام للإذاعة محمد بن أحمد الشامي	=
حاكم تعز الأول القاضي محمد بن علي المجاهد	=

وقد زود الوفد بتوجيهات تنص على قبول مشروع الإتحاد الفيدرالي والتوقيع على الإتفاقية على أساس أن يشمل الإتحاد السياسة الخارجية والاقتصاد والدفاع والمعارف. وقامت بنا طائرة من مطار تعز في الحادية عشرة باعتبار التوقيت الغروبي من نهار الثلاثاء ١٥ رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨/٢/٤م، وقد وصلنا مطار جدة في الثانية من ليلة الأربعاء. كان ارتفاع الطائرة سبعة آلاف قدم وسرعتها أربع مئة كيلومتر في الساعة وهي من نوع داكوتا. كان في استقبالنا في مطار جدة قائم مقامها وموظفوا المكتب اليمني في جدة، وكانت مدينة جدة تسبح في بحر من الأنوار بصورة غير عادية، وسألنا عن سبب ذلك فقالوا إنه للاحتفال بعودة

ولي العهد الأمير فيصل بعد زيارته لأمريكا وأوروبا ومصر في فترة تجاوزت ستة أشهر. وأسرّ إلينا بعضهم أن خلافًا قد نشأ بين الملك وولي عهده آثر بسببه ولي العهد الإبتعاد عن مقر الحكم، ثم سوي الخلاف بينهما وأن أنصار فيصل يبالغون في إظهار الحفاوة به إغاظة للملك. فقلنا في أنفسنا إذًا ففي كل واد بنو سعد. لم يستقبل ولي العهد أحد من أمراء البيت المالك مبررين ذلك بضرورة وجودهم في الحفل الذي أقيم في مكة ابتهاجًا بعودة فيصل، والحقيقة أن السعودية لم تكن مرتاحة للخطوة التي خطاها الإمام أحمد نحو الإتحاد.

نزلنا جميعًا في فندق الكندرة بما فينا ولي العهد الذي ينزل عادة في قصر الزاهر، ولكنهم اعتذروا أن القصر معد لاستقبال ولي عهد المغرب مولاي الحسن وهو عذر غير مقبول لأن القصر يتسع لأكثر من ولي عهد.

قمنا في اليوم التالي مبكرين متجهين إلى المطار، وأقلعت بنا الطائرة في ١٢ صباحًا وكانت الرحلة فوق جبال من الغمام، وصادفنا في رحلتنا رياحًا عاتية جعلت الطائرة الداكوتا الصغيرة ترقص بنا رقصة الموت. واستعدينا للرحيل إلى العالم الآخر، وطالت بنا الطريق فلم نصل مطار القاهرة إلاّ في الساعة السادسة أي بعد طيران ست ساعات، وكان في استقبالنا في المطار السيد علي صبري، أحد ضباط الثورة، وقد أطلقت المدفعية ٢١ طلقة واستعرض الأمير حرس الشرف ثم أقلتنا السيارات إلى قصر الطاهرة. وبعد أن استراح الأمير سجل كلمة لصوت العرب، وذهب الوفد مع رئيسه إلى قصر القبة لتسجيل أسمائنا في دفتر الزيارات.

حضور جلسة مجلس الأمة

جاءتنا دعوة لحضور جلسة مجلس الأمة التي سيحضرها الرئيس عبدالناصر ليضع على المجلس قرار الوحدة مع سورية. وقد ذهبنا إلى هنالك في الرابعة مساءً بتوقيت القاهرة، وقد صفق المجلس للوفد اليمني طويلًا وكانت قد أُعِدت لنا كراسي في شرفة كبار الزوار، وبعد هنيهة وصل الرئيس جمال عبدالناصر ورئيس مجلس الأمة عبداللطيف البغدادي، وقد ألقى كلمة قصيرة أشار فيها إلى الوحدة

وقدم الرئيس جمال عبدالناصر ليلقي على مجلس الأمة قرار الوحدة ودستورها. وبعد كلمة الرئيس رُفعت الجلسة للاستراحة ثم عادت للانعقاد وأُملِيت برقية الرئيس شكري القوتلي التي يقول فيها: «إنني كمواطن عربي مخلص يسرني أن أنتخب الرئيس جمال عبدالناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة».

بعدها عدنا إلى قصر الطاهرة حيث وجدنا في انتظارنا دعوة من الرئيس جمال عبدالناصر لحضور حفلة العشاء التي أقامها احتفاء بالوفد اليمني. واتجهنا إلى قصر القبة حيث وجدنا الرئيس ناصر وولي العهد في جلسة خاصة استمرت نصف ساعة، خرجا بعدها لتناول طعام العشاء. وكنا قد تقابلنا مع أحمد سعيد البوق الكبير المعلق بصوت العرب، وتشاء الصدفة أن نتعرف على الدكتور أحمد شوقي المحامي صاحب أحاديث المساء في صوت العرب وقد جرى بيننا حديث طويل حول الوحدة العربية ودوافعها والعقبات التي تقف أمامها. ومع الاتفاق على أهميتها فإنه كان غير متفائل بمستقبل يضمن دوامها واستمراريتها، وكان يستند في تشاؤمه إلى روح الإقليمية الضيقة التي لا تزال هي السائدة في العالم العربي. وقلت له لقد وجدنا هنا في مصر مِن الحماس للوحدة ما يحملنا على التفاؤل ولاشك أننا سنجد في سوريا حماسًا أكبر باعتبار أنها الداعية للوحدة والمتلاشية فيها، وباعتبار ما هو معروف عن سوريا من حماس للعروبة وتعلق بالوحدة العربية، ثم إن الوحدة هي الوضع الطبيعي للعرب المتحدين دينًا ولغة وتاريخًا وجغرافيا ودينهم يدعوهم إلى ذلك والقرآن يقول (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا)، والرسول يقول (يد الله مع الجماعة)، ويقول (المرء قليل بنفسه كثير بأخيه) والتفرق الذي طرأ عليهم إنما كان بفعل انسياقهم وراء أعدائهم. وأستمع إلي وهز رأسه هزة يبدو منها أنه غير مقتنع.

بدء مباحثات الإتحاد الفيدرالي

وجاء يوم الخميس ١٧ رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨/٢/٦م، وفيه دعينا إلى حضور جلسة المباحثات الأولى التي سيحضرها الرئيس جمال عبدالناصر وولي العهد البدر وكامل أعضاء الجانبين. وقد ألقى الرئيس عبدالناصر كلمة رحب فيها بالوفد اليمني وشكر اليمن على مسارعتها إلى إبداء رغبتها في تكوين إتحاد فيدرالي مع الجمهورية



مباحثات الوحدة الفيدرالية بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، ويبدو في الصورة من يمين القارئ:

القاضي عبدالرحمن الإرياني
السيد محمد الباشا
السيد حسن بن إبراهيم
الأمير البدر
القاضي عبدالرحمن السياغي
السيد علي بن إبراهيم
القاضي عبدالله الشماحي
السيد محمد الشامي
القاضي محمد العمري
الشريف محمد الضمين

وفي الجانب المصري:

السيد محمود فوزي
السيد عبداللطيف البغدادي
الرئيس جمال عبدالناصر
المشير عبدالحكيم عامر
السيد علي صبري



الرئيس جمال عبدالناصر مصافحا
القاضي عبدالرحمن الإرياني
ويبدو على يمينه :
السيد أحمد محمد الشامي
فالقاضي عبدالله الشماحي،
وعلى يساره :
السيد حسن بن إبراهيم
فالسيد محمد الباشا

مباحثات الوحدة الفيدرالية
القاهرة - فبراير 1958م



من يمين القارئ:
القاضي عبدالرحمن السياغي
السيد محمد الباشا
السيد علي بن إبراهيم
الأمير البدر
الرئيس جمال عبدالناصر
السيد محمد الشامي
السيد حسن بن إبراهيم
السيد أحمد الشامي
القاضي عبدالله الشماحي
القاضي عبدالرحمن الإرياني



من يمين القارئ: السيد محمد يحيى الذاري
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني
السيد عبدالله عبدالكريم
الشريف الضمين
الاستاذ أحمد المعلمي
أخذت في مجلس الأمة المصري أثناء زيارة وفد الإتحاد الفيدرالي
القاهرة - فبراير 1958م



من يمين القارئ: الشريف الضمين،السيد محمد الشامي، القاضي عبدالرحمن الإرياني يكتب كلمة الوفد في سجل الزيارات، المرافق المصري السيد محمد الباشا، القاضي عبدالرحمن السياغي، السيد علي بن إبراهيم، القاضي عبدالله الشماحي. المتحف الحربي، القاهرة، فبراير 1958م



مع أبنائنا الدارسين في مصر
ويبدو من اليمين:
يحيى عبدالرحمن الإرياني
عبدالكريم علي الإرياني
القاضي عبدالرحمن الإرياني
الاستاذ أحمد المعلمي
عبدالله حسن الإرياني
مطهر علي الإرياني

أخذت في القاهرة
فبراير 1958م

العربية المتحدة، وأكد استعداد هذه الجمهورية للمضي في الإتحاد إلى الحد الذي تريده اليمن، وعلى الشكل الذي ترغب فيه بدون قيد أو شرط. ورد عليه ولي العهد شاكرًا بكلمة قصيرة ثم قدم له أعضاء الوفد ليتكلم كل واحد منهم ما يعن له، ويبدي رأيه الصريح الواضح. وقد تكلم أولًا السيد حسن بن علي بن إبراهيم، وكان قد انضم إلى الوفد في القاهرة، فتكلم عن الوفد وما يتوفر لديه من حسن ظن في الجمهورية العربية المتحدة ومن رغبة في أن يتم الإتحاد. ثم تكلم القاضي عبدالله الشماحي كلامًا موجهًا أشار فيه إلى ما هنالك من إختلاف بين اليمن ومصر في التقاليد والعادات والنظم، وأشار بنوع خاص إلى نظام الإمامة الذي قال عنه أنه مقدس في اليمن، وأكد على لزوم عدم الإشارة إليه في الإتحاد من قريب أو بعيد وكذلك هو الشأن بالنسبة إلى ولاية العهد. وتكلمت أنا مؤكدًا على كلام القاضي الشماحي، وأردفت أننا لسنا في حاجة إلى وضع مثل هذه الاشتراطات وأن بنود مشروع الاتفاق لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد وهو من الشئون الداخلية التي تخص اليمن وحده. ورد عبدالناصر قائلًا كما قال الأخ، مشيرًا إليّ، فإنه لا علاقة لمصر إطلاقًا في كل الشئون الداخلية، فلليمن نظمها وتقاليدها ولمصر كذلك نظمها وعاداتها. وأشار إلى ما تردده الدعايات الاستعمارية من أن مصر تريد السيطرة على البلدان العربية وقال أن مصر أبعد ما تكون عن التفكير في شيء كهذا ولكن الدعايات الاستعمارية ترمي من وراء ترويج هذه الدعايات إلى التفرقة بين العرب ليتسنى لهم الإبقاء على السرطان الاستعماري الذي يمتص خيرات البلدان العربية. وقد أنفضت الجلسة على أن تشكل هيئة من الجانبين لدراسة التفاصيل.

بعد ذلك ذهبنا إلى ملاعب إتحاد الجيش بكوبري القبة لحضور حفل الختام للدورة الثالثة لأسبوع شباب الجامعة الذي حضره عبدالناصر والوزراء. وقد شاهدنا الاستعراضات الرياضية المختلفة وألقى مدير جامعة عين شمس كلمة قيمه لم ينس فيها الترحيب بالوفد اليمني.

لقاء النعمان والزبيري

وفي هذا اليوم اتصل بي الأخوان الزبيري ونعمان عن طريق أولادنا الطلاب في القاهرة وطلبا مني اللقاء، ولكن كيف لي بذلك. وفكرت كثيرًا وقررت أن أخلق فرصة للقاء مهما كانت الظروف، وضربت وعدًا إلى الثامنة مساءً نلتقي فيها في كازينو المقطم. وأشعرت الأخوين اللذين كانا يشاركانني في السيارة وهما السيد محمد الشامي وأمير الجيش الدفاعي بأني أريد أن أذهب لزيارة الأولاد الدارسين في القاهرة إلى محل سكنهم لأطّلع على أحوالهم، وبطبيعة الحال لم يرغب أحد منهما بمرافقتي. وبعد تجاوز حديقة قصر الطاهرة قلت للسائق أسرع بنا إلى المقطم، وأسرع هذا إلى هنالك حيث كان ينتظرنا الاخوان. وبعد السلام الحار والحديث عن الأحوال قالا لا نريد أن نؤخرك كثيرًا إننا نريد أن نسأل كيف غاب عنكم ما في هذا الإتحاد من الخطر على الحركة الوطنية. إن الإمام أحمد لا يريد إتحادًا وإنما يريد أن يضع الحواجز أمام العاملين في الحقل الوطني، فقلت لهما أنا أعرف دوافع الإمام إلى هذا الإتحاد الذي سيلد ميتًا ولكنني أؤكد أن انعقاده أكثر جدوى على الحركة لأنه على إفتراض تنفيذه سوف يفيدنا في رفع الحواجز وتدمير الأسوار التي تحيط بالشعب اليمني وفي ذلك فرصة الاحتكاك والتفاعل، وهو مع ذلك لن يضع أمام العمل الوطني من العقبات أكثر مما هو قائم الآن. وإن كانت الأخرى، وجمّد الإمام الإتحاد وهذا ما هو متوقع فلن تمضي أشهر حتى ينكشف القناع ويقتنع الإخوان في القاهرة أنه إنما يشتري ليالي وأيامًا، ويستغفلهم ويسخر منهم، وفي هذه الحال سوف يعطونكم الفرصة كاملة. ثم لو افترضنا أنني أرى رأيكم في تقييم الإتحاد فما الذي في يدي أستطيع أن أغير به مجرى الأحداث وسيفسر موقفي لو وقفت ضده موقفًا مفتعلًا.

استمع الأخوان إلى كلامي وقالا: صحيح إن الاتحاد لن يضع أمامنا من العقبات أكثر مما وضعه تهديد الإمام أحمد بالانضمام إلى حلف بغداد، ونحن نأمل أن لا تطول فترة الاختبار وأن ينكشف للرئيس عبدالناصر خداع الإمام أحمد في وقت قريب، وقد قمنا من جهتنا بتحرير رسالة إلى عبدالناصر أكدنا له فيها أن الإمام

لا يؤمن بالوحدة ولا يريدها وإنما يفعل ما يفعله خداعًا وشراء للسكوت عنه.

معارضة الإمام لبعض البنود

وفي يوم الجمعة ١٨ رجب (٥٨/٢/٧م) صباحًا، اجتمع أعضاء الوفد اليمني لمراجعة مواضيع إتفاقية الإتحاد بشكل تفصيلي وفي المساء كان إجتماع الهيئتين وهي من الجانب اليمني:

السيد حسن بن إبراهيم

القاضي محمد الشامي

القاضي عبدالرحمن الإرياني

القاضي عبدالرحمن السياغي

القاضي عبدالله الشماحي

ومن الجانب المصري:

علي صبري

محمد فهمي

علي الدسوقي

وقد استعرضنا بنود الإتحاد على مدار أيام من المباحثات والمشاورات. وبعد أن اتفقنا على كل ما فيها، ذهبنا إلى قصر الطاهرة للعرض على ولي العهد الذي رحب بما كان عليه الاتفاق، ولكنها جاءت تعليمات من الإمام إلى وزير المالية القاضي عبدالرحمن السياغي أوحت بمعارضة بعض بنود الاتفاق المتعلق بالمعارف، زاعمًا أن التعليم في مصر تعليم مخالف لكثير من المقررات الدينية، والتربية تربية غير إسلامية. واختلف معه حسن إبراهيم ووقف البدر محايدًا. وقلت للبدر نريد أن نعرف من القاضي السياغي ما هو المخالف للدين في التعليم في مصر، فقال الاشتراكية، إنهم يعلمون الطلاب الاشتراكية وهي خروج على تعاليم الإسلام.

فقلت له إذًا أنت تعترض على نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة وتريدها أن تلغي الاشتراكية حتى يمكنك أن تتحد معها. ثم وجهت كلامي إلى البدر وقلت إذا كان هذا هو رأيكم ورأي جلالة الإمام فقد كان الأحرى بنا أن لا نأتي من اليمن فالقوم هنا لم يكرهونا على الدخول في الإتحاد بل ولم يطلبوا منا ذلك إلا بالمعنى العام في فتحهم الباب لكل من يريد الانضمام في وحدة أو إتحاد. وأيد كلامي السيد حسن بن إبراهيم، وكان لرأيه وزنه لدى البدر، فأقتنع بما قلنا وقال للقاضي السياغي دع الأمور تجري على مسئوليتي.

زيارة مصانع المحلة الكبرى

في يوم الأربعاء ٢٣ رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨/٢/١٢م قمنا بزيارة لمصنع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى وقد رافقنا في هذه الرحلة عضو مجلس الإدارة الدكتور حسن مرعي والأستاذ حسن مختار. وكانوا قد نظموا استقبالًا حافلًا على طول الطريق من القاهرة إلى المحلة، وكان الواقفون على جانبي الطريق يهتفون لاتحاد مصر مع اليمن. وفي بنها وسمنهود والمحلة الكبرى كانت السيارات تشق طريقها بصعوبة وكانت الهتافات بحياة إمام اليمن إمام الوحدة تتعالى. وقال بعض الإخوان أنه الطعم الذي يوضع للصيد، وقلت له إن الصيد قد وقع في الشبكة (إتفاقية الإتحاد) فلا حاجة بهم إلى وضع طعم لاصطياده. وكنا قد لاحظنا أن الآلاف من طلبة الأزهر كانوا في استقبالنا في المحلة. طافوا بنا في المصانع التي يعمل فيها أربعة وعشرون ألف عامل كما زرنا المرافق العامة كالمستشفى والمطعم والملاعب وتناولنا الغداء في فيلا رقم واحد وصلينا في مسجد مدينة العمال ثم عدنا أدراجنا إلى قصر الطاهرة في القاهرة.

توقيع الإتفاقية

وفي يوم الأحد ٢٧ رجب الموافق ١٦ فبراير غادر ولي العهد البدر مع بعض أعضاء الوفد عائدًا إلى اليمن لعرض بنود الاتفاق على الإمام وبقي هنالك عشرة أيام، أما نحن



توقيع إتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا والإتحاد مع اليمن في دمشق فبراير 1958م، ويبدو في وسط الصورة الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس شكري القوتلي والأمير البدر، ويقف حولهم أعضاء الوفود المشاركة.



الوفد اليمني في صورة
تذكارية مع الرئيس جمال
عبدالناصر بعد توقيع
إتفاقية الوحدة

دمشق
فبراير 1958م

فقد بقينا في إنتظاره في القاهرة. وبعد عودة البدر توجهنا جميعًا إلى دمشق يوم السبت ١٠ شعبان الموافق ١ مارس للتوقيع على الاتفاق[١].

وجاء اليوم المشهود يوم توقيع الاتفاقيات في ١٧ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق ٨ مارس ١٩٥٨م من قبل الرئيسين عبدالناصر وشكري القوتلي والأمير محمد البدر ولي عهد اليمن وقد كنا ممن حضر هذه الجلسة التاريخية وممن عمل بجهده المتواضع لإنجاحها بالنسبة للإتحاد مع اليمن. وقد ألقى الرئيس القوتلي كلمة يقول إني ارتضيت بهذا الشاب المخلص المؤمن جمال عبدالناصر رئيسًا لدولة الوحدة والإتحاد. ولاحظت عليه أنه كان منفعلًا وكان صوته متهدجًا والدمع يكاد يطفر من عينيه، فقلت إنها دموع الفرح بتحقيق الأمل الذي طالما داعب الزعماء السوريين، والقوتلي بالذات منذ كان عضوًا في أول جمعية عربية كونت لمحاربة الأتراك وانتزاع الاستقلال الذي تم بعد الحرب العالمية الأولى ولكن لتدخل البلاد مرة أخرى تحت الاستعمار الفرنسي.

وقد أحتشد الآلاف حول القصر يطالبون برؤية عبدالناصر وسماع كلمة منه. وأطل عبدالناصر، ومعه القوتلي والأمير البدر، من شرفة القصر وكنا معهم، فضج الناس بالهتاف للوحدة ولناصر. ولاحظنا أن عددًا من الناس قد هتفوا حتى أغمي عليهم وحملوا على الإسعاف لفرط حماسهم للوحدة. وقلنا لعبدالناصر بعد دخولنا من الشرفة إن هذا هو أعظم استفتاء، فقال ولكن المناطق الأخرى لابد من معرفة رأيها، وقد أصر على ذلك وتجول بعد ذلك في عدد من المناطق وبالخاصة المناطق الساحلية.

نزل عبدالناصر في القصر ونزلنا مع الأمير البدر في فندق أميه الكبير وهو أكبر فندق في دمشق. وقد بقينا بعد ذلك ثلاثة أيام زرنا خلالها الغوطة والقنيطرة

(١) كان عبد الناصر قد أشترط أن لا تصبح إتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا نافذة المفعول حتى يتم استفتاء الشعبين المصري والسوري، ومن أجل ذلك كان عبد الناصر قد سافر إلي دمشق قبل سفرنا إليها بحوالي أسبوع. وقد رأى عبد الناصر عند وصوله إلى مطار دمشق ذلك الحشد الجماهيري الكبير الذي تجاوز تعداده المئة ألف مواطن سوري كلهم يهتفون للوحدة وبحياة عبد الناصر، ولا غيره، والذين هموا برفع سيارته أكثر من مرة.

والجـولان ورأينـا الاسـتعـدادات العسكرية الضخمة في ذلـك التاريخ مـا جعلنا نستغرب في سنة ١٩٦٧م كيف تمكنت إسرائيل من احتلال تلك المواقع الحصينة التي كانت تتحكم في معظم المناطق الإسرائيلية، وهذا هو ما جعل إسرائيل تصر على التمسك بها.

عدنا إلى القاهرة ومنها إلى اليمن، إلى تعز حيث كان يقيم الإمام ونقيم نحن أيضًا. وأنتظر الناس الذين اعتقدوا بحسن نوايا الإمـام وأنـه بلا شك سيضع الاتفاقية موضع التنفيذ، ولكنها مرت الأيام والشهور ولا شيء جديد. حتى جاء في يوم من الأيام أحد الصحفيين المصريين ويدعى جميل عارف لزيارة اليمن معتمدًا على أنها قد أصبحت في إتحاد مع مصر وأنه لا يحول شيء بينه وبين زيارتها. وكانت العادة أن المفوضية اليمنية في القاهرة لا تعطي تأشيرة دخول إلى اليمن لأيّ كان إلاّ بإذن خاص من الإمام نفسه. ولكنها هذه المرة اعتمدت على الإتحاد وتجاوزت الأوامر وأُعطِي جميل عارف تأشيرة دخول، ولكنه حينما وصل إلى مطار تعز حُجِز فيه. واتصل المدير بالإمام يستأذنه بالسماح للصحفي بالدخول إلى البلد وأعلمه أنه يحمل جوازًا عليه تأشيرة المفوضية، فغضب الإمام غضبته المعتادة على مخالفي الأوامر، وأمر بإعادة الصحفي من حيث أتى، وكان قد جاء على طائرة أثيوبية فأُعِيد عليها في نفس اليوم. وعاد إلى القاهرة ليروي على صفحات جرائدها قصته مع الإتحاد وبذلك استحق أن يسميه الإمام أحمد (قبيح جاهل) أي بعكس اسمه جميل عارف.

الفصل الرابع عشر
الإتحاد الفيدرالي في الجنوب

حث الإمام على معارضة الإتحاد

بدأ اهتمامي بالجنوب اليمني قبل ثورة ١٩٤٨م، وأذكر أنّا حينما حججنا مع الأخ محمد رحمه الله في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٩م) كانت طريقنا من عدن لتقلنا باخرة هندية إلى جدة. وقد بقينا في عدن حوالي نصف شهر ننتظر وصول الباخرة، وكنا نشعر بالخزي والهوان حينما نرى الإنجليز وجنودهم يسرحون ويمرحون ويحكمون البلاد بعنجهية واستعلاء ونلقي لومًا كبيرًا على حكومة الإمام يحيى التي تقاعست عن مواصلة المطالبة بجلاء الإنجليز وإعادة البلاد إلى أهلها، ولم نكن نشعر آنها أن علينا أن نعمل شيئًا أو أننا نقدر على عمل شيئ. ولكن في فترة ما بعد خروجي من السجن عام ١٩٥٣م أصبحت مهتمًا اهتمامًا زائدًا بموضوع الجنوب المستعمر والمحمي. وكنا نتتبع الأخبار عما يجري فيه، كما كنا نواصل رفع الرسائل إلى الإمام لحثه على تزعم الحركة ضد الإستعمار.

ومن ذلك أنه في ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ (يونيو ١٩٥٨م) أُذيع من لندن نبأ قبول أمير بيحان وسلاطين الجنوب لمشروع الإتحاد الفيدرالي وإقامة دولة الجنوب العربي. وكنا نرى في قيام دولة في جزء من اليمن تكريسًا للتجزئة وتأبيدًا للإنفصال، إلى جانب أنه كان لنا إعتراض على تسميته بالجنوب العربي وليس بالجنوب اليمني. وكان الإمام أحمد لا يهتم للموضوع كثيرًا، وقد أردنا أن ندفعه إلى أن تقف اليمن موقف المعارض لهذا المشروع الاستعماري فرفعت إليه المذكرة تلو المذكرة أدعو فيها إلى تبني معارضة هذا الإتحاد بكل الوسائل الممكنة، وشرحت له ما فيه من الأخطار على وحدة اليمن وعلى حكومته. وقد لخصت تلك الأخطار في رسالة بتاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨/٦/١٣م بما يلي:

[أولًا: إن الإنجليز قد شعروا بأن دنيا الجنوب قد بدأت تهتز تحت أقدامهم وهم يعتبرون عدن معقلهم الأخير في الشرق الأوسط، ورأوا أن أفضل طريقة لضمان طول بقاء نفوذهم هي قيام مثل هذه الحكومة الموالية لهم والمستمدة وجودها منهم وعن طريقها يمكن مدافعة اليمن والقيام في وجهها، وستجد من يقول أنها ذات حق شرعي.

ثانيًا: إن الناس بدأوا يتطلعون إلى قيام مثل هذه الحكومة ويعتبرونها خطرًا على الحكم هنا وسيتحول الشعور بالخطر إلى إعجاب ثم إلى إتجاه.

ثالثًا: إنه لا يوجد اليوم داخل اليمن من يفكر في الميل إلى الإنجليز أو الاستعانة بهم، ولكن الأمر سيختلف جدًا إذا وجدت حكومة إسلامية وعلى رأسها رئيس مسلم تمده بريطانيا بالمال والسلاح وتحكم من ورائه، وبالخاصة إذا أثارت هذه الحكومة النزاعات المذهبية. وإذا كان الإنجليز قد عجزوا عن إثارتها لأن الإنجليز يتحاماهم الناس خوفًا من الرأي العام العربي فإن الأمر يختلف في نظر الرأي العام إذا كان هناك حكومة عربية إسلامية.

رابعًا: وهذا أخطرها، إن قيام حكومة في الجنوب مرتبطة بالكومنولث البريطاني يقرر مصير هذا الجزء من الوطن اليمني نهائيًا، وسيكرس الانفصال ويفوت على الشعب اليمني أمله الأزلي الأبدي في توحيد شطريه وتطهير جنوبه من الاستعمار. ومعنى ذلك أن الجهود التي بذلتموها في سبيل الوحدة والتحرير تذهب أدراج الرياح.

خامسًا: إن صحيفة فتاة الجزيرة نشرت في الأسبوع الفائت أن ضابطًا بريطانيًا كبيرًا وصل إلى تعز سرًا وتفاهم مع جلالتكم على المتاركة أو بعبارة المثل اليمني الدارج (خلني وأخليك) فلا أنتم تعارضون الإتحاد ولا الإنجليز يسمحون بقيام معارضة في عدن. فإذا تغاضيتم عن الإتحاد وسكتم عنه كان ذلك مصداقًا لما نشرته الصحيفة، وفي ذلك ما لا يخفاكم من المساس بالسمعة الطيبة التي كسبتموها من وراء محاربتكم للاستعمار وتمسككم بوحدة تراب اليمن، وذلك ما لا نريده لكم.

إن على جلالتكم واجبًا وطنيًا ودينيًا عظيمًا أنتم بلا شك تقدرونه حق قدره، وقد يقول لكم الذي له آراء تخالف هذا الرأي، وما يمكن أن تفعله اليمن هل تدخل في حرب مع بريطانيا. ونحن نقول لهم إن في وسعها أن تعمل الكثير دون أن تدخل في حرب مع بريطانيا ويمكننا أن نلخص ذلك فيما يلي:

أولًا: تقديم الاحتجاج تلو الاحتجاج إلى بريطانيا نفسها ثم إلى هيئة الأمم المتحدة على أساس أن قيام دولة في جزء من اليمن يهدد أمنها ووحدتها وأنه يخالف المعاهدة بين حكومتكم وبريطانيا والتي ينص أحد بنودها على بقاء الوضع في الجنوب على ماكان عليه قبل المعاهدة.

ثانيًا: توسيع وتنويع وسائل الدعاية ضد الإتحاد من إذاعة صنعاء بالإضافة إلى الاستعانة بصوت العرب الذي له أثر في نفوس الجنوبيين ورب قول أنفذ من صول.

ثالثًا: إرسال دعاة ومرشدين إلى الجنوب لينتشروا في مناطقه ويعملوا على تحذير المواطنين هناك من هذا الإتحاد الذي يعتبر دسيسة استعمارية، على أن يستغلوا النزعة الدينية والقومية معًا.

رابعًا: إثارة العناصر المناوئة للأمراء والسلاطين الذين وافقوا على الإتحاد وتحريضها عليهم وإحداث حوادث تهدد حياتهم حتى يحسبوا حسابهم قبل أن يخطوا الخطوة النهائية. ولا بد من تشكيل مكتب للاتصال بالمعارضين ومد يد المعونة لهم بصورة منظمة كفيله بتحريكهم.

خامسًا: استصدار فتاوى من علماء الشافعية في زبيد وحضرموت وغيرهما تعتبر الموافقة على هذا الإتحاد جريمة وخيانة للدين والوطن وتتركز الفتوى على أساس أن المشروع استعماري يهدف الاستعمار من ورائه إلى بقاء قاعدة استعمارية في الجنوب وإلى تجزئة اليمن.

سادسًا: دفع رابطة الجنوب - مهما كانت نواياهم المستقبلية – للعمل، فإنهم قوة لا يستهان بها.

سابعًا: استصدار تصريح من الجامعة العربية أي من أمينها ينص على معارضة الجامعة لقيام مثل هذا الكيان وأن الجامعة لن تعترف به ككيان عربي حر.]

الرسالة إلى الشيخ البيحاني

وتوالت المذكرات إلى الإمام أحمد ولكنه لم يفعل شيئًا أكثر من السماح للأستاذ محمد عبده نعمان أحد الجنوبيين العاملين ضد الاستعمار البريطاني بالكلام من إذاعة صنعاء. وأسرع الإنجليز واستغلوا الناحية الدينية فكلفوا العلاّمة البيحاني بإلقاء الأحاديث من إذاعة عدن يؤيد فيها الإتحاد الاستعماري وذهبوا إلى أبعد من ذلك واستصدروا منه فتوى تفيد الفت في عضد المجاهدين ضد الاستعمار وتجريد من يقوم منهم بإلقاء القنابل على المستعمرين من دينهم وعروبتهم. وعزّ عليّ أن يصدر ذلك من عالم كبير كالشيخ البيحاني، الصديق الذي نكنّ له الإجلال والاحترام لأنه كان أول من رفع صوته يناشد الإمام أحمد الرحمة في مساجين ثورة ٤٨م ووالى شفاعته ضمن قصائد طنانة كان يمدح فيها الإمام أحمد في احتفالات ذكرى انتصاره، وقد استطاع بذلك أن ينقذ الكثيرين من السجن. إذًا فمن حقه علينا أن ننصحه وأن لا نقره على الخطأ الذي جره وربما أرغمه عليه الاستعمار فبعثت له رسالة قلت له فيها:

[كنا في يوم عيد الأضحى في مجلس حافل بالعلماء والمثقفين والأدباء نتحدث في مواضيع شتى. وجرنا الحديث إلى العلماء المصلحين الذين هيأ الله وجودهم في ظروف مختلفة كان الإسلام أحوج ما يكون فيها إلى أمثالهم يذودون عن شريعته ويردون شبهات المضللين ويبصّرون العامة بتعاليم دينهم ويثبتون عقائده في نفوسهم.

وكان في ضمن الأسماء التي دار حولها الحديث إسم فضيلتكم، وقلنا إن وجودكم في هذا العصر وفي عدن بالذات نعمة كبرى حفظ الله بها للدين في هذا البلد المستعمر كيانه. وكدنا نتفق على ذلك لولا أن صوتًا قد ارتفع يقول: إني أُقدِّر الشيخ البيحاني واحترم علمه والجهود التي بذل فيها جهده في سبيل الإصلاح لولا أنه يهادن المستعمرين ويلاينهم وربما سايرهم أو على الأقل أنه يضعف أمام ضغطهم. ولو كان، على ماله من مكانة في قلوب أبناء الجنوب، قد وقف منهم مواقف حازمة لاستطاع أن يثخن في العدو ويكسب قضية تحرير الجنوب الكثير من الأنصار الذين لهم فعالية. وقد أجاب عليه الكثير من الحاضرين، وكان فيهم من يلتمس لكم العذر وفيهم من ينافح ويدافع منكرًا صحة ما نسب إليكم وكنت أنا منهم.]

وقلت له أننا بعد ذلك سمعنا على لسان السيد شيخان الحبشي من إذاعة صوت العرب أن مؤتمرًا عقد في الجنوب وأن المؤتمرين **[قد استطاعوا أن يستصدروا منكم فتوى بتجريد القائمين بإلقاء القنابل على المستعمرين من دينهم وعروبتهم وأنكم قلتم أن عدن بلد مسالم لا يجوز فيه إحداث أي شيء من الإرهاب، وطالبتم الحكومة بأن تحضر إليكم هؤلاء الإرهابيين لتبصقوا عليهم. سمعنا هذا، أو كلامًا في معناه، ولم أكد أصدق أذني. واحتملت لكم عدة احتمالات وقلت لعل في الفتوى تحريفًا أو رواية بالمعنى تجوّز فيها الراوي بقصد أو بغير قصد. وعزمت على أن أحرر إليكم هذه الرسالة المستفسرة لأني لا أحب أن أرزأ بعقيدتي بكم أو أتناسى مواقفكم وشفاعاتكم لمعتقلي ١٩٤٨م.]**

وأضفت في رسالتي إلى الشيخ البيحاني اني **[لا أريد أن أقوم فيها مرشدًا ومذكرًا، فمثلكم من لا يُعرَف عن جهل ولا يُذكّر عن نسيان، ولكني آمل أن توضحوا لي حقيقة الفتوى. فإن كان ما سمعناه محرفًا حمدنا الله على أن حفظ لنا حسن رأينا فيكم وأوضحنا الأمر لسائر الإخوان، وإن كانت الحقيقة لا تعدوا ما سمعناه، وقد جاءت مرتكزة على شبهة عرضت لكم جعلتكم تعتبرون هؤلاء المجاهدين الذين اقضّوا مضاجع الاستعمار أناسًا مارقين، فنحن نطالبكم بإيضاح وجهة نظركم والسماح بوضع الفتوى تحت طائلة البحث والمناظرة حتى نصل إلى الحقيقة.]**

كما قلت للشيخ البيحاني:

[إن الاستعمار يا صاحب الفضيلة فظيع جدًا، وأعمال المستعمرين من الوحشية بحيث تجعل التنكيل بهم والانتقام منهم مسوغين لركوب الصعب والذلول في سبيل ذلك. إن الوحشية والإرهاب هو ما فعله المستعمرون في جحاف والضالع وقعطبة وذمار ويريم وتعز

في سنة ١٣٤٧هـ من قتل النساء والأطفال وهدم البيوت وتدمير المنشآت. وأما ما نسب إلى فضيلتكم من القول بأن عدن بلد مسالم، فأنا أقول لكم إن عدن بلد مسلم عربي تحكمه دولة مستعمِرة بعيدة عن أهله في الدين والدم والوطن، تتحكم في مقدراتها، وتتصرف في شئونها، وتنكل بأهلها. ولا أعتقد أنكم تعتبرون المسالمة وهذه حالتها فضيلة يحمدها الدين ويقرها القرآن، معاذ الله وعلمكم ودرايتكم أن تقصدوا ذلك. إنها ليست المسالمة وإنما هو الاستسلام والخضوع للأجنبي المستعمر الذي أمرنا الله بمنابذته، وفرض علينا محاربته، ونهانا عن الخضوع له، وأمرنا أن لا نجنح للسلم إلا إذا جنح له العدو ولا يمكن أن يتم جنوحه للسلم وهو يحكم جزءًا من وطننا برغمنا ويتحكم في مصيره ويسخّر كل مقدراته وإمكانياته لمصالحه ويسجن ويقتل ويدمر ويشرد كل من يقف في سبيله. فإذا قام فريق من أبنائه الذين بدأوا يشعرون بالكرامة ويألمون لمصيرهم الذليل المستعبَد تحت حكم المستعمِر أقول، إذا قام أحد هؤلاء بعمل جريء ضد هذا العدو الغاشم قلنا لهم أنتم مارقون عن الدين وخارجون على العروبة وتستحقون البصق في وجوهكم، اللهم غفرًا.

ما كنت أحب أن أتجاوز حد الاستفسار ولكن العواطف الجياشة جعلت القلم يجمح، إنه مدفوع بدافع الغيرة عليكم والحرص على سمعتكم، وبدافع النقمة على الاستعمار الذي جاء من وراء البحر ليستعبد الشعوب ويبتز خيراتها. وتأكدوا يا سماحة الشيخ الذي نجل ونحترم أن هذه الفتوى لو كانت صادرة من غيركم لما رفعنا لها رأسًا ولا ألقينا إليها بالًا، ولكنها صادرة من الرجل الذي نعتبره من علماء السلف الصالح الذين لا يخافون في الله لومة لائم، من الرجل الذي ننتظر دائمًا أن نسمع صوته مجلجلا في وجه الاستعمار وأن نسمع ونقرأ فتاواه بوجوب القيام في وجه الاستعمار والقيام بالمزيد من هذه الأعمال التي يسمونها إرهابًا وإخلالًا بالأمن، فإن ذلك هو النهج الذي سلكته الشعوب إلى الحرية والاستقلال. وتقبلوا في الأخير احترامي وتحياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ.

(١٩٥٨/٧/١١م)]

إتقاء الوشايات

جاءت بدايات سنه ١٣٧٨هـ (أواخر ١٩٥٨م) وقد توسع العمل الوطني ضد الإمام أحمد وأصبحت المعارضة لحكمه أكثر اتساعًا ودخل فيها الكثير من المتعلمين والتجار والعسكريين، وتزايدت النقمة على الإمام وحكمه الذي أوغل في الفساد والطغيان، كما بدأت تجمعات تنشط ضد الإمام بسبل ووسائل شتى. وكان كثير من هؤلاء يتصلون بنا ويطلعونا على نشاطهم ونسعى من جهتنا إلى مساعدتهم وتوجيههم ونصحهم مع بقائنا بعيدًا عن ما يثير شبهة الإمام. ومع ما كنا نحرص عليه من التكتم فإن الوشايات لم تنقطع وكنا من جانبنا نبعث بالرسالة تلو الرسالة

إلى الإمام أحمد نتبرأ مما يصله من الوشاة[١]. ومن ذلك أنه في ١٠ شعبان سنة ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٩/٢/١٨م، جاءني السيدان يحيى المنصور وأحمد الوادعي، من موظفي لواء إب، يقولان أنهما كانا يحملان عني فكرة سيئة ويحملان لي شيئًا كثيرًا من الكراهية نتيجة لما أدلى به إليهما نائب إب القاضي أحمد السياغي، فقد قال لهما أنه حينما وصل إلى تعز في أوائل رجب اجتمعت به أنا والقاضي محمد العمري والقاضي محمد الشامي وأنّا أبدينا الكثير من التبرم والتوجع من الهاشميين واستئثارهم بالمناصب واستعلائهم على إخوانهم من اليمنيين وأنه يجب أن نعمل على تغيير نظام الحكم وإقامة جمهورية يمنية يتساوى في ظلها ويتآخى المواطنون. وقال أنه نصحنا أن لا نعمل ذلك لأنّا إذا حاولناه إنما نمهد لحكم القبائل كالقوسي والأحمر وأبولحوم وأبوراس والصوفي ونحوهم. وقد زعم أنّا لم نقتنع، بل أصرينا على رأينا، الأمر الذي جعله يضطر إلى إبلاغ الإمام منبهًا ومحذرًا. ولما كنت أعرف الخصام بين السيدين والنائب فقد أبديت لهما شكوكي في صحة نسبة مثل هذا الاختلاق إلى النائب، ولكنهما حلفا الأيمان المحرجة على صحة ما نسباه إليه وأبديا استعدادهما لمواجهة النائب بذلك.

وأزعجني ذلك أيما إزعاج، بل أرعبني، وانتظرت أن أساق إلى السجن مما أضطرني إلى رفع مذكرة إلى الإمام أحمد أنكر هذا الموضوع واحض على عدم إتاحة الفرصة للدعوات المذهبية والعنصرية التي تهدف إلى التفرقة بين أبناء الشعب اليمني الواحد. وقلت في المذكرة أني لم أسمع قط من يتكلم عن الهاشميين بما يدل على الكراهية لأنهم هاشميون ولكني قد سمعت كثيرًا من بعض العلويين قصيري النظر من يقول بمناسبة وغير مناسبة إن الناس قد أصبحوا يكرهون الهاشميين فيلفتون النظر إلى ذلك على طريقة المثل الشعبي (مش بدقنه يا قبيلي).

---

(١) كان يبلغنا الكثير من الوشايات التي تقدم إلى الإمام عنا وعن بعض العاملين في الحقل الوطني فنحاول التبرؤ منها وتكذيبها. وقد استمرت هذه الوشايات طيلة فترة حكم الإمام أحمد. ويجد القارئ نموذجًا من هذه الوشايات في الملحق رقم (١٣) وهي رسالة إلى الإمام وجدناها بين أوراقه بعد وفاته وقيام الجمهورية.

وقلت أني قد نصحت الكثيرين من الإخوان الهاشميين بتغيير سلوكهم واندماجهم مع الشعب وتآخيهم مع بنيه ليجنبوا البلاد ويجنبوا أنفسهم المتاعب في المستقبل، وقلت لهم إن الزيت الذي يطفو على سطح الماء هو أول ما يندلق من الإناء وهكذا هو الشأن بالنسبة إلى من لا يعطي من نفسه السوية ومن يصر على الاستعلاء ولا يندمج مع إخوانه المواطنين. ولم يردّ الإمام ولكن مما لاشك فيه أنه قد كان للرسالة أثرها في استبعاد الخطر الذي كان منتظرًا.

الفصل الخامس عشر
إستشفاء الإمام في إيطاليا

مرض الإمام أحمد

كان الإمام قد اطمأن تمامًا بعد قيام الإتحاد بينه وبين عبدالناصر وبعد الاتفاق مع بريطانيا على المهادنة، وبذلك ظن أنه قد سد جميع نوافذ النور وأوصد أبواب العمل ضده بإخماد صوت الأحرار الذي كان ينطلق من القاهرة، فعاد إلى الركون إلى الراحة والإسراف في استعمال المخدرات وعلى رأسها المورفين الذي كان يلجأ إليه كلما استفاق ضميره لينبهه إلى ما قام به من إسراف في سفك دماء المواطنين اليمنيين بما في ذلك ثلاثة من اخوانه أبناء أبيه. وقد كان يفزع إلى المورفين لينسيه جرائمه، ونصحه الأطباء الذين كانوا يشرفون على معالجته بالإقلاع عن تعاطي المورفين ولكنه كان يأبى الإصغاء إلى تحذير الأطباء حتى تدهورت صحته وانهارت أعصابه وأصبح كالمشلول الذي لا يطيق حركة ولا كلامًا. وقرر الأطباء نقله إلى مصحة في أوربا ليوضع فيها ويعطى العلاجات التي تساعده على التخلص من الإدمان على هذا المخدر الضار فرفض ذلك. وأستدعى الأطباء الأمير البدر من القاهرة وعرضوا عليه الأمر وأكدوا له أنه إذا لم يُصّغ الإمام إلى نصائحهم فإنه سينتهي في خلال أشهر. وقام البدر وأفراد الأسرة بمجهود كبير حتى أقنعوه بالسفر إلى حيث يختار، واختار إيطاليا وهي الدولة الأوربية الوحيدة التي كان على علاقة طيبة بها. وأمر بالتجهيز للسفر وأعد عدة طائرات أثيوبية ويمنية لتقله ومرافقيه الذين قرر سفرهم معه. ولم أكن أنتظر أن أكون أنا في عداد الحاشية، وقد فوجئت عندما أخبرني ولي العهد أني من ضمن من سيسافر مع الإمام من

رجال الدولة. ولم أكن قد تعرفت على أي بلد خارج البلاد العربية، ولذلك فقد كانت لي رغبة في هذه المعيّة. وألتقيت بالوشلي والسياغي فقال الوشلي مبروك فقد أصبح الإمام يثق بك أكثر مما يثق بنا، فقلت له وهل لست محلًا لهذه الثقة؟ فقال (إنه مأرب لا حفاوة). وعلّق المرحوم السياغي بقوله لا تغتر فهو لم يخصك من بيننا إلاّ لأنه يشك فيك ويسيء الظن بك، فقلت كل البواعث في نظري محل تقدير ما دامت تعرفني على إيطاليا.

السفر إلى إيطاليا

وفي يوم الخميس ٨ شوال سنة ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٩/٤/١٦م تحرك الموكب إلى مطار تعز حيث كان هناك ثلاث طائرات إثيوبية وطائرتان يمنيتان تنتظر الركب الملكي. وقد حُمِل الإمام إلى الطائرة حَملًا واليأس مخيم على الجميع من إمكان جدوى المعالجة. وبين دموع حامليه ومحبيه توزع الركاب على الطائرات وكنت في أحدها مع السيد أحمد زبارة وعبدالله عبدالكريم وسيف الإسلام علي وإبنه الحسن والقاضي محمد العمري وغيرهم. وكان هناك جماعة كبيرة من النساء والجوار والمحظيات ناف عددهن على ستين امرأة، وكان على طائرتنا مجموعة من الجوار الغاطسات في الحلي والمجوهرات وهن ممن يصدق عليه قول المتنبي:

واسود مشفره نصفه يقال له أنت بدر الدجى

كانت أسمرة محطتنا الاولى، وهبطت طائرتنا قبل طائرة الإمام بعدة دقائق. وفوجئنا بذلك الرجل الذي لم يُحمل إلى الطائرة إلاّ على أكتاف الرجال قد نزل من الطائرة معتمدًا على نفسه وبدون مساعده من أحد وكأنما نشط من عقال. وقلت للسيد أحمد زبارة هذا هو الذي حُمِل إلى الطائرة وهو شبه ميت والآن هاهو كأحسن ما يكون صحةً ونشاطًا، فقال السيد أحمد لاشك أنه استعمل قبل نزوله حقنه مورفين ومن شأنه أنه ينتعش بعدها. فتذكرت قول أبي نواس في الخمرة، وداوني بالتي كانت هي الداء. واتجه نحوي بعد نزوله وقال: كيف قال الشاعر؟ فقلت في أي موضوع تريدون فقال حينما قال:

وأعظم ما يكون الشوق يومًا إذا نأت الديار من الديار

فقلت إنما قال (إذا دنت الديار من الديار)، فقال أعرف ذلك وقد حورته ليطابق مقتضى الحال. فقلت للسيد أحمد ألا ترى أنه بكامل وعيه وإدراكه، فقال والله غريب هذا الرجل.

كان نائب الإمبراطور هيلاسلاسي والي أسمره في إستقبال الإمام، وقد أعد عدة سيارات له ولمرافقيه. وقد اتجه مع الإمام إلى القصر الفخم الذي ينزله الوالي. وقد قدم الوالي اعتذاره عن الإمبراطور لأنه لم يكن في إستقبال الإمام فقد كان يعتقد أن الركب سيواصل السير إلى أثينا. بقينا ساعتين في القصر ثم انتقلنا إلى فندق آتشو، وهو أفخم فندق هناك، وبعد تناول الغداء خرجنا للتجول في مدينة أسمره وهي مدينة جميلة ولا يختلف مناخها عن مناخ صنعاء كثيرًا. وذهبنا إلى جامعها الكبير المفروش بالسجاد الثمين، ورأينا الطريق التي تصلها بعصب ومصوع ويمر القطار فيها في عدة أنفاق بذل الإيطاليون جهدًا كبيرًا في شقها، ثم عدنا إلى هضبة صغيرة يُرى منها معظم المدينة. وكان يرافقنا في السيارة رجل يدعى سعيد علي زعم أنه جبرتي، وفي أثناء الطريق وجدنا رجلًا ناداه سعيد باسم سليمان واستدعاه ليصحبنا وسألنا عمن يكون فقال إنه سليمان القافح من يهود اليمن الذين كانوا يعيشون في قاع اليهود بصنعاء. ورغبنا إليهما في أن يعرفانا على أحد المطاعم الممتازة فذهبا بنا إلى مطعم يظهر أنه مطعم لعصابة وظهر لنا أنهما نصّابان.

وفي صباح الجمعة جاء قنصل اليمن في الحبشة القاضي محمد الزهيري يدعونا إلى القصر وذهبنا حيث وجدنا الإمام على أهبة السفر وكان قد لبس ثيابًا خفيفة فمنعه الحكماء فقال نحن قوم ثم وجه الخطاب إلي مستفهمًا عن التمام فقلت لعلكم أردتم:

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ ـل على أننا نذيب الحديدا

فقال ذلك ما أردت. وذهبنا إلى المطار حيث قامت بالإمام طائرة من ذوات

الأربعة المحركات استطاعت أن تواصل به السفر إلى أثينا ثم إلى روما، أما نحن فقد ركبنا على طائرات من نوع كوفير، وكنّا جماعة من رجال الدولة ومعنا اثنتان وعشرون من الجوار الغرابيب. وقد هبطت بنا الطائرة في بورت سودان ثم في مطار القاهرة، وهناك قابلنا نائب الإمام في مجلس الإتحاد السيد حسن بن إبراهيم. وبعد نصف ساعة واصلنا السير إلى أثينا وقد وصلناها في الساعة الواحدة والنصف بتوقيت اليمن الغروبي ولكنا وصلناها عند الغروب والساعة والنصف هي الفرق في التوقيت بين اليمن وأثينا. وقد أدينا صلاة المغرب والعشاء في المطار، حيث تجمهر علينا من فيه، وبعدها قمنا من مطار أثينا وقد رأينا من الطائرة مدينة أثينا العريقة، مدينة الفلاسفة والآلهة والشعراء، وهي تسبح في الأنوار، وقيل لنا أن سكانها يزيدون على مليونين. وبعد طيران ثلاث ساعات وصلنا مطار روما وكان القاضي محمد العمري والجبلي وأحمد حسين غالب في استقبالنا.

الأيام الأولى في إيطاليا

أقلتنا السيارات إلى فندق (فيوريو) وهو فندق جيد يقع في (فرسكاتي) وهي ضاحية من ضواحي روما التي أنعمت عليها الطبيعة بالكثير من جمالها. وكانوا قد حجزوا للجوار والأطباء في فندق (فلورا) وهو فندق جيد يقع في نفس البلدة (فرسكاتي) وأُخبر الإمام بأن الجوار ينزلن في فندق هو في الدرجة الثانية بالنسبة إلى الفندق الذي نزلنا فيه فغضب وأمر أن ينزلن في الفندق الذي نزلنا فيه. ورأى الجبلي والعمري أن نقلهن وعددهن كبير سيكلف الدولة مبالغ كبيرة فرأوا نقلنا إلى الفندق الذي نزلن فيه فالغرض هو أن يتساوى رجال حكومة الإمام بجوار الإمام. وتم له ما أراد وانتقلنا إلى فندق (فلورا). كان البرد شديدًا فوق ما تصورنا فبتنا منه شر ليلة، ولم تكن في الغرف تدفئة لأنهم يعتبرون أن البرد انتهى ولم يعد من المستحسن لديهم أن يفتحوا التدفئة مما كان يضطرنا إلى النوم بثيابنا كاملة والاجواخ. وقد قام الجبلي بشراء مدفئات لكل مكان ولكنها لم تغن شيئًا. وقد نزلت أنا والسيد محمد بن أحمد الشامي في غرفة واحدة.

قمنا مبكرين وكنا نجهل أنهم يتناولون طعام الإفطار في وقت متأخر، ولذلك فقد اتجهنا إلى المطعم وكان يقع خارج الفندق فوجدنا الجرسونات نائمين فأيقظناهم وطلبنا الفطور. وتعذر علينا التفاهم معهم حينما بدا عليهم أنهم يسألون عما نريده ولم يكن معنا من يفهم كلمة واحدة من الإيطالية فأخذت ورقة ورسمت دجاجة حولها البيض ففهموا أنّا نطلب بيضًا وجاءوا به. وبعد الفطور ذهبنا سعيًا على الأقدام إلى مقر الإمام، وبعد أن استفسرنا عن صحته أخذنا سيارة ونزلنا إلى روما ومعنا السيد أحمد بن محمد الشامي وقد مر بنا على حديقة (فيلابورفيزا) وهي حديقة واسعة وجميلة كانت لأمير من أمراء إيطاليا حشر فيها تماثيل الفلاسفة والشعراء وعاش معهم.

وفي يوم الخميس ١٥ شوال الموافق ١٩٥٩/٤/٢٣م زرنا كنيسة سان بترو في الفاتيكان، وهي أفخم وأضخم كنيسة في روما، وهي التي ترك عليها الفنان ميخائيل انجلو بدائع فنّه. وقد صعدنا إلى الدور الأعلى خمسمائة وأربعين درجة، ومن أعلاها يرى المرء جميع أحياء وحارات روما تقريبًا، وفيها المتحف الذي يضم تحف وذهب الفاتيكان، وقد قيل لنا أنه يقدر بربع ذهب العالم. وبعد زيارة كنيسة سان بيترو ذهبنا لزيارة حديقة تيفولي التي تبعد عن روما ثلاثين كيلومترا وهي من أروع ما عرفت من الحدائق ففيها مئات النافورات، وفي بعضها يصعد الماء إلى ما يساوي أعلى منارة، وقد هذبت أشجارها على أوضاع خاصة متناسقة يزيد في جمالها. وقد تناولنا طعام الغداء في هذه الضاحية وأكلنا (الأسبكتي) الذي تشتهر به إيطاليا.

كانت الحكومة الإيطالية قد وجهت دعوة لستة من أعضاء الوفد كنت أنا أحدهم لزيارة معرض ميلانو الدولي، وقد كان معنا السيد أحمد زبارة وأخوه علي الذي كان يدرس في إيطاليا، وكان استصحابه للترجمة، والسيد عبدالله عبدالكريم والسيد محمد الشامي والسيد أحمد عباس. وقد سافرنا إلى ميلانو على قطار الليل وقد اتجهنا إلى محطة القطار في العاشرة مساءً بتوقيت روما حيث وجدنا أنهم قد حجزوا لنا في القطار ست غرف في كل غرفة سرير للنوم. وقد أسلمنا أنفسنا للنوم ولم نفتح أعيننا في اليوم التالي إلا على أرض أخرى تبعد عن روما

أكثر من مائتين وخمسين كيلومتر. وصلنا ميلانو ونزلنا في فندق (كفليري)، وبعد أخذ شيء من الراحة ذهبنا إلى المعرض وطفنا أكثر أجنحته وفيه كل ما تنتجه المصانع الأوروبية وبعض المصانع الشرقية. وقد كان زينا اليمني الغريب على أعين الناس هناك ملفتًا لأنظارهم، وكان يصحبنا مجموعة من البوليس تحمينا من فضولهم. وقد أخذنا وقتًا طويلًا في استعراض ما في المعرض، عدنا بعد ذلك إلى الفندق. وبعد أن أخذنا قسطًا من الراحة توجهنا إلى المعرض مرة أخرى لإكمال الزيارة وبعده دخلنا إلى متجر ضخم فيه كل ما يطلبه المستهلكون.

وفي اليوم التالي ١٧ شوال (٢٥ إبريل) ذهبنا إلى بحيرة (كومو). وكومو إسم لمنطقة واسعة ومدينة كبيرة سميت بها ويسكنها حوالي ربع مليون نسمة، وهي مصيف عالمي. وتقع المدينة على ضفتي البحيرة وماء هذه البحيرة عذب وسائغ للشاربين. والمنطقة بمجملها من أجمل بلاد الله وقد صعدنا إلى أعلى جبل (بوليتو) على المصعد الكهربائي وهو أشبه بالأوتوبيس يحمل أكثر من خمسين شخصًا. وقد انتقلنا إلى أوتوبيس قطع بنا بعض الطريق وكان من الممكن أن نواصل السير إلى القمة على السيارة ولكنا أُخذنا بسحر الطبيعة ففضلنا السير على الأقدام. ورأينا الناس ينسجمون مع الطبيعة ويغنون ويرقصون فتيانًا وفتيات فانسجمنا معهم وارتفعت أصواتنا تقول: ألا يا بردقوشه على الحايط وطولي.. الخ.. ألا يالله يالله يارب العباد. وسمعتنا مجموعة من الفتيات وعلى التو أخذن يغنين ألا يالله يالله، باللحن والكلمات فاستغربنا سرعة الالتقاط، وعند هبوطنا من على قمة الجبل لم ندع لحنًا صنعانيًا إلاّ رددناه ونحن مأخوذون بما حولنا من جمال وروعة.

عدنا من أعلى الجبل إلى حيث كانت تنتظرنا السيارات التي أقلتنا إلى المدينة، ومنها ركبنا زورقًا في نزهة بحرية وتجاوزنا البحيرة إلى الضفة الأخرى. وكان كل ما حولنا من الجبال مكسوًا بالخضرة الناعمة بالأشجار والعشب، والبيوت تطرز ذلك البساط الأخضر كأروع ما يكون الجمال. وفي الضفة الأخرى ذهبنا إلى حديقة لا يحضرني اسمها وفيها فندق ضخم فخم يطل على البحيرة واجتمعت لنا الخضرة والماء والوجه الحسن. وبعد استراحة، وددنا لو طالت، عدنا إلى السيارات

التي عادت بنا إلى ميلانو، وهناك تناولنا طعام الغداء وبعده ذهبنا توًا إلى محطة القطار حيث عدنا إلى روما. وفي طريقنا إلى روما تعرفنا على كثير من المناطق والمدن والقرى وقيل لنا أنها لا تسمى مدينة إلا ما زاد عدد سكانها على سبعين ألفا وأما ما دونها فتسمى قرية أو بلدة.

وصلنا روما في الثانية عشرة مساءً، ونزلنا في فندق (سان جستو). وفي الصباح ذهبنا إلى مستشفى (سان مرجريت) حيث ينزل الإمام، وزرناه تحت رقابة الدكتور ووجدنا أن صحته قد بدأت تتحسن. وبعد خروجي من لديه استدعاني مرة أخرى وقال أنت كنت وأنت في قاهرة حجة تشكو أمراضًا كثيرة فعليك أن تتعالج وتعرض نفسك على الأطباء، وأمر القاضي محمد العمري بتدبير دخولي أحد المستشفيات، وقد أخترت مستشفى (سان مرجريت) الذي ينزل فيه الإمام. وبعد خروجنا من زيارة الإمام انتقلنا إلى فندق الكونتننتال وبقينا فيه ثلاثة أيام، ثم وجدنا أن مقرراتنا التي لا تتجاوز خمسة جنيهات في اليوم لا تقوى على تحمل نفقات الفندق الكبير فقد دفعنا فيها ثلاثين ألف ليرة للثلاثة الأيام لذلك انتقلت مع السيد محمد الشامي إلى فندق صغير يسمى (بينسيون التليريز) وكانت الغرف فيه جيدة ولا يتجاوز ما يدفعه الواحد يوميًا على خمسة ألف ليرة داخلًا بذلك الأكل والتلفون، وهو مع ذلك قريب من المستشفى الذي ينزل فيه الإمام يمكننا أن نذهب إليه مشيًا على الأقدام بدلًا عن المواصلات التي كانت كثيرًا ما تضلنا طريقنا لعدم معرفتنا بمحطات النزول. وقد حدث مرّة أني ركبت على أتوبيس ولم أتبين المحطة حتى وصل نهاية الخط وهناك نزل جميع الركاب فنزلنا معهم وكانت المشكلة أني لا أعرف أين أنا من المدينة وأنا مع ذلك لا أفهم كلمة واحدة يمكن أن أسأل بها عن الفندق الذي أنزله، فاهتديت إلى نقطة للبوليس وأخرجت عنوان الفندق وعرضته على أحد الشرطة وفهم أني في حيرة من أمري. وبعد أن حاول أن يفهمني جهة الفندق بالإشارة دون جدوى أخذ بيدي ومشى معي مسافة حتى وصلنا إلى محطة لأتوبيس يمر على باب الفندق، ولم يقتصر على ذلك بل ركب معي في الأتوبيس حتى باب الفندق. وأعجبت باهتمام البوليس هناك بهداية

الضال ومساعدة الغريب وقلت لعل هذا هو من أسباب أن تكون إيطاليا من الدول الأولى في السياحة.

إشتباك الحرس مع الصحفيين

فكّر العمري والجبلي أن يُنقل الجيش من النساء والجواري اللاتي ناف عددهن على أربع وستين امرأة من فندق (فيوريو) الذي كان يكلف أحد عشر ألف ليرة على الواحدة يوميًا أي ما يعادل سبعة جنيهات إلى أحد الفنادق في ضواحي روما، فذهب العمري والجبلي وعبدالله عبدالكريم والدكتور عدنان ترسيسي وكنت معهم إلى (فرجينيا) وهي ضاحية جميلة من ضواحي روما وهناك وجدنا فندقًا أنيقًا في ضاحية من أجمل الضواحي تحفه الحدائق والأشجار وعلى بعد خمس دقائق منه بلاج على البحر للمصطافين، والبلدة مصيف شهير لطبقة الأثرياء، ولهذا فلم توافق صاحبة الفندق على تأجيره إلا لمدة شهر إلى خامس عشر يوليو وهو ابتداء موسم الصيف. تناولنا طعام الغداء هناك وعدنا إلى روما وبعد يومين خرجت العائلة بقضها وقضيضها. وكانت بعض الصحف الإيطالية قد نشرت عن الإمام وعن (الحريم)، وهذا الاسم بمجرده يثير فضول الصحفيين لأنه من تعابير ألف ليلة وليلة وعهد هارون الرشيد في نظر الغربيين. وقد قالت هذه الصحف أن لدى الإمام مأتي امرأة وأربع زوجات شرعيات والباقي محظيات غير شرعيات. وتكلمت أيضًا عن الحجاب مما بعث حرص الصحفيين على الحصول على صور للحريم المحجبات. لهذا شدد الإمام على الحرس اليمنيين ومنهم النقيب على مانع والرويشان والعبادي وغيرهم في منع كل من يحاول التصوير وهددهم بالويل والثبور إن نشرت الصحف رسومًا لحريمه. وكانت معركة في أحد الأيام بين علي مانع وأحّد الصحفيين، وكان هذا قد ظفر بصورة، وقد أنتصر علي مانع وأخذ الكاميرا من يد الصحفي وكسرها. ولما انتقلت العائلة إلى ضاحية فرجينيا زاد فضول الصحفيين ورابطوا هنالك أيامًا. وفي بعض الأيام وصلت مجموعة من العائلة من روما وما كادت تخرج من السيارة حتى التقط لها الصحفيون عدة صور ولحظهم علي مانع ومن معه فتبعهم ففروا، فتبعهم الأمير محمد بن الحسين

بالسيارة وأدركوهم في الطريق واشتبكوا معهم في معركة بالأيدي. وسلّ أصحابنا الجنابي (الخناجر) فأرتاع هؤلاء وجاء أحدهم يقول أنهم كادوا يتغلبون على الأمير ومن معه فخرج العبادي وعبدالله حجر بالبندقيات ولما رآهم الصحفيون وافقوا على تسليم الكاميرا إلى البوليس، وسلموها فعلًا ولكن بعد أن أخرجوا الفيلم ورموا به إلى فتاة منهم طارت به في سيارة ولم تُدرَك. وكانت المعركة غير ذات جدوى، وكنت موجودًا في فرجينيا وقد لمت الإخوان على ما فعلوه وقلت لهم إنكم لم تفعلوا أكثر من إثارة حقد الصحفيين وعدائهم مع أن الصورة ليست بذات بال فقد صوروهن محجبات وما في ذلك كبير بأس، فاعتذروا أن الإمام تهدّدهم بالعقوبة إذا طلعت صورة في جريدة.

وفي اليوم الثاني طلعت الصحف بصور لبعض الأميرات والجواري وهن سافرات، وقد حصل على هذه الصور صحفي تسلق إحدى الأشجار وأخذ لهن الصور وهن في شرفة الفندق. وقد اشتدت حملة الصحافة بعد ذلك وتكلموا عن الحريم بما يشبه الخيال، ونشرت صحيفة (اوجي) أي (اليوم) تحت عنوان بارز يقول: حكومة المتوحشين في روما، ونشروا صورة لعلي مانع وعليه خنجره وبندقيته، وقالوا أنهم بهذه الخناجر ينتزعون أرواح بني البشر وأن الحكومة اضطرت أن تقنع خمسين جنديًا من البوليس لحماية أرواح أبناء روما. وقالوا عن النساء البيض والسود على حد تعبير الجريدة أنهن من أظرف نساء الدنيا وأتقنهن لفن المغازلة وأنهن بذلك يفقن فتيات باريس وأنهن يغازلن الشبان الإيطاليين من النوافذ كما يغازلن المرافقين من اليمنيين إلى غير ذلك مما لا صحة له، ولكن حماقة الحراس والمرافقين هي السبب في نشر مثل هذه الأكاذيب. وقد أتصل العمري بالحكومة يحتج فقالت الحكومة إن الصحافة في إيطاليا حرة ولا تستطيع الحكومة كبح جماح كذبهم. وقلت للعمري أن سؤ تصرف إخواننا هو المسئول عن هذا وأنتم تعلمون أني كنت ونحن لا نزال في تعز أرى قبول العرض السوفيتي الذي رغب فيه باستضافة الإمام ومعالجته في القفقاز، ولو فعل لحل ضيفًا كريمًا مكرمًا ولتجنب مثل هذه الحملات. لم يقف الإمام على شيء مما نشر.

النقاش مع الحسن حول الإستعمار

في ٢٢ شوال الموافق ١٩٥٩/٤/٣٠م وصل إلى روما الأمير الحسن وابنه الحسن بن الحسن من أمريكا لزيارة الإمام. وقد قابلناهما في المطار، ولما هبطت الطائرة أسرعنا إليها وتأخر نزول الأمير الحسن وقد تأخر ليغير ملابسه بالزي اليمني فطلع علينا بالجوخ والعمامة. وفوجئ بأنّا قابلناه بالبدلة الحديثة، وقد أستغرب حينما رآنا وقال إنه لم يلبس الزي اليمني إلا لأنه ظن أنّا كذلك. وقد ذكرت له قصة لأحدهم مع أعضاء نادي العريان الذي يرون أن في الملابس إصرًا وثقلًا على الإنسان وأن الأجدر به أن يعيش على الطبيعة كما خلقه الله، وكان قد قصد إلى زيارة النادي من منطقة بعيدة وحينما اتصل بهم ليحددوا موعد اللقاء قالوا في أنفسهم إنه ليس من الحسن أن نقابله ونحن عراة حتى لا يصدم بالمنظر غير المألوف، وأجمعوا أمرهم على ارتداء لباس خفيف بينما قال هو في نفسه ليس من اللائق أن أدخل عليهم بثيابي حتى لا أطالعهم بموقف مختلف فتجرد من ثيابه ودخل عليهم عاريًا وهم لابسون، فضحك الأمير للنكتة وقال إن القصة تكررت معنا اليوم.

نزل الأمير في غرفة في المستشفى الذي ينزل فيه الإمام ليكون على مقربة منه. كانت الصرفيات اليومية أشبه بالفوضى وفيها عبث كبير والواردون من اليمن كثيرون ومنهم القاضي محمد الحمدي وابنه إبراهيم الذي رافق أباه ليشرف على معالجته. وقد بلغ عدد الذين يأخذون الصرف اليومي أكثر من مائة وعشرين شخصًا. وأمّل كثير من الإخوان أن يقوم الأمير الحسن، بما عرف عنه من الحرص على الأموال بترتيب الصرفيات وإعادة من لا لزوم لوجوده إلى اليمن ولكنه لم يفعل. وقيل له في ذلك فقال إن كل الموجودين إذا استثنينا عشرة أشخاص لا لزوم لوجودهم ولكن هل ترون الإمام يوافق على إعادة هذا الجيش من الجواري والنساء والخدمة.

كنا كثيرًا ما نتحدث مع الأمير الحسن عن أحوال اليمن وحاجتها إلى الإصلاح فبدا لنا وهو الذي كان أشد أعداء التطور والإصلاح وأكثر الأمراء جمودًا وحنينا إلى الماضي، أنه قد تطور بعد أن بقى في أمريكا مدة. وكنا أكثر استغرابًا لرأي قاله في يوم من الأيام، وكنا نتحدث عن الاستعمار، فقال أحد الإخوان إن اليمن والسعودية هما الدولتان العربيتان اللتان لطف الله بهما من الاستعمار، فقال الأمير ولو أنهما استعمرتا لكان الله بهما أرحم وعليهما أكثر عطفًا. واستغربت هذا وقلت إن هذا القول من مظاهر التأثر بالحياة الحديثة في أمريكا، فقال أبدًا إنهما لو استعمرتا فترة من الزمن لكان الاستعمار قد غادرهما كما غادر غيرهما من الدول العربية التي استعمرت ولكن بعد أن خلّف الكثير من معالم ووسائل الحضارة والتقدم، إنك لا تجد اليوم أكثر من هاتين الدولتين تخلفًا وهذه حقيقة يجب أن نعترف بها. فقلت له إن هذا الرأي قد سبقك إليه الأمير شكيب ارسلان حينما زار اليمن في سنة ١٩٣٤م، وكان قد جاء في هيئة المصالحة بين اليمن والسعودية، وقد هاله ما وجد من تخلف في الدولتين فقال قولته وهو الرجل الذي وقف حياته على محاربة الاستعمار.

دخولي المستشفى

كان الإمام قد أمر القاضي محمد العمري بتدبير دخولي المستشفى للمعالجة. وقد أجريت الفحوصات اللازمة وقرر الأطباء حاجتي إلى إجراء عملية الدودة الزائدة، وقلت لهم ولكني لم اشكها في يوم من الأيام فقالوا ولكنها مهيأة لأن تثور عليك وقد يحصل ذلك وأنت في مكان لا طبيب فيه فتكون النتيجة هي الموت، وهكذا قرروا بالنسبة إلى السيد عبدالله عبدالكريم. ودخلنا معًا المستشفى في ليلة الجمعة ٢١ ذي القعدة الموافق ٢٨ مايو١٩٥٩م. وأسلمت نفسي للعملية ورفض السيد عبدالله لأن أباه وعمه قد ماتا على أثر عمليتين جراحيتين. وفي العاشرة من يوم الجمعة جاء البروفسور (مازيوني) ونقلت بواسطة الممرضات، (السسترات) أي الأخوات، وهن الراهبات اللاتي نذرن أنفسهن للعمل الإنساني، ونقلت على

نقالة إلى غرفة العمليات، وهناك حقنت بمخدر وأجريت لي العملية. ونقلت إلى سريري وأفقت لأجد نفسي في الغرفة، وكان التخدير لا يزال مؤثرًا فلم أحس أنها قد أجريت العملية. وجاء القاضي عبدالملك العمري لزيارتي واخبرني أن العملية قد أُجريَت، وانتبهت إلى نفسي لأجد الأربطة على بطني، وعندها شعرت بدوخة وغثيان ووجدتني في حاجة إلى القيء. ولما تقيأت آلمني محل العملية أيما إيلام حتى ظننت أن الأربطة قد تقطعت وأُستدعي الدكتور الذي كشف على العملية وأطمأن إلى سلامتها وأعطاني مهدئًا للقيء. وجاء الإخوان لزيارتي أرسالًا وكان أكثرهم لي ايناسًا هو السيد أحمد زبارة، أما الآخرون فقد كانت زيارتهم لمامًا. ومكثت في المستشفى تسعة أيام وبعدها خرجت إلى الفندق الذي كنت أنزله. وقد تبين أن العملية كانت صعبة وكان وضع الدودة الزائدة غير طبيعي ولذلك فقد كان الجرح طويلًا جدًا ومن أجله بقيت في المستشفى تلك المدة. كنت أظن أن الراهبات لا يقبلن الهبات ولكن حينما منحتهن (البغشيش) قبلنه. وفي هذه الاثناء كان الإمام قد غادر المستشفى إلى فيللا استؤجرت له في منطقة (ادرياتينا).

زيارة جنوب إيطاليا

كانت الحكومة الايطالية قد رتبت جولة سياحية للأعضاء المرافقين للإمام إلى المناطق الشمالية ميلانو وجنوى وغيرهما، وإلى البندقية وصقلية ويسمون الأولى فينيسيا والثانية سيشيليا. وقد توجهوا في أول يوم في الحجة (٥٩/٦/٨م)، ولم تكن حالتي الصحية تمكنني من السفر معهم فأسفت جدًا وأنا الشغوف في الرحلات والتعرف على المناطق التي طالما سمعنا عنها، وكان حرصي أكثر على التعرف على صقلية التي حكمها العرب زهاء خمسة قرون. وأبديت رغبتي للقاضي محمد العمري فقال إن الرحلة تشملها وسنجعل الإخوان يبدأون بالشمال حتى تتحسن حالتكم وتتمكنوا من السفر وسيمكن أن تواجهوهم إلى نابولي أنتم والأمير الحسن بن علي الذي تأخر هو الآخر. وقد قبلت على أساس ما لا يدرك كله لا يترك كله. وتأخرت أربعة أيام، وكان الطبيب قد نهاني عن المشي وألزمني بأن أظل

على السرير في (فيلا ليتراسي) البنسيون الذي كنت أنزله. ولسفر الإخوان فقد أنقطع عني الزوار وشعرت بالوحشة، وجاءني السيد عبدالله الشرفي زائرًا فخفف بعض ما بي. وفي اليوم الثالث خالفت نصيحة الدكتور وذهبت إلى حيث ينزل القاضي محمد العمري وذهبت معه إلى فيلا (ادرياتينا) حيث ينزل الإمام، وعند وصولنا وجدنا سيارة الاسعاف وقيل لنا أن محمد مرعي رئيس الحرس قد انزلقت قدمه في الصالون فانكسرت رجله فجاء الإسعاف لنقله إلى المستشفى.

وفي اليوم الرابع كنا في فندق (الكونتنتال) فجاء المفوض الايطالي في اليمن وقال لنا إنه قد دبر سفرنا على القطار من روما إلى نابولي. وحدد لنا موعدًا كنا فيه في الكونتنتال مع الأمير الحسن بن علي والسيد محمد الظفري، أحد الطلاب اليمنيين الذي رافقنا للترجمة. وقبل أن اسافر زارني في الفندق الطالب عبدالرؤوف رافع من مقبنة وهو من خيرة الطلاب اليمنيين في ايطاليا وهو على وشك الحصول على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي بعد أن قدم رسالة حول سياسة البترول الاقتصادية. وفي الساعة الثانية توجهنا إلى محطة القطار وغادرنا روما إلى نابولي التي وصلناها بعد ساعتين ونصف، وقد قطعنا المسافة بتناول طعام العشاء وبتجاذب أطراف الحديث مع الأمير الحسن والسيد محمد الظفري. وفي نابولي نزلنا في فندق (فيزوف) وهو من أفخم الفنادق هنالك وقد سمي باسم فيزوف البركان المشهور. لم نفعل بعد وصولنا أكثر من الصلاة والنوم.

وفي صباح اليوم التالي بينما كنت أطل من شرفة الغرفة وأسرح طرفي في المدينة إذ بي أرى في شرفة الغرفة المجاورة السيد أحمد زبارة وفي الثانية العقيد الآنسي ولم أكن أعرف أنهم قد وصلوا. وقد أسرعا إليّ وكان لقاءً حارًا، أدليت إليهم فيه بما تجدد من الأخبار، وكانت قد جاءت أخبار عن تمرد الجيش بصنعاء وبالحريق الذي شب في العرضي وبإعتدائهم على بيت القاضي يحيى العمري ونهب كل ما فيه. وبعد سفرهم سمعنا من اذاعة لندن عن اعتقال القاضي يحي العمري وتقديمه للمحاكمة لانه تواطأ مع الجيش فيما كان من الاضطرابات بصنعاء، والتي

صار ضحيتها بيته وبيت والده[1]. وقد كان هذا الخبر محل استغراب، وقال السيد أحمد زبارة، أرأيتم هذا ولم يغب الإمام أكثر من شهرين ونصف فكيف به لو غاب غيبة أبدية.

تناولنا طعام الإفطار أو (كليسوني) كما يسميه الايطاليون في الفندق ثم خرجنا لزيارة مصانع الغزل والنسيج التي تبعد عن نابولي بثلاثة عشر كيلومترًا. وعلى عودتنا زرنا الآثار التي في (بمنبي) وهي مدينة قديمة تربض في سفح الجبل الذي يقع في أعلاه بركان فيزوف، وعلى جانب من المدينة القديمة مدينة لا تزال تحتفظ بنفس الاسم القديم. وقد رأينا من الآثار الرومانية ما يدعو إلى الإعجاب، وكانت مدفونة تحت الأرض من قبل ألفي سنة إذ يقول التاريخ أن البركان في حوالي السبعين قبل الميلاد قد غضب غضبته الكبرى فتفجر وقذف بالصخرات الملتهبة فأحالت المدينة ومن فيها إلى حمم ثم طمها بالصخرات والرماد فدفنها. ويقال أن السكان قد فوجئوا بذلك في أحدى الليالي بينما كانوا نائمين، وهناك تماثيل تصور كيف مات الناس وفيهم النائم والقاعد والقائم وكثيرون ماتوا من الخوف والفزع.

عدنا إلى الفندق، وكان من المقرر أن نزور بعد الظهر مصنعًا ينتج الآلات الكاتبة العربية واللاتينية، وكانت الشركة قد أعدت لكل واحد منا آلة كاتبة عربية لتقدمها هدية كدعاية للمصنع ولكن الأمير إسماعيل الذي كان يعتبر نفسه رئيس الوفد قد أعتذر فأعتذر الآخرون، ولم يكن الأمير يعرف شيئًا عن نوايا الشركة وإلا لأسرع إلى المصنع ولو حبوًا لأنه وحيد في البخل والحرص. وقد حاول بعد أن عرف ذلك تدبير زيارة للمصنع فقيل له أن برنامج الزيارة لا يسمح بذلك. وقد قمنا بعد الظهر بزيارة جامعة نابولي التي يزعم الايطاليون أنها أقدم جامعة في العالم والتقينا هناك بالطالب حسن مكي وهو الآخر من خيرة الطلاب اليمنيين. وقد طفنا كليات الجامعة وقاعة المحاضرات، وفي هذه الجامعة تعلم موسوليني، وقد أرانا الدليل ورقة كتبها موسوليني وهو طالب عادي فعلق عليها أستاذه بقوله

(١) وقد انكشفت فيما بعد كذب هذه الإذاعة، وجاءت برقية إلى القاضي محمد العمري من ولي العهد تنفيها.

«أنت طالب شاذ وفي عقلك خلل». وقد تسنى فيما بعد لهذا الطالب الشاذ أن يحكم ايطاليا ويمد سيطرتها إلى إفريقيا فيحتل إثيوبيا. والايطاليون يحافظون على هذه الورقة ويعجبون لصحة نبوءة الأستاذ إذ أنهم يوافقون على نظريته في موسوليني، وقلنا لهم إن ذلك لا يعيبه فقد قيل أن العباقرة أنصاف مجانين. تناولنا طعام العشاء أو (تشينا) كما يسميه الايطاليون في مطعم هناك وأخذت لنا صور تذكارية. لم أحاول، وكنت في أعقاب إجراء العملية وفي حاجة إلى الكثير من الراحة، أن أكون مع الإخوان الذين ذهب بعضهم إلى السينما وذهب آخرون إلى المسارح ولكنهم لم يجدوا عرضًا. وقد لاحظنا أن جنوب ايطاليا لا يزال محافظًا بعض الشيء وبالخاصة صقلية، وقد أرجعنا ذلك إلى التقاليد الموروثة عن العرب الذين حكموا معظم الجنوب وتجاوز حكمهم لصقلية خمسة قرون.

استيقظنا صبح الأحد مبكرين، وكان البرنامج قد تضمن زيارة (كابري) الجزيرة الجميلة التي نزلها الملك فاروق بعد تنازله عن العرش. وكان اليوم مطيرًا والطقس على عكس ما كنا نرجوه لزيارة (كابري). وقد انتقلنا من الميناء على زورق صغير سريع وقطعنا البحيرة في حوالي ساعة. وقد وجدنا الجزيرة من أجمل بلاد الله وأن الشهرة التي كسبتها على كونها جزيرة صغيرة كانت جديرة بها. تجولنا في الجزيرة مشيًا على الأقدام ثم عدنا أدراجنا إلى نابولي. وفي اليوم التالي اتجهنا على القطار إلى جزيرة صقلية وقد سافرنا ليلًا ففاتنا أن نرى دخول القطار من البر إلى النقالة التي تمخر به عباب البحر إلى الجزيرة. وقد انتهى بنا السير إلى عاصمة الجزيرة مدينة (بلرمو) ونزلنا في فندق على البحر، وكان قصرًا لأحد الأمراء الذي بناه لامرأة كان يتعشقها. وقد مكثنا يومين وتعرفنا على المناطق التي لا تزال بصمات العرب، الذين حكموا الجزيرة، واضحة عليها، فزرنا القلعة وهي لا تزال على وضعها الذي تركه عليها العرب، وهي كأي قلعة توجد في اليمن. وزرنا المسجد الذي حولوه إلى كنيسة، وفيه وجدنا ألواحا رخاميةً كانت على الأضرحة

وفيها كتب بالخط العربي الجميل أسماء أصحاب تلك الأضرحة وفي أحدها أبيات من الشعر كتبت على قبر فلان بن يعيش، وهي أبيات جيدة وفيها تاريخ وفاته. وسألنا هل تخلف في الجزيرة أحد من الأسر العربية تنصرت واندمجت في المجتمع فقيل لنا نعم لا يزال هنا عائلة سليم وهي من أكبر وأثرى العائلات في بلرمو. وقد تحدثوا كثيرًا عن العرب ورأينا الكثير من آثار الأمراء الأغالبة الذين حكموا الجزيرة الأمر الذي جعلنا نلقي نظرة على ماضي العرب وحاضرهم وقد عاد الطرف إلينا وهو حسير مملوء بالألم والحسرة.

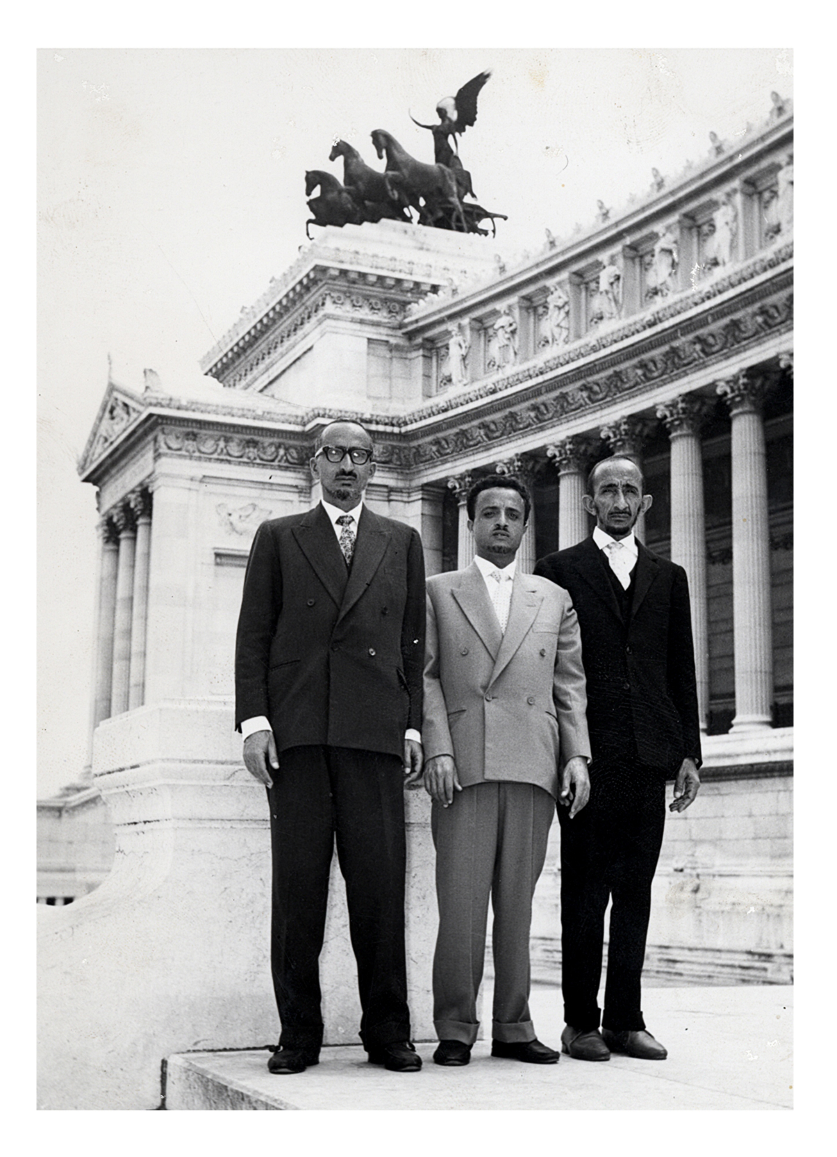
تمرد الجيش وعودة الإمام

وعدنا إلى روما حيث واجهنا هناك أخبار تمرد الجيش في تعز وقتل القاضي أحمد الجبري وأخاه علي محسن الجبري وسحلهما في شوارع تعز. وجاءت أخبار صنعاء لتفصّل أحداثها التي أسفرت عن حريق العرضي ونهب بيت القاضي أحمد العمري. وقد أضطر البدر إلى الاستعانة بالقبائل كضغط على الجيش، فجاء هؤلاء بالآلاف من أصحابهم. وبالإضافة إلى ذلك فقد شكل البدر لواء أسماه فوج البدر، وعهد إلى العقيد عبدالله السلال قائد حرسه بقيادته، وكان معظم أفراده من لواء القناصة الذين سرّحهم الإمام أحمد في أعقاب ثورة الثلايا. ومما زاد الطين بلّة عند الإمام أنه استقدم عددًا من الضباط المصريين للتدريب وإنشاء جيش حديث، وضم حوله الشباب والضباط الأحرار وبدأ التعاون مع الجمهورية العربية المتحدة على أساس إتفاقية الإتحاد الفيدرالي، فزاد ذلك من قلق الإمام. وجاءت الرسائل من أنصار الأمير الحسن وأعداء البدر تصور الوضع كما لو كان قد انهار نهائيًا. وفي الرسائل ما يصور أن البدر عازم على إقصاء أبيه واستلاب المُلك منه، وأنه متفق مع عبدالناصر على أن يقوم هو بالثورة على والده ليحتفظ بالعرش بدلًا من أن يقوم آخرون بها فيطيحون به وبالعرش.

وفي محرم سنة ١٣٧٩هـ الموافق يوليو سنة ١٩٥٩م قرر الإمام العودة إلى اليمن



من يمين القارئ: الاستاذ عبدالحميد الشوكاني، القاضي عبدالرحمن الإرياني، السيد عبدالله عبدالكريم، السيد أحمد زبارة، السيد عبدالله الشرفي على رأس المائدة، القاضي حسن نصار، القاضي يحيى العمري، المرافق الإيطالي، الأمير الحسن بن علي، العقيد أحمد الآنسي إيطاليا، القعدة 1378هـ الموافق مايو 1959م



من يمين القارئ: القاضي حسن نصار
السيد محمد أحمد الشامي
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني



القاضي عبدالرحمن الإرياني
والسيد أحمد زبارة في القاهرة
في طريق عودتهما من إيطاليا
وتكليفهما بحضور إحتفالات
العيد السابع للثورة المصرية.

القاهرة، يوليو 1959م



من يمين القارئ:
السيد أحمد الخزان
السيد عبدالرحمن عبدالصمد
نجل السيد محمد المنصور
السيد محمد المنصور
السيد عبدالله عبد الكريم
القاضي عبدالرحمن الإرياني
السيد أحمد زبارة
السيد عبدالله الشرفي
السيد محمد أحمد زبارة
السيد أحمد المضواحي

أخذت أمام بوابة السفارة اليمنية
في القاهرة عند العودة من روما
الى اليمن

يوليو، 1959م

وهو يكاد يتميز غيظًا ويتمزع غضبًا، وقد كان يتوعد أول ما يتوعد إبنه البدر ومَن حوله من الشباب، وبالخاصة أولئك الذي أطلق سراحهم من سجون صنعاء وحجة وتعز. وكانت أسماء سنان أبولحوم وحميد الأحمر وغيرهما من رؤساء العشائر تتردد على لسانه مهددًا ومتوعدًا. وأمرنا بالاستعداد للسفر، وتم استعدادنا وقمنا على طائرة إلى القاهرة بناء على أنه هو الآخر سيسافر في نفس اليوم على طائرة خاصة إلى القاهرة ليحل ومن معه من الأسرة ضيوفًا على حكومتها، التي أعدت عدتها لاستقباله أحسن إستقبال. وفي القاهرة نزلنا في فندق الكونتننتال، وبينما ظل نائب الإمام حسن بن إبراهيم ومن معه مرابطين في المطار إنتظارًا لوصول الإمام إذا بنا نسمع من إذاعة لندن أن الإمام أحمد قد غادر روما ومعه أخوه الأمير الحسن وأفراد عائلته قاصدًا القاهرة في طريقه إلى اليمن ولكنه عاد إلى روما بعد أن تجاوزت طائرته أثينا، ولم يذكر سببًا لذلك. وقد فسرنا ذلك بأن المرض قد عاوده بشدة، واتصلنا تلفونيًا بالقاضي محمد العمري نسأله عن السبب ولكنه لم يعطنا سببًا معقولًا سوى أن رغبة الإمام في الاستجمام فترة أخرى هي السبب. وسألناه عما نفعله نحن، هل نواصل السفر إلى اليمن أم نعود، فأتصل بنا بعد مؤاذنة الإمام يلزمنا بأن نلزم مكاننا في القاهرة حتى تأتينا الأوامر. وانتظرنا حوالي عشرين يومًا جاءت في أثنائها الذكرى السابعة لثورة ٢٣ يوليو فأُمرنا بحضور الاحتفال بها كوفد عن اليمن، وهكذا تحولنا إلى ضيوف على الحكومة المصرية وحضرنا الاحتفالات ووضعت لنا برامج زيارات للمصانع في حلوان وغيرها قضينا بها فترة الانتظار. وقد جاء من روما أحد الإخوان المرافقين للإمام أحمد في طائرته التي عادت به من سماء أثينا وسألناه عن السبب في العودة فقال أن سببًا ظاهرًا لا يوجد، فقد فوجئوا وهم على الطائرة بالإمام يقول عودوا بنا إلى روما. وحاولوا أن يثنوه عن ذلك وبذل الأمير الحسن جهدًا في ذلك فأعتذروا له بأن الطيار قد رفض العودة، فأخذ بندقيته التي لم يكن يفارقها واستدعى الطيار إليه وقال له اذا لم تعد بنا إلى مطار روما فسوف أفجر الطائرة ولنذهب جميعًا إلى الجحيم، فلم يجد هذا بدًا من العودة، وقد عاد إلى فيلا (أدرياتينا) التي كان ينزل فيها. وقلنا له

ولكن بماذا فسرها الإخوان هناك، فقال لقد فسّروها بأحد تفسيرين إما أنه ندم على استصحاب أخيه الحسن الذي قبِلَه تحت إلحاح العائلة، أو أنه بدا له صدق ما جاءه من أخبار تقول أنه إذا دخل مصر فلن يخرج منها، وأن عبدالناصر متفق مع البدر على إحتجازه في القاهرة على أن يعطى قصرًا يليق به ويعامل كملك سابق، بينما يعتلي البدر عرش أبيه بمساعدة الجمهورية العربية المتحدة، ولقاء تنفيذ بنود إتفاق الإتحاد الفيدرالي بين البلدين الذي ظل حبرًا على ورق، فعاد ليدبر السفر من غير القاهرة. وقد بقي في روما حوالي عشرين يومًا ونحن في إنتظاره في القاهرة، قرر بعد ذلك السفر على باخرة من نابولي إلى الحديدة وذلك في صفر سنة ١٣٧٩هـ الموافق أغسطس ١٩٥٩م، وكانت الباخرة (سدني) هي التي قدر لها أن تقلّه. وقد كان يريد أن يمر بقناة السويس دون توقف ولكن عبدالناصر رغب إلى نائب الإمام حسن بن إبراهيم بأن تقف الباخرة في (بورسعيد) وأن يستضيفه يومًا واحدًا. واتصل النائب بالقاضي محمد العمري وطلب إليه أن يحاول إقناع الإمام بالاستجابة لرغبة الرئيس المصري، وجهد هذا جهده فلم يقبل الإمام ذلك، وبعد لأي وافق على أن تقف الباخرة ريثما يتسنى لعبدالناصر زيارته في الباخرة.

لقاء الإمام وعبدالناصر

وأبحرت الباخرة بالإمام من ميناء نابولي مع جميع أفراد عائلته ولكن بعد أن تخلص من أخيه الحسن وأمره بالعودة إلى أمريكا. وقبل وصول الباخرة أُمرنا بالتأهب للسفر مع الإمام على الباخرة وتحركنا من القاهرة إلى بورسعيد وبتنا فيها ليلة. وفي أثناء الصباح وصلت الباخرة ميناء بورسعيد وأطلقت المدفعية ٢١ طلقه ترحيبًا بالملك أحمد. وفزع الركاب الذين على الباخرة، ولأن الغربيين يجعلون من عبدالناصر رجلًا عدوانيًا فقد توسموا شرًا من وراء تلك الطلقات مما أضطر القبطان إلى أن يقول لهم من خلال ميكرفونات الباخرة أن هذه الطلقات هي طلقات الترحيب بملك اليمن الذي تتشرف باخرتنا بوجوده على ظهرها.

كان أول من صعد على الباخرة هو النائب حسن بن إبراهيم. وقد وجد الإمام

متقلدًا سيفه وبندقيته، وحاول أن يقنع الإمام بعدم اللياقة في تقلده البندقية ولكنه أصر، ولم يحل الاشكال إلاّ محمد محمود، الذي كان أثيرًا جدًا عند الإمام، فقد أقترح أن ينوب هو عن الإمام في حمل البندقية. ولما كان الإمام لا يرد له رغبة فقد وافق وهكذا كان. وصعدنا إلى الباخرة وصعد عبدالناصر، وقد لاحظنا أن الإمام لم يقم لمصافحته بل ظل قاعدًا على الكرسي معتذرًا بالمرض الذي يعانيه، ولكنه لما جاء السيد أمين الحسيني وشيخ الأزهر قام لكل واحد منهما دون عناء. وقد أحتشد ركاب الباخرة من الأوربيين يحيون عبدالناصر ويحاولون مصافحته ولكنه أسرع إلى الخارج توقيا لإزعاج المريض الذي هو الإمام.

استكمال رحلة العودة بحرًا

وتحركت الباخرة وكنا قد انضممنا إلى الركب، وأحتل كل واحد منا غرفة خاصة فيها كل وسائل الراحة. وكان على ظهر الباخرة مسبح وحديقة صغيرة فيها أشجار الموز، وكانت الفتيات الأوربيات يقطعن الوقت بالسباحة، وكان منظرهن وليس عليهن غير حزام الصدر وورقة التوت منظرًا غير مألوف لنا. وقد شغفن حبًا بأحد المرافقين للإمام وقد كان دويدارًا صغيرًا ولكنه شب عن الطوق وتجاوز الخامسة عشرة، وقد كن يحاولن إنزاله إلى الماء وتقبيله، وكان هو يذوب خجلًا. وتكلمن حوله كثيرًا وسألنا المرافق الأستاذ علي حُمّد عما يقلن فقال أنهن يقلن أن سمرته ناعمة وأنه يستحق المغامرة.

وصلَت بنا الباخرة إلى القرب من ميناء الحديدة الجديد بعد يومين من مغادرة ميناء بور سعيد، وكان الروس ما يزالون يعملون في إنشاء الميناء ولم يكن مستعدًا لاستقبال البواخر الكبيرة، وقد ألقت الباخرة مراسيها على بعد نحو عشرين كيلومتر من الميناء. وانتظرت أن تأتي الزوارق اليمنية لاستقبال الإمام ولكنها لم تحضر، لا لشيء إلا لأنها لا توجد زوارق بحرية، وليس هناك غير سفن شراعية يملكها مواطنون تحمل البضائع. وكان الإمام يعرف هذا ولذلك فقد تقلد سيفه وبندقيته ونزل من غرفته يريد النزول، فقالوا له ولكن الزوارق لم تأت بعد فقال

على قبطان الباخرة أن ينزل من الزوارق الموجودة للطوارئ على الباخرة. وتم له ما أراد وبعد خروج الإمام أراد قبطان الباخرة أن يحركها نحو عدن فأعترضه الأستاذ علي حُمّد قائلًا أنه من غير اللائق أن تذهب بعائلة الإمام إلى عدن ومازال به حتى أنزل زورقين آخرين حملانا مع أفراد الأسرة. وكم كان خجلنا كبيرًا حينما وصلنا إلى الميناء وليس فيه سيارة واحدة لتقل النساء والأطفال إذا قدر لنا نحن أن ندخل إلى الحديدة على الأقدام. وبعد انتظار طويل جاءت سيارتان كُدِّس في إحداها العائلة وتكدسنا نحن في الثانية. وكان ذلك على مرأى ومسمع من سائق الزورق الذي تأخر ليحصل على عدد من الكباش لحاجة الباخرة، وقد بدا عليه الذهول والاستغراب وكأنه يقول أي بلد هذا الذي لا يوجد به زورق واحد ليستقبل مليك البلاد وأسرته ورجال دولته، إنه التخلف الذي ليس وراءه تخلف.

خطبة الإمام وفرار السياغي

ذهبنا إلى غرفنا في مقام دار البوني وذهب كل واحد إلى محله. وفي اليوم التالي ذهبنا مبكرين لزيارة ولي العهد البدر الذي كان قد تغلب على والده بعاطفة الأبوة فبرأه عن كل ما كان وحمّل المسئولية غيره. ولم نكن نعرف أن الإمام قد دعا إلى مهرجان يتكلم فيه إلى الشعب فظللنا لدن البدر ومعنا القاضي أحمد السياغي حتى جاء من يقول لنا أن هناك مهرجانًا كبيرًا وأن الإمام يخطب. وأسرعنا مع البدر إلى هناك، وعاتب إبنه لتغيبه عن المهرجان فأعتذر بعدم علمه. ولما رأى الإمام القاضي أحمد السياغي قال له وأين كنت يا(قحطاني) عن هذا المهرجان العظيم، لقد كان مفيدًا لك أن تسمع الخطبة. ورأيت وجه السياغي يمتقع فما ترى فيه قطرة من دم، ولم يدعه ليستعيد وعيه بل قال له اذهب الآن إلى المطار حيث تنتظرك طائرة تقلك إلى صنعاء لتأتيني بشرف المروني ومن معه من ضباط الجيش المتمرد في غيابي، وانفرجت أسرّة وجه السياغي وكأنه قد وجد الفرصة للخلاص من خطر محقق فإن مخاطبة الإمام له بقوله (يا قحطاني) لها مدلول فهم منه السياغي أنه يتهمه بأنه يعمل ضد الإمامة الهاشمية، مع أنه كان بعيدًا عن ذلك كل البعد. وذهب السياغي وعادت الطائرة بالمطلوبين، ولكن السياغي قد

ركب الفرار إلى خارج البلاد إلى إمارة بيحان المشمولة بالحماية البريطانية فنجا برأسه ومن نجا برأسه فقد ربح. وقد ساعده على الفرار الشيخ سنان أبولحوم وكان له صديقًا.

تحركات المشائخ والتخطيط لإغتيال الإمام

كان في إمكان السياغي أن يتجاوز تلك الكلمة التي أرعبته، ولاسيما بعد أن كلفّه الإمام بعمل يقوم به ويدل على أن في الاحتمال أن تعود مياه الثقة إلى مجاريها، لولا أنه أستمع في المساء من إذاعة صنعاء تلك الخطبة النارية التي ألقاها أحمد في المهرجان، وقال فيها أنه سيشدخ بسيفه رؤوسًا هدامة ويجدع انوفًا متغطرسة فاسدة، وعرض بشخصيات قال أنها تطمح إلى السلطة عن طريق إثارة الاضطرابات والتظاهر بالإصلاح والوطنية، وقد سل سيفه أمام الجماهير مؤكدًا لهم أن سيفه سيجد مرتعًا خصبًا في رقاب هؤلاء الذين توسوس لهم أنفسهم ويطمحون إلى انتزاع الأمر من أهله وأن من لايزال تغريه طموحاته إلى نيل الحكم فما عليه إلا أن يبرز (وهذا الفرس وهذا الميدان ومن كذّب جرّب). وقد كان لهذه الخطبة أثر في نفوس الناس وكان أول من أصابه الفزع والهلع بعد سماعها القاضي أحمد السياغي فقد ولىّ هاربًا إلى بيحان، كما كان هذا هو حال القوات الشعبية ومشائخها فقد غادروا صنعاء في ليلة واحدة، أما كبارهم الذين كانوا بجانب البدر فلم يخرجوا من أبواب صنعاء وإنما تسلقوا أسوارها وفروا هاربين. وشعر الفارون بالهوان الذي أوقعهم فيه فرارهم من صنعاء لمجرد سماع صوت أحمد، وعاد بعض المشائخ إلى صنعاء وعقدوا مؤتمرًا سريًا حضره القاضي عبدالسلام صبرة والقاضي عبدالله محمد الإرياني والشيخ حميد بن حسين الأحمر والنقيب سنان أبولحوم والنقيب عبداللطيف بن قايد ومن الضباط عبدالله السلال وعبدالله الضبي وحمود الجائفي، وقرروا وضع خطتين إحداهما ترمي إلى اغتيال الإمام أحمد في السخنة، وانتدبوا لذلك الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر والنقيب علي أبولحوم وأخاه محمد والنقيب عبدالولي القيري والشيخ علي ناصر طريق وجار الله القردعي والأستاذ سعيد إبليس، وكان هذا أكثرهم إخلاصًا وجدية

ووعيًا. والثانية أن يعملوا على التفاهم بين رجالات حاشد وبكيل لجمع كلمتهم وإقامة عهود ومواثيق بينهم ودمج من يُعتمد عليه من المثقفين والعلماء، وبعد انتظام عقد الجميع تقوم حاشد وبكيل بالتمرد مبتدئة بطرد الموظفين الحكوميين، وكلف الشيخ سنان والزايدي بالعمل في خولان وحمود محمد أبوراس وعبدالله دارس وزيد مهفل ببرط وعلي بن ناجي الشايف بالجوف وحسين الأحمر وابنه حميد في حاشد. وقد عرف الإمام بتحركات حاشد وبكيل فوأدها في مهدها وأخرج الجيوش إلى حاشد وخولان والجوف وبرط وغيرها، وبالحيلة استطاع القبض على حسين بن ناصر وابنه حميد والنقيب عبداللطيف بن قايد الخولاني وبعثهم إلى سجن حجة وهنالك أُعدموا. وتمكن الشيخ سنان وغيره من المشائخ من الفرار، أما اولئك الذين وُكِّل إليهم اغتيال الإمام فقد انكشف أمرهم ففر من فر منهم واعتقل عبدالله بن حسين في سجن الشرف وأعتقل الأستاذ سعيد إبليس في حجة. وفي يوم من الأيام ولا نعرف بأي وسيلة تمكن سعيد إبليس من الفرار من نافع الذي يكاد يكون الفرار منه متعذرًا وتبعه حراس السجن وحاول الدفاع عن نفسه وقُتِل. وبقي عبدالله بن حسين الأحمر في السجن حتى جاءت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م فأخلي سبيله وأصبح من رجال الثورة والمدافعين عنها.

تواصل العمل ضد الإمام

كان لإجراءات الإمام أثرها ولكنها لم توقف العاملين في الحقل الوطني عن هدفهم. وقد واصلنا العمل بنشر المنشورات ونشر الوعي بين من نؤمل فيهم الهمة والقدرة على العمل معنا. وقد نشط معنا العديد من الإخوان في تعز من أمثال علي محمد سعيد وعبدالغني مطهر وهما من التجار، وعبدالقادر الخطري وهو ضابط في الأمن وغيرهم. كما كان الإخوة عبدالسلام صبرة وعبدالله السلال وحسن العمري وبعض المشائخ يعملون ومعهم غيرهم في صنعاء، وكذا كان الحال في بقية المدن. ومع أن التكتم كان القاعدة التي لا بد منها إلا أننا قد انفتحنا على من نثق به ممن انظموا إلى المعارضة ونشطوا في تعز، كما كان التواصل بيننا وبين من في صنعاء قائم ومستمر.

الفصل السادس عشر

إمــارة الحــج

تكليفي بامارة الحجاج اليمنيين

وفي أواخر ذي القعدة من سنة ١٣٧٩هـ (مايو ١٩٦٠م) أمرني الإمام بالسفر للقيام بإمارة الحجاج اليمنيين، وكان يومها في السخنة، وقد اتجهت إليها لمقابلة الإمام وتسلم الرسالة التي يحملها عادة أمراء الحجاج إلى الملك سعود. وقد تسلمت الرسالة وحملت معها تحيات الإمام للملك السعودي وغادرت السخنة في اليوم التالي وكان معنا القاضي أحمد العمري والقاضي عبدالله اليدومي اللذان عزما على أداء فريضة الحج. وفي الحديدة قصدنا مقام دار البوني حيث أغتسلنا وأحرمنا وجهزنا العلم اليمني واتجهنا إلى المطار حيث أقلعت بنا الطائرة. وفي الساعة السابعة بالتوقيت الغروبي كنا في مطار جدة وأجريت التحريات اللازمة في المطار وأصروا على أن يعيدوا لنا التلقيح وذهبوا بنا إلى المكان المعد لذلك ولكنهم لم يجدوا حقنة فقلنا (الحمد لله على حرافك يا سيدي)[1]. وتوجهنا توًا إلى المفوضية اليمنية وكنا قد وجدنا على موظفيها لأنهم لم يستقبلونا في المطار ولكنه تبين أن البرقية المرسلة من السخنة لم تصلهم فعذرناهم. ووجدنا الوزير المفوض القاضي حسين مرفق يتهيأ للغداء، وكان معنا جميل محرم الذي بعثه الإمام أحمد ليرى القصر الذي بناه الملك سعود بإسم الإمام في المدينة المنورة وبجوار الحرم النبوي ومعنا أيضًا الطيار علي المقصص والمرافق يحيى الكوكباني، وذهب بنا الوزير المفوض إلى فندق البحر الأحمر حيث تناولنا طعام الغداء وبعده ذهبنا إلى فندق الحرمين وهو من فنادق الدرجة الثانية ولكنه لم يجد غرفًا في غيره.

---

(١) مثل شعبي يمني يعرفه اليمنيون والحراف هو ضيق ذات اليد.

وفي المساء جاء القاضي يحيى اليدومي بسيارته ومعه والده والقاضي أحمد العمري وذهبنا معهم لرؤية مدينة الحجاج التي بنيت حديثًا لينزل فيها من يرغب من الحجاج بتكاليف مخفضة لا تتجاوز الأربعة جنيهات إسترليني وينزلها غالبًا القادمون عن طريق الجو. وفي صباح اليوم التالي اتصلنا بشولق وهو وكيل شركة البواخر اليمنية وأكدنا عليه ضرورة الاهتمام بسفر الحجاج بنظام ودون زحام وحذرناه من أي تجاوزات تحصل كما كان يحدث في الماضي، ووعد بأنه سيحرص على راحة الحجاج بكل ما يستطيع. وفي الثامنة بعد الظهر بالتوقيت الغروبي غادرنا على سيارة السفارة إلى مكة وهناك طفنا طواف القدوم وسعينا وصلينا المغرب، ثم تعرفنا على المحل الذي استأجرته المفوضية لإقامتنا في مكة، ثم عدنا لصلاة العشاء وعدنا للنوم في ذلك المحل الذي لم يكن على ما يرام، وفي الثامنة ليلًا -الثانية بعد منتصف الليل- كنا في الحرم الشريف ننتظر صلاة الفجر.

حجز الحجاج بسبب الضريبة

كانت قد جاءتني برقية من القاضي صالح أبو الرجال تقول أنه ومئات الحجاج اليمنيين الذين سافروا برًا على السيارات على طريق نجران قد احتجزوا هنالك وأن السلطات السعودية فرضت عليهم ضريبة ليس في مقدور معظمهم دفعها. وكانت المفوضية قد أشعرتني بأن الاتصالات بالمسئولين يجب أن تكون عن طريق المفوضية لتتصل بالخارجية فكلفت المفوضية بالاتصال ولكن الخارجية لم تعمل شيئًا، مما جعلني أتجاوز الأصول وأرفع برقية إلى الملك سعود وأخرى إلى الأمير فيصل رئيس الوزراء وولي العهد قلت فيها أن إقامة مثل هذه الحواجز وطلب ضريبة من حجاج فقراء وهم في غنى عنها إنما تعني الصد عن بيت الله الحرام وهم يعرفون ما فيه من وعيد. وجاء جواب الملك سعود يقول فيه أنه قد أمر الجهات المختصة بتسهيل سفر الحجاج وإعفائهم من الضريبة وأنه لا يعلم عنها شيئ. أما الأمير فيصل فقد أمر إلى أخيه أمير مكة متعب بن عبدالعزيز بطلبي إليه وإبلاغي بأنه قد أمر بتسهيل سفر الحجاج وأنه عاتب بعض عتاب لأني قلت

بأنهم يصدون عن البيت الحرام. وقد استدعاني الأمير إلى قصر الإمارة وكان لطيفًا في مقابلته وإبلاغ العتب، وقد اعتذرت له بأني لم أقل أنهم يصدون عن البيت الحرام وإنما قلت أن وضع مثل هذه الحواجز من قبل صغار الموظفين معناه الصد عن بيت الله الحرام.

زيارة الأستاذ السباعي

وقد تحدثنا مع الأمير عن وضع اليمنيين الذين يعملون في المملكة السعودية، وكان عدد كبير منهم في السجون لأنهم لا يحملون إقامة. وقد نصح الأمير بأن يكون لليمن وجود أكبر من المفوضية، وحبذا لو أن الإمام بعث أحد الأمراء ليمثله في المملكة، ثم لابد من فتح المجال للتبادل التجاري والسماح بتنقل التجار ورجال الأعمال بين المملكتين لأن العكس يسيء إلى العلاقات. وضرب مثلًا لذلك بحادثة الأستاذ أحمد السباعي، مؤلف تاريخ مكة وصاحب مجلة (عكاظ)، فقد ذهب إلى اليمن فاحتجز أيامًا في الحديدة ثم أعيد إلى جدة. وقال أنه كان لهذه الحادثة أثر سيئ جدًا لدى الشعب السعودي تأثر به وضع اليمنيين في العربية السعودية، ونصح باللقاء مع الأستاذ السباعي ومحاولة الاعتذار إليه. والتقينا بالأستاذ السباعي في دار شباب قريش وكان لطيفًا معنا جدًا، وقد شرح لنا قصته من ألفها إلى يائها وكان ما لاقاه في الحديدة يبسط له العذر في ثورته. وكانت الصحافة السعودية قد نشرت الحادثة وقالت فيما قالته أن المملكة تستضيف أكثر من نصف مليون يمني يعملون ويثرون ويمتصون خيرات البلاد بينما اليمن تضيق بعالم باحث هو شيخ الصحافة المتحررة، وتوسعت في المن والأذى على اليمنيين المقيمين في المملكة واستَعْدت الحكومة عليهم. وقد حاولت أن أعتذر له بأنه جاء في ظروف خاصة والإمام أحمد خارج البلاد وحالة البلاد كانت كما يعرف، ثم أن هذا التصرف قد يكون صادرًا من صغار الموظفين وله أن يتألم ويعتب ولكن ليس إلى حد الكتابة في الصحف وإثارة المشاعر ضد إخوانه اليمنيين الذين لا ذنب لهم، مع ما في ذلك من التسبب لسؤ العلاقات بين البلدين الشقيقين الجارين. ولم يقتنع وقال

لقد كنت في زيارتي لليمن وراء البحث عن كتاب في تاريخ مكة لبعض علماء آل عقيل الحضرميين، والذي أخبرني بعض الأفاضل من اليمنيين في القاهرة أنه يوجد في مكتبة صنعاء، وكنت رجوت النائب في الحديدة، وليس هو من صغار الموظفين كما تعرف، أن يسمح لي بزيارة صنعاء للبحث عن الكتاب ويرفقني بالحاج ناصر المحويتي الذي جعلوه جاسوسًا عليّ ولكنه لم يسمح. فقلت له إذًا أعطوني تأشيرة خروج لأعود إلى بلدي فرفضوا. وبعد أن غضبت غضبة مضرية أعطوني التأشيرة، وبالصدفة فقد وصلت جدة ورئيس الوزراء الأمير فيصل موجود فيها فذهبت من المطار إلى مقر رئاسة الوزراء وقابلت الأمير وشرحت له القصة كما وقعت وقلت له إن أكثر من نصف مليون يمني يعيشون في بلادنا كما نعيش وفوق ذلك يحتكرون الأعمال والأرزاق. وقد تأثر الأمير فيصل وأصدر عدة قرارات ضد اليمنيين تضرر منها كثيرون بأموالهم وأعمالهم، وكان الأمير فيصل متشددًا ضدهم بينما كان الملك سعود بجانبهم[1]. فقلت له أرأيت أنك قد كنت السبب في تعكير صفو العلاقات بين المملكتين وإنزال الضرر بالكثير من إخوانك اليمنيين، فقال يا أخي البادئ أظلم.

لقاء الشيخ بن باز

قمنا بزيارة مكتبة الحرم وحافظها العالم الجليل القاضي عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، وهو عالم ومؤلف كان يعمل مع الأدارسة ولما نكبوا غادر البلاد إلى الهند وهناك أصدر جريدة عربية إسلامية، وأخيرًا رجح أن يعيش مجاورًا فعهد إليه السعوديون بمحافظة مكتبة الحرم. وبالمصادفة وصل الشيخ العالم النجدي عبدالعزيز بن باز، وهو من كبار علماء نجد ويعتبر الرجل الثاني بعد المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ. ويقول العارفون أنه أوسع علمًا من المفتي ولكن قرابة

(١) وكانت في تلك الأيام قد بدأت الخلافات بين الملك وولي عهده تدب وقد تعقبها استقالة الأمير فيصل واعتزاله الحكم ولم يعد إليه إلا بعد أن أعطي من الصلاحيات ما مكنه فيما بعد من ارتقاء العرش ونفي أخيه الملك إلى الخارج.

المفتي من الشيخ المصلح محمد بن عبدالوهاب أهلته للفتوى، وقد جاء ليبحث عن مسألة تاريخية في تاريخ إبن كثير وكنت أنا مندمجًا في مذاكرة مع الشيخ عبدالرحمن المعلمي حول جواز نقل مقام إبراهيم إلى غير المحل الذي هو فيه لتوسيع المطاف وله رسالة في جواز ذلك. ولا أدري كيف عرف بن باز بوجودي ونادى يا شيخ عبدالرحمن، وظنناه يعني المعلمي فقام هذا إليه فقال إنما أعني الإرياني. وقمت إليه وصافحته وسألني عن الإخوان وهل الدعوة في اليمن نشطة، ويعني الدعوة إلى العقيدة الوهابية. وقبل أن أرد على سؤاله أخذ يسرد الأحاديث والآيات التي تدعوا إلى إخلاص التوحيد لله وحده ويقول إن الحجة تلزم كل عالم ومتعلم وعندكم أضرحة تعبد من دون الله. فقلت له إن مما لا ننكره أنه كان لعامة الناس عقائد بالأولياء والصالحين لا تبلغ إلى حد العبادة ومع هذا فإنها قد قلت الآن بفعل محاربة المتنورين لها. وذكرت له حادثة نقل جثمان إبن علوان من قبره إلى محل مجهول مما صرف الناس عن زيارته والتوسل به، فقال الحمد لله على أن الدعوة (الوهابية) منتشرة عندكم ولها دعاة. فقلت له الحقيقة أن الدعوة إلى إخلاص التوحيد وتنزيهه من شوائب الخرافات واجبة على جميع المسلمين، ولم يكن القائمون بذلك في اليمن متأثرين بالدعوة الوهابية ولا يوجد لدينا شيء من كتب الوهابية، وإنما تأثر الكثيرون بكتب مجتهدي اليمن وفيهم من عاش في القرن السابع قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقرون، وفي الأخير كان لكتب شيخ الإسلام الشوكاني والسيد المجتهد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني ثم كتب الشيخ محمد عبده المصري وتلميذه السيد رشيد رضا أثرها. فقال ولكن لاتنسى أن الأمير الصنعاني هو القائل (سلام على نجد ومن حل في نجد) فقلت له ولكني أود أن أذكر فضيلتكم أنه أيضًا القائل:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي   فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

فقال هذه القصيدة قالها بعض علماء الزيدية المنحرفين ولم تصح عن السيد الصنعاني. ووجدتني في ثياب الإحرام والله تعالى يقول: ولا جدال في الحج، فسكت، ولم أقل له إنها موجودة بخط ابنه العلاّمة السيد عبدالله بن محمد الأمير

ولا يمكن أن ينسب إلى أبيه ما ليس له. وقد خرج الشيخ بن باز من الموضوع بالسؤال عن الإمام أحمد وأتى بكلمة نابية فقلت له وما رأيكم في الملك سعود قال كلهم ملوك وأتى بكلمة أكثر نبواً وعقب ذلك بقوله ولكن الله يصلح أمور المسلمين وختم الحديث بدعوة لي إلى محل نزله للمذاكرة وشرب الشاي.

وفي اليوم التالي قمت مع القاضي عبدالله اليدومي والقاضي أحمد العمري بزيارة غار حراء وغار ثور وهما من المعالم الإسلامية التي تزار، فغار حراء كان محل تحنّث الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وغار ثور آواه مع صاحبه الصدّيق وهما في طريق هجرتهما إلى المدينة المنورة. وبعد الزيارة توجهنا إلى منى لنرى مضرب خيامنا فيها وزرنا مسجد الخيف كما زرنا المستشفى هنالك وقد التقينا بمديره الاندنوسي الأب اليمني الأم.

وفي يوم الأربعاء ٣٠ ذي القعدة ذهبنا لزيارة الشيخ العلاّمة عبدالعزيز بن باز، وهناك وجدنا عددًا كبيرًا من علماء نجد وكانت المذاكرات معهم حول التوحيد، وهو أول ما يذاكرك فيه النجدي، ويكون قد استظهر كل الأدلة. ومع اتفاقنا معهم على وجوب إخلاص التوحيد إلا أننا نؤاخذهم على احتكارهم لأحقية الإتصاف بالمسلم الحق والكلام على التوحيد وكأنه شيء اكتشفوه فلا يحق لأحد غيرهم أن يكون له رأي، ولو كان مؤيدًا لهم، ما لم يكن ذلك آخذًا عنهم وعن الشيخ محمد عبدالوهاب، ثم جزمهم بكفر من سواهم من المسلمين. وقد نعتوا اليمنيين وبالخاصة الزيدية بعبّاد الأضرحة والكفرة والمشركين إلى آخر القائمة المعروفة بحيث لم أجد بدًا من أن أقول لأحدهم وقد أحتد أكثر من اللازم مذكرًا (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج). وقد خجل الرجل وأسكته شيخه إبن باز ولكنا مع ذلك تواعدنا اللقاء بعد انقضاء أيام الحج لنعيد الكرة ويقولون ونقول، ولكنا لم نرهم بعد ذلك.

زيارة الملك سعود

وفي يوم الخميس غرة ذي الحجة جاءنا أن نحو ألف حاج في الطائف بدون جوازات وهم من العاملين في السعودية فطلبت إلى المفوضية أن تعطيهم جوازات

مرور لأداء فريضة الحج ثم ينظر في شأنهم بعد ذلك وقد تم ذلك. وفي هذا اليوم وصل الملك سعود إلى جدة، وفي العاشرة بعد الظهر وصل إلى مكة فطاف وسعى ماشيًا ورفعت برقية لتهنئته بالقدوم وطلبت موعدًا للمقابلة لتسليم الرسالة التي أحملها. وقد تناولنا الغداء لدى الأخوين محمد وعبدالرحمن المعلمي، ثم صعدنا إلى الجبل لنرى مضارب خيامنا. وصعدنا إلى جبل الرحمة وكان ذلك قبيل يوم الوقوف بأيام والجبل خال واستطعنا أن نتعرف على الجبل فرأينا بطن عرفة ومسجد نمرة والمشعر الحرام، وعدنا لصلاة المغرب في الحرم وهناك جاءني جواب الملك سعود يحدد المقابلة بالثالثة صباح يوم السبت في القصر بجدة.

وفي الموعد المحدد اتجهت مع الوزير المفوض إلى القصر وقابلنا على الباب أحد موظفي التشريفات وساقنا إلى صالون كبير فيه أناس كثيرون ينتظرون الإذن. وبعد خمس دقائق جاءنا التشريفاتي علي جميل بسجل التشريفات فسجلنا ووقعنا وجاء بعد خمس دقائق أخرى يدعونا إلى الملك ودخلنا صالة الاستقبال التي طولها ثمانون خطوة، أي ما يقرب من أربعين مترًا، وقابلنا الملك مقابلة حسنة وأخبرنا أنها جاءته برقية من الإمام يخبره فيها أنه أجرى عملية وأنها نجحت. وسلمت إليه الرسالة وخرجت عائدًا إلى مكة.

مشكلة البواخر اليمنية

وفي مساء الأحد جاءنا وكيل شولق يقول إن الباخرة تعز وصلت ميناء جدة وأنهم منعوا الحجاج من النزول، وعددهم يفوق على الألف، محتجين بأن الباخرة في القائمة السوداء لتعاملها مع إسرائيل. فقلت ولكن كيف جاز أن يحملوا الحجاج على باخرة مقاطعة لتعاملها مع إسرائيل، وصبّيت جام غضبي على الجبلي والوجيه المشرفين على هذه السفن ونسيت أنا الآخر فلا رفث.. الخ. وكلفت المفوضية بالاتصال لحل الإشكال، وفعلوا فلم يستجب لهم أحد. وبعد أن كانوا ينصحون بأن يكون الاتصال عن طريقهم أصبحوا يترجون أن أقوم أنا من جانبي بالاتصال فلم أجد بدًا من ذلك فأحوال الحجاج قد ساءت وهم يتعرضون

في سطح الباخرة لشمس جدة الكاوية وهم مع ذلك لا يجدون المأكل والمشرب، وقد أبت الحكومة السعودية أن تسمح لشولق بمدهم بالماء والطعام. ورفعت إلى الملك سعود برقية شديدة اللهجة مؤيّدة بالآيات والأحاديث ومختومة بالاسترحام للحجاج. وفي يوم الأحد عدنا من مكة إلى جدة للنظر في مشكلة الحجاج وذهبنا مع شولق إلى المفوضية فإذا بهم لم يفعلوا شيئًا أكثر من الاتصال بالخارجية التي وعدتهم بالاتصال بالأمير فيصل صاحب الحل والعقد. وقال الوزير المفوض لابد من تدخلكم فقلت له لقد فعلت. وتوجهنا معًا إلى الميناء لنجد الباخرة قد أبعدت إلى خارج المياه الإقليمية للمملكة وأزعجنا جدًا أنهم قد منعوا عنهم التموين ودفعنا ذلك إلى التحرك فذهبنا إلى مدير الجوازات ثم إلى مدير إدارة الحج ثم إلى المدير العام عادل كردي فوعدوا بمراجعة الجهات العليا. وقال عادل كردي نأمل أن ينزل الحجاج بعد نصف ساعة فشكرناه وذهبنا لانتظار الوفاء بالوعد. ومرت الساعات ولم يتم شيء، فذهبنا إلى مقابلة أحمد عبدالجبار سكرتير الأمير فيصل الذي قيل لنا أن بيده الحل، وذهبنا إلى المكتب فلم نجده وقيل لنا أنه في بيته فاتجهنا إلى هنالك وسألنا الخادم وكان يمنيًا، ويبدو أنها تغلبت عليه العاطفة، فقال لنا تفضلوا قبل أن يؤاذن الرجل فكان دخولنا أشبه بكبسة تمعّر لها وجهه، فقلت له عفوًا إذا كنا قد أزعجناك ولكن الأمر يتعلق بمصير ألف حاج يمني عليهم ثياب الإحرام ترتفع أصواتهم بلبيك اللهم لبيك. فقال إنكم تعرفون أن الحكومة مكرهة على هذا الإجراء لأنها ملتزمة بقرارات مكتب المقاطعة. فقلنا له أعرف ذلك ولكن الأمر بالنسبة إلى الحجاج يختلف فهم أولًا لا ذنب لهم، ثم أنهم معرضون لضربات الشمس الحارة وليس لديهم تموين فالدين يحتم عليكم إنزالهم والإنسانية أيضًا تفرض عليكم إغاثتهم بالماء والطعام. فأحجم الرجل وقال أنا في الحقيقة موظف بسيط وقد حجزت حقائبي للسفر إلى بيروت والأحسن أن تتصلوا بسمو ولي العهد شخصيًا فبيده حل المشكلة ويمكنكم أن تذهبوا الآن إلى النيابة وستجدون زميلي صالح عباد. وذهبنا إلى النيابة واتصلنا بصالح عباد فأعتذر بنفس العذر، فقلنا له إذًا اطلب لنا مقابلة الأمير فوعد بذلك وزعم أن أوقات الأمير مزحومة ولا

يتم ذلك إلا يوم الاثنين. فقلنا له تعني بعد أن يموت الحجاج عطشًا وجوعًا هذا هو كل ما تريدونه، فتأثر الرجل وقال سأبذل جهدي، وعدت إلى مكة.

وفي الموعد عدت إلى جدة فلم نجد في المفوضية ما يشعر بتحديد الموعد بل وجدت برقية استغاثة من الحجاج يطلبون فيها الطعام والماء، فتأثرت لذلك بالغ التأثر ورفعت برقيتين للملك والأمير كان فيهما من الشدة ما اعتبراه متجاوزًا لحدود اللياقة في مخاطبة الملوك ولكنهما لم يجدا بدًا من تحمله لأنه كله مناشدة بالإسلام الذي يدّعون أنهم حماته، وسرد للآيات والأحاديث وكنت قد قلت في البرقيتين ونحن نجلكم عن أن تكونوا من الذين إذا قيل لهم اتق الله أخذته العزة بالإثم. وانتظرنا النتيجة، ولكن وزارة الداخلية قالت أن الأوامر تأكدت بعدم نزول الحجاج. وكان الوزير المفوض قد اتصل بالخارجية فأجابوا عليه وهل حكومتكم ملتزمة بمقاطعة إسرائيل فأجاب طبعًا، فقالوا له فكيف تحمل حجاجها على باخرة مقاطعة. فقلت للوزير أنه لم يبق الآن إلا أن أعود إلى مكة وأجمع الحجاج اليمنيين وهم عشرات الألوف وننزل بهم في مظاهرة إلى باب قصر الملك، مظاهرة هادئة تقتصر على التلبية والتكبير حتى يتنبه الملك لمشكلة إخوانهم. قلت ذلك وخرجت، ولكن الوزير المفوض فزع من الفكرة وتبعني يرجوني عدم التسرع وعرض أن نجرب الاتصال بصالح عباد سكرتير الأمير فيصل، فقلت له لا فائدة بعد كل ما حصل من التسويف والمماطلة ولو كان على الباخرة من التموين ما يكفيها لفضلنا عودتها بالحجاج إلى اليمن فلعل ذلك يحرك من ضمائر أولئك الذين يستغلون الحجاج ويحملونهم على بواخر مقاطعة. وصممت على العودة إلى مكة، وكان الحجاج اليمنيون يرقبون الأحداث ولما بلغهم التصميم على عدم إنزال الحجاج تجمعوا في الحرم في حلقات يتلون سورة يس بأصوات مرتفعة ويلبون ويكبرون. وجاء الناس وجاءت الشرطة تسأل فقالوا الحكومة منعت حجاجنا من الدخول إلى بيت الله الحرام. وتبعني الوزير المفوض إلى مكة وقال أنه قد اتصل صالح عباد بالمفوضية وطلب التحدث إلي، وأسرعت مع الوزير إلى جدة واتصلنا بعباد فقال إن سمو الأمير أمرني أن أبلغكم أنه قد أمر بنزول الحجاج الذين على الباخرة تعز فشكرته وطلبت مقابلة الأمير لتقديم الشكر. وكان الغرض هو إنهاء مشكلة الباخرة

الثانية (ظفار) التي وصلت وعليها أكثر من ألفى حاج وهي الأخرى مقاطعة، فوعد الرجل بإبلاغ الأمير والاتصال بنا. وطلبنا شولق وطلبنا منه أن يحاول حل مشكلة ظفار قبل وصولها بإرسال باخرة من بواخر باخشب السعودية إلى عرض البحر لتنقل الحجاج إليها وعليها يصلون إلى الميناء فأعتذر بأنه لم يبق ذلك في الإمكان فالباخرة قد أصبحت على بعد أميال من الميناء. وجاء الفرج باتصال صالح عباد يبلغنا أن الأمير فيصل حدد الساعة السادسة لمقابلتي فقلت للوزير المفوض ستتحل مشكلة ظفار أيضا إن شاء الله، فقال أنا لا أنصح أبدًا بأن تتكلموا بشأنها ودعوها تعود إلى اليمن فالأمير عنيد وقد يرجع عن السماح لتعز أيضًا لأنهم سيفسرون ذلك بالتحدي فالمشكلة أكثر تعقيدًا. وأصر على رأيه، وقلت له لابد أن أتحدث مع الأمير عن الباخرتين كمشكلة واحدة ومن رأيي أنه إما أن ينزل حجاج الباخرتين أو يعودون جميعًا من حيث أتوا، وكان عندي أمل أني لابد وأن أنجح بالإقناع بسلامة الطلب.

مقابلة الأمير فيصل

وذهبت إلى ما يسمى بالنيابة أي سكرتارية رئيس الوزراء، وعند الباب تلقاني أحد موظفي التشريفات وتقدمني إلى صالة الانتظار. وانتظرت بعض الوقت حتى جاء آخر يدعوني إلى الأمير. ودخلت عليه فتلقاني بلطف زائد وقلت لقد كنت أود أن أحظى بمقابلة سموكم بشأن حجاج الباخرة تعز ولكن حكمتكم كانت أسرع فجئت زائرًا وشاكرًا وطالبًا المزيد. فقال نعم قد أمرنا بإنزال الحجاج الذين على الباخرة تعز إكرامًا لجلالة الإمام وإعزازًا لإخواننا اليمنيين. فقلت له يا صاحب السمو ولكنهما باخرتان لا باخرة واحدة وكلتاهما في ما يسمى بالقائمة السوداء. فبدا على وجهه التمعر والغضب وقال والله (يا أخونا) إنكم تتعمدون إحراجنا أمام العالم العربي، ونحن قد أبلغنا صاحب الباخرة وجاء جوابه بأنه تبلّغ فكيف حصل هذا. فقلت له لقد حاول قبطان الباخرة العودة بهم ولكنهم رفضوا وأصروا على التلبية والوصول إلى الميناء ولهم أمل كبير أنكم وحكومتكم الحكومة التي تتزعم حماية الإسلام لا يمكن أن تعيدوهم من أبواب الحرم وتصدوهم عن أداء

الفريضة، ونظرًا إلى أن التهمة باطلة لا أساس لها واعتمادًا على الصداقة الأكيدة بين صاحبي الجلالة الملك والإمام. فقال والله يا حضرة الأخ الصداقة مالها دخل ونحن نجري هذه الإجراءات مكرهين، والمسألة تضرنا فيها الدعاية وتضركم أكثر منا، ونحن ملزمون من الجامعة باعتماد أوامر مكتب المقاطعة وليس لنا أن نبحث عن صحة التهمه، وقد نشارككم الاعتقاد بتلفيق التهمه ولكن ما قيمة هذا الاعتقاد حينما تقول الدعاية إننا نأبى مقاطعة إسرائيل. فقلت له وأنا من جهتي لا أريد أن أدافع عن الباخرتين ولكني أستعطف للحجاج الذين لا ذنب لهم وهم الآن يصلون حر الشمس على ظهر الباخرة وأنتم تعرفون الشريعة الإسلامية والشريعة توجب عليكم إنزال الحجاج وتحرم عليكم صدهم عن المسجد الحرام الذي يستوي فيه العاكف والباد، والعقل والإنسانية يفرضان عليكم إنقاذهم من موت محقق، وقد منعنا عن الاتصال بهم وإغاثتهم بالماء والطعام أو حتى إرسال برقية جوابية إليهم. واستمع إلى كلامي إلى آخره وبدا عليه أنه لم يحر جوابا. وتكلف وقال ولكن ماذا ستقول الجامعة والمغرضون إذا تصرفنا هذا التصرف فقلت له إنه تصرف سليم يحمل حجته ومبرراته إذ ليس من المعقول أن يعاد الحجاج من أبواب الحرم وليس لديهم ما يكفيهم لعودتهم فيموتون في الطرق. إن الشرع والعقل والإنسانية تفرض إنزالهم وإغاثتهم حتى لو فرضنا أنهم جاءوكم على باخرة إسرائيلية. فقال إذًا إكراما لإخواننا اليمنيين سنتحمل كل دعاية مغرضة، وأمر سكرتيره بأن يأمر جهات الإختصاص بإنزال الحجاج لأننا قد قبلنا شفاعة الشيخ الإرياني، فشكرته على ذلك.

جرنا الحديث إلى الكلام عن اليمنيين المقيمين في المملكة وما يعانونه من اضطهاد ومضايقات، فقال إن بعض الصحف اليمنية كتبت كتبًا مفتوحة إلى الملك سعود بشأن مضايقة اليمنيين وفيها تحامل على المملكة، وأنه حرص على أن لا يطّلع عليها الملك سعود صونًا للعلاقة بين البلدين. فقلت له إن هذه الكتب كتبت في صحف عدنية ولأناس مقيمين في عدن، فقال ونحن نعتبر عدن يمنية. فقلت هي كذلك ولكن مع ملاحظة أنها لا تزال مستعمرة إنكليزية وليس لحكومة اليمن عليها

سلطان، وكثيرًا ما تنشر ضد حكومة اليمن وضد الإمام نفسه، ولا يخفى عليكم أنها نشرت عن مؤامرة سعودية أمريكية ضد اليمن ونشرت عن الحشود السعودية في حدود اليمن وغير ذلك مما نعلم جميعًا أنه غير صحيح وإنما الغرض منه إيجاد الوحشة وتعكير صفو العلاقات. فقال ذلك لا يخفى علينا ولهذا لم نعرض ما كتَبَته على جلالة الملك. وطرق موضوع الأستاذ السباعي وقلت له إني قد التقيت به واعتذرت له، والحادثة كما تعلمون سموكم حادثة فردية لا يمكن أن تسيء إلى العلاقات وتكون ردود فعلها إصدار ما أصدرتموه ضد مئات الآلاف من اليمنيين الذين إذا كانوا يستفيدون من العمل في المملكة فإن على أكتافهم قام ما قام في المملكة من بواكير الحضارة والتقدم، فقال هذا صحيح وإن كنت أود أن الفت نظر الأخ إلى أن في إمكان المملكة أن تستورد عمالاً من باكستان والهند وغيرهما ولكننا لا نفتح لهم المجال إيثارًا لإخواننا اليمنيين. فقلت ذلك حق الجوار الذي أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأنتم دائمًا تصدرون وتوردون من وحي تعاليمه، فقال الحمد لله. واستأذنت وخرجت بعد أن رجوت أن أتمكن من المقابلة مرة أخرى بعد الحج على أن تكون مقابلة خاصة فوعد بذلك.

متابعة أمور الحج والحجاج

وعدت إلى المفوضية مسرورًا بالنجاح في إنقاذ الحجاج ولم يكد الوزير المفوض يصدق حينما قلت له لقد نجحنا في استصدار أمر بإنزال حجاج (ظفار) أيضًا، فقال لقد كنت أعده من المستحيل لأني أعرف عناد الأمير وقد قيض الله وجودكم لإنقاذهم. تناولنا طعام الغداء في فندق قصر الكندرة وعدنا إلى مكة. وفي يوم الثلاثاء بقينا فيها ولم نغادرها إلا في العاشرة، أي الرابعة بعد الظهر، إلى الجبل حيث نصبنا هناك الخيمة على مقربة من بركة الشريف، وفي سفح تلة صغيرة يسمونها تجوزًا جبل الزيود. وقد وجدنا هناك الكثير من اليمنيين الذين نصبوا الخيمة بسرعة ورفعوا العلم باعتزاز، وهم من الحدا وعيال سريح وجبل عيال يزيد وغيرهم من المقيمين في المملكة. وصلينا المغرب في الجبل وعدنا إلى مكة، وكان

اليدومي والمترب، موظفي المفوضية، قد بحثوا عني كثيرًا لإبلاغي دعوة الملك إلى تناول طعام العشاء على مائدته، وهي حفلة تقليدية يدعى إليها العديد من أمراء الحجاج واعيان المسلمين وعلمائهم. وقد حاولا معي أن أذهب في تلك الساعة فرفضت لأن الدعوة تنص على الحضور عقب صلاة المغرب وليس من الطبيعي أن أذهب وقد كادوا ينتهون من تناول الطعام، وسوف نعتذر. وجاء الوزير المفوض الذي حضر الحفل مع الممثلين الدبلوماسيين العرب والمسلمين وقال إن الأمير فيصل سأل عني فأعتذر له بأن الدعوة لم تصلني فأغناني ذلك عن الاعتذار.

يوم الأربعاء ١٣٧٩/١٢/٧هـ (١٩٦٠/٦/١م) قضيناه في الحرم الشريف وزرنا مكتبة الثقافة وهناك تعرفنا على محمود القاضي العراقي البغدادي صاحب مؤلف (القومية عقيدة ومبدأ) وهو يغلف نسختين منه ليهديهما إلى الملك سعود والأمير فيصل. ورأيت عنوان الكتاب وقلت له ولكن ما هكذا يقول زعيمكم الأوحد، أعني عبدالكريم قاسم، فقال نعم ما هكذا ولكنّا نحن هكذا نقول. وقال إنه قد أُعتقل بسبب كتابه هذا وعُذّب وأنه لن يفتأ يعمل حتى ينتهي الشيوعيون من العراق. وقال إن الرئيس العراقي لم يزل ينساق وراء الشيوعيين ولم يعتدل إلا تحت ضغط القوميين، وأنه أصبح لا يبارح وزارة الدفاع، وإذا غادرها فتحت حراسة مشددة، ومع ذلك لا يجد من يرفع له يده بالتحية. وسألته ولمن تهدي النسختين، فقال للملك والأمير. فقلت له ولكنهما ينهجان الدعوة الإسلامية ويريان أن القومية تجافي هذا المنهج، فقال ولكنهم عرب على كل حال.

وفي آخر نهار الخميس وهو يوم التروية غادرنا مكة إلى منى وبتنا فيها. وبعد الفجر اتجهنا إلى عرفات وأمينا الخيمة التي كانت قد نصبت لنا بجانب بركة الشريف، وفي سفح جبل الزيود. وهرع إلينا اليمنيون، منهم من يشكو ومنهم من يطلب مرورًا لأن جوازه ضاع. وقد التفوا حول علم بلادهم، وبدا لهم أنه غير مرتفع بالقدر الكافي فذهبوا واشتروا خشبة طويلة مما يجلبه البدو ورفعوه عليها بحيث أصبح يرى من كل أنحاء الجبل، وكان بعضهم يقبله، ومن شأن اليمنيين أنهم إذا كانوا في المهاجر يتجلى فيهم الحماس البالغ لبلادهم. وقد أمطرونا بالأسئلة

فنصّبنا الحاج ناصر المحويتي للفتوى وقد ظل معهم طيلة يومه، وهو لكثرة تردده على أداء الحج قد أصبح فقيهًا في أحكامه. وبعد العاشرة قوضّنا خيامنا ونفرنا ولم نخرج من الجبل إلا بعد الغروب. وكان التزاحم في الطريق فوق الوصف، وحسبك أنّا لم نصل مزدلفة التي تبعد عن الجبل بضع دقائق بالسيارة إلا بنحو ثلاث ساعات ونصف، ولم تكن الطرق آنئذ قد اتسعت وتعددت. بتنا في مزدلفة وفيها صلينا العشائين جمعًا وقصرًا، ومنها قمنا بعد أن صلينا صلاة الفجر وبنفس الزحام والسير البطيء، وقد اضطرينا إلى ترك السيارة والمشي على الاقدام. وقد وصلنا منى ورمينا الجمرة الكبرى ثم عدنا إلى الخيمة للراحة، ثم خرجنا إلى مسجد الخيف لصلاة العيد وعدنا بعدها إلى الخيمة لنجد أن السيارة وعليها القاضي عبدالله اليدومي قد وصلت. وقد انفرد عنا القاضي أحمد العمري وعلي اليدومي ومن معهما، وكانوا قد حجزوا مع شركة الخدمات للحجاج ودفع كل واحد منهم مائة وخمسة وعشرين ريالًا عربيًا نظير أن يجدوا الخيمة والخدمة والطعام، ولكنهم لم يجدوا شيئًا من ذلك، وكم لهم من أمثال يذهبون ضحية هذه الشركات المستغلة التي لا تجد من يعاقبها على سوء معاملتها للحجاج. وفي العاشرة بعد الظهر نزلنا إلى مكة حيث طفنا طواف الإفاضة وهناك وجدنا الأخوان المغرر بهما العمري واليدومي واستضفناهما لدينا.

وفي يوم الأحد ١٢/١١ زرنا الملك سعود. وقد ذهبت أنا والوزير المفوض وانتظرنا في صالة الانتظار كثيرًا. ودُعي كثيرون من الممثلين الأجانب ورؤساء الحجاج وجاء بعض الضباط المصريين ببزاتهم العسكرية وقد دعوا فور وصولهم. وغضِب الشروق، أي البدو النجديون، فدخلوا على الملك بدون إذن وسمعناهم يحتجون لدخول المصريين قبلهم. وهممنا نحن أن ننسحب فتبعنا أحد موظفي التشريفات يعتذر ويقول البدو لخبطوا الترتيب فقلنا له ليس هناك إلا الترتيب العكسي فالذي يأتي آخرًا يدخل أولًا، ونحن لم نأت لنشحت وإنما جئنا للتحية التقليدية لجلالة الملك. واعتذر مكررًا ورجاني الوزير المفوض الاقتصار على ما قلته من العتب. ودخلنا على الملك فأحسن استقبالنا وأملى علينا حديثًا (إن الله



القاضي عبدالرحمن الإرياني وعلى يمينه الحاج يحيى الكوكباني
وعلى يساره القاضي عبدالله اليدومي، والحاج ناصر المحويتي.

أخذت في حج سنة 1379هـ الموافق مايو 1960م

لا ينظر إلى صوركم.. الخ) وباهى بكثرة عدد الحجاج وأن ذلك نتيجة ما يلاقيه الحجاج من حسن الخدمة. وهممت أن أشرح له حسن الخدمة التي لاقاها إخواننا العمري واليدومي الذين ابتزوا أموالهما ثم لم يريا لأحد منهم وجهًا، ولكني عدلت عن ذلك وقلت له إن المصادفة وحدها هي سبب ارتفاع عدد الواقفين لوقوع الوقوف في يوم الجمعة والناس كما تعرفون يعتقدون أن لها فضلًا على غيرها. خرجنا من صالون الملك إلى سرادق الأمير فيصل، وكان في مخيم كبير مفروش بالسجاد الثمين. وقد تكلم بدوره عن كثرة عدد الحجاج في هذا العام الذي بلغ هذه السنة سبعمائة ألف وخمسين ألفًا ولكنه لم يعز هذه الكثرة إلى تحسن الخدمات.

عدنا إلى الخيمة نقاسي شدة الحر ولم ننزل إلى الحرم لضغط المرور وشدة زحام السيارات، لقد كانت مسافة الربع الساعة تكلف ثلاث ساعات وكان الكثيرون يتركون السيارات ويمشون على الأقدام اختصارًا للوقت، وقد ذهبنا بعد العصر لرمي الجمار. وفي يوم الاثنين بقينا في منى على أمل أن نتمكن من رمي الجمار وننزل النزول الأخير وذلك أسلم من النزول ثم العودة للرمي، وقد نزلنا إلى مكة بعد الغروب. وفي اليوم التالي جاءنا عدد من الحجاج يشكون أن الشرطة اختطفوا عددًا من الحجاج وأودعوهم السجن. ودفعني ذلك إلى زيارة مدير الأمن العام سليمان الجارود الذي أحسن استقبالي. ورجوته أن يسمح لي بزيارة السجون لمعرفة من فيها من الحجاج لمعرفة أسباب حبسهم وحل مشاكلهم، وشكوت له ما يقاسونه من غلظة الشرطة وتسرعهم في القبض على حجاج ليس لهم أي ذنب. وذكرنا له على سبيل المثال قضية حاجّين أحدهما رآه الشرطة ينظر في نطاقه ليفتش عن نقوده في الكمر فزعموا أنه حرامي أي لص وقبضوا عليه وأخذوا مامعه وسجنوه. وآخر أراد أن يشرب من زمزم فسقطت عليه ورقة فزعم الشرطة أنه أراد أن يضع سمًا في زمزم لتسميم الحجاج وضربوه وسجنوه، وآخر رآه شرطي يشتري كبشًا للهدي في منى ومعه مائتا ريال وخمسون ريالًا فزعم الشرطي أنه لص وأخذ ما معه وساقه إلى السجن وسلّم إلى الإدارة ثمانين ريالًا وأخذ الباقي لنفسه، فهل هذه المعاملة هي التي عناها جلالة الملك حينما قال أن حسن

الخدمات هي التي رفعت بأعداد الحجاج في هذا العام. فقال نحن لا نستطيع أن نضمن صلاح جميع الشرطة ولكنا نعاقب من تحقق اعتسافه. وأما عن المساجين اليمنيين فهم ثلاثة أقسام قسم مجهول الهوية والبعض يسجنون في حقوق خاصة والبعض في حقوق عامة وهذان القسمان أمرهم عائد إلى الشرع. فقلنا له لماذا لا تسلمون مجهولي الهوية إلى المفوضية أو تسفرونهم إلى حدود بلادهم، وأما الحقوق العامة والخاصة فهؤلاء حجاج لم يمر عليهم أسبوع من الزمن وليس عليهم حقوق عامة ولا خاصة وإنما افتعل الشرطة لهم ذنوبًا ليبتزوا أموالهم ويسجنوهم دون أن يجروا معهم التحقيق، فأين هي العدالة وأين هي الشريعة الإسلامية التي هي دستوركم والتي تحرم دم المسلم وعرضه وماله. فقال هوّن عليك فهؤلاء سيخلى سبيلهم حالما يجرى عليهم التحقيق وتثبت براءتهم وإكرامًا لك سأبذل الجهد في حل مشاكل إخواننا اليمنيين وأوليهم عناية خاصة فشكرته وخرجت.

وفي يوم الأربعاء اعتمرنا وغادرنا مكة يوم الخميس إلى جدة، ولم نجد غرفة واحدة في أي فندق فعدلنا إلى استئجار شقة كبيرة. وجاء شولق بالفراش وقبل أن نستقر فيها وصل بعض الحجاج يشكون أن الشرطة قد ضربوهم ضربًا مبرحًا وأعادوا كل من كان في يده مرور، وجاء معهم أحد الإخوان العدنيين يشرح ما جرى لهم ويبكي تأثرًا وغِيرة. وذهبنا لتونا إلى الميناء فوجدنا الباخرة قد أقلعت وسألنا عن الشرطة فدلونا على خفر السواحل. ودخلنا عليهم وأحتجينا على قائدهم احتجاجًا شديدًا وقلنا له تتهمون الحجاج باللصوصية وأنتم اللصوص الذين يبتزوا أموال الناس، فقال المدير إننا لانعرف شيئًا عما ذكرت والذين يشرفون على سفر الحجاج هم شرطه الجوازات. وذهبنا إلى هؤلاء وأوسعناهم عتبًا وتأنيبًا وهددناهم بالرفع إلى الملك والأمير، وهم الذين يعرفون أن هؤلاء الحجاج هم إخوانهم في الدين وحجاج بيت الله الحرام ولهم حكومة تحميهم وليسوا هملًا أو أنعامًا حتى يعاملوا بهذه الوحشية. وابلسوا أولًا ثم جمع الضابط شتات فكره وقال الحقيقة أنه قد حصل شيء من ذلك وسببه أن إخواننا اليمنيين لا يطلعون إلى الباخرة على نظام بل يركب بعضهم بعضا. فقلت له إن ذلك لا يبيح لكم هذا الضرب

المبرح بل يكفي الدفع الخفيف، فقال على كل حال نحن نأسف لما حدث ونعدكم أنه لن يتكرر، ونرجو أن تحضر سعادتكم غدًا للإشراف على ترحيلهم، وأما من أعدناهم ممن بأيديهم مرور فذلك عن أمر مدير الجوازات. وذهبنا إلى علي مختار مدير الجوازات وسألته عن سبب عدم اعتبار المرور الصادر عن المفوضية اليمنية للحجاج فقال إنّا كشفنا أن المفوضية تعطي مرورات لغير الحجاج لهذا العام ممن عليهم ضريبة دخل وأدب مخالفات فيخفون جوازاتهم ويعرضون المرور ليتهربوا من الالتزامات التي يفرضها عليهم القانون، فهل تريدوننا أن نتلاعب بالقانون لأجلكم. فقلت لهم لا نريد أن تتلاعبوا بالقانون فنحن نحترمه ولو كان من صنع الإنسان وفي حكومة تقول أنها تحكّم الشريعة الإسلامية في دقيق أمورها وجليلها، وضد حجاج بيت الله الحرام، ولكن نريدكم أن تعاملوهم معاملة إنسانية. فأخرج عددًا من الجوازات زاعمًا أنه كان يحملها من بأيديهم مرور، فقلت له ولكن تأخير الحجاج لمجرد احتمال لا يجوزه الشرع الذي ندين به جميعًا وهو مما يسيء إلى سمعة المملكة. وخرجت وأنا عازم على الاتصال بالأمير فيصل وطرح الموضوع عليه، ولكنه كفانا ذلك أن شولقا وأبا خشب صاحبا البواخر التي تحمل الحجاج اتصلوا بالموظفين بالجوازات وأعطوهم (حق إبن هادي) الرشوة فقبلوا كل المرورات. وقد اكتشفنا أن كل شيء في الحكومة يعتمد على الرشوة وأن أوامر الملك والأمير لا يُعطَيان صفة الجدية ويصبحان نافذي المفعول إلا إذا أسندتها الرشوة. فالرشوة والفساد منتشران في جميع الدوائر بدون استثناء، وكثيرًا ما يضيع الحق في طيات أهواء الموظفين المستغلين، وكم نتمنى أن تكون الدوائر المختصة بشئون الحجاج نظيفة[١].

وجاءنا الحجاج يشكون أن رجلًا يدعى يوسف الناغي وهو صاحب مكتب سفريات قد غرر بنحو ألف حاج يمني وزعم لهم أنه سيرحّلهم إلى بلادهم على بواخر باخشب بالسرعة المطلوبة، وأخذ منهم أجرة الباخرة وأعطاهم تذاكر مزورة ثم اختفى ولم يعرفوا أين ذهب. واتصلنا بالشرطة فقالوا إنه رجل نصاب

(١) ونأمل أن تكون الأحوال قد تغيرت بعد أن مرّ ما يقرب من سبع عشرة، وبعد أن أسبغ الله على المملكة من نعمه النفطية ما يغني شعبها وموظفيها عن ابتزاز أموال الحجاج بمختلف الوسائل.

وسيلاحقونه، فقلنا لهم ولكن كيف تسمح الحكومة لنصاب بفتح مكتب سفريات ليغرر بالحجاج ويأخذ أموالهم ويعطيهم تذاكر غير معتبرة. وظللنا نتصل بجهات الاختصاص فلم تعمل شيئًا. وأبرقت للملك سعود وجاء جوابه سريعًا بأنه قد طلب إلى الأمير فيصل بضبط الناغي للوفاء بتعهداته. ولم يعد شيء من الأمير فيصل وظلت المسألة أكثر من خمسة أيام مع أنها في غاية الوضوح. وعزمت على مقابلة الأمير فيصل، واتصلت بصالح عباد وقلت له إني على موعد مع الأمير باللقاء الخاص. وجاء الرد بتحديد موعد للمقابلة في العاشرة والنصف بعد الظهر.

اللقاء الخاص مع الأمير فيصل

وذهبت في الموعد المحدد وتلقاني أحد موظفي التشريفات، وبقيت معه في حديث حتى جاء الأمير متأخرًا حوالي ربع ساعة على الموعد، وقد أعتذر ساعة وصوله لأنه كان لدى جلالة الملك فلم يتمكن من ترك الجلسة في الوقت المحدد. وقد علمت فيما بعد أنهم كانوا فيما يسمى بمجلس الأسرة بغية الوصول إلى رأي يوفق بين وجهات النظر المختلفة. وكانت إذاعة لندن قد تحدثت عن خلاف بين الملك وولي عهده.

كان الأخ القاضي محمد عبدالله العمري رحمه الله قد قال لي، قبل سفري إلى المملكة، إذا خطر لكم أن تتحدثوا مع المسئولين في السعودية عن أحوال اليمن فلا تتكلموا مع غير الأمير فيصل فإنه رصين، وإذا لم يوافقكم على رأيكم فلن ينمّ بكم، وإياكم أن تتكلموا مع الملك سعود فقد سبق له تبليغ الإمام عن الأستاذ نعمان والسيد أحمد زبارة. وتذكرت كلام القاضي العمري وأنا مع الأمير منفردين، وطرقت الموضوع معه مبتدءًا بما يجري في الجنوب من إقامة دولة تجمع الإمارات والمشيخات، وانتقلت إلى شرح سوء الأوضاع في اليمن وما ينتظر لهذا البلد من تغيرات وما ينتظر من المملكة من الوقوف الموقف الذي يوجبه الدين والجوار. وفهم مرادي وقال المملكة مع اليمن ويهمها أمرها ونحن ننصح أن يعمل المخلصون لسيف الإسلام الحسن، أما البدر فهو مصري شيوعي ونحن نخاف على اليمن من اشتراكية مصر التي نعتبرها لا تختلف عن الشيوعية فكلاهما حرب على الدين، ونخشى من الاتحاد المعقود مع مصر. فقلت له وما يخيفكم وقد خلق ميتًا ولا يزال

حبرًا على ورق، فقال ولكن لا تنسى أن في إمكان البدر هذا الأمير الأحمر أن يستند إليه ويطلب المساندة من مصر فيجر عليكم الوبال. وغنمت فرصة ما أبداه من تخوف من مصر وقلت له إذًا عليكم أن تقفوا بجانب دعاة الإصلاح لتتفادوا اندفاعهم هم الآخرون إلى مصر. وعلّقت على ما قاله من العمل لسيف الإسلام الحسن قائلًا إن حكومتكم ستغلط غلطة كبيرة إذا حاولت الوقوف في جانب أحد من أفراد الأسرة المالكة لأنها قد أصبحت مرفوضة شعبيًا، فقال إذًا فاختاروا من ترونه من غيرهم، ولكم علينا المساندة. ولنا شرط واحد وهو أن لا تعلنوا الجمهورية، فإذا أعلنتموها فإنني أقول لك من الآن بأنا لن نقف مكتوفي الأيدي وسنحارب حتى النهاية. فقلت له الحقيقة أنه لم يستقر الرأي حتى الآن على شيء محدد ولكن ما الذي يهمكم من التسمية مادام النظام الذي سيقوم يخطب ودّكم ويحرص على التعاون معكم أكثر مما يتعاون معكم الإمام أحمد، فقال بل يهمنا ذلك جدًا كما يهمني أن يكون الأمر واضحًا لديكم من الآن[1].

وبعد حديث طويل ومتشعب، راجعت الأمير فيصل بشأن يوسف الناغي صاحب مكتب السفريات الذي نصب على الحجاج وأخذ منهم أجور السفر على البواخر وأعطاهم تذاكر مزورة، كما راجعته من أجل باخشب الذي احتكرت له الحكومة السعودية ترحيل الحجاج اليمنيين وليس لديه البواخر الكافية فعدل إلى تكديسهم كما تكدس الأغنام[2]، فأمر بضبط الناغي بإعادة ما أخذه من الحجاج وضبط باخشب بسرعة ترحيلهم ولو باستئجار بواخر أخرى، وشكرته وخرجت.

---

(١) لمست من كلامه يومها أنه ينوي ما يقول، ومع هذا فقد كان في تقديري أنه لولا ما كان من الاستفزازات التي تعمدها البيضاني وإنذاره بضرب جدة بالقنابل لكان من الممكن أن تسلم السعودية بالأمر الواقع لو تم إرسال وفد للتفاهم معهم وتطمينهم بأن الثورة في اليمن لن تتجاوز حدودها. وقد حاولنا ذلك بعد الثورة وطرحت الموضوع على الرئيس جمال عبد الناصر بعد دخول القوات المصرية بحوالي شهر واحد ولكن ذلك لم يحظ بالقبول لأن الآمال كانت واسعة وكانت التقديرات خاطئة.

(٢) كانت الحكومة السعودية قد احتكرت لصالح باخشب حق ترحيل حجاج اليمن على بواخره، وقد جاء هذا الاحتكار كرد فعل لرفض اليمن إشراك بواخر باخشب في نقل الحجاج من اليمن إلى جدة، وذلك ما أنزل بالحجاج بالغ الأثر فقد كان عدد الحجاج كبيرًا وليس لدي باخشب البواخر الكافية لترحيلهم فكان يكدسهم علي البواخر بحيث لا يجد أحدهم محلًا ينام ويقعد عليه، وحصل أنه نقل إحدى بواخره التي تحمل ٥٠٠ شخص حوالي ألفي حاج. وقد حضرت هذا التكديس، وكانت الحالة تدعو إلى الاشمئزاز لهذا الاحتكار. وقد حملني هذا على الإبراق للأمير فيصل أندد بسلوك باخشب الذي احتكرت له الحكومة حق ترحيل الحجاج. وقد نشرت صحيفة البلاد اليومية السعودية مقالًا يشرح ويفند الطريقة التي يرحل بها الحجاج اليمنيون وقد شجب الكاتب الذي سمى نفسه علي مصلح أبو يمن هذا الاحتكار الذي أنزل بالحجاج أفضع الضرر.

زيارة بعض كبار المغتربين

زارنا الشيخ محمد باقيص مدير البنك الأهلي التجاري السعودي ومعه علوي السقاف والسيد العطاس وكلهم حضرميون يمنيون، وقد حملوا لنا دعوة لحضور حفلة عشاء سيقيمها الشيخ سالم بن محفوظ مدير البنك العام على شرفنا فوعدنا بتلبية الدعوة.

وجاءنا الشيخ عبدالله العيسائي وأخوه، وهما من كبار تجار جدة ومن يافع اليمن ولكنهما قد تجنسا بالجنسية السعودية، وقد قدما لنا دعوة للغداء. وذهبنا في الموعد المحدد حيث وجدنا عددًا كبيرًا من رجال اليمن وفيهم الأمير فضل العبدلي من أمراء لحج وقد أبان في حديثة عن فكر متنور.

وفي المساء ذهبنا لتناول العشاء على مائدة بن محفوظ وكان قد حشر لها عددًا كثيرًا من عليّة القوم وكانت الدار التي تناولنا فيها طعام العشاء تكوّن قصرًا كبيرًا له ملحقاته وحديقته الكبيرة. وفي يوم الأربعاء كان الشيخ سالم بن محفوظ قد دعانا لزيارة دار البنك الذي تم افتتاحه في حفل كبير حضره الملك سعود في ٥ ربيع سنة ١٣٧٩هـ وقد أعجبنا بفخامة الدار وبنظامه الدقيق وخزائنه التي تستعصي على القنابل والتي يزن الباب الواحد فيها سبعة أطنان.

زيارة المسجد النبوي

وفي التاسعة من يوم الخميس وكنا قد رحّلنا معظم الحجاج توجهنا إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي وقد مررنا في طريقنا إليها بالمحلات التالية على التوالي، القضيمة ثم رابغ ثم مستورة ثم بدر ثم المسيجيد ثم بير الراحة ثم عبيس ثم الفريش ثم أبيار علي، وهي ذو الحليفة ميقات أهل المدينة، ثم عروة ثم المدينة، وقد وصلناها في الخامسة ليلًا وكان عبدالجبار المقطري وكيل القنصلية اليمنية هناك قد أعد لنا مكانًا ننزل فيه، وكان قد سبقنا إليه العمري واليدومي. وقد أوينا إلى فراشنا فور وصولنا ثم استيقظنا قبل الفجر وذهبنا لأداء الصلاة في الحرم

النبوي، وقد صلينا وسلمنا على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعدنا. وفي اليوم التالي ذهبنا لرؤية القصر الذي أهداه الملك سعود للإمام أحمد، والذي كلف بناؤه مليوني ريال ومائة ألف ريال، وهو يقع بجانب الحرم النبوي على بعد بضع خطوات من باب النساء وباب جبريل ويقع في أربعة أدوار. والقصر على الجملة جميل، وتنقصه بعض الضروريات كالمصعد والمكيفات الهوائية. وفي المساء أدّينا صلاة المغرب واستمعنا بعدها إلى الخطباء الذين انبثوا في أنحاء المسجد، هذا يدعو إلى إخلاص التوحيد ويحث على ترك الابتداع، وهذا يمجّد الرسول صلى الله عليه وسلم ويروي من الأحاديث الموضوعة في فضائله ما هو في غنى عنه. وقد حاول الشرطة من الإخوان الوهابيين منعه بل والاعتداء عليه، ووقف الحجاج في صفه، وكادت أن تثار فتنة لولا أن الرجل أنهى خطبته بالدعاء للمسلمين. وكان رأيي أن الحق في المسألة في جانب النجود الوهابيين في انتقادهم للخطيب لأنه يروي أحاديث موضوعة، ولكن طريقة النجدية في الإرشاد عقيمة وخاطئة فهم يجابهون المسلمين بالتكفير ويزعمون أنهم وحدهم المسلمون وأن غيرهم مشركون. وكلمة التكفير لديهم هينة إلى حد كبير وأكثر من يسمونهم (بالمطاوعة)، الذين يتصدرون للإرشاد، جهّال ثقافتهم محصورة وأفكارهم ضيقة وغير مبدعة وكل ما يخالف كلام الشيخ محمد عبدالوهاب فهو عندهم ضلال. وهم بهذا يقعون في تناقض مع أنفسهم إذ يضللون كل من يقدس البشر، وهذا حق، ولكنهم يرفعون الشيخ محمد عبدالوهاب إلى درجة العصمة وما هو إلاّ عالم من علماء المسلمين وعلم من أعلام المصلحين المجددين يخطي ويصيب، ويسيء ويحسن، شأنه شأن غيره من العلماء المجتهدين. وقد كان في المستمعين أخوة سوريون وقد كادت أن تنشب بينهم وبين النجود معركة لأن أحد النجديين قال له، وهل عندكم مسلمون في الشام؟

متابعة أمور الحجاج

وفي يوم السبت زرنا قباء والبقيع ومسجد القبلتين والمساجد الخمسة وأُحد،

ثم زرنا مدير الشرطة للتفاهم معه على مخلفات الحجاج الذين توفوا. وكان الأمير فيصل قد وعد بالأمر بتسليمها إلى المفوضية اليمنية ولكن مدير الشرطة أفاد أنه لم يصله شيء وأنه بدوره قد أرسل جميع المخلفات إلى بيت المال، ونصح بزيارة رئيس القضاة لأن مثل هذه الأشياء بنظره وقد يكون الأمر وصل إليه. وذهبنا إلى القاضي ويدعى عبدالعزيز الصالح ونائبه محمد مزاحم وكلاهما نجديان. والغالب على النجود، ويسميهم الحجازيون الشروق، الغالب عليهم الجفاء وغلظ الطباع ولكن الرئيس ونائبه كانا لطيفين معنا، وقد قال القاضي إن مخلفات المتوفين تحفظ إلى نهاية موسم الحج ثم ترسل إلى ممثل الدولة التي يتبعها الحاج مع الجواز بواسطة وزارة الخارجية. فقلنا له ولكن كيف بدية القتلى في حادثة التصادم في طريق المدينة وعددهم ينوف على العشرة ودياتهم تزيد على مائة ألف ريال، فقال القاضي إن السائق في الحادثة التي قتل فيها اليمنيون كان أحد القتلى، وسيقيم المدعي العام الدعوى على السائقين الذين جرى بينهم التصادم فإذا كان المتوفي هو المسئول فإنه يحكم بالديات على تركته إن كان له تركه أو على عاقلته إن كان له عاقلة وإلا فعلى بيت المال، والمسألة بعد ذلك تتوقف على مطالبة أولياء الدم. وبعد زيارة القاضي قمنا بزيارة الشيخ سيف بن سعيد رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدينة وهو يمني من الحجرية، وقد تذاكرنا معه حول طريقة الوعظ والإرشاد التي ينتهجها النجديون ولمست منه أنه غير راض عن الطريقة المنفّرة المكفّرة.

تكفير حليق اللحية

لم يقم أحد من الحجاج للخطابة بين العشائين بينما انبث الشروق للخطابة وكانت خطاباتهم هذه الليلة حول حلق الذقون وحول السفور. وقال أحدهم إن إعفاء اللحية سنة ومن احتقر السنة وخالفها فقد كفر. فقلت له إن هذه المقدمة تجعل النتيجة أن من يحلق ذقنه فهو كافر فقال هو ذلك. فقلت له إنك تخالف الاجماع الذي يقول إن السنة هي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ثم إنك بهذا تكفر ثمانية وتسعين في المائة من المسلمين، فقال ولكنك ذو لحية فما الذي يعنيك

من الأمر. فقلت له الإشفاق عليك فإن من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما وحتمًا ستكون أنت ذلك الواحد فإنه أيسر علينا من تكفير أربعمائة مليون مسلم، وواصل الرجل خطبته وكأنه لم يسمع شيئًا.

دعوة رئيس هيئة الأمر بالمعروف

وفي يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة ذهبنا إلى بستان الخريجي في العوالي بضواحي المدينة، وكنا قد سمعنا عنه وأردنا أن نقضي فيه يومًا للنزهة وذلك مباح لكل من يريد. ولكنه صادف أن الخريجي وأهله موجودون فيه فلم نتمكن من الدخول. وعرف الرجل بوجودنا فرحب بنزولنا في ضيافته ولكنا اعتذرنا، وجاءنا العمال وهم يمنيون من السدة والنادرة وفرشوا لنا في ظل الكروم التي كانت تتدلى منها عناقيد العنب كما لو كنا في حديقة من حدائق الروضة. وقد جاؤونا بالشاي وألحوا أن ننزل على ضيافتهم فاعتذرنا. وعدنا إلى المدينة لنجد سيارتين بعثهما الشيخ سيف سعيد الحِجَري اليمني رئيس هيئة الأمر بالمعروف لتقلنا إلى بيته لتناول طعام الغداء على مائدته تلبية للدعوة. وقد قضينا معه حوالي ثلاث ساعات في حديث ممتع ومذاكرة علمية نافعة، والرجل حسن المحاضرة جيد الفهم، ولم نغادر بيته إلا إلى الحرم النبوي لصلاة العصر. وبعدها قمنا بزيارة ما يسمونه بحيرة العاقول وهي تبعد عن المدينة بنحو عشرين كيلومتر، وهي سد كبير احتجزوا فيه مياه الأمطار النازلة من الطائف وما دونها والتي تنصب إلى وادي العقيق المشهور. وتقع مساحة السد في نحو أربعة كيلو طولاً في ثلاثة عرضًا، وقد أقام هذا السد رجل الأعمال الشهير محمد بن عوض بن لادن وهو يمني من حضرموت وهو الذي بنى خزان مطير الواقع في سفح مقعد مطير، وهو جبل صغير كانت مطير تحتله لقطع الطريق على السابلة، وهو يمد بالماء عين الزرقاء وقد بنى بجانب السد مصنعًا للطوب أي الآجر وينتج في اليوم أربعين ألف آجرة وعماله يمنيون.

عدنا إلى الحرم النبوي لصلاة المغرب والعشاء، وقد خطب رجل مصري يظهر من خطابته أنه يحمل مبادئ الإخوان المسلمين الذين يقولون، وحقًا ما يقولون،

إن الإسلام دين ودولة وسيف ومصحف. وقد تنوعت خطبته فتكلم عن العقائر والذبائح التي يذبحونها عند الظَلَمة كسبًا لرضاهم أو لاستخراج الحقوق. وتكلم عن ملك اليمن، الذي سماه سيف الإسلام أحمد، وقد قال إنه يكنز الأموال ويترك الشعب في مجاعة، وقال إن الله قد أوجب علينا محاربته.

الفصل السابع عشر
محاولة إغتيال الإمام أحمد وإمارة الحج الثانية

محاولة إغتيال الإمام

بعد إنتهاء الحج عدت إلى اليمن، ومرّت الأيام حتى كان ٩ شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة١٩٦١م ونحن في تعز. وفي هذا اليوم فوجئت بمجيء النائب الوشلي إليّ إلى البيت في الصباح الباكر، ولم يكن لي عهد بمجيئه في مثل تلك الساعة. وكان باديًا على وجهه الانكسار والدمع يكاد يطفر من عينيه، فقلت ما الخبر، فقال لقد حاول البارحة مجموعة من الضباط قتل الإمام عند زيارته للمستشفى وقد أطلقوا عليه الرصاص فعلًا وأصابوه بخمس رصاصات وحالته خطيرة جدًا، ونريد التشاور في الذي يجب أن نفعله هنا إذا مات الإمام وولي العهد غائب. ولم أشأ أن أبدي رأيًا يحسب عليّ، فقلت له علينا أن لا نتعجل الأمور وأن نتوجه غدًا إلى الحديدة لزيارة الإمام والإطلاع على الأمور من قرب، ويكفي الآن أن تستدعي العقيد الآنسي رئيس الشعبة العسكرية واللواء الحوثي ورئيس العكفة وتسر إليهم بما حدث وتوصيهم باليقظة والاستعداد لأي طارئ وإبلاغك في حال أي اتصال بهم من أي جهة. واتفقنا على أن نذهب في اليوم التالي إلى الحديدة، ونفذنا ذلك وأنضم إلينا السيد محمد الذاري وعقبات وغيرهما من رجالات الدولة في تعز. وقد قمنا على طائرة إلى مطار الحديدة، وفور وصولنا دخلنا على الإمام، وكان مفرج الشذروان الكبير في الحديدة قد تحول إلى مستشفى وفي وسطه سرير مرتفع وإحدى قدمي الإمام مربوطة إلى أحد أعمدته والضمادات تكسو معظم جسده وبالخاصة الساعدين. وتقدمنا إليه، وطبعًا أظهرنا الانكسار والحزن، ولم يصافحه أحد بل اكتفى الجميع بالدعاء وتلاوة الفاتحة وهو لم يتكلم إلى أحد

منا. ولكنه لما رآني تحرك وقال أرأيت أعداء الله كيف لم يحكموا التسديد ولو أحسنوا لكانوا قد أراحوني وأراحوكم، فقلت له معاذ الله بل تبقون بيننا يحفظ الله بكم أمن البلاد. لم ألق أنا للكلمة كبير بال ولكن الإخوان بعد خروجنا أبدوا تخوفهم واستهولوا أن يقول الإمام (أراحوكم). ولو أنني انسقت وراء تشاؤمهم لغادرت الحديدة إلى الخارج كما فعل القاضي أحمد السياغي حينما زار الإمام وقال له (عاد أنت هنا) ففسر هذه الكلمة من وحي مخاوفه وهلعه ففر إلى لحج[١].

لا أنكر أنني قد وجدت في نفسي شيئًا من الخوف ولا سيما بعد أن عمدت الإذاعة في صنعاء وعلى رأسها الصديق السيد محمد بن أحمد الشامي إلى إثارة حنق الإمام على المطالبين بالإصلاح وسجناء حجة ودعوته إلى تصفيتهم. ولكن الإمام لم يستجب لهذا الإيغار فقد اقتصر على إعدام الشهيد اللقية والشهيد الهندوانة، وأما العلفي يرحمه الله فقد أشيع وقتها أنه دافع عن نفسه حينما حاولوا القبض عليه وقتل اثنين وأفرغ الرصاصة الأخيرة من مسدسه في رأسه.

محاكمة اللقية والهندوانة

عرفنا عند وصولنا إلى الحديدة أن ولي العهد قد وصل من الخارج وشكل محكمة فيها السيد أحمد زبارة والسيد يحيى الكبسي والعقيد السلال والعميد غالب سري وبعض العسكريين الآخرين الذين لم يشتركوا في ثورة ١٩٤٨م. وعلمنا أن اللقية والهندوانة يعذبان ليدليا بارتباطاتهما وأسماء المخططين للمؤامرة. وسمعنا عن اقتراح السيد يحيى الكبسي عضو المحكمة الذي يقول بوجوب إصدار الأوامر إلى عمال وحكام جميع النواحي والقضوات ليقبضوا على جميع من وصفهم بالأشرار والعصريين وإرسالهم إلى المحكمة، ولكن الاقتراح تصدى له السيد أحمد زبارة. وقد سجن في التهمة السيد حسين المقدمي والدكتور فضل الله الزاقوت، السوري الذي كان يعمل في المستشفى كطبيب، وكان له صلة بالشهداء الثلاثة.

(١) بقي هناك حتى جاءت الثورة، وبدلًا من أن يقف في جانبها فقد وقف بجانب الملكيين المعارضين بعد أن أعدمت الثورة أخاه عبد الرحمن.

وأعترف أيضًا أني لم أكن أعلم شيئًا مسبقًا عن هذه المحاولة ولعل إنها كانت محصورة بالشهداء الثلاثة وعلى رأسهم الشهيد اللقية الذي كان قد أقتنع بأن أي عمل وطني سيكون حظه الفشل ما لم يبتدئ بالتخلص من أحمد. وقد صَحِبَته الفكرة طويلًا، حج من أجلها إلى بيت الله الحرام واستخار الله هنالك، وكان شديد التدين، وأشتد عزمه على التنفيذ وظل يعمل له قرابة عشرة أشهر. ولكن هل يُعتبر بُعد الإنسان عن العمل لهذه المحاولة أو التحضير لها أو حتى العلم بها حصانة من الوقوع في شباك التهمة. إن ما نسمعه من تعذيب الشهيدين اللقية والهندوانة لحملهما على الإدلاء بأسماء كان مصدرًا للخوف من أن يدلي هؤلاء تحت طائلة العذاب بأي أسماء ولا سيما والتركيز من الإذاعة على من كانوا سجناء بحجة أشبه بالتلقين والتوجيه. وقد ظللت أعاني الخوف والتوقع حتى جاءتني برقية من ولي العهد تأمر بوصولي إلى السخنة التي كان الإمام قد إنتقل إليها فزادت مخاوفي.

إمارة الحج مرة ثانية

لم ينزاح عني كابوس التوجس إلا بعد أن وصلْت إلى السخنة وقيل لي إني قد عُينت أميرًا للحجاج اليمنيين، وأن علي أن أتأهب للسفر ولكن عليّ قبل أن أسافر أن أنتظر مقابلة الإمام الذي سيعطيني توجيهاته ويحملني رسالة خطية تقليدية إلى الملك سعود. وكانوا قد أنزلونا في دار الضيافة ولم نجد فيه محلًا مناسبًا فانتقلنا إلى المحل الذي ينزل فيه السيد عبدالله عبدالكريم. وبعدها دعيت لمقابلة الإمام، وقد فوجئت بما رأيت عليه من علامات الصحة، وقد طالت المقابلة وحمّلني إلى جانب الرسالة تحياته إلى الملك سعود. وبعده اتجهنا على طائرة خاصة قاصدين جدة وكان ذلك في أول الحجة سنة ١٣٨٠هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٦١م.

وفي هذا العام أحرمت بالحج عن فرض والدتي رحمها الله وهي وإن كان والدي رحمه الله قد أستأجر للحج عن فرضها الحاج قاسم المحني في سنة ١٣٤٣هـ ولكني أرى رأي من يقول أن الحج من القريب أدعى للقبول لورود الحديث بذلك وهو من الولد أرجى للقبول أيضًا. والأصل في العبادة البدنية عدم صحة الاستنابة

أو التأجير فيها لولا أن الحج قد خص بحديث لبيك عن شبرمة. وقد صادفنا من الصعوبات من هذه السنة ما يعتبر دون ما لاقيناه في العام الماضي ومنها أنه حج معنا فلان السخي من صنعاء والرجل له أخت أختطفها البدو وذهبوا بها إلى نجران وباعوها مع ثلاث حرائر صنعانيات وقبضوا ثمنهن. وانتقل بهن المشتري إلى الرياض فباعهن هناك. وقد عاشت بنت السخي مع المشتري كجارية رقيقة، وبعد سنتين تمكنت من إرسال رسالة إلى أهلها بصنعاء بواسطة أحد التجار اليمنيين أعلمتهم فيها بمكانها واسم من يدعى بسيدها وطلبت النجدة لإنقاذها من الرق والعبودية. وسمعت القصة واشمأزت نفسي وغلى دمي وشعرت بأنها إهانة لليمن وأهلها ووعدت أخا المسكينة بأن أبذل جهدي ولكني لما عرضت القضية على الوزير المفوض قال أن خير طريقة لإنقاذها هي أن يذهب أخوها إلى الرياض ويتصل بها بواسطة التاجر اليمني ويفر بها خلسة، أما إذا طالب بها فإنها لن تسلم إليه. فقلت ولكنها حرة وهذا أخوها، فقال مهما كان الأمر فهذا ابن القاضي عبدالكريم الجرافي اختطف وبيع لبعض البدو وبقي لديهم يرعى جمالهم، ولما أراد الفرار والتمرد عذبوه بالنار واصطلموا أذنيه. ووصل أبوه برسائل من الإمام أحمد، ومع ذلك لم يدفع إلى أبيه القاضي المحترم، جريًا على قاعدتهم المعكوسة بأن على مدعي الحرية البينة وإلاّ اعتبر آبقًا. وقال الوزير المفوض حينما رأى استنكاري لأن يجرى مثل هذا في مملكة تزعم أنها مسلمة وتحكم بالشريعة، فقال أو أخبرك بما هو أفضع من هذا، لقد حصل أن وصل السيد حسين الويسي إلى ميدي ليوزع على فقراء المنطقة شيئًا من القمح الذي قدمته أمريكا مساعدة لليمن. وقد غنم رجل ذلك فذهب إلى إحدى القرى في تهامة ومعه سيارة شحن وقال لأهل القرية أنه مرسل من الويسي ليستدعيهم لأخذ حصتهم من القمح ودعاهم إلى الركوب على السيارة فركب معه اثنان وثلاثون شابًا ما بين فتى وفتاة. فخرج بهم من القرية ثم أطلق لسيارته العنان فلم تقف بهم إلاّ في جيزان، وهناك أنزلهم في بيت معه لمثل هذه الحملات وتسلل بعضهم إلى أمير جيزان وشكى له الحال، وبعث هذا بأحد رجاله ليقف على الحقيقة وعاد ليخبره بها. وجاء بالمختطف ليلزمه بفك سراحهم

ولكنه رفض زاعمًا أنه اشتراهم من تهامة اليمن. ولما أبى الأمير الإصغاء لمثل هذا الزعم رفع الرجل برقية إلى الملك يشكو والي جيزان الذي يريد تحرير عبيده وإمائه بالقوة. وجاء جواب الملك ينهي الأمير عن التعرض له وعليه أن يمكنهم من الوصول إلى جدة، وهناك من ادعى منهم الحرية أحيل إلى القضاء. وغلي الدم في بدني مرة أخرى ورفعت برقية للملك أحتج فيها على امتهان آدمية اليمنيين وقلت له إن جلالتكم تعرفون أن الشعب اليمني شعب عربي ومسلم حُر أبي وأنه لم يعد يوجد رق في الدنيا كلها وإن وجود ذلك يشوه سمعة المملكة ويعتبر صفحة سوداء كالليل الحالك في تاريخها، إن اليمنيين هم إخوانكم فبأي شريعة يسترقونهم وأنتم تعرفون أنهم أحرار وبأي ملة تستباح فروج الحرائر بدون عقد شرعي. وبعثت البرقية ولم اعرضها على الوزير المفوض لعلمي أنه سيعارض رفعها ولكنه لم يعد جواب عليها. وأنا أسجل هذا كمأخذ من أعظم المآخذ، لا على ملوك وأمراء السعودية فحسب بل وعلى علمائها الذين سكتوا على استرقاق الأحرار بل وتشرى لبعضهم من هؤلاء الحرائر ولاسيما وقد بلغ أن المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وتجاوز عنه كان له جوار وعبيد، اللهم غفرًا[١].

كان الأمير فيصل قد تخلى عن عمله كرئيس للوزراء ورأس الملك بنفسه مجلس الوزراء. وعاش الأمير في الظل وتخلى عن امتيازاته وحتى لوحة السيارة التي كانت تقله وتحمل عبارة (سيارة ملكية) استبدلها بلوحة عادية. ومع أنه قد وصل للحج إلاّ أنه لم يستقبل أحدًا، وأذكر أنني حينما ذهبت إلى الطائف وصادف يوم الجمعة فذهبت إلى الجامع للصلاة فوجدته هناك في غمار الناس وليس حوله إلاّ جماعة

(١) كنت قد ناقشت الشيخ عبد العزيز بن باز في هذا الموضوع وقلت له أنا لا نفسر ذلك إلا بأحد تفسيرين، أما وأنكم تستحلون الفروج المحرمة بدون عقد شرعي وفي هذه الحال يمكن أن نسميه بالبغاء الرسمي، وأما أنكم تكفرون المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتعتبرونهم مع ذلك محاربين وبالتالي تستحلون فروج نسائهم. فقال الشيخ لا هذا ولا ذاك ولكن الملوك والأمراء يتجرؤون على الله تعالى بما ذكرت. فقلت له ولكن المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم كما بلغني لديه جوار، فقال إنهن للخدمة فقط. فقلت له ألا يكفيه الوعيد الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يسترق الأحرار، فقال على كل حال هو من أكابر العلماء ولديه حجته ولعلك لو سألته لأدلى بها. وكان هذا الجواب تخلصًا ذكيًا من الشيخ عبد العزيز.

من أولاده وإخوته المناصرين له. وقد رآني في الصف الذي قبله فاستدعاني بعد الصلاة للمصافحة والاعتذار لعدم استجابته لطلبي المقابلة.

أما الملك فقد استقبلني بعد وصولي حيث سلمت له رسالة الإمام كما حضرت الحفلة التقليدية التي تقام فيها مأدبة عشاء على مائدة الملك لأعيان الحجاج وأمرائهم وعلمائهم. وقد طُلِب إلي تسجيل كلمة لإذاعة جدة، والعادة أن الذين يسجلون مثل هذه الكلمات يكيلون المديح للملك وللمملكة، ولكني اقتصرت على الضروري وطلبت الهداية والتوفيق للجميع ومن أجل هذا لم تذع الكلمة، وكان ذلك ما نبغي. وفي منى زرنا الملك ثاني يوم عيد الأضحى واستمعنا إلى الكلمات تلقى والقصائد يترنم بها منشدوها وكلها مدح وثناء على الملك. وقلت لأحد الإخوان السوريين وكان قد ألقى كلمة رفع الملك فيها إلى السماء وهبط بعبدالناصر إلى الحضيض وجاء ليقعد إلى جانبي، قلت له يا أخي هل جئت لأداء الفريضة، قال نعم وأنا أعتاد الحج كل سنة، فعرفت أنه من هؤلاء الذين يأتون يبتغون فضلًا من ربهم. فقلت له ولكن ألم يقل الله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، قال نعم. فقلت له أنت فيما يبدو من علماء الدين، قال أرجو ذلك. فقلت إذًا فما بال هذه المغالاة في المدح للملك سعود على ما هو عليه ثم ما هذا التحامل على عبدالناصر إلى حد التكفير ومن قال لمسلم يا كافر فقد كفر، فقال ولكنه شيوعي. فقلت ولكنه ينفي عن نفسه هذه التهمة ولا يزال يعلن إيمانه بالله ويصلي الجمعة الأخيرة في رمضان في الأزهر والرسول يقول من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه وعرضه وحسابه على الله، أو كما قال، فلماذا لا نقبل من الرجل الظاهر المسلم وندع حسابه على الله، قال ولكنه قتل الإخوان المسلمين. فقلت إنها جريمة لا تخرجه من دائرة الإسلام فتلجلج الرجل وقال الحق معكم وأنا منذ اليوم أسميه القاتل. فقلت ثم بالمقابل أنا أناشد ضميرك المسلم هل الملك سعود في المحل الذي رفعته إليه من تمثيله للرسول ولديه مالا يحصى من المحظيات، فقال يقال ذلك ولسنا على يقين منه ويكفي أنه حامي الحرمين ثم هو يساعد جماعتنا المسلمة. فقلت له هذا أمر آخر ولعلنا قد وصلنا الآن إلى الباعث

الحقيقي. وقمت أستأذن من جلالة الملك وأطلب منه موعدًا للمقابلة في فرصة أخرى بعد أيام الحج فوعد بذلك.

مقابلة الملك سعود

وعدت من المدينة المنورة بعد الحج وجاء موعد مقابلة الملك سعود في الموقف الخاص الموعود به. وعند المقابلة نسيت وصية القاضي محمد العمري التي حذرني بها من الكلام مع الملك سعود حول الأوضاع في اليمن، وحسبت أن الشرخ الذي أحدثه الخلاف على الربع الخالي[1] في العلاقات قد جعل من حقي أن أجس النبض ولاسيما والملك فيصل الذي سبق لي أن حصلت على وعد منه قد ابتعد عن المسرح. وبدأت أكلم الملك عن الأوضاع وترديها وانتظار حدوث أحداث في اليمن ولاسيما والإنجليز في الجنوب يساند الحكومة التي خلقها هناك. وفهم الرجل أنها مقدمة لما بعدها من الكلام فقال ولكن أنا كملك مسلم بيني وبين الإمام أحمد عهود ومواثيق ولا يمكنني نكث العهد. واستمعت إلى كلامه وهو يؤكد وفاءه للإمام، وحينها تذكرت وصية القاضي محمد العمري وحمدت الله أني لم أتورط إلى النهاية، وعقبت على كلام الملك قائلًا نحن نعرف هذا ولهذا فزعنا إليكم لتقوموا بدور الوساطة بين الأمير البدر وأعمامه، فخلاف أمراء الأسرة سيؤدي باليمن إلى هاوية الاستعمار الذي قد نصب لها شباكه بقيام هذه الدولة التي سماها دولة الاتحاد العربي. فقال أنا أعرف أنكم تخشون أن يميل إخواننا الشوافع إلى الدولة الجديدة بحكم أنها دولة شافعية مثلهم وأنا أطمئنك بأن إخواننا الشوافع في

(١) كان قد جرى بعض خلاف بين الإمام أحمد والملك سعود على ما يعود إلى اليمن من الربع الخالي. وكان قد جاء عامل الجوف، السياني، ليبلغ الإمام أن إحدى شركات البترول العاملة في السعودية قد تجاوزت حدود السعودية ووضعت أعلامها داخل حدود اليمن، بما يناهز مائتي كيلومتر. وكتب الإمام رسالة إلى الملك سعود فيها إحتجاج، وجاء جواب سعود ينكر على اليمن حقها فيما خططته الشركة. وجاء الحسيني مستشار الملك إلى تعز وبقي أيامًا ولم تصل المشكلة إلى حل. ولكنه تعقب ذلك تقديم الملك عشرة ملايين جنيه كقرض إلى حكومة اليمن وقد تصرف الإمام أحمد بمعظمها وبقي منها المبلغ الذي بقي في أحد بنوك باريس والذي حجرت عليه حكومة الجمهورية وصدر الحكم بأحقيتها لاستلامه. وقد قيل لنا في آنها أن المبلغ قد جاء ثمنًا لسكوت الإمام عن حق اليمن المسلوب في الربع الخالي.

اليمن أصدقاء لنا ولا يقدمون على شيء إلا بعد استشارتنا ومؤاذنتنا. فخطر في بالي المثل العربي القائل (بلهاء تدلني على سرها). وقلت للملك الحمد لله مادام الأمر كما قلتم فنحن مطمئنون، وما صدقت أني خلصت من الورطة التي كدت أن أقع فيها. ومن ناحية أخرى بدت لي ضحالة تفكير الرجل وعرفت أن قلبه على طرف لسانه. وعلى سبيل الاحتياط فقد شرحت للإمام بعد عودتي لقائي بالملك سعود عن طلبه وأنه جرى حديث حول ما يبيته الإنجليز لليمن من وراء إقامة دولة الجنوب وقلت للإمام أنه بدا لي أن الملك راض عن قيام هذه الدولة ومرتاح إليها وأنتم أعرف بدخائل الأمور. وجاء يوم العودة إلى اليمن فقمنا بعمرة أخرى.

السفر إلى بيروت

وعدنا في اليوم التالي إلى جدة، وكنت قد عزمت على انتحال أي عذر لتأخري في الخارج حتى نعرف ما تم بشأن محاكمة الشهيدين اللقية والهندوانة فإذا لم يدليا تحت طائلة العذاب بأسماء عدنا إلى اليمن، وإن كانت الأخرى فالمثل اليمني يقول (قفزة في البر ولا عشر في الحر). وقررت أن أطلب الإذن بالسفر إلى بيروت للمعالجة ريثما نرى إلى أين تسير الأمور، وكنت قد فقدت جوازي الرسمي ليلة مبيتنا في مزدلفة فقد أخذه لص من اللصوص الكثيرين، وكان في محفظة صغيرة ليس فيها غيره وغير النظارة، لذلك فقد وجدتني مضطرًا إلى الرجوع إلى الوزير المفوض فقلت له إنني أريد أن أسافر إلى بيروت للكشف والمعالجة فقال ولكنه لا يبدو عليك أي أثر. فأفضيت له بذات نفسي، وأسجل أنه كان خير عون لي فقد أبرق لولي العهد يؤكد اضطراري للمعالجة في لبنان، ولما عاد الإذن أعطاني جوازًا عاديًا سجل عليه بأنه بدل عن الرسمي. وقد سافرت إلى بيروت وهناك استقبلني الوزير المفوض الدكتور عدنان ترسيسي إستقبالًا حسنًا وعرضني على الدكتور اليازجي الذي كانت عيادته بجانب المفوضية اليمنية. وبعد المعاينة قرر أني أعاني من الباسور، وقررت إجراء عملية وتم إجراؤها على يد الدكتور اليازجي نفسه. ولعل أن حقنه المخدر كانت أكثر من اللازم واستمر التخدير إلى اليوم التالي كنت

خلالها أقوم من على السرير أحاول الخروج مما أضطر الدكتور إلى أن يوكل بحراستي ممرضتين إحداهما فلسطينية والأخرى لبنانية درزية. وقد أوسعتهما سبًا وضربًا كما أخذت أهذي وأتكلم ضد الحكم الإمامي، كما أخبرني فيما بعد الصديق السيد زيد بن علي الوزير. وقد كان السيد زيد يتردد لزيارتي، كما كان يتردد الأميران عبدالله بن الحسين وأخوه أحمد، وقد حال بينهما وبين زيارتي ذلك اليوم خشية أن يسمعا بعض ما أهذي به وأعتذر لهما بأني في غيبوبة. وقد عُوتب الدكتور المختص بالتخدير فأكد أنها لم تزد الحقنة على المعتاد.

السفر إلى القاهرة

بقيت في بيروت أربعين يومًا قضيت بعضها في المستشفى، وبعد الخروج منه نزلت في الفندق. وبقيت فترة في «عاليه»، وتعرفت على الكثير من مصايف لبنان كما قمت برحلة مع السيد زيد الوزير إلى سوريا فزرنا اللاذقية وحلب وحمص وحماة، أما دمشق فكنت قد زرتها أكثر من مرة. وكنت أنتظر ما تسفر عنه محاكمة الشهيدين اللقية والهندوانة وهل قبض على أحد نتيجة لهذا التحقيق أو توجهت أصابع الاتهام لأحد، وبعد فترة جاءتني رسالة من الولد القاضي على بن يحيى الإرياني تعزينا بالشهيدين اللقية والهندوانة وتقول أنه تم إعدامهما وأن المحققين معهما جهدوا جهدهم في أن يحملوهما على الإدلاء بأسماء المشتركين معهما في التخطيط ولكنهما رفضا وتحملا الكثير من التعذيب ولم يرهبهم الترهيب ولا أغراهم الترغيب، وأشار في رسالته إلى أن علينا أن نعود مطمئنين. وفكرت في العودة ولكن عن أي طريق فلا خطوط جوية بين اليمن وبيروت أو جدة أو القاهرة وليس هنالك غير خط هو خط الطيران الإثيوبي. إذًا فعلي أن أسافر إلى القاهرة ثم إلى أديس أبابا ثم إلى مصوع ثم إلى تعز.

اللقاء بالزبيري ونعمان

وقد نزلت في القاهرة والتقيت بالأخوين الزبيري والنعمان وقد جمعا بيننا وبين

الوزير أمين هويدي الذي دعانا للغداء في بيته ثلاثتنا وتحدثنا كثيرًا عن الأوضاع في اليمن وما يجب أن يُتّخذ، وأكد لنا الوزير، الذي كان همزة الوصل بين الأحرار والمسئولين في القاهرة، استعداد الجمهورية العربية المتحدة لمؤازرة أي حركة تهدف إلى تحرير اليمن من الاستبداد وإخراجها من عزلتها وأوضاعها المتخلفة.

سافرت من القاهرة إلى أديس أبابا وهناك استقبلنا الوزير المفوض القاضي محمد الزهيري. وقد بقيت في أديس أبابا يومين وأعجبت بمناخها الذي يشبه مناخ صنعاء لولا شيء من الرطوبة وغادرتها إلى مصوع ثم إلى تعز، وكان ذلك في الاسبوع الأول من صفر سنة ١٣٨١هـ (أواسط يوليو ١٩٦١م).

طلب الإمام فتوى بتكفير عبدالناصر

بعد وصولي إلى تعز، وفي ٩ ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١/٨/٢٠م وكنا في مقر الهيئة الشرعية نطالع الأحكام إذ جاء من يدعوني أنا ورئيس الهيئة السيد أحمد زبارة إلى الإمام، وكان في تلك الأيام قد ضرب على نفسه حجابًا كثيفًا فلا يقابل أحدًا حتى خاصته. واستشعرنا أن للطلب سببًا، ودخلنا عليه وهو بمفرده وليس لديه إلا محمد جحزر الصحي الذي كان يحقنه بحقنة في عضده. وقد عجبنا حين رأيناه يجهد جهدًا من أجل أن تجد الحقنة طريقها إلى تحت الجلد، فقد كان الجلد لكثرة ما أستقبله من الحقن متصلبًا بدرجة يستعصي معها نفوذ الإبرة إلا بعناء. وقد نظر إلي السيد أحمد زبارة نظرة فهمت معناها فيما بعد حينما قال لي بعد خروجنا أرأيت أن الرجل قد عاد إلى المورفين، وكان ذلك هو سر احتجابه هذه المدة.

فرغ الصحي من عمله، وانتظرنا أن يفاتحنا الإمام بما من أجله استدعانا، وفوجئنا به يقول لنا ما رأيكم بعبدالناصر. ولزمت أنا الصمت لأني قد أتهمت غير مرة بأني من أشياع عبدالناصر، وقال السيد أحمد من أي ناحية؟ فقال هل هو كافر لأنه يصادر أملاك الناس ويخالف الشريعة. فقال السيد أحمد يامولانا إن التكفير موضوع خطير ولاسيما لرئيس دولة مسلمة، فقال الإمام ولكنه يخالف

القطعي والمتواتر مثل حديث إن دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت. وعقب على هذا بقوله ما رأيك يا إرياني تكلم، وعرفت أنه يرمي إلى استصدار فتوى منا، وكنا قد عرفنا عن وصول الحسيني مستشار الملك سعود وكانت الآراء تختلف في تحديد مهمته. وخطر في بالي أنه قد جاء للحصول على فتوى من علماء اليمن كما حصل على مثلها من علماء نجد وبعض علماء العراق وسوريا اللاجئين في المملكة، ولذلك كنت أكثر حذرًا فقلت له أنا أتفق مع السيد أحمد في رأيه والحديث الذي أشرتم إليه جلالتكم روايته في الصحاح لا يخرجه عن كونه خبرًا أحاديًا. ووقف السيد أحمد زبارة بجانبي فقال لا تكفير ولا تفسيق إلا بدليل قطعي. ولم يرقه موقفنا ولكنه صرفنا والخيبة بادية عليه.

وفي اليوم التالي بعث أحد الخدم يدعوني، وتوجس الإخوان خيفة. ورافقني الخادم إلى باب الغرفة وتركني أدخل بدون استئذان. ودخلت فوجدت الطبيب الأمريكي الذي وصل لمعالجة الإمام خصيصًا ومعه الأستاذ أحمد مفرح يترجم بينه وبين الإمام. فسلمت فقال الإمام أهلًا بالشيوعي، فقلت أعوذ بالله. فقال ولماذا أعوذ بالله أولست تدافع عن الشيوعي عبدالناصر، فقلت لم أقصد الدفاع وإنما سألتم فأجبنا وحسبناها مذاكرة علمية وإذا كان لديكم حجة فمنكم نستفيد. فقال ألم يعلن الاشتراكية العلمية ومعناها الشيوعية، فقلت إن عبدالناصر يقول أنه إنما أخذ الجانب الاقتصادي مع إيمانه بالله وبرسوله، وفي الإسلام ما يدعو إلى العدالة الاجتماعية وأول من دعا إليها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر. ونحن لو فرضنا أن عبدالناصر خالف قطعيًا فيما يعمله فإنه لا يُكفّر إلا بإنكار القطعي وإلا للزم تكفير الزاني والسارق ومرتكب الكبيرة القطعية ولا يقول بذلك إلا الخوارج، وقد فسر العلماء قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.. الخ أن معناه وهو مؤمن بتحريم الزنا والسرقة مع أنه ارتكب محرمًا بنص القرآن. قال فما يسمى إذًا، قلت إنه مخطىء، ذلك أنّا لو سألناه هل

ما قمت به وأمرت به مخالف للدين لقال لا، بل هو العدالة الإجتماعية التي يقرها الدين.

كان الحديث يجري بيني وبين الإمام والأستاذ مفرح يترجمه للطبيب الأمريكي. وبعد خروجنا من غرفة الإمام قال لي الأستاذ مفرح لقد قال الطبيب الأمريكي إن هذا الرجل عنيد وكان مشفقًا عليكم من غضبة الإمام. فقلت له وعلام الغضب، وإنما هي مذاكرة علمية لكل واحد أن يدلي برأيه فيها. وترجم مفرح ذلك فقال الطبيب إني معجب بانصياع الإمام للحق مع ما أشتهر عنه من الاستبداد والجبروت. وعدت إلى مقر الهيئة وكان الإخوان يعيشون على أعصابهم انتظارًا لما يسفر عنه الطلب، ولما عدت إليهم انفرجت أساريرهم، وكان أعظمهم قلقًا الأخ الشهيد القاضي عبدالله بن محمد الإرياني رحمه الله. ولما شرحت لهم الحوار الذي دار بيني وبين الإمام وُجد فيهم من يبدي استعداده لإصدار فتوى يكفر عبدالناصر فقلت له بلغ الإمام بإستعدادك فقد تحصل على جائزة، فضحك الجميع وخجل الرجل.



من يمين القارئ:
القاضي عبدالرحمن الإرياني
القاضي أحمد السياغي نائب الإمام في لواء تعز
السيد حسن أحمد زبارة سبط الإمام أحمد

أخذت في تعز في 12 ربيع أول 1380هـ
الموافق 4 سبتمبر 1960م



من يمين القارئ:
السيد محمد الباشا
القاضي عبدالرحمن الإرياني
القاضي عبدالله الحجري

أخذت في إحتفال بدء العمل في
شق طريق تعز صنعاء

تعز، ديسمبر 1960م



أخذت يوم بدء العمل بشق طريق
تعز- صنعاء

تعز، ديسمبر 1960م

الفصل الثامن عشر
مرافقة البدر في الخارج

تقريب البدر من السعوديين

كان الإمام قد أعلن ولاية العهد لابنه البدر وحسب أنه بذلك قد ثبّت أقدامه على العرش بالنسبة إلى الداخل. ولكنه كان يشعر أن المملكة العربية السعودية لا ترتاح إلى إبنه وتتهمه باليسارية وتدعوه بالأمير الأحمر وتقول أنه هو الذي جر اليمن إلى الإتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة. ولهذا فقد فكر في أن يصفي الأجواء بين إبنه وبين السعوديين، أو على الأقل يكسب إلى جانبه رضى الملك سعود الذي كان على خلاف شديد مع أخيه فيصل، فهو يعاني منه ما يعاني أحمد من أخيه الحسن وسائر إخوته، فقرر أن يبعث البدر إلى سعود ليقوم بزيارة له مصحوبًا برسالة من أبيه تقول لسعود إن الولد البدر هو ولدكم وسيسير على النهج الذي ترونه له وأن زيارته لروسيا كانت بتكليف منا حرصًا على الحصول على السلاح لحاجتنا إليه للدفاع عن اليمن من اعتداءات بريطانيا وحكومتها التي افتعلتها. ولمّح في الرسالة إلى الخلاف بين الإخوة في صنعاء وفي الرياض وشجع سعودًا بأن يضع ولاية العهد بأحد أولاده كما فعل هو. وفي يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨١هـ الموافق ٢٦ سبتمبر ١٩٦١م دعيت إلى القصر في العرضي وأمرت بالتجهيز للسفر مع ولي العهد إلى السعودية. وقد توجهنا في نفس اليوم على الطائرة العُقاب ومعنا القاضي محمد الشامي نائب صنعاء، وكنت أظن أنّا سنتجه إلى جدة رأسًا ولكنه أمر البدر بهبوط الطائرة في مطار صنعاء، وهناك كان في استقباله رئيس الاستئناف، ووزير المعارف والمواصلات القاضي عبدالله الحجري وغيرهما. وقد استضافني وزير المعارف فنزلت في بيته وقد

زارني كثير من الإخوان وفيهم القاضي محمد بن حسين العمري والسيد أحمد الشامي وغيرهما.

وفي صبح الأربعاء توجهنا إلى المقام وانتظرنا كثيرًا حتى خرج ولي العهد فأستقبل الناس، وفيهم علية القوم، في طريقه إلى المطار، وقامت بنا الطائرة ولم يكن معنا غير العقيد الضبي ومحمد جحزر. وقد وصلنا جدة في السابعة بالتوقيت الغروبي، وكان في استقبالنا الأمير عبدالله بن سعود أمير منطقة مكة ووزير الخارجية وقائم مقام جدة والأمير عبدالله بن الحسين والوزير المفوض. وقد دخلنا مع الأمير إلى جدة حيث تناولنا طعام الغداء في فندق البحر الأحمر وبعده توجهنا إلى المطار حيث قامت بنا طائرة ملكية إلى الرياض فوصلناها قبيل الغروب، وقد قطعت الطائرة المسافة بين جدة والرياض بثلاث ساعات، وكانت كل هذه المسافة التي تقدر بألف ميل صحراء قاحلة لا ترى فيها شجرًا ولا نبتًا ولا بيتًا ولا قرية ولا أي شيء من معالم الحياة إلا قبل الوصول إلى الرياض بأميال.

استقبلنا في المطار الأمراء محمد بن سعود ومنصور بن سعود ومحمد بن عبدالعزيز وغيرهم من رجال الحكومة السعودية. وعند باب قصر الناصرية الفخم الضخم استقبلنا الملك سعود، وبعد المصافحة تقدمنا إلى الصالون الطويل العريض. وبعد دقائق قمنا إلى حفلة العشاء التي أقامها وحضرها الملك سعود على شرف الأمير، وبعد ذلك ذهب كل واحد منا إلى الجناح الذي اعد له في قصر الناصرية الذي يعتبر القمة في فخامة القصور الملكية السعودية، ولا يسع من يفاجأ بهذه الفخامة والضخامة إلا أن يقارن بينها وبين القصور اليمنية التي لا تختلف كثيرًا عن بيوت أثرياء اليمنيين.

تفاهم الملك والأمير

في الساعة الثالثة صباحًا من يوم الخميس استقبل الملك سعود الأمير البدر في جلسة انفرادية، أخبرنا الأمير بعدها أن الأمور عادت إلى مجاريها وأن الملك وعده بالوقوف بجانبه بعد أن شرح له خطر الشيوعية وطلب منه أن يدفع الإمام للتخلص

من الإتحاد الفيدرالي، وقد وعده بذلك. وفي هذا اليوم أذيع من إذاعة سوريا خبر ثورة الانفصاليين ضد الوحدة وضد حكم جمال عبدالناصر. وكان الملك سعود يتابع الأخبار، وقد كاد أن لا يسعه القصر الفسيح نشوة بالنصر وسرورًا بالنجاح. ولكن الأخبار كانت تقول أن حلب واللاذقية لا تزالان ضد الثورة فكانت نفسية الملك تشرق وتظلم وأمله يعلو ويهبط بحسب ما يسمع. وكان قد اتصل بالبدر تلفونيًا وأخبره بالثورة ثم استدعانا جميعًا لنشاركه سماع الأنباء، وكان مظهره يقول إني أنا أبو خالد وراء هذه الثورة. كان الكل مسرورين وكنت الوحيد المكتئب وربما شاركني العقيد الضبي. وفي مساء الخميس أقيمت حفلة عشاء أخرى في الفلة التي يسكنها الملك وقد سماه حفلًا عائليًا ومشاركة لسوريا في أفراحها لخلاصها من الشيوعية، على حد تعبير الملك.

مع بن جلوي في المنطقة الشرقية

وفي الثالثة صباحًا من يوم الجمعة قامت بنا طائرة من مطار الرياض قاصدين الظهران، ووصلت بنا بعد ساعة واحدة رأينا فيها من على الطائرة آبار البترول في (بقيق) وهي من أهم الآبار في المملكة. وكان في استقبالنا الأمير سعود بن جلوي أمير المنطقة الشرقية والذي استطاع بحزمه وقسوته أن يحفظ الأمن في هذه البلاد التي كان يعوزها ذلك. ومن المطار قطعنا خمسة وثلاثين كيلومترًا إلى مدينة الدمام، وقد رأينا ونحن في طريقنا إليها مدينة الظهران المدينة التي بناها الأمريكان فنقلوا بها إلى الصحراء قطعة من أمريكا. وفي الدمام نزلنا في دار الضيافة، وتسمى دار الإمارة، وبعد الغداء ذهبنا على السيارات إلى رأس تنورة وقد قطعنا إليها حوالي ٧٥ كيلومترًا. استقبلنا على مقربة من المدينة أمير رأس تنورة تركي بن عطشان، ورأس تنورة كانت آنذاك مدينة ليست بالكبيرة وأهميتها آتية من أن فيها مصافي البترول. وصلنا إلى بيت الأمير، وهو بيت بسيط من مباني ما قبل البترول، وقد زرنا المصافي وميناء رأس تنورة وهو ميناء يفضل ميناء الحديدة بكثير. عدنا من رأس تنورة فزرنا الظهران المدينة التي يسكنها الأمريكيون وعدنا من هناك إلى الدمام وهو ميناء جيد فهو أولًا لسان طبيعي في البحر وفوق ذلك فقد ردموا ثلاثة عشر كيلو في البحر لإطالة اللسان.

أقام الأمير ابن جلوي حفلة عشاء في قصره الفخم وكان عدد المدعوين كبيرًا وكانت المائدة عامرة بالمآكل العربية، وفيها عشرة كباش موضوعة بنظام على الخوان. وكانت الكباش كبيرة بحيث استبعدنا وجود مثلها في هذه الصحراء القاحلة ولكن الأمير الرهيب أكد لنا أنها من إنتاج البلد. وبعد العشاء اجتمعنا مع الأمير في الصالون حيث شاهدنا تلفزيون شركة آرامكو وكنا نراه لأول مرة.

وفي يوم السبت ١٩ ربيع الثاني (٣٠ سبتمبر) وصل ابن جلوي إلى قصر الضيافة حيث ننزل، وكان البرنامج يقضي بأن نزور في هذا اليوم مدينة الخُبر والظهران ولكن الوقت ضاق بنا فاقتصرنا على الظهران. وقد زرنا المبنى الكبير الذي فيه البنك وفيه مكاتب موظفي الشركة والآلات الحاسبة ذات العقل الإلكتروني وأرونا كيف تعمل في ثلاث دقائق ما يعمله الإنسان في ثلاثة أشهر، وكيف يوجد جهاز خاص يراقب ما قد يحصل من غلط، كما أن هناك جهازًا للترجمة إلى عدة لغات. وقد اختصرنا الزيارة واتجهنا توًا إلى مطار الظهران لنواصل السفر إلى بيروت. وكان ولي العهد قد رجّح عودي من السعودية لأن مهمتي تنتهي هنالك ولكن العقيد الضبي نصحه بأنه ليس من صالحه أن يتخلص مني لأن عودتي ستفسر في اليمن بأنه يعني أن النية تتجه إلى القيام بمغامرات في إيطاليا وسويسرا سيكون وجودي مانعًا من القيام بها، فقبل أن أظل في المعية. ولم يخبرني العقيد الضبي إلا ونحن في إيطاليا ولو عرفت ذلك في السعودية لرفضت السفر معهم مهما كانت رغبتي في التعرف على سويسرا.

السفر إلى روما

قامت بنا الطائرة من مطار الظهران في الساعة الرابعة والنصف وكانت الطائرة نفاثة من نوع كوميت سي ٤، وبعد ساعتين ونصف كنا في مطار بيروت حيث كان ينتظرنا الوزير المفوض الدكتور عدنان ترسيسي وسفراء السعودية وتونس والجمهورية العربية المتحدة عبدالحميد غالب والسيدان إبراهيم الوزير وأخوه زيد والقاضي إبراهيم الحضراني ومندوب من الخارجية اللبنانية. نزلنا في فندق

(ريفييرا)، وبعد الظهر زارنا القاضي إبراهيم والسيد إبراهيم وخرجنا بعد الغروب إلى السوق ثم إلى كازينو لبنان الشهير والذي يبعد عن بيروت ٢٥ كيلومترًا.

في صباح الأحد لم أغادر الفندق فقد وصل الدكتور عدنان والسيد إبراهيم وأخوه زيد والأميران الأخوان يحيى وعبدالله بن الحسين، وقد نزلوا جميعًا في غرفتي انتظارًا لقيام ولي العهد الذي طال به النوم ولم أر من الذوق أن أتركهم وأخرج للتجول، ولم يستيقظ الأمير ولا قابلوه حتى دعينا للغداء في السابعة، وبعده تسنى لهم مقابلته ونالوا منه ما طلبوه من المطالب بما فيها قيمة سيارة للأمير يحيى بن الحسين. وقد أتجهنا بعد ذلك إلى المطار حيث قامت بنا طائرة متجهة إلى روما وقد اجتازت بنا البحر فقبرص فالبحر مرة أخرى ثم اليونان وبعد نحو ساعتين كنا في سماء أثينا وبعد ساعة كنا في مطار روما. وكان في استقبالنا الوزير المفوض محمد عبدالقدوس وعدد من اليمنيين الذين جاءوا للعلاج أو التعليم وفيهم العقيد حمود الجائفي وجميل محرم وعبدالعزيز عقلان وأولاد زبارة والشيخ سالم الرماح وسيف الإسلام إسماعيل وإبنه محمد والدكتور «فيه» السفير الإيطالي في اليمن. وبعد السلام ذهب كل إلى سيارته ولم يقل لنا أحد تفضلوا بل أستقلوا سياراتهم وذهبوا خلف الأمير كالممسوسين إلا الشيخ عبدالعزيز عقلان فقد دعاني للركوب معه لوحدي فرفضت لأنه كان معي العقيد الضبي والصحي محمد جحزر، وقد حصلنا على سيارة تكسي قفونا عليها أثر الرفاق. وأتجه الأمير إلى بيت الجبلي وقفونا أثره، ولما وصلنا إلى هنالك كنت مغضبًا أكاد أتميز من الغيظ لعدم اهتمامهم بنا وبالخاصة الوزير المفوض، وقد أوسعناهم عتبًا وأوسعونا اعتذارًا. وقد بقينا حوالي نصف ساعة ثم أتجهت مع الدكتور عدنان ترسيسي والقاضي إبراهيم الحضراني إلى فندق بريولي وبقي الضبي وجحزر لدى الأمير، وكان الدكتور عدنان والقاضي إبراهيم قد انضما إلى الرَكْب.

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا إلى المفوضية فلم نجد الوزير المفوض ولا وجدنا أحدًا ممن يمكن التفاهم معهم، وكان هناك السكرتير الايطالي فلم يفهمنا ولم نفهمه. وتركنا السفارة إلى محل إيجار السيارات حيث أستأجرنا سيارة للتنقل

بألفي ليرة وخمسمائة ليرة على أن يقودها الدكتور عدنان، وبعدها درنا بها في المدينة ثم عدنا إلى الفندق. وذهبنا في المساء إلى بيت الجبلي حيث كان هناك الأمير الحسن بن علي النائب في القاهرة وكان قد وصل ليعرض على الأمير بصفته وزير الخارجية ما لديه من مشاكل، وكان يعمل نائبًا عن الإمام في مجلس الإتحاد في القاهرة، وكان أهم ما لديه من المشاكل هو موضوع موقف اليمن من ثورة سوريا ضد الوحدة، وقد بحث الموضوع جماعيًا ورؤي تمسك اليمن بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بعد أن قرر عبدالناصر الاحتفاظ بالاسم والعلم والشعار.

كان الأستاذ علي المطري في ضمن الموكب، وكان سكرتيرًا للأمير، وكان يسلم لكل واحد منا خمسة جنيهات صرفًا يوميًا. وقد وجدنا بعدها أن المبلغ لا يكفي لتكاليف الفندق الذي ننزله، فعزمنا على البحث عن سكن يتناسب والخمسة الجنيهات. وذهب القاضي إبراهيم والطالب محمد حلمي للبحث عن شقة، وساقتهم الصدفة إلى أسرة كنت قد عشت معها حينما كنا مع الإمام في روما في أواخر ٧٨هـ وأوائل ٧٩هـ، واعتذرت الأسرة ولكنهم قالوا لها أن المطلوب غرفة لعم الطالب مطهر الإرياني، فتذكروني ورحبوا بي وانتقلنا إليهم. لم يطل بنا المقام فقد وصل السيد أحمد زبارة للمعالجة ونزل في (الشيفس) وهو عبارة عن عمارة تقع بجانب وزارة الخارجية، وقد بنتها الحكومة حينما عقدت دورة الألعاب الأولمبية في روما ثم أعدتها لنزول الطلاب المغتربين والسواح أيضًا بأسعار مخفضة. وقد ذهبنا إلى هنالك لزيارة السيد أحمد فلم نجده فكان قد ذهب إلى (بيزا) لزيارة إبنه حسين، وقد وجدنا المحل مناسبا من حيث الهواء ولياقة الغرف ومناسبة النفقات فأنتقلت إلى هنالك. ومع كون الغرف جميلة والصالونات فخمة فالنفقة على الشخص الواحد ألفي ليرة ومائتي ليرة في اليوم للسكن والأكل. ولم يعد السيد أحمد بإبنه وزوجة إبنه إلاّ ونحن أمامه، وكان معه أيضًا إبناه حسن ومحمد.

وجاءنا الولد مطهر بن عبدالله الإرياني من نابولي، وكان هناك يدرس الطب، وقد جاء زائرًا ومعه الشيخ محمد مكي الذي جاء من (منتكيني) وكان هناك تحت

العلاج. وبعد بقائهما عدة أيام قال الولد مطهر أنه يعتزم الانتقال إلى جامعه (باري) في جنوب إيطاليا ورأى أن يذهب أولًا إلى هنالك للتعرف على الجامعة. واعتزمنا نحن مرافقته إلى هنالك، واستأذنا ولي العهد وذهبنا معه ورافقنا الشيخ محمد مكي. وفي الواحدة والنصف من صباح الأربعاء ٣٠ ربيع الثاني (١١ أكتوبر) تحرك بنا القطار السريع من روما نحو باري وقد قطعنا المسافة التي تبلغ سبعمائة كيلومتر أي ما يعادل المسافة بين صعدة وعدن في ست ساعات ونصف بما في ذلك الوقفات التي كان يقفها القطار في المحطات.

نزلنا في فندق صغير بجانب المحطة، وبتنا تلك الليلة فيه، وفي الصباح ذهبنا على الأتوبيس إلى محل يقال له (كاسلانا) لزيارة الآثار التي فيه. وعند وصولنا صعدنا على البرج الذي يصعده السواح للإحاطة بمناظر البلد وقد وجدنا أن البلد على امتداد البصر من الجهات الأربع عبارة عن حديقة من العنب، وكنا قد لاحظنا في طريقنا على القطار أن تسعين في المئة من الأراضي التي مررنا بها مزروعة بالأعناب وعشرة في المائة أشجار زيتون أو حقول قمح. دخلنا المغارة التي تشبه إلى حد كبير مغارة جعيتا في لبنان إلا أنه ليس فيها مياه، وطولها سبعة كيلو وقد تجولنا بكيلومتر واحد وهو مضاء بالكهرباء والطريق فيه معبدة والأعمدة الطبيعية التي تصعد فيها بيضاء ناصعة البياض وشفافة. خرجنا من المغارة في وقت متأخر فتناولنا طعام الغداء في مطعم أنيق بجانبها، وصادف أن حفلة عرس ستقام فيه، وبينما نحن نتناول غداءنا إذ توافد المدعوون على المطعم وأخيرًا جاء العريس والعروس ووقفا على باب المطعم طويلا والمصورون يلتقطون لهما الصور، ثم دخلا المطعم ومرا من أمام الطاولة التي نقعد عليها وكان ثوب العرس وراء العروس تجره على الأرض بطول خمسة أو ستة أمتار، وكانت العروس في غاية الجمال فلم نتمالك حينما مرت من أمامنا من التصفيق فحنت رأسها وابتسمت وقالت (قرادسي) أي شكرًا ووجد الناس أنفسهم يصفقون تقليدًا لنا مع شيء من الاستغراب ويبدو أنهم لم يكن من عادتهم فعل مثل ذلك.

عدنا من (كاسلانا) بعد الظهر على أتوبيس إلى (باري)، وهناك ذهبنا إلى الجامعة لأخذ المعلومات المطلوبة للولد مطهر. وقد تجولنا في المدينة الجميلة

باري، وهي تقع على البحر والكورنيش فيها جميل أيضًا، وقد كانت في أواخر الحرب العالمية الثانية تبث منها إذاعة إيطاليا برامجها، وقد تناولنا القهوة في مطعم (الادرياتيك) وهو مطعم جيد وخيالي الأسعار ولهذا اكتفينا بشرب القهوة فيه وتناولنا عشاءنا بالمطعم المعتاد.

وفي اليوم التالي اتجهنا إلى المحطة حيث ركبنا القطار السريع في عودتنا إلى روما. وقد وصلنا إلى الشيفس لنجد الغرفة التي ننزلها محتلة بسائح ألماني فنزلنا في غرفة بجانب ثلاثة طلاب ألمان. وفي اليوم التالي سافر الدكتور عدنان إلى سويسرا لتجهيز محل لولي العهد لسفره إلى هنالك للمعالجة فنزلت في غرفته.

وفي ٣ جمادى الأولى (٦١/١٠/١٤ م) دعينا من المفوضية اليمنية لحضور حفل ذكرى عيد جلوس الإمام على العرش التي أقيمت في قراندي هتيل ودعي إليها السلك الدبلوماسي وبعض رجال الخارجية الايطالية وقد التقينا بسفراء الجمهورية العربية المتحدة والسودان والأردن وغيرهم.

السفر إلى سويسرا

وفي مساء يوم الثلاثاء ١٣٨١/٥/٦هـ (١٩٦١/١٠/١٧م) قامت بنا الطائرة من مطار روما إلى سويسرا، وقد وصلنا إلى جنيف بعد طيران ساعة وربع وكان المطر يهطل بغزارة. وقد أستقلينا السيارات من المطار إلى ضاحية من ضواحي (لوزان) تدعى (بلّي)، وكان الدكتور عدنان قد أعد لنا غرفة مناسبة في فندق. وبعد يومين انتقلنا إلى (مونتري) لمّا انتقل ولي العهد إلى مستشفى هنالك، وقد نزلنا في فندق هناك على ضفة البحيرة وفي سفح الجبل الاخضر المكسو بالأشجار على مرأى العين، وكانت الثلوج تجلل أعالي الجبال فتعطي منظرًا جميلًا غير مألوف لنا في اليمن.

بقينا يومين لم نر فيهما الشمس ولا انقطع هطول الأمطار ولذلك لم نخرج من الفندق، أما اليوم الثالث فقد كان يومًا مشمسًا والجو جميلًا والمناظر خلابة ولو قدر لنا أن نسافر اليوم بعد اليومين اللذين كنا فيهما حبيسي الغرف لما عرفنا



من يمين القارئ:
العقيد عبدالله الضبي
اللواء حمود الجائفي
الاستاذ علي المطري
القاضي عبدالرحمن الإرياني
الاستاذ محمد جحزر

أخذت في إيطاليا أو سويسرا
سنة 1381هـ
الموافق 1961م

شيئًا من جمال سويسرا المشهور ولأخذنا عنها صورة سيئة، ذلك أن السواح والزوار إنما يأتونها في الصيف لا في الشتاء كما فعلنا نحن. وفي المساء ذهبنا للتعرف على ما يعرض في السيرك السويسري وقد رأينا من الألعاب الرياضية من الفتيات والفتيان ما يدعو إلى العجب والإعجاب، كما رأينا من العاب الحيوانات ما هو أغرب، فقد كانت الكلاب تلعب كرة القدم على أتم قواعدها كما قامت القرود بعدة ألعاب وكانت إذا لم يصفق لها الجمهور صفقت لتحمل الجمهور على التصفيق.

كنا قد التقينا في ايطاليا كما أسلفنا العميد حمود الجائفي وكان هناك للعلاج بعد أن فر من سجن القلعة بصنعاء إلى عدن، وهناك ساعده بعض اليمنيين على السفر إلى إيطاليا للعلاج. وقد حسّنا لولي العهد العودة به إلى اليمن وتأمينه وتطمينه وأنه سيجد منه نِعم العون، فلم يبد في البداية استجابة حتى أبرق إلى الإمام فجاء جوابه بالإيجاب، وبعدها دخل في زمرة الركب المرافقين لولي العهد وسافر معه إلى سويسرا. وكان يشكو مرضًا جلديًا سببته دهونات فأمر الأمير بمعالجته، فذهبنا معه مصحوبين بالدكتور عدنان ترسيسي إلى جنيف للتعرف على المدينة وعرض العميد حمود على الطبيب. وقد تعرفنا فيها على قصر الأمم المتحدة وهو القصر الذي كان مقرًا لما كان يسمى بعصبة الأمم ولا يزال الآن مقرًا للجان الفرعية التابعة لهيئة الأمم المتحدة. أما الأمير ومعه سيف الإسلام عبدالرحمن وبقية الرفاق فقد ذهبوا إلى ايفيان المدينة الصغيرة التي كانت فيها المحادثات بين فرنسا وبين ثوار الجزائر وتقع في الضفة الأخرى من البحيرة.

وفي يوم الأحد ذهبنا مع الدكتور عدنان إلى محل التزحلق في الجبال الشرقية من منتري. وقد وصلنا إلى محل المصاعد الكهربائية وكانت واقفة عن العمل فلم نتمكن من الطلوع عليها. وفي اليوم التالي ذهبت مع الجائفي والضبي والمطري إلى (برن) عاصمة سويسرا وهي مدينة جميلة وتبعد عن منتري مائة كيلومتر، زرنا فيها حديقة الحيوانات ولاحظنا فيها كثرة الجسور على النهر الكبير الذي يتلوى في أحيائها. مررنا في طريقنا إليها بعدة مدن ولاحظنا كثرة المراعي للأبقار. وفي هذا اليوم دخل الأمير البدر المستشفى وفُرض عليه الصوم وعدم التحرك فكانت

الفرصة سانحة لنا لننتفع بالسيارة المعدة له، فتجولنا عليها في عدة مدن فزرنا لوزان وجنيف مرة أخرى وزرنا أيضًا مدينة نستل وهي تبعد عن منتري بتسعين كيلو وتقع على بحيرة كبيرة، وفي طريقنا إليها مررنا على عدة مدن.

تعيين البدر نائبًا للإمام بعد موته

كانت تصل إلى الدكتور عدنان صحف لبنانية وقد نشر أكثرها إشاعة تنازل الإمام عن العرش لإبنه البدر. وكان النشر في كل الصحف عاديًا إلاّ صحيفة الحياة فقد قالت كلامًا كثيرًا ومغرضًا وموجهًا والصحيفة كما هو معروف تمولها السعودية. وجاءت برقية لولي العهد من السيد محمد أحمد الشامي مدير الإذاعة تقول له استمعوا إلى إذاعة صنعاء فستذيع بيانًا هاما. وأمر الأمير بشراء راديو كبير يمكنه التقاط إذاعة صنعاء في سويسرا. وجاء البيان الذي يقول فيه الإمام أحمد أنه قد استخار الله واختار إبنه ولي العهد محمد نائبًا له بعد موته واستمع الأمير هذا البيان وقهقه عاليًا وقال إنه يريدني نائبًا له بعد موته.

وفي يوم الاثنين ٢٦ جمادى الأولي سنة ١٣٨١هـ الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٦١م غادرنا منتري إلى زيورخ على السيارات وكان الأمير والدكتور عدنان والحرسي على سيارة سيف الإسلام عبدالرحمن التي يقودها وكنت والجائفي والضبي على سيارة الأمير، وكان المطري وجحزر والوجيه والشرفي على سيارة أجرة وقد تناولنا طعام الغداء على مائدة واحدة مع الأمير وكان واجمًا وفي حالة نفسية سيئة لسبب مجهول، وقد أخبرنا الذين رافقوه في السيارة أنه لم يتكلم كلمة واحدة وعلل ذلك البعض بأن البيان الذي أصدره الإمام لم يرقه.

التوجيهات بالسفر إلى القاهرة

نزلنا مع الرفاق في فندق في ضاحية المدينة وذهب الأمير إلى فندق في وسط المدينة ولكنه لم يجد محلًا شاغرًا فعاد إلى الفندق الذي نزلنا فيه. ولما نعرفه من أن الأمير يحب أن ينفرد في محل نزله فقد انتقلنا إلى فندق داخل المدينة. وقد

قضينا في زيورخ أربعة أيام لم نزر فيها الأمير لأن المسافة إلى محله بعيدة وليس لدينا سيارة، ولشعورنا بأن الزيارة قد لا يكون مرغوب فيها. وجاءنا في اليوم التالي سيف الإسلام عبدالرحمن ليخبرنا أنها وصلت أوامر من الإمام إلى ولي العهد يأمره فيها بالمرور من القاهرة لحضور افتتاح الدورة الثانية لإتحاد الدول العربية وإزالة سوء التفاهم الذي سببه ما أذاعته لندن من أن اليمن اعترفت بحكومة الانفصال في سورية، ولا أدري هل سيكون هذا مرضيًا للقاهرة أم ستراه ضربًا من الخداع.

سبّب انقطاعنا عن الأمير وحشةً فجاء إلى الفندق الذي ننزل فيه يسأل عنا وكنا غير موجودين، وقيل لنا ذلك فرأينا من الواجب أن نذهب إليه. وذهبنا وعند وصولنا أمر ببقائنا في الفندق الذي ينزل فيه وعلى حسابه الخاص، وكان قد شعر أن ما أبداه من جفاء ونحن في طريقنا من منتري إلى زيورخ هو السبب في انقطاعنا عن زيارته فأراد أن يمحو ذلك بما أبداه من سؤال واهتمام.

كان مقررًا أن نسافر من زيورخ إلى بيروت فجدة فصنعاء في غرة جمادى الثانية (١٠ نوفمبر) ولكنه تغير البرنامج بالأمر الذي كلف الأمير بالمرور من القاهرة، وتأخر السفر حتى يتم اتصال الأمير الحسن بن علي بالمسئولين في القاهرة لترتيب استقبال الأمير. وبعد الاتصالات كان السفر من زيورخ إلى القاهرة وتم افتتاح الدورة واجتمع الأمير بالرئيس جمال عبدالناصر، ولكن عمر هذا الإتحاد لم يطل.

الفصل التاسع عشر

عـام الثــورة

تهنئة سورية بالانفصال

في رجب ١٣٨١هـ (ديسمبر ١٩٦١م) غادرت تعز لحضور المؤتمر الإسلامي العام الذي تقرر إنعقاده أواخر الشهر في الأردن (القدس). وبعد وصولنا إلى بيروت في طريقنا إلى المؤتمر وصلنا أمر الإمام أحمد أن ننتقل إلى دمشق لتهنئة حكومة الانفصال، وقد نفذنا الأمر وكان معنا في الوفد الأخ القاضي عبدالله الشماحي والسيد عبدالله بن يحيى العلوي، اللذان صحبانا لحضور المؤتمر، والدكتور عدنان ترسيسي الوزير المفوض في بيروت. وقد أُحتفل بنا في دمشق كثيرًا وأقام لنا رئيس الجمهورية ناظم القدسي حفلة غداء في نادي الضباط حضرها مأمون الكزبري ورئيس الوزراء الأستاذ معروف الدواليبي. ثم بعد ذلك أصدر الإمام أحمد منظومته المشهورة التي هاجم بها الاشتراكية المصرية فأثار غضب عبدالناصر ودعاه إلى إعلان حل الإتحاد. وبذلك اطمأنت المملكة العربية السعودية التي كانت وراء كل أعمال الإمام الاستفزازية من وفد التهنئة لحكومة الانفصال إلى نشر المنظومة الناقدة للاشتراكية.

البيضاني في الواجهة

وفتح موقف عبدالناصر من الإتحاد أبواب الأمل في نفوسنا على مصاريعها. وكان المنتظر أن يفتح المجال للقاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ أحمد محمد نعمان زعيمي حركة المعارضة الموجودين في القاهرة ليعملا بمعرفة ويعارضا دون

تجاوز المصلحة. ولكن الأمل لم يتحقق، فلم يمكنا من النشاط بينما أُوسع المجال للدكتور البيضاني، الذي كان يعمل للإمام أحمد ومعه ضد الأحرار. وبدأ هذا يكتب في مجلة روز اليوسف سلسلة من المقالات تذاع من صوت العرب. ولو أن البيضاني قد نهج نهجًا صحيحًا في عمله ضد الإمام لباركنا عمله والتفينا حوله وقلنا ما يقوله المثل الشعبي (حيّا بالجمالة من أينما جاءت)، ولكنه نهج نهجًا مفرقًا فأخذ يهاجم الهاشميين تارة ويهيج الشافعية ويتباكى عليهم أخرى. ولما عتبنا عليه ذلك أعتذر بأن الهاشميين هم واجهة الحكم وهم الحكام، فقلنا له ولكنك تهاجمهم على أساس عنصري وتقسم الشعب إلى هاشمي وقحطاني، وهذا ما نرفضه، ولن ننسى أن من الهاشميين من يعانون ما يعانيه الشعب من فقر وجهل ومرض وتخلّف، وأن منهم من سقط شهيدًا في سنة ١٩٤٨م، وسنة ١٩٥٥م. وأصم الدكتور أذنيه عن نصحنا وأخذ يسير في نهجه المفرق وأخذت روز اليوسف تنشر ما يكتبه وصوت العرب تذيع ما تنشره حتى حصل من ذلك كتيبًا أصدره بعد الثورة.

إستدعاء عبدالغني مطهر إلى القاهرة

في هذه المرحلة كنا نعمل مع بعض الإخوان في تعز للتحضير للثورة، ومن بين من عملوا معنا عبدالغني مطهر وعلي محمد سعيد وهما من التجار وعبدالقادر الخطري ومحمد مفرح وهما من الضباط. وكانت العلاقة والتنسيق والتشاور قائم بيننا وبين بقية الزملاء في صنعاء، وكان الأستاذ أحمد القعطري هو حامل الرسائل والمعلومات بيننا.

وكان لنا صلة بالسفير المصري علي الدسوقي كما كانت أطراف عدة من العاملين في الحقل الوطني قد أرست علاقات، بوساطات مختلفة، مع الحكومة المصرية التي كانت تشجع الجميع على احداث تغيير في اليمن وتعد بالمساندة والمساعدة. ومن هؤلاء كان الشيخ عبدالغني مطهر الذي كانت صلته بالقاهرة عن طريق البيضاني. وفي أوائل شهر القعدة ١٣٨١هـ (إبريل ١٩٦٢م) جاء من القاهرة استدعاء للشيخ عبدالغني مطهر، وجاء يبلغني ويطلب رأيي. وقال إن الخطة الموضوعة من القاهرة



من يمين القارئ:
السيد عبدالله العلوي
القاضي عبدالله الشماحي
الرئيس السوري ناظم القدسي
القاضي عبد الرحمن الإرياني
السيد عدنان ترسيسي

أخذت في دمشق عند زيارتها
للتهنئة بالانفصال

ديسمبر 1961م



مصافحا السيد معروف الركابي
رئيس وزراء حكومة الانفصال
في سوريا عند زيارة الوفد لها
للتهنئة بالانفصال

دمشق، ديسمبر 1961م



من يمين القارئ:
القاضي عبدالرحمن الإرياني
السيد عبدالله العلوي
القاضي عبدالله الشماحي

أخذت أمام قبة الصخرة في القدس
أثناء حضور المؤتمر الاسلامي

يناير 1962م



من يمين القارئ: جالسا على الكرسي مندوب تركيا، فالسيد عبدالله العلوي، فالشيخ آدم عبدالله مندوب نيجيريا، فالشيخ يحيى النور عالم إيراني، فالقاضي عبدالله المجاهد الشماحي، فالشيخ محمد الصواف العالم العراقي اللاجئ في السعودية، فالقاضي عبدالرحمن الإرياني، فالشيخ عبدالرحمن خليفة رئيس الاخوان المسلمين في الاردن، فالشيخ عباس مهاجراني من إيران، فالشيخ جلال الدين فاني من إيران.

أخذت أثناء المؤتمر الاسلامي بالقدس في 27 رجب 1381هـ، الموافق 3 يناير 1962م

تقضي بأن يقوم هو بزيارة إلى ألمانيا الغربية وسيقابله هناك الدكتور البيضاني ليبلغه التعليمات المطلوب السير عليها. وقد فهمت من هذه الدعوة أن القوم هناك يتجاهلون وجود الزبيري والنعمان في القاهرة ويريدون التعاون مع من لا رصيد له في الحركة الوطنية، ولكني قلت للشيخ عبدالغني فلتذهب لتعرف ما يريدون. وسافر عبدالغني إلى ألمانيا ومنها بصورة سرية إلى ومنها عاد إلى بيروت فجدة فاليمن. وقد جاءنا بتشكيل حكومة ما بعد الثورة جعلوني فيه رئيسًا للجمهورية والدكتور البيضاني نائبًا ورئيسًا للوزراء ووزيرًا للخارجية والاقتصاد، ولم يدرج إسم النعمان والزبيري في أي وزارة. ولما ناقشت عبدالغني في ذلك قال أنهم في القاهرة يقولون أن الأخوين نعمان والزبيري قد ركنا إلى العيش في الخارج وإن النية متجهة إلى إعادة الإتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة وسيعين أحدهما نائبًا والثاني وزيرًا في الإتحاد وفي هذا تحقيق لرغبتهما. فقلت له ولكن ليس من المعقول أبدًا أن يخلوا التشكيل من اسميهما، ثم أني لا أوافق على أن أكون رئيسًا للجمهورية فلا بد أن يحتل هذا المنصب من يراه العسكريون، ولابد أن نكون واقعيين إذا أردنا للثورة النجاح. ثم أني لا أوافق أيضًا على أن يكون للدكتور البيضاني كل هذه المناصب، وبالخاصة رئاسة الوزراء، فعمر البيضاني في نظر الشعب في الحقل الوطني قصير وهو غير معروف، ويمكن أن يكون وزيرًا للاقتصاد بحكم اختصاصه، على أن يكون الأستاذ نعمان رئيسًا للوزراء والأستاذ الزبيري وزيرًا للخارجية، ويمكن أن أكون وزيرًا للعدل. وقال عبدالغني ولكن الإخوان في القاهرة يريدون هذا، فقلت له أنا أقول لك عن رأيي، ولك أن تبلغهم، ثم أنه إذا لم يشترك الزبيري ونعمان فأنا الآخر لن أشترك. وذهب عبدالغني إلى صنعاء وعرض الموضوع على الإخوان هنالك ووافقوا على رأيي، وابلغ القاهرة بذلك.

الحج وحضور إجتماعات رابطة العالم الإسلامي

وجاء موسم الحج وانتظرت أن أكلف بإمارة الحج كما هي العادة ولكنها صرفت عني هذه المرة إلى وزير المعارف القاضي محمد عامو، فقلت أعباء ومتاعب كفيتها.

ولكنني فوجئت يوم ٧ ذي الحجة سنة ١٣٨١هـ (١٠ مايو ١٩٦٢م) بطلب من الإمام. ولما ذهبت إلى المقام وجدت وزير الخارجية السيد حسن بن إبراهيم فقال لي لقد كتبت في الواقفين، فقلت ما الأمر فقال لقد أمر الإمام بسفرك إلى مكة لحضور جلسات الرابطة الإسلامية. وكنت قد أطّلعت على صحيفة سعودية فيها فتوى من بعض العلماء بكفر عبدالناصر، وتقول الصحيفة أن هناك اتجاهًا إلى استصدار فتوى من الرابطة الإسلامية بذلك، فخطر في بالي أن الغرض توريطي فإما أن أعارض فيشكوني الملك سعود إلى الإمام أحمد لأني فوت عليه فرصةً عمل لها طويلًا، وإما أن أساير العلماء القائلين بالتكفير وذلك ما لا يمكن ولا يرتاح له ضميري. وقلت لوزير الخارجية ولكني أريد أن أرى الإمام لبعض الأمور الضرورية، فحَرّر ورقة إلى الإمام أحمد يطلب لي الإذن. وجاء الإذن ودخلت وقلت للإمام لقد أمرتم بسفري لحضور جلسات الرابطة ولدي معلومات أنهم يريدون إصدار فتوى بكفر عبدالناصر وجلالتكم تعرفون رأيي في الموضوع وأخشى إن أنا عارضت أن يشكو إليكم الملك سعود ذلك فتجدوا علي من جراء شكواه، ومن الخير أن تأمروا بحضور القاضي محمد عاموه أمير الحجاج ليحضر عن اليمن. فقال لقد حاولنا ذلك ولكنهم قالوا لابد من حضورك لأنك عضو مؤسس في الرابطة وسيرسلون طائرة خاصة غدًا، ولك أن تحتفظ برأيك في موضوع التكفير لعبدالناصر. وقبلت السفر وحملت رسالة من الإمام إلى الملك، وقمت على طائرة سعودية وكان ذلك يوم التروية، وقد أحرمت من البيت وعند وصولي جدة غادرتها إلى مكة وبعد الطواف والسعي غادرتها إلى منى وفي اليوم التالي إلى عرفة فتم لي الحج بحمد الله.

وبعد أيام الحج حضرنا جلسات الرابطة التي كانت تجمع الإجلاء من علماء العالم الإسلامي ومنهم العلاّمة أبو الأعلى المودودي العالم الباكستاني، وأبو الحسن الحسني عالم الهند والشيخ البيحاني عالم اليمن وعلماء من مصر وسوريا والعراق وغيرها. وقد عقدت أول جلسة في أحد البساتين في مكة المكرمة وكان المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجلسة وكان الشيخ عبدالعزيز بن باز أول من ألقى كلمة، وكان الشيخ محمد سالم البيحاني الرجل الثالث، وكلهم عميان.

وأفتتح الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم رجل ضرير أيضًا، فقال أحد الإخوان السوريين هذا مؤتمر العميان. وضحكنا، وقلت أرجو أن لا يسري العمى من البصر إلى البصائر.

أخذ العلماء اللاجئون في المملكة وعلماء نجد يلقون كلماتهم ويهاجمون عبدالناصر والشيوعية كمقدمة لإصدار قرار من المؤتمر بالتكفير. وعزمت على أن أعمل شيئًا من أجل أن أضم إلى رأيي آراء آخرين، فذهبت إلى العالم الجليل الدكتور سعيد رمضان وهو من كبار ومشاهير علماء الإخوان المسلمين الذي قضى عليهم عبدالناصر في مصر أحاول، برغم علمي بعدائه لعبدالناصر، أن لا ينزلق العلماء إلى الهاوية التي يريدها لهم النجديون. وطرحت له الموضوع فقال، إسمع مني إني لا أتحرج من تكفير عبدالناصر، وعندي أن من قتل عبدالقادر عودة ومحمد فرغلي وإخوانهم لا يمكن أن يكون مؤمنًا، ولكنا سنربأ بأنفسنا عن أن نكون آلة بيد الحكام يستغلوننا سياسيًا. فإذا جرى حديث من هذا القبيل فقل رأيك، وأنا معك. وجاءت الجلسة الثانية ووزع أبو الأعلى المودودي كلمته وكانت قد طبعت وطالعتها فوجدته قد أقر فيها الاشتراكية كعدالة إجتماعية، فقلت ها قد كفانا الله شر المواجهة بما أجراه على قلم هذا العالم الجليل. كان علماء نجد يجلون أبا الأعلى، ولكن كيف يمكن أن تدرج الكلمة في محاضر الرابطة. وأصبح همهم الآن أن يحصلوا على موافقة الشيخ على شطب تلك الفقرات التي جاءت عن الاشتراكية من محاضر الرابطة فقال لهم الرجل أنا قلت رأيي وأنتم أحرار في إثبات ما ترون إثباته، وحذف ما تودون حذفه، أما أنا فلا أحذف شيئًا أعتقده وأراه. وقد جمعوا ما كان قد وزع من النسخ ولكني أحتفظت بنسختي وبودي لو كانت موجودة لأنقل نص ما قاله المودودي حياه الله والذي كفانا الله به التصادم مع علماء نجد الذين لن يكتفوا بتكفير عبدالناصر حتى يكفروا كل من يخالفهم.

ولا بد لي من أن أسجل أن الدكتور سعيد رمضان بمواقفه الصلبة وإعتزازه بنفسه واحترامه لعلمه قد جعل السعودية تقف منه موقفًا خاصًا. فبعد أن كانت تساعده على إقامة مركز للدعوة في سويسرا اعتمدت على آخرين ممن لديهم استعداد لأن يجعلوا من أنفسهم آلة بيد السياسة السعودية وأولئك هم علماء

السوء. وقد أبقى الدكتور رمضان على مركزه وهدى الله على يديه عددًا من شباب المسيحيين وغيرهم.

وفي ٢٦ ذو الحجة حضرنا الجلسة الاولى للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وقد رأس الجلسة الأمين العام للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان وحضرها من أعضاء المجلس الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والسيد مكي الكتاني والسيد أبو الأعلى المودودي والقاضي عبدالرحمن الإرياني والدكتور سعيد رمضان والسيد كامل الشريف والشيخ محمد محمود الصواف والشيخ عبدالله القلقيلي، بينما تخلف عن الحضور نحو سبعة آخرين من أعضاء المجلس. و قبل مغادرتي عائدًا إلى اليمن أرسلت إلى الامين العام للرابطة مذكرة تناولت فيها بايجاز ما رأيته من صعوبات تقف في وجه وحدة الصف الإسلامي من اختلاف اللغة إلى اختلاف المناهج التعليمية إلى إختلاف الاتجاهات السياسية بين الاقطار الإسلامية، وأشرت في المذكرة إلى ما رأيت من واجب الرابطة الاهتمام به في المرحلة المقبلة ليتكلل لها النجاح(١).

تشكيل أول حكومة

في أواخر سنة ١٣٨١هـ (أوائل ١٩٦٢م) استطاع الذين حول الإمام وعلى رأسهم حسن بن إبراهيم وعبدالرحمن عبدالصمد إقناع الإمام بتشكيل حكومة يكون رئيسها إبنه ولي العهد على أن يكون من بين رجالها من غير الهاشميين. وتم ذلك بتعيين القاضي عبدالله الحجري وزيرًا للمواصلات، وتعيين القاضي محمد عاموه وزيرًا للمعارف. ورأى البعض تعييني وزيرًا للدولة بلا وزارة وعارض آخرون، وكانت حجة المؤيدين للتعيين أن في تعييني ما ينفي تهمة الإثرة من ناحية ومن ناحية أخرى تطمين الذين قدرت لهم النجاة من محنة ثورتي ١٩٤٨ و ١٩٥٥م بأنهم قد أصبحوا محلًا للثقة وأهلًا للإشراك في الحكم. أما حُجّة المعارضين فقد كانت ترتكز على سؤ الظن والجزم بأن هذه الفئة لا يرضيها الحصول على وزارة

(١) نص المذكرة كاملًا في الملحق رقم (١٤).

شكلية بقدر ما تعمل لتغيير النظام وأن هذا التعيين لا يحد الطموح وإنما يفتح الشهية. وقد تغلب الجانب المؤيد لأن فيه ولي العهد، وأُعلن التشكيل وفيه عينت وزيرًا للدولة وكان في الوزارة الحسن بن إبراهيم وزيرًا للخارجية وعبدالرحمن عبدالصمد وزيرًا للاقتصاد وعبدالقادر بن عبدالله وزيرًا للعدل. لم يكن لي رأي في الموضوع فقد سمعت نبأ التعيين من الإذاعة، وطبعا لم يكن من حقي أن ارفض لأن الإرادة السنية لا ترد، ولكني لم أحفل بهذا التعيين ولزمت محل عملي المعتاد نائبًا لرئيس الهيئة الشرعية أي محكمة النقض والإبرام العليا.

وفي بداية سنة ١٣٨٢هـ (منتصف سنة ١٩٦٢م) قرر ولي العهد أن ينظم الوزارة باستكمال تركيبها الشكلي على الأقل. وكانت كل الوزارات لا نظام تسير عليه ولا هيكل تتكون منه وقد كان بعضها مستحدثًا وقديمها كان بلا تنظيم إداري بل كانت أشبه بمكتب يحيل الإمام إليه ما عن له أن يحيله للحفظ أو للتنفيذ فلا جلسات تعقد ولا مواضيع تدرس. ولهذا فقد قرر البدر أن يضع لكل وزارة نظامًا إداريًا يحدد ما يجوز لها النظر فيه وما لا يجوز واستطاع أن يحصل على موافقة الإمام وبدأ يدعو الوزراء لجلسات أسبوعية. وقد بدأ بتنظيم القوات المسلحة ولما كنت أنا والسيد حسن بن إبراهيم والسيد عبدالرحمن عبدالصمد مقيمين في تعز حيث يقيم الإمام فقد كانت تخصص لنا أسبوعيًا طائرة هليوكبتر تطير بنا إلى صنعاء لحضور الجلسات. وكان أمامنا عمل يستغرق عدة أيام فقد كان البدء من الصفر في تشكيل الوزارات أو بعبارة اصح إنشاء الوزارة ووضع القوانين التنظيمية لأنها تُعتبر أول وزارة يراد لها أن تكون حديثة فكان على الحكومة بكامل أعضائها أن تدرس هذه القوانين وتقرها أو تعدلها. وقد كنا نعمل إلى ساعة متأخرة من الليل ثم نذهب إلى دار الضيافة محل نزولنا للمبيت.

موت الإمام أحمد

وفي ١٩٦٢/٩/١٥م غادرنا تعز إلى صنعاء لحضور جلسات مجلس الوزراء. ومرت ثلاثة أيام وليس في الجو ما ينذر بأن التغيير قد أصبح على قاب قوسين أو أدنى.

وفي يوم الثلاثاء ١٩٦٢/٩/١٨م كنا في دار الضيافة فإذا بنا نفاجأ بوصول السيد عبدالله عبدالكريم، صهر الإمام والأثير لديه، ومعه العقيد أحمد الآنسي رئيس الشعبة العسكرية في تعز. ولما عرفنا أنهما في طريقهما للعودة إلى تعز أستشعرنا أن وراء هذا المجيء والعودة السريعة نبأ. وسألت السيد عبدالله عبدالكريم، وكان لي عليه دالة وبيننا صداقة، عن سبب مجيئه فقال أنه جاء برسالة شفهية للبدر من أبيه. فقلت، ولكن ما سر هذه العجلة. فقال لأن الطائرة ستعود الآن. ولكن العقيد الآنسي أنتهز فرصة إشتغال السيد عبدالله بالكلام مع آخرين وجرّني بعيدًا وأسرّ إليّ بأن الإمام قد مات، وأنهما عائدان إلى تعز لإيصال الجثمان إلى صنعاء لمواراته التراب بجوار المسجد الذي بناه الإمام أحمد ليدفن بجانبه أسوة بأبيه الإمام يحيى. أستغربت أن يكتم عني السيد عبدالله عبدالكريم خبرًا سيعلن بعد ساعة وقد استشفّيت من وراء هذا الحذر إيغالاً في سوء الظن.

وما هي إلاّ دقائق حتى جاء من يدعونا إلى المقام، أي إلى قصر ولي العهد. وذهبت إلى هنالك وفي مكان الإنتظار لم أجد غير القاضي محمد بن أحمد الجرافي السكرتير الأول في مقام ولي العهد، وكان ينتظر الإذن بالمقابلة وقد بدا عليه أنه لا يعلم شيئًا عن وفاة الإمام، ولهذا فقد تلقى الخبر مندهشًا ثم واجمًا. وبينما نحن نستكْنِه المستقبل ونحاول إستطلاع ما تخبئة الأيام جاء أحد الجنود يدعونا إلى ولي العهد. وقد دخلنا فوجدنا السيدين عبدالرحمن عبدالصمد وحسن بن علي بن إبراهيم قد سبقانا. وأنتظرنا حوالي نصف ساعة، كان الوجوم والصمت هو السائد حتى جاء بقية الوزراء، وهناك عُقدت الجلسة وحضرها من خارج الحكومة الأمير سيف الإسلام علي بن الإمام يحيى وقد قام هو بنعي الإمام أحمد والدعوة إلى بيعة ولي العهد إمامًا وملكًا على اليمن. وتمت البيعة من الحاضرين وأتجهنا بعد ذلك إلى المطار لملاقاة الجثمان والإشتراك في تشييعه إلى مثواه الأخير.

كان السيد محمد أحمد بن عبدالرحمن الشامي مدير الإذاعة السابق من المرافقين للإمام أحمد حينما سافر إلى إيطاليا للإستشفاء. وقد وضع كتيبًا يشرح فيها الرحلة وسماه (في الموكب الناصري). وكان من غرائب الصدف أنه كان قد مات بحادث سيارة في اليوم الذي مات الإمام في مسائه، وقد كان الجثمانان معًا على

الطائرة وقد حملا إلى مسجد قبة المتوكل للصلاة عليهما معًا وقال الناس إنه في موكب الإمام الناصر حتى إلى العالم الآخر.

على قبر الإمام

وقفنا على حافة القبر وبجانبي السيد العلاّمة محمد بن يحيى الذاري، وكان لي صديقًا حميمًا، وقفنا موقف العِبرة. وقال السيد الجليل الذاري أرايت ذلك الرجل الرهيب الذي كان يخافه كل أبناء الشعب اليمني والذي أطاح بالرؤوس وأخضع القبائل وأهان رؤساء العشائر ها هو بين أيدينا جثة هامدة لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعا. وقلت له إنها الدنيا وسُنّة الحياة وما أصدق المثل القائل (القبر صندوق العمل). فقال كيف شعورك اليوم نحوه، فقلت له إنه شعور المشفق. فقال هل تسمح لنفسك الآن بالمسامحة، فقلت نعم... ولكن ماذا يجديه أن أسامحه وأنت تعرف ما جرى لهذا الشعب من ويلات على يديه وكم أخوة وزملاء، ممن قطعت رؤوسهم بحد السيف لمجرد أنهم طالبوا بالإصلاح، ينتظرونه هناك وفيهم السيد حسين الكبسي ذلك الرجل الذي كان خيرًا كله وفيهم وفيهم وفيهم. ودمعت عينا السيد الذاري رحمه الله إشفاقًا.

مبايعة البدر إمامًا

وفي اليوم التالي فُتحت أبواب القصر على مصاريعها وأتى الناس زرافاتٍ ووحدانًا يبايعون الإمام البدر إمامًا وملكًا، وأعدنا نحن البيعة لتسجل للإذاعة.

كان التنافس كما هو معلوم بين الحسن، وهو كبير أولاد الإمام يحيى بعد الإمام أحمد، وبين ولي العهد البدر على أشده. ومن أجل هذا التنافس أبعد الإمام أحمد أخاه الحسن إلى أمريكا. ولهذا فقد كان الإسراع في إكمال البيعة هَمّ البدر والسيد حسن بن إبراهيم وزير الخارجية والسيد عبدالرحمن عبدالصمد وزير الإقتصاد، وهما المسيران لولي العهد والموجهان. وبرغم ما بينهما من التنافس فقد كانا يلتقيان، في الظاهر على الأقل، على قدر مشترك من الحرص على نجاح البدر ورأب الصدع وجمع الشمل. ومن هنا جاء إهتمام الثلاثة بمعرفة موقف سيف الإسلام الحسن من البيعة.

وكان البدر قد بعث برقية مطولة إلى عمه الحسن ينعي إليه الإمام ويعلمه بتوليه الإمامة ومبايعة العلماء وأهل الحل والعقد له ويطلب بيعته. ولم يعد الرد على البرقية فاضطرب الثالوث الجديد، وكان أخشى ما يخشونه أن يجد الحسن عونًا من الملك سعود الذي كان ميله إليه أكثر، وكان يسمي البدر الأمير الأحمر منذ قام بزيارة الإتحاد السوفيتي. ولكنها جاءت برقية من الحسن فاطمأنت النفوس بعض الشيء وإن كان قد لوحظ أنه، أي السيف الحسن، قد وجه برقيته إلى «ملك اليمن المعظم» ولم يقل «أمير المؤمنين» أو «إمام اليمن» كما هي التقاليد المرعية، وما ذاك إلاّ لأنه يرى أن البدر ليس أهلًا للإمامة ولقب أمير المؤمنين لعدم حيازته للشروط الأربعة عشر التي يشترطها أئمة الزيدية في الإمام. ولكن هذه الملاحظة قد تم تجاهلها وأجاب البدر على عمه جوابًا مطولًا وقد يكون من المفيد تسجيل نص البرقيتين فيما يلي:

نيويورك ٢٠/ ٩/ ٦٢

صاحب الجلالة ملك اليمن المعظم صنعاء

كنت في أشد الحزن والإضطراب لعدم وصول ما يطمئن الخاطر عن كيان البلد حتى وصلت برقيتكم الشريفة فحمدت الله على ذلك. وإنني أقدم التهنئة الواجبة والتبريك والتأييد بالقول والعمل لما كان من إرتقائكم على العرش والقيام بحفظ البلد العزيز، بل إني أشعر بواجبات أوسع من ذلك من التأييد العملي والتضحية بالنفس والنفيس سيما في هذه الأحوال التي تقوم فيها نواعق الطغيان على الحق وعلى هذا الكيان. وقد عرفتم عني هذا من سابق حيث أقسمت لكم بصدق الإستعداد لكل ذلك بما يتم به لكم كامل الإنشراح وعزة مقامكم من العمل لصالح العرش في خدمة الدين والوطن. وقد تضاعف ما نراه من محاولة البغي والعدى فإني أرى على نفسي أن الواجب الديني والقومي والوطني أشد وأبلغ تحتمًا في بذل النفس والنفيس والتضامن في سبيل الذب عن هذا الكيان والدين ومجابهة دواعي الطغيان. وأنا مستعد للمبادرة إليكم على وجه مرغوب لما بقي من تفاصيل، والوقوف والتضحية والإستماتة على كرامة كيان هذا الوطن وصالحه. وقد سبق تعزية وتبريك بعد وصول برقية الخارجية والله يكلل مساعيكم بالنجاح في كلما



من يمين القارئ:
الملازم علي العلفي
القاضي عبدالرحمن الإرياني
الاستاذ هاشم طالب
السيد محمد الذاري
الاستاذ عبدالله حمران
الاستاذ عبدالعزيز المقالح
العقيد غالب الشرعي

أخذت في تعز بداية الستينات

يتم به السعادة والخير والإزدهار، وتأملوا من يحسن لزيادة تطمين من بتعز من العائلات وتسكين الروع للجميع. الله يعظم أجر الجميع ويعصم القلوب بالصبر. وسلام الله عليكم.

المملوك الحسن

أما برقية البدر إلى عمه الحسن فقد كانت:

إلى سمو الأمير سيف الإسلام الحسن بن أمير المؤمنين حفظه الله

تلقيت برقية والدي رقم وقد ساءني تأخر البرقية الأولى إليكم مع أني أمرت أن تسحب قبل أي برقية أخرى ولعل خيرًا. وأشكركم سيدي لتهنئتكم الغالية وتأييدكم الذي كان، وما في برقية سيدي من الصراحة وحسن التقدير الذي عرفتم به أعظم ما نعتز به في الخدمة الصادقة والسعي الكادح في سبيل الله وتدعيم ما جاء به سيد المرسلين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم. وقد نالت برقيتكم أثرها العظيم في نفسي وفي أوساط العائلة المالكة وفي نفوس الملايين التي تنتظر منا الخير وتؤمل فينا المحافظة على الواجبات الدينية. وأهلًا بكم وسهلًا ومرحبًا أعز واصل وأكرم نازل مع شوق إلى اللقاء ورغبة في إنقطاع حبل الإغتراب وتمتع الأهل والأولاد والإخوان بقربكم ولكي ينقطع سيل التقول والإدعاء والإفتراء. أحب أن أضع تحت نظركم سيدي أمر له أهمية عظيمة في سير الأمور في هذه الآونة التي تمر فيها البلاد فالزنقلة من بعض الشباب سيما شباب المشايخ حاصلة، تغذيهم القاهرة. وقد تدهورت الأخلاق العامة وضعفت المعتقدات سيما حب الآل ولم يبقى منه إلاّ شيء ما في الشمال وهذا أهم وأخطر ما في الأمر. وعندي أمران أحب إنشاءهما لملاقاة زحف الأخطار في المستقبل وقد يكون قريبا. الأول وضع مجلس للشورى يشترك فيه ذوو الرأي من كبار المشايخ بنحو عشرين ويتعين منا عشرين من العلماء والأعيان الذين نرى الإستفادة منهم في التفكير والإطلاع على كل ما تعمله الدولة مما يرفع اللبس ويقضي على دعاوى التسلط والإنفراد والإستئثار. ويجب أن يكون على رأسه الرجل القوي ذو المكانة والجانب المرهوب

حتى لا يكون أداة شر بدلًا من أداة خير، وهو أمر لابد منه وقد صدر به مرسوم. وأحب أن تكونوا على رأسه إن وافقتم، وفيه محذور تجمعنا في صنعاء وسيكون المركز الثاني بعد الإمام. والأمر الثاني وهو الأهم عندي وتأملوا جيدًا أن ألغي لقب نائب في عموم اليمن وتحملون لقب نائب الإمام أنتم فقط وتتولون لواء الشام وما سنرى إنظمامه إليه. وسيكون الإتصال بالإمام فقط ولا سلطة هناك غير سلطة الإمام وأنتم. وأهمية هذا وترجيحه عندي لحاجتنا أولًا إلى أن نكون في جهتين متباعدتين لا في مدينة واحدة، حتى لا تسهل اللقمة لا قدر الله، والثاني أن يكون كل منا ردا للآخر من مركز القوي، والثالث إعادة التراث من حب الآل إلى نفوس الإخوان هنالك، رابعًا إشعارهم باهتمامنا بهم وميلنا إليهم فقد كفى الجفى لهم. وأرجو أن تدرسوا هذا بامعان من هذه الناحية الهامة الخطيرة فإذا وافقتم على الثاني وهو الأهم فأرجو الإفادة لالغي فورًا لقب النائب وأعلن إنفراد سموكم بلقب نائب الإمام وإعداد كل لازم يمكن سموكم من القيام بالعمل المنشود وسترون الحال عند قدومكم وهي ليست قلقة الآن ولا مضطربة ولكنها قابلة إذا أهملت وعلينا أن نتحرك مع الزمن وبسرعة وعجلوا الإفادة. وصدر الإعتماد لتوقيع اتفاقية البن إن رأيتم صوابها وصدر إعتماد الأمم المتحدة وأنيبوا من ترونه وأفيدوا عن موعد الحركة.

البرقية لعبدالناصر وغضب البدر

واصلت الحكومة إجتماعاتها واستعرضت البيان الذي وجهه البدر والبرقيات التي أعدت لترسل للرؤساء والملوك وكان كل ذلك من إعداد السيدين حسن إبراهيم وعبدالرحمن عبدالصمد. وقد كانت البرقية التي أعدت لترسل إلى الملك سعود تعطي معنى الإستجداء والتبعية له من قبل البدر وتقديم الولاء، بينما البرقية التي إلى الرئيس جمال عبدالناصر عادية. وقد أقترحنا تعديل البرقية التي إلى الملك بحيث تتفق على ما نحرص عليه من سيادة اليمن كما أقترحنا أن تكون البرقية إلى الرئيس جمال عبدالناصر متميزة عن البرقيات التي إلى سائر الرؤساء وفيها على

الأقل وعد بإنتهاج سياسة جديدة. ولكن المعارضة كانت شديدة من قِبل المعدين للبرقيات. وأنتهت الجلسة دون ردود فعل، وكان الدكتور عدنان ترسيسي الذي كان يحضر الجلسات كمستشار قد أيدني في الرأي.

وفي اليوم التالي جاء الإمام البدر إلى الجلسة متجهم الوجه بادي الغضب. وقد فسرنا ذلك بأن ثقل المسئولية ومواجهتها قد أنعكست على وجهه، ولكنه أفتتح الجلسة ليقول إن هناك من يريدني أن أشتري عرشي من عبدالناصر أو غير عبدالناصر وإني أحذرهم وأقول لهم أنه ليس لدي إلا السيف. وفهمت أنه أرادني فهممت أن أرد عليه لأقول له إن ما أردناه هو العكس. ولكن الدكتور عدنان، وكان بجانبي، تصدى للرد وأشار إلى بالسكوت وقال إن ما أردته وأراده القاضي الإرياني هو مصلحة العرش ولم نرد أن يشتري الإمام عرشه من أحد، وإنما لمصر كما تعلمون التأثير الكبير لا في اليمن وحدها وإنما في جميع البلدان العربية، فلنحاول إذًا أن تكون علاقة اليمن معها علاقات حسنة لمصلحة اليمن ومصلحة العرش لا لمصلحة مصر. ولم يعلق أحد بل سكتوا فسكتنا. وبعد خروجنا قال لي الدكتور عدنان رعاه الله لقد كنت أعلم أنه يعنيك أكثر مما يعنيني ولكني رأيت أن أتصدى للرد برغم ما فيه من إغضاب لرئيسي وزير الخارجية السيد حسن إبراهيم لأن أقصى ما يعملونه معي هو فصلي من المفوضية أما أنت فقد ينقلونك إلى سجن القلعة فشكرته على ذلك.

والحقيقة أني صدمت بموقف البدر وتنكره لما كان دائما يكرره ويبديه من التظاهر بالتقدمية والرغبة في التعاون مع الأحرار ومع مصر. ولكنه ظهر جليًا أنه قد أصبح لعبة بيدي وزير الخارجية ووزير الإقتصاد اللذين حرصا على أن يشداه إلى الماضي، وكان موقفهما العدائي من القاهرة ورئيسها واضحًا. وكان التعاون مع القاهرة الذي يرجو الأحرار من ورائه الخير الكثير قد أصبح في حكم الميئوس منه، وأصبحت خيبة الأمل بالبدر واضحة ومقطوعًا بها بعد خطبته في الجامع الكبير بعد صلاة الجمعة وإعلانه أنه (يعاهد الله على أن يسير على سياسة أبيه الرشيدة). هذه الخطبة عملت عملها في النفوس، وقال بعض الأحرار ما

قاله الحر الفرنسي بأفراد أسرة آل بربون ملوك فرنسا زهاء ردح من الزمن (إن البربوني بربوني لا يحفظ شيئًا ولا ينسى شيئًا). وتعقب ذلك أن طلب السيد حسن بن إبراهيم شباب المشائخ وهددهم بأنه سيضرب بيد من حديد. كل ذلك أعطى الناس صورة قاتمة عن المستقبل.

التعجيل بالثورة

ظل الأستاذ محمد عبدالواحد القائم بأعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة يضرم النار في نفوس الضباط ويقول لهم أن البدر قد أكتشف المؤامرة وأصبحت كل الأسماء بين يديه، وأنهم إذا لم يسارعوا بالحركة فإن مصيرهم السجن أو الموت وجعل يؤكد لهم أن الـ ج.ع.م. ستقوم بكل إلتزاماتها في حال قيامهم بالثورة وتعرضهم لأي مقاومة، بينما يقول للبدر أنها بلغته إشاعة عن إعداد لثورة وأن عليه أن يحترس، مريدًا بذلك إبعاد التهمة عن مصر في حال فشل الثورة. كل هذه الإعتبارات وضعت الأحرار في موقف جيش طارق بن زياد «العدو أمامهم والبحر وراءهم».

وجاءني الأخ القاضي عبدالسلام صبرة إلى دار الضيافة ليدلي إليّ بحديث هام، هو أن الأيام القريبة ستلد ثورة. وكنت على علم بما يجري في صفوف الضباط الشباب من إعداد للثورة من قَبْل وفاة الإمام أحمد، ولكن أحدًا لم يكن قد أخذ رأيي في إستعجال التنفيذ.

كانت تجربة ثورة سنة ١٩٤٨م التي فشلت وكلفت اليمن غاليًا من خيار رجالها وقادتها كما كلفتنا سجن ست سنوات مع الأغلال والقيود وفيها سنة في نافع كنا نعيش فيها مع القتلة وقطاع الطرق واللصوص والمجرمين. ولهذا كنت أنا حذرًا ومتوجسًا خيفة من فشل آخر تبتر فيه رؤوس وتفقد اليمن عددًا آخرًا من رجالها. فقلت للقاضي عبدالسلام هل أخذ الضباط كل الإحتياطات للنجاح، فقال لا أدري. فقلت له إذًا فإني أنصح بالتريث والإعداد بحيث تكون نسبة النجاح ستين في المائة على الأقل، أما إذا كانت العملية مجرد مغامرة فيجب علينا جميعًا أن نحول دونها والشهر والشهران بل والعام والعامان لا تعني شيئًا في عمر الشعوب.

وفي المساء جاءني العقيد عبدالله جزيلان والرائد محمد الأهنومي يقولان ان التأجيل قد أصبح يشكل خطر القضاء على كل الأحرار والضباط الشباب لأن أحدهم قد نقل الخطة كاملة إلى محافظ صنعاء القاضي محمد الشامي، وأن هذا سيعرضها حتمًا على الإمام البدر، وهم يعدون العدة لتصفية المجموعة، والمسألة مسألة سباق والبادئ هو الظافر. وقالا أن عليّ أن أتوجه فورًا إلى تعز للإضطلاع بالأمور هنالك بالتعاون مع الضباط الموجودين فيها. وكان لتعز من الأهمية ما لصنعاء لأنها كانت عاصمة الإمام أحمد وفيها حرسه الخاص وفيها عدد كبير من الجيش والآليات. فقلت لهما، ولكن قد لا يسمح لي البدر بالسفر إلى تعز، فقالا دبر وسيلة للسماح.

وذهبت إلى المقام وتقدمت بورقة أطلب فيها السماح بالسفر على الطائرة إلى تعز لأن برقية جاءتني بمرض إبني الصغير، وكان حقًا مريضًا وقد توفي بعد أيام قلائل في القاهرة حيث أرسل للمعالجة. وقد سمح لي الإمام بالسفر بعد تردد وحدد الرخصة بأربعة أيام. فقلت له إن عودتي مرهونة بتحسن حالة الولد وإرساله إلى الخارج للعلاج فهز رأسه موافقًا. وما صدقت أنى ظفرت بالإذن حتى أتجهت إلى المطار ومنه إلى تعز. وبقينا هناك نترقب ونستمع إلى الإذاعة وأيدينا على قلوبنا.

قيام ثورة ٢٦ سبتمبر

وجاء الأستاذ أحمد القعطري من صنعاء ليبلغنا أن يوم الثلاثاء قد حدد للقيام بالثورة. وبفارغ الصبر أنتظرنا يوم الثلاثاء، ومرت ساعاته ثقيلة بطيئة ولكن شيئًا لم يحدث. وهكذا مر يوم الأربعاء، وفي صبيحة الخميس ٢٧ سبتمبر[١] جاءنا السائق يحيى الكوكباني يقول هل سمعتم إلى إذاعة صنعاء، لقد قامت ثورة وأُعلنت الجمهورية. وأسرعنا إلى الراديو لنسمع صوت الأستاذ محمد الفسيل يجلجل بإعلان الجمهورية. ولم أكد أصدق ما أسمع وأستعرضت عيناي لحظتها مواكب

(١) تحركت قوات الثورة يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر مساءً وأُعلنت الثورة صباح الخميس ٢٧ سبتمبر.

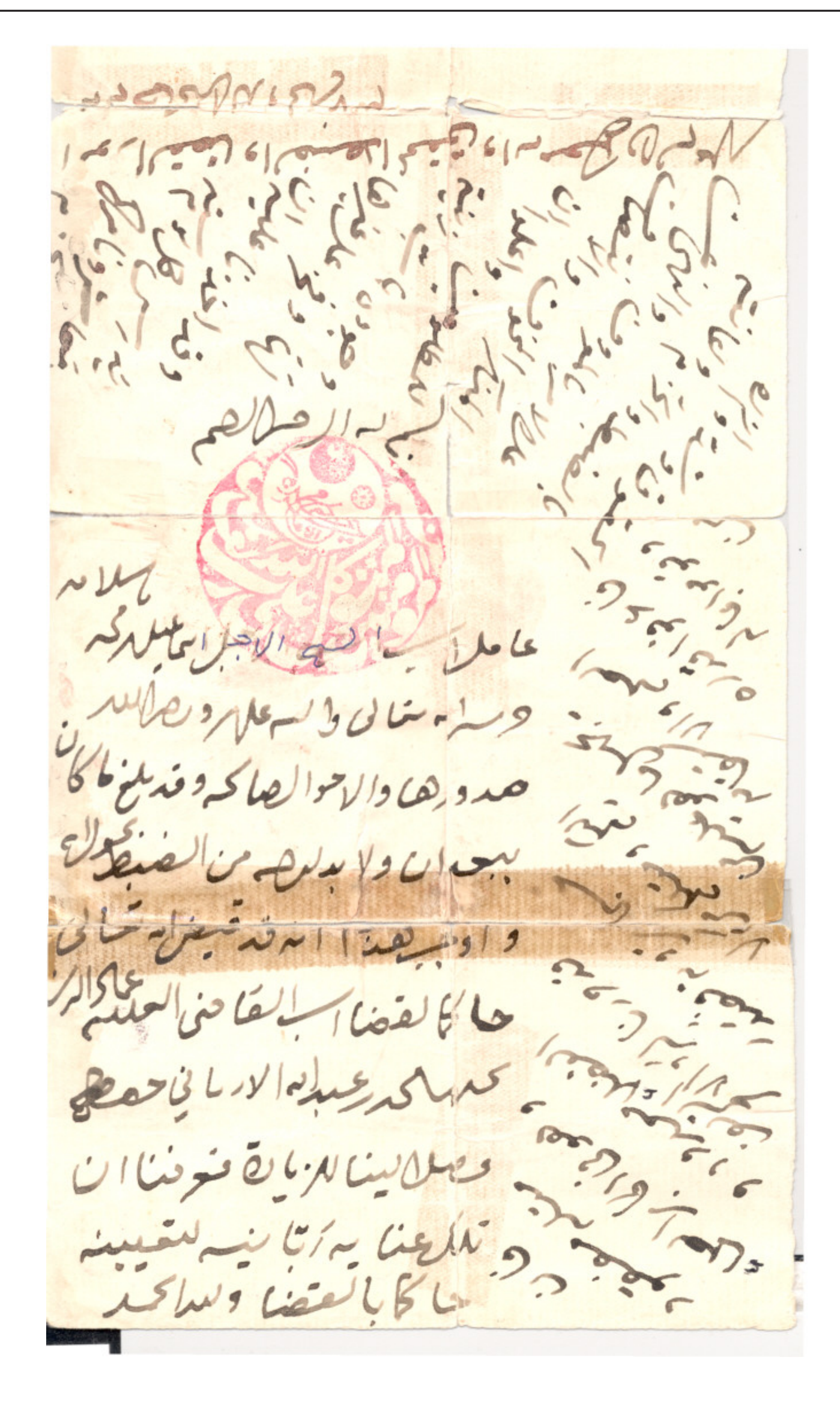
الشهداء من سنة ٤٨ إلى ٦١ وتخيلت أن أرواحهم ترفرف على أجواء اليمن في مهرجان النصر فلم أملك عينيّ وأنشدت قول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

لأول مرة قد ذاق جفني   على ما ذاقه دمع السرور

المـــلاحـــق

(ملحق رقم ١)

خطاب الإمام يحي حميدالدين إلى عامل إب الشيخ محمد اسماعيل باسلامه بتعيين القاضي يحي بن محمد الإرياني حاكما لقضاء إب



سلامه
عاملنا [illegible] الأجل اسماعيل [illegible]
وسلام الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله
صدورها والأحوال صالحة وقد بلغنا ما كان
بجعان ولا بد له من الضبط [illegible]
واوجب هذا انه قد تعين [illegible] تعالى
حاكما للقضا القاضي العلامة علي الر[illegible]
[illegible] عبدالله الارياني [illegible]
وصل الينا للزيارة فعرفنا ان
[illegible] عنايته [illegible] لتعيينه
حاكما بالقضا ولله الحمد

(ملحق رقم ٢)

(معاهدة الطائف ١٩٣٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

نحن الإمام يحيى بن محمد حميدالدين ملك المملكة اليمانية، بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة السعودية معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسؤ الحظ بيننا وبين جلالته، ولتأسيس علاقة الصداقة الإسلامية بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر ١٣٥٣هـ وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي:

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية

بين المملكة اليمانية
وبين المملكة العربية السعودية

حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميدالدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية من جهة،

وحضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة أخرى،

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وكرامتها واستقلالها، ونظرًا لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة، وحبًا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وربط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما، ورغبة في أن يكونا عضوًا واحدًا أمام الملمات المفاجأة وبنيانًا متراصًا للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما حضرة صاحب السيادة السيد عبدالله بن أحمد الوزير عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن، وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية.

ولقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض

المطلق، وبعد أن أطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا بإسم ملكيهما الاتفاق على المواد التالية:

المادة الأولى:

تنتهي حالة الحرب بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فورًا بين الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعًا أو بعضها ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي تقع بينهما وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سرًا وعلنًا ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية:

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالا تامًا مطلقًا وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميدالدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية إستقلالًا تامًا مطلقًا والملكية على المملكة العربية السعودية، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن إستقلالًا تامًا مطلقًا وبالملكية على مملكة اليمن ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب المعاهدة.

إن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه بإسم

الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يام، كما أن جلالة الإمام الملك عبدالعزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية واستقلال أوغيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها.

المادة الثالثة:

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات مما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أي الطرفين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة:

خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حدًا فاصلًا قطعيًا بين البلاد التي تخضع لكل منهما. يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتبارًا من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالًا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائله وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وما هو من جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو من جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر

وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه عرو آل مشيخ وجميع البلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام بباد وما يليها ووحل مريصعة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وايلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢هـ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبه والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني خريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ماهو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطًا ارتباطًا فعليًا أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ كل ذلك هو من جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من نجران ويام والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناءً على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبدالعزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر الملك لايمنعهم ولا يمنع أخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به، ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفًا بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر

في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو بإعتبار كثرة إتجاه ميل خط الحدود في إتجاه الجهات المذكورة وكثيرًا ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة:

نظرًا لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دولة السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهدًا متقابلًا بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يسحب جنده فورًا عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الآهلين والجند من كل ضرر.

المادة السابعة:

يتعهد الفريقان الساميان المتعاهدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته من كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وأن يمنع الغزو بين أهل البوادي ويرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف بما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة ساريًا إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهدًا متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما من الاختلاف سواءً كان سببه ومنشأه هذه المعاهدة وتفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئًا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حال عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضع شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءًا منها أو بعضًا متمما لكل فيها.

المادة التاسعة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية إستعمال بلاده قاعدة أو مركزًا لأي عمل عدواني أو شروع فيه أو أستعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي:-

١ - إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المُطالَبة باتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فورًا من قبل حكومته بالإجراء الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع مثله.

٢ - إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فإنه يلقى القبض عليه فورًا من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب وعليها إتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الأحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى وإن تمكن من العودة إليها يلقى عليه القبض ويسلم إلى حكومته.

٣ . وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فورًا بمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعده شخصًا غير مرغوب فيه ويمنع من العودة في المستقبل.

المادة العاشرة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيرًا كان أم صغيرًا موظفًا أم غير موظف فردًا كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه وجب نزع السلاح من الملتجئ وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة البلد الفار منها وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها.

المادة الحادية عشرة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة:

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر، ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا

بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين من بلاد الفريق الآخر طبقًا للأحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائية التي يكون قد أرتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده، أي في بلاد الفريق الذي صدر منه العفو، كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل وكامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائنًا ما كان بالغًا ما بلغ وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والإطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية لصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذًا.

المادة الرابعة عشرة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجر أي شيء من الأملاك والحقوق التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل إستثمارها أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فردًا أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر ويضر ببلاده أو يكون من ورائه إحداث الصعوبات والمشكلات له أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة:

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الإخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة وأنهما لا يريدان بأحد شرًا وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلادهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمة.

المادة السابعة عشرة:

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية:-

اولًا: الوقوف على الحياد التام سرًا وعلنًا.

ثانيًا: المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثًا: الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويلة بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي.

المادة الثامنة عشرة:

في حالة حصول فتن وإعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهدًا متقابلًا بما يأتي:-

اولًا: إتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانيًا: منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأو إليها كما هو موضح في المادة التاسعة والعاشرة أعلاه.

ثالثًا: منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعًا: منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين.

المادة التاسعة عشرة:

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس في هذه المادة مايقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الإتفاق المشار إليه.

المادة العشرون:

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج ان وجد بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء من كل الطرفين في مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما

للعمل العائد لمصلحة البلدين التي هي كلمة واحدة، ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجر حرية أحدهما أو إضراره لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون:

يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ على كل حال إعتبارًا من تاريخ هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون:

تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظرًا لمصلحة الطرفين في ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب فبمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر الأولى التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل.

المادة الثالثة والعشرون:

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهادًا بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه وكتب هذا في مدينة جده في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع: عبدالله بن أحمد الوزير

التوقيع: خالد بن عبدالعزيز آل سعود

عهد التحكيم
بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك يحيى ملك اليمن والملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في ٦ صفر سنة ١٣٥٣هـ على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشآن من العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:-

المادة الأولى:

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل إحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية:

يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب بإتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصًا فإن قبل أحد الفريقين المرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعًا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك فتجرى القرعة على أيهما يكون وازعًا مع العلم بأن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين

من الطرفين فمن وقعت عليه القرعة أصبح رئيسًا لهيئة التحكيم ووازعًا للفصل في القضية وان لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة:

يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لاتزيد على شهر واحد بعد إنقضاء الشهرين المعينين في أول المادة، وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لايمكن بحال من الأحوال أن تزيد على شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزمًا للفريقين ويصبح تنفيذه واجبًا بمجرد صدوره وتبليغه.

ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة:

أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة:

يعتبر هذا العهد جزءًا متممًا لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ١٣٥٣هـ ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة وقد

حرر هذا من نسختين باللغة العربية تكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإقرارًا بذلك جرى توقيعه في ٦ صفر سنة ١٣٥٣هـ

التوقيع: عبدالله بن أحمد الوزير

التوقيع: خالد بن عبدالعزيز آل سعود

(ملحق رقم ٣)

رثاء السيد علي بن يحي الذاري ووالده

مصاب أهار الشامخات الرواسيا ... وزعزع ركنًا للهدى كان عاليا
وخطب رمى أس العلوم فدكه ... وأذوى من العرفان ماكان راويا
نمى خبر عنها إلي فخلته ... سهامًا بها شك الزمان فؤاديا

ومنها:

حنانيك يا دهر النوائب ما الذي ... يخبرنا عنك الذي جاء ناعيا
أحقًا رمت كفّاك شمس هداية ... بسهم محا النور الذي كان باهيا
وأفجعت دين المصطفى بعماده ... وطمّيت بحرًا بالهدى كان طاميا
وغيّبت بدرًا بالمعارف نيرا ... وكان إلى طرق الهداية هاديا
جمال الهدى من كان كالشمس طلعة ... وكالروض خُلقًا والنجوم اياديا
اسهمين في شهر تريشهما معًا ... لبدر وشمس نورها كان زاهيا

ومنها:

تُرى ما لدهري ما يزال معاديا ... وما لليالي العاديات وماليا
أفي كل عام لا أزال مؤبنًا ... عزيزًا وطرفي لم يزل بعدُ باكيا
فما التأم الجرح الذي أثخنت ... به يداه فؤادي إذ به اليوم ثانيا
رآني زماني لا أزال وإن جفا ... عَلِيًا فعاداني فكان معاديا

فطورا تـراه يرسل الخطب فادح إلـي وطـورًا يستجيش الدواهيا
وقد كنت ألقى الحادثات وإن طغت بقلب عليه أفـرغ الصبر ضافيا
إلـى أن رمـاني بالمصابين بغتـة فنـاديت بـري جيـهلا فعصانيا

ومنها:

عماد الهدى لم يُبقِ خطبك في الورى فـؤادًا زكيـا بعد فقدك ساليا
جمـال العلـى مـا كنت أحسب أنني أقـوم مقامًا في الـورى لـك راثيا
وأنـي بحـقٍ لا أرى مـنك طلعة وخلقًا عظيما للفضائل حاويا
فلـو كـان يفـدى هـالك بصديقه لكنت أنـا قبل الـورى لـك فاديا

(ملحق رقم ٤)

الميثاق الوطني المقدس لثورة اليمن

عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

ما صارت أحوال اليمن منحطة إلى حد بعيد في أمور الدين والدنيا بسبب الاستبداد والأنانية اللذين أشتهر بهما الإمام يحيى بن حميدالدين حتى صار الغرض المطلوب من الإمامة معدومًا في كل ناحية ولم يبق غير مظاهر خادعة كاذبة لاتتفق مع موجبات الشرع الشريف ولا تضمن شيئًا من الإصلاح الذي يوجبه الدين في الحال ولا يصون اليمن من أسوأ العواقب في الاستقبال.

وقيامًا بالواجب لله تعالى وللمسلمين، وطلبًا للسلامة في الدنيا والدين من العقوبة من الله سبحانه وتعالى، ولحفظ شرف الدين والاستقلال.

أجمع ممثلوا الشعب اليمني على اختلاف طبقاتهم في هيئة مؤتمر للنظر في وضع النظام الشرعي الصالح وإقامة من ينفذه ويحفظ الأمن ويضبط مصالح الأمة ويقوم بكل واجب ديني ودنيوي لليمن وأهله عند وفاة الإمام الحالي فقرروا الآن بالإجماع على ما يأتي:

المادة ١: مبايعة سيادة السيد (عبدالله الوزير) لما أشتهر به من علم وفضل ومنزلة عالية في نفوس الناس الآن، مبايعة دينية ناجزة إمامًا شرعيًا شوريًا دستوريًا على نحو ماتسير به أرقى الأمم اليوم في العالم المتحضر، فيما لايخالف أدنى مخالفة التعاليم الإسلامية السمحة الصحيحة.

المادة ٢: كانت البيعة من ممثلي الشعب اليمني لحضرة صاحب السيادة المشار إليه على الشروط المقدسة الآتيه:-

أ. العمل في كل قول وفعل بما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتسليم وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ب. يكون حضرته هو الإمام الشرعي ورئيس الدولة اليمانية ويكون له الحق الكامل الذي يتمتع به الإمام المحق الملتزم بتنفيذ هذا الميثاق، والشخصية التي لسائر الملوك وسائر رؤساء الدول الحرة المستقلة في العالم.

ج. لاتصدر جميع مراسيم الدولة وجميع الأحكام في المحاكم الشرعية إلا بإسمه.

د. لاتتم أي معاهدة مع الحكومات الأخرى إلا بموافقته وتحت إمضائه.

هـ. له الحق في الإشراف على مجلس الشورى وعلى مجلس الوزراء والاقتراح للنظر في كل ما يريد من مشروعات على اختلاف أنواعها.

و. وله الحق في الإشراف على أموال الدولة ومناقشة أي شخص ذي علاقة بها.

ز. له السمع والطاعة في المنشط والمكره من كل فرد داخل نظام هذه البيعة الجارية على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ماكان عليه السلف الصالح وعلى العمل بكل تحسين يقبله الشرع الشريف، له في ذلك مادام متمشيًا على هذه البيعة ملتزمًا بهذا الميثاق ساعيًا إلى الغاية المقصودة من ذلك بكل سرعة ممكنة.

المادة ٣: يكون نظام الحكم شوريًا دستوريًا بما لايخالف الشريعة السمحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله.

المادة ٤: يقوم على وضع الدستور اليمني لجنة خاصة يعينها مجلس الشورى من أهل الكفاءة والصلاح علمًا وعملًا ويجب أن تستعين في ذلك بالجامعة العربية وحكوماتها والعبقريين من رجالاتها ثم يعرض على الإمام مايقررونه ليحيله حالًا إلى الجمعية التأسيسية.

المادة ٥: بعد ما تضع اللجنة هيكل الدستور بمواده المفصلة يجب أن يرفع

إلى الإمام ليحيله على الجمعية التأسيسية لتنظر فيه وتناقشه بالأكثرية وفي هذه الحالة يعرض مرة أخرى على الإمام ليطلع على مافيه ويقرر ما أتضح له صلاحيته. وله الحق في أن يأمر بإعادة النظر فيما عدى ذلك مبينًا أوجه النقص فيه. وعلى الجمعية أن توالي إهتمامها بدرس ذلك على ضوء التعاليم الإسلامية، وبعد ذلك ترفعه إليه أخيرًا مصحوبًا بمستندات ماقررته الأكثرية ويصبح حينئذ واجب التنفيذ والتوقيع.

المادة ٦: يكون ضمن أعضاء الجمعية التأسيسية الأساسيين أعضاء مجلس الشورى الذي سينص عليه فيما بعد.

المادة ٧: مجلس الشورى المشار إليه هو الذي يضع قانونًا لإنتخابهم إذا قرروا طريقة الانتخاب أو بتعيينهم بالاشتراك مع حضرة الإمام إن رأى طريق التعيين. على أن يكون مفهومًا من الآن في حالة الانتخاب ما يأتي:

أ. أن يكون لكل يمني ذكر بالغ من العمر ٣٠ سنه غير محكوم عليه شرعًا بالإجرام حق الانتخاب.

ب. أن لايقل ممثلي المدن عن الثلثين.

ج. أن يكون القبائل والقضوات ممثلة.

د. أن يكون للمهاجرين اليمنيين في أي بلد يوجدون فيه حق إرسال ممثلهم في المجلس إذا كان فيهم ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب. وإذا كثروا يكون لهم على كل ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب ممثل وواحد، وعلى الكسور مهما قلّت ممثل واحد.

المادة ٨: بما أن دعوة جمعية تأسيسية تتعذر الآن وأن وضع الدستور وتحديد المسئوليات الدائمة إنما هو من اختصاصها فإلى أن يتيسر ذلك يجب أن يكون تعيين مجلس مؤقت يسمى مجلس الشورى.

المادة ٩: تكون صلاحية المجلس المشار إليه المؤقتة مايلي:

أ. القيام بالمهمات المشار إليها في المواد السابقة.

ب. القيام بوضع القوانين المؤقتة وضعًا لايخالف النظم الشرعيّة على أن يعمل بها حتى تصدق على الدستور وحينئذ تقر أو تلغى.

ج. يضع ميزانية الدولة للفترة المؤقتة.

د. يصادق على المعاهدات ويرفضها وعلى الإمام أن لا يبرم أية معاهدة إلا إذا صادق عليها أكثرية هذا المجلس. وعليه أن لا يعزل وزيرًا أو مديرًا أو أمير لواء أو موظفًا هو عضو في مجلس الشورى في المدة المؤقتة قبل وضع الدستور الا بموجب عزله بحكم الشرع بعد تقرير وجوب ذلك من العلماء أهل الصلاح في مجلس الشورى أو لسبب آخر يتفق عليه أكثر هذا المجلس.

المادة ١٠: يتألف مجلس الشورى من سبعين عضوًا منهم الذين سيذكرون إما بأوصافهم أو بأشخاصهم والباقي يتفق على تعيينهم مجلس الوزراء وحضرة الإمام. والأعضاء المعينون من الآن هم:

أ. أعضاء مجلس الوزراء

ب. مديرو الوزارات

ج. المستشارون العموميون

د. القائمة - ٣- التي تصطلح على تسميتها (قائمة الموظفين الشوريين) المرفقة بهذا والتي ستلي مع بقية القوائم، كل هؤلاء يكونون أعضاء في مجلس الشورى المؤقت بحكم وظائفهم.

المادة ١١: يتألف مجلس الوزراء على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (١).

المادة ١٢: تتألف هيئة مديري الوزارات على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٢).

المادة ١٣: تتألف هيئة الموظفين الشوريين على النحو الآتي في القائمة رقم (٣).

المادة ١٤: تنتهي مهمة مجلس الشورى المؤقت بمجرد انتهائه من وضع الدستور ودعوة الجمعية التأسيسية للإنعقاد. وفي هذه الحالة يتحول أعضاؤه من غير أي إجراء جديد إلى أعضاء الجمعية التأسيسية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

المادة ١٥: بمجرد الإنتهاء من إقرار الدستور يجب على الحكومة القائمة أن تقدم إستقالتها لحضرة جلالة الإمام، وعليه هو أن يدعو من يشاء لتأليف حكومة جديدة حسب توصيات الدستور المشار إليه آنفًا.

المادة ١٦: عند تأليف الحكومة الجديدة يجب ان تجتمع الجمعية التأسيسية فورًا للغرض الآتي:

بما أن اليمن لم تتهيأ بعد طباعها للمعارك الإنتخابية وليس من مصلحتها ذلك في أول عهدها بالدستور فلأعضاء الجمعية التأسيسية أن يتحولوا من غير إجراء جديد إلى أعضاء في الهيئة الشرعية الجديدة التي سوف تسمى (مجلس النواب) أو غير ذلك من الأسماء وذلك لدورة واحدة فقط لعدد السنوات التي سيحددها الدستور وليكن ذلك بشرطين إثنين:

أ. ان لا يرى أكثرية الأعضاء والإمام غير ذلك.

ب. أن لا يكون من الشعب إعتراض ظاهر معتبر.

المادة ١٧: بما أن اختصاصات المسئولين للفترة المؤقتة لم تفصل في هذا الميثاق تفصيلًا كاملًا فيجب، فيما عدى ما نص عليه فعلًا، أن تكون اختصاصات الجميع كما هو الحال في مصر والعراق بين الملك والحكومة والمجلس النيابي. على أنه يجب في الوقت نفسه المبادرة إلى وضع الدستور اليمني في مده لاتزيد عن سنة واحدة لتستقر الأمور نهائيًا.

المادة ١٨: يشرع في تأسيس حرس وطني في الحال من الشباب المثقف وغيرهم للإستعانة بهم على حفظ الأمن وتنوير الأفكار ويكون رئيسهم هو مدير وزارة الدفاع ووكيله مدير وزارة الداخلية ويتبعان معًا رئاسة مجلس الوزراء وتقدر لهم معاشات محترمة، على أن تقطع مجرد مايسرحون عندما يتم الاستقرار.

المادة ١٩: تبليغ الجامعة العربية ودولها حالًا بالعهد الجديد ويطلب إلى تلك الدول الشقيقة أن تبعث للحكومة اليمنية الجديدة كل منها، (اولًا) عددًا من الطائرات للاستعانة بها على حفظ الأمن وعلى سبيل الاستعارة أو الإيجار لمده قصيرة. (ثانيًا) يطلب منها حالًا وبإلحاح انتداب خبراء للاستعانة بهم على تنظيم جميع أنواع الإدارات الحكومية.

المادة ٢٠: تؤلف حالًا لجنة تسمى اللجنة المالية لضبط مالية الدولة وحصرها، ويكون من أعضائها رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية ومدير المالية ووزير العدل ووزير الداخلية ورئيس مجلس الشورى ووكيله ومستشار الدولة العام وأعضاء آخرين يجوز أن يكونوا من الوزراء وغيرهم تعينهم الحكومة. وتكون اللجنة تحت إشراف حضرة الإمام ويكون الجميع مسئولين بالتضامن عن مالية الدولة حتى تنتظم الأحوال ويعين ديوان محاسبة على النحو الموجود بمصر وغيرها ويخلى طرف أعضاء اللجنة وتحل نهائيًا.

المادة ٢١: إذا ثبت على شخص مهما علت منزلته اختلاس شيء من أموال الدولة أو محاولته ذلك سواء كان بالانفراد أو بالاشتراك مع آخرين فإنه يحاكم أمام مجلس الشورى ويجب أن تحدد عقوبته بمدد قاسية وعقوبة حاسمة مما يجيزه الشرع الشريف على درجة خيانته بأتم صورة رادعة زاجرة.

المادة ٢٢: جميع وظائف الدولة الرئيسية وتعيين الموظفين فيها يكون باقتراح الوزير المختص ويقدمه للنظر فيه والموافقة عليه أو الأمر بإعادة النظر فيه.

المادة ٢٣: حضرة الإمام: يلقب بـ (صاحب الجلالة الإمام) و (الملك) باعتبار الأوضاع.

المادة ٢٤: ويلقب رئيس الوزراء بـ (حضرة صاحب الدولة) والوزراء ومستشارو الدولة بـ (حضرة صاحب المعالي).

المادة ٢٥: يكون للدولة مستشارون عموميون وخصوصيون أما الأولون فيكون لهم درجة (وزير ممتاز) ويكون لهم حضور جلسات مجلس الوزراء ويكونون أعضاء

في مجلس الشورى ولا يزيد عددهم على خمسة. وأما الآخرون فيكونون يمنيين ويكون عددهم حسب حاجة الدولة وتحدد الحكومة درجتهم وحقوقهم وواجباتهم ويلقب المستشار العام (بحضرة صاحب المعالي المستشار العام للدولة اليمانية). ويعين أول مستشار عام للدولة (حضرة صاحب المعالي............) والباقون تعينهم الحكومة بموافقة الإمام فيما بعد وكلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المادة ٢٦: يجب الإسراع إلى تحسين حالة الجيش الذي هو رمز الأمة وفخارها بأن تزاد مرتبات كل فرد منهم وضابط وآمر إلى الدرجة التي تضمن للجندي اليمني من الاعتبارات ما يعطى لسائر الجيوش الحديثة من الملابس والتجهيزات وغيرها.

المادة ٢٧: يجب الإسراع إلى إزالة الظلم والطغيان عن الرعايا في طريقة أخذ الواجبات وإسقاط البواقي الكاذبة.

المادة ٢٨: يجب القضاء على روح الرشوة والمحسوبية في الدولة وعدها من الخيانات الكبرى مع إقامة نظام حديث كامل في جميع دوائر الحكومة يطارد الفوضى ويمنع التلاعب بمصالح الأمة ويكفل راحة الموظفين.

المادة ٢٩: تصان أموال الناس جميعًا وأعراضهم وأرواحهم إلا في أمر شرعي، ويصير أفراد الشعب اليمني في درجة واحدة من حيث المساواة المطلقة إلا ماكان للمواهب والأعمال ويكون الكل تحت حكم الشريعة السمحة الصحيحة وتجري أحكامها على الصغير والكبير بدون فارق.

المادة ٣٠: تكفل حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع في حدود الأمن والقوانين.

المادة ٣١: يجب تأسيس مجالس للألوية والبلديات على نحو ما هو موجود في البلدان العربية.

المادة ٣٢: يجب العمل على محاربة الجهل والفقر والمرض في غير هوادة وبكلما تسمح به وسائل الدولة، والعمل بأسرع مايمكن على تيسير أسباب المواصلات وإنعاش الزراعة التي هي أساس إقتصاديات اليمن.

المادة ٣٣: يجب الإتصال بالعالم المتمدن بواسطة السلك الدبلوماسي والقنصلي لفائدة اليمن خاصة والتعاون على إسعاد الجنس البشري عامة عملًا بتعاليم ديننا وتقاليدنا العربية.

المادة ٣٤: يكون تعيين الممثلين للدولة في الخارج باقتراح وزير الخارجية وتقديمه للإمام للنظر فيه والموافقة عليه.

المادة ٣٥: يجب المبادرة إلى تعيين ممثلين سياسيين بأسرع مايمكن في البلاد العربية الشقيقة، وينبغي البرهان على التعاون مع الجامعة العربية إلى أقصى حد ممكن.

المادة ٣٦: يجب الضرب على يد كل من تحدثه نفسه بالتعرض لإرادة الأمة بإحداث أي سبب يخل بالأمن العام أو يسبب أدنى ضرر للدولة في الداخل والخارج.

المادة ٣٧: تجب العناية التامة بالمهاجرين اليمنيين خارج البلاد والعمل على إعادة من يمكن أن تنتفع به البلاد في الداخل.

المادة ٣٨: بما أن التركة التي خلفتها حكومة العهد الماضي ثقيلة ومعقدة تقتضي وقتًا ومجهودًا جبارًا فالحكومة تهيب بالشعب اليماني أن يلتزم الهدوء والسكينة وأن يتذرع بالصبر والتضحية في سبيل المجد وإقامة عهد جديد وسعيد.

المادة ٣٩: يسمى هذا النظام (الميثاق الوطني المقدس) ويوافق الجميع على أن من خان أو يحاول أن يخون معنى من معانيه بنية سيئة يكون خائنًا لله والمسلمين وتجرى عليه الأحكام اللائقه به.

ملحق الميثاق المقدس:

المادة ١: يكون الطلب بإلحاح من فضيلة الأستاذ السيد الفضيل الورتلاني المعروف عندنا بفضائل يقدرها له الإمام والمأموم أن يضيف إلى سلسلة أعماله المشكورة قبوله لأن يكون مستشارًا عامًا للدولة من المستشارين العموميين المنصوص عليهم في المادة (٢٥) من هذا الميثاق.

المادة ٢: من تبين عنه من أفراد أسرة الإمام يحيى قبول رغبة الأمة الممثلة في هذا الميثاق وألتزم في كل ما جاء فيه فله ما لأمثاله من أبناء الأمة وعليه ما على أمثاله أيضًا.

المادة ٣: يكون تعيين القاضي عبدالله بن حسين العمري وزير دولة.

المادة ٤: تستعني حكومة العهد الجديد بمكافأة الأحرار والوطنيين الذين ضحوا بأموالهم وجهودهم في سبيل خدمة الشعب اليمني الذي يقدر لهم هذه التضحيات الكريمة. وبهذا يتم الملحق وهو أربع مواد، والله ولي الأمر كله وبيده التوفيق.

القائمة (١) مجلس الوزراء للحكومة اليمنية:

السيد علي بن عبدالله الوزير	رئيس مجلس الوزراء
السيد حسين بن محمد الكبسي	نائب لرئيس الوزراء ووزير الخارجية
الشيخ محمد بن أحمد نعمان	وزير الداخلية
السيد حسين بن علي عبدالقادر	وزير الدفاع
السيد عبدالرحمن بن حسين الشامي	وزير الشئون الاجتماعية
القاضي محمد راغب بك	مستشار عام
الشيخ عبدالوهاب نعمان	وزير الصحة
السيد علي بن حمود	وزير العدل
القاضي أحمد بن أحمد الجرافي	وزير الاقتصاد والمناجم
الحاج الخادم بن أحمد غالب	وزير المالية
السيد عبدالقادر بن عبدالله	وزير الأوقاف
القاضي محمد محمود الزبيري	وزير المعارف
السيد أحمد بن أحمد المطاع	وزير التجارة والصناعة

الأستاذ أحمد محمد نعمان	وزير الزراعة
السيد حسين بن على الويسي	وزير المواصلات
السيد علي بن إبراهيم	وزير الاشغال
الأمير علي بن يحيى حميدالدين	وزير دوله
القاضي عبدالله عبدالاله الأغبري	وزير دوله
الشيخ علي بن محسن باشا	وزير دولة

القائمة ٢ مديرو الوزارات:

السيد محمد بن حسين عبدالقادر	مدير وزارة العدل
السيد زيد بن علي الموشكي	مدير وزارة الداخلية
الأستاذ محي الدين العنسي	مدير وزارة الخارجية
السيد أحمد بن محمد بن أحمد باشا	مدير وزارة الزراعة
الأستاذ أحمد بن حسن الحورش	مدير وزارة المعارف
الشيخ محمد صالح المسمري	مديروزارةالشئون الاجتماعية
الشيخ أحمد بن قاسم العنسي	مدير وزارة المالية
الشيخ ناشر عبدالرحمن العريقي	مدير وزارة الصحة
السيد يحيى بن أحمد زبارة	مدير وزارة المواصلات
الحاج عبدالله حسن السنيدار	مدير وزارة الاشغال
الشيخ عبدالعزيز منصور بن نصر	مدير وزارة الاوقاف
الشيخ محمد مكي بن يحيى زكريا	مدير وزارة الاقتصاوالمناجم
الرئيس جمال جميل	مدير وزارة الدفاع

القائمة ٣ الموظفون الشوريون:

الأمير إبراهيم حميدالدين	رئيس مجلس الشورى
الشيخ حسن الدعيس	وكيل أول
القاضي عبدالرحمن الإرياني	سكرتير أول لمجلس الشورى
القاضي محمد بن أحمد الجرافي	سكرتير ثاني لمجلس الشورى
الأستاذ أحمد البراق	مدير مكتب رئيس الوزراء
السيد العلاّمة أحمد الكحلاني	رئيس هيئة كبار العلماء
السيد محمد بن محمد زباره	وكيل هيئة كبار العلماء
السيد قاسم الوجيه	الحاكم الأول
السيد محمد يحيى الذاري	الحاكم الثاني
السيد يحيى بن محمد عباس	رئيس الاستئناف
القاضي محمد بن أحمد الحجري	رئيس ديوان المحاسبة
الشيخ عبدالله عثمان	مدير الأمن العام
عبدالله عبدالوهاب نعمان	سكرتير الأمن العام
القاضي أحمد بن علي العنسي	مدير دار الكتب
السيد عبدالله بن علي الوزير	مدير الدعاية والنشر
السيد محمد أحمد المطاع	وكيل الدعاية والنشر
السيد أحمد بن محمد الشامي	سكرتير مجلس الوزراء
السيد محمد بن محمد بن اسماعيل	سكرتير الشئون الاجتماعية
السيد أحمد بن عبدالرحمن الشامي	مدير أملاك الحكومة
القاضي حسين بن أحمد السياغي	وكيل أملاك الحكومة
الصفي أحمد محبوب	رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
القاضي عبدالله الشماحي	وكيل

الحاج علي محمد السنيدار	مدير جمارك
الشيخ جازم الحروي	مدير جمارك تعز
القاضي عبدالسلام صبرة	مدير بلدية صنعاء
الأستاذ زيد عنان	مدير إدارة المهاجرين
القاضي يحيى السياغي	مفتش وزارة العدل
السيد حسين الحبشي	مفتش التجارة والصناعة
الحاج عزيز يعني	رئيس الحرس الملكي

القائمة ٤ كبار الموظفين غير الشوريين:

القاضي عبدالله حسين العمري	وزير دولة
السيد زيد عقبات	محافظ صنعاء وأمير لوائها
السيد محمد بن أحمد الوزير	أمير لواء عمران
السيد محمد بن حسن الوادعي	أمير لواء الشام
السيد حسين الحوثي	أمير لواء حجة
القاضي حسين بن علي الحلالي	أمير لواء الحديدة
السيد محمد بن أحمد باشا	أمير لواء تعز
الشيخ علي بن محمد نعمان	أمير لواء رداع والبيضاء
القاضي محمد بن عبدالله الشامي	أمير لواء إب

(ملحق رقم ٥)

رأي حول مفهوم الثورة

مقابلة اجرتها مجلة الحكمة مع القاضي عبدالرحمن الإرياني في ١٩٧٣م

إن تقييم حدث تاريخي كثورة ٤٨ لابد وأن يتسم بالموضوعية النزيهة الخالية عن الهوى، وبالصدق الكامل حيث لا يجوز أن تظل أحكامنا أسيرة للبطانة الوجدانية الزاخرة لدى الرعيل الأول ولا للطموحات الجديدة لدى شباب الجيل المشفوعة بضآلة الإلمام المفصل بالظروف الموضوعية القائمة حينها وبتفصيلات الحادث نفسه.

وأحب أن أشير أولًا إلى أن الدلالة الاصطلاحية لكلمتي (ثورة) و (انقلاب) قد ابتعدت كثيرًا عن دلالاتها اللغوية الأساسية. وكلمة (ثورة) تشير إلى الممارسة الاستثنائية دون أن تشير ضرورة إلى النتائج المترتبة عليها ومدى جذريتها. بينما كلمة (انقلاب) تشير مباشرة إلى جذرية النتائج دون أن توحي بالطابع الخاص للممارسة. ومع ذلك فإننا إذا التزمنا الدلالة الاصطلاحية الراهنة للكلمة فإنا نستطيع أن نجزم بأن حادث ١٩٤٨م كان ثورة للأسباب التالية:

أولًا: إنها وإن لم تغير نمط الحكم إذ استبدلت إمامًا بإمام (وهذا ما يدفع البعض إلى اعتبارها مجرد انقلاب) إلا أنها وهو الأهم غيرت الأساس الأيدلوجي

للحكم من أساس فردي كهنوتي إلى أساس دستوري شوروي. وبطبيعة الحال فإن الفارق الجوهري والهائل بين الأساسين يجعلنا ندرك أنّا إزاء ثورة وليس مجرد انقلاب.

ثانيًا: إن تركيب القوى التي قامت بالثورة وما كان يحويه من تناقضات وتباين في المواقف كان يرمز إلى إحتمالات واسعة لتطورات كثيرة من شأنها تعميق هوية الثورة لو قدر لها النجاح.

ثالثًا: إذا كان المقياس الأول لموضوعية التحليل التاريخي هو ربط الحدث بالظروف الموضوعية فإن الالتزام بمثل هذا المقياس يجعل الهوية الثورية لذلك الحدث أكثر وضوحًا على ضوء الظروف القائمة حينها. وأعتقد أنه من الظلم وعدم الموضوعية أن ننظر إلى ذلك الحدث على ضوء الظروف القائمة اليوم. وإنه لمن المؤسف حقا أن تاريخنا الحديث لمّا يزل حتى اليوم بدون تسجيل أمين وتحليل نزيه، وذلك يزيد من صعوبة إعطاء أي صورة سريعة عن تلك الأحداث لأنها لابد أن تظل ناقصة ومشوهة وغير كافية.

لقد بدأت حركة الأحرار اليمنيين كمعارضة ذات طموحات تقدمية (بمفهوم ذلك العصر) آملة في البداية تصحيح مسارات الحكم، ثم مارست تدريجيًا وبمؤثرات مختلفة عملية الافتراق عن الحكم وذلك من خلال المزيد من التبلور لخطها السياسي وطموحاتها الوطنية حتى وصلت في النهاية إلى الإعداد والتنفيذ للثورة واستلام مقاليد الحكم.

ولا شك أن الالتجاء إلى سبب وحيد لتفسير أي حدث كان فيه نوع من القسر وعدم الموضوعية. ومع أن سببًا معينًا قد يكون له دور أبرز من غيره إلاّ أنه لا يكون كافيًا ما لم ينخرط في شبكة كاملة من الأسباب المتعددة التي تضافر تأثيرها لصناعة الحدث. وثورة ٤٨ قد فشلت نتيجة لتفاعل الكثير من الأسباب يمكن إيجازها فيما يلي:

أولًا: ذاتية، ونقصد بها تلك السلبيات في حركة الأحرار سواءً من حيث نوعية

انتشارها أو من حيث درجة وضوح توجهها السياسي بالنسبة للجماهير. فالقلّة المثقفة والوطنية التي قامت بالثورة لم تكن تملك أي وضوح لدى الجماهير لانعدام المجال لقيامها بالتوعية، إضافة إلى وقوع بعض أخطاء في الممارسة.

ثانيًا: داخلية، فالكثير من الاعتبارات الداخلية والظروف الموضوعية لم تُستوعَب جيدًا من قبل الثوار مما جعل بيت حميدالدين أكثر قدرة على تجنيد الظروف الداخلية لصالحهم.

ثالثًا: خارجية، فلم تكن الثورة حينها تملك أي سند خارجي في حين كانت الأوضاع المحيطة، وعلى امتداد العالم العربي أيضًا، ترفض الثورة من حيث الأساس مما جعل ثورة ٤٨ حدثًا مفاجئًا ومرفوضًا. ولعلنا جميعًا نذكر الدور السلبي الذي لعبته الجامعة العربية حين ذاك، ونذكر أيضًا مناصرة المملكة العربية السعودية للعدو اللدود الإمام أحمد، الذي عمِل على اغتيال مليكها عبدالعزيز في الحرم المكي في سنة ١٣٥٣هـ، فناصرته على آل الوزير برغم ما عقد بينها وبين الأمير علي بن عبدالله الوزير في الحج سنة ١٣٥٧هـ من معاهدة على العمل على إبعاد الإمام أحمد عن حكم اليمن. وقد يتساءل من يعرف ومن لا يعرف لماذا؟ والجواب، إنه الخشية من أن تسري عدوى الثورة، لأن ما حل بجارك أصبح بدارك.

وأما تساؤل البعض عن سبب عدم التبشير بالجمهورية فإنه مع دلالته على تجاهل السائل غباءً أو عن تعمد للظروف الموضوعية للحدث فإنه يجاب عليه بالإيضاحين التاليين:

أولًا: إن النقطة الجوهرية في المعارضة كانت تكمن في أساس الحكم وجعله دستوريًا وحينها لم يكن هناك تبشير لفكرة الجمهورية لا يمنيا ولا عربيًا.

ثانيًا: إن الممارسة السياسية للأحرار لم تكن تملك القدرة على التبشير الجماهيري بفكرة الجمهورية مما جعلها عاجزة عن التصادم مع القيم الدينية لموضوع الإمامة.

أما محاولة الانقلاب في سنة ١٩٥٥م فإن هناك بالنسبة إلى هذا الحدث الكثير من السمات الإيجابية والسلبية تفترق به عن ثورة ١٩٤٨م. فمن الناحية السلبية نلاحظ ما يلي:

أولًا: إنه قام في وقت لم تستطع خلاله الحركة الوطنية أن تستعيد أنفاسها بعد أن ذهب الكثير من الرعيل الأول بسيف الجلاد وبقي من بقي منهم في السجون وخرج بعضهم حديثًا، في حين لم تتبلور أية قيادات جديدة في الداخل يمكن لها أن تسد الفراغ القيادي.

ثانيًا: وقع انقلاب ١٩٥٥م في كثير من الأخطاء التكتيكية القاتلة التي كان لها أبلغ الأثر في فشله.

أما من الناحية الإيجابية فإن مزاياها تنحصر في أمرين:

أولًا: إن القائمين بالانقلاب وبرغم اعتمادهم على تكتيك إبدال الإمام بإمام الاّ أن الخطوة الثانية (إعلان الجمهورية) كانت واضحة تمامًا.

ثانيًا: إنهم حاولوا الاستفادة من أسلوب الانقلاب المتطور الذي تواتر حينها في البلاد العربية.

ويتساءل البعض عن تأثر ثورة ٢٦ سبتمبر بما سبقها في ٤٨، ٥٥، ويحلو للبعض أن ينفى تأثرها بما سبقها. والحقيقة أنها كأي حدث تاريخي آخر تتأثر بالضرورة بكافة التطورات السابقة. ونستطيع أن نعتبرها امتدادًا متطورًا لحركتي ٤٨، ٥٥ واضعين في اعتبارنا التأثير المتزايد للتطورات الكثيرة التي جدت على الظروف الموضوعية وعلى الحركة الوطنية وعلى المحيط العربي مما جعلها ورغم كونها امتدادًا لسابقاتها تمثل قفزة نوعية واضحة تبتعد بها كثيرًا عن الطابع العام لحركتي ٤٨، ٥٥ م.

ولمن ينكر تأثرها بالمؤثرات الأدبية والفكرية يقال أنه على الرغم من قلة هذه المؤثرات التي تؤثر في بلورة الحركات الوطنية الا أن تلك المؤثرات وبرغم محدوديتها قد لعبت دورًا عميقًا في صياغة الهوية الفكرية للحركة الوطنية وبصورة أساسية يمكن الإشارة إلى مصدرين:

الأول، كتابات علماء اليمن المجتهدين أمثال الوزير والأمير والمقبلي والجلال والشوكاني وكذلك كتابات الأفغاني والكواكبي والإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهم الله جميعًا.

الثاني، الكتابات الفكرية والأدبية المعاصرة آنذاك وتتمثل فيما كان يكتبه الشهيد الزبيري رحمه الله شعرًا ونثرًا وبما كانت تنشره بعض الصحف العربية التي كانت تساعد الصدف على وصولها إلى اليمن لمامًا وبما كانت تنشره صوت اليمن. هذا ما قلته ردًا على متسائل نعيد تسجيله هنا ليستفيد منه من يبحث عن الحقيقة دون تأثر بمؤثرات حزبية أو عقائدية أو شطحية.

(ملحق رقم ٦)

رسالة الإمام أحمد حميدالدين إلى السياغي للقبض على الثوار في إب

القاضي العلاّمة الصفي أحمد أحمد السياغي حرسه الله وأعانه والسلام عليكم يكون وصولكم ذمار سريعا وصدر ما ترونه ويكون سرعة جمع المحبين أهل السلاح في عنس وجهران وعتمة ورداع حسب الأوامر الصادرة حسبما ترونه وتوجهوا بالجميع إلى يريم ومن يريم أطلبوا أهل السلاح من يريم والنادرة وعجلوا الجيش إلى إب الله الله ثم الله الله وأنتم بمحل من الكمال وفي المحررات الصادرة ما يكفي والله المعين ولا يفوتكم الدعيس والإرياني وعلي محسن وعبداللطيف، الله الله والله المستعان ٢٨ ربيع الثاني سنة ٦٧. ولا لزوم لوصولكم الآن الى عمران ولا حجة وواسوا المشايخ مواساة نافعة الله الله وعند الوصول إب لابد من تسليم المعاشات لكل عسكري خمسة ريالات والعرايف والعقال والمشايخ كل واحد بقدره ومعاش النظام والرشاش الله الله. شمروا وقوموا ليل ونهار الله الله بلا تردد ولا تكاسل ونحن في حال التجهيز اليكم وقد أمرنا الأخ علي حمود أن يرسل اليكم من أهل الشرف ثلاثمائة رام وكسور هم لديه وأمرنا الأخ علي بن حمود أن يرسل إليكم أهل الشرف وهم نحو ثلاثمائة وكسور وأمرنا بارسال الحيمة الخارجية كذلك والأوامر في نحو ثلاثة الاف والله أعلم كم سيصح واذا قد حصل نحو ألف ففيه الكفاية والمونة من ذمار الممكن ومن يريم.

[illegible]

الفاعل [illegible]

[illegible] واعانة [illegible]

وصولا إلى [illegible] و[illegible]

بالزحف ويكون سرعة جمع

المجيبين اهل السلاح من عنس

وجيران وعنس ورداع

الأولاد [illegible] زحفه

وتوجهوا بالجميع اللي يسلح

[illegible] لاهل السلاح

[illegible] وحملوا

الجيش [illegible] الله اكبر

(ملحق رقم ٧)

رسالتان تبينان بعض الكتب المتداولة في سجن حجة

رسالة رقم (١)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد بن يحي الإرياني مرسلا له بعض الكتب ومقترحا بعض القراءات للشباب من الأقارب – شعبان ١٣٧٢هجريه الموافق مايو ١٩٥٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

عُـرض

عدد الأجزاء

٢ الأول والثاني من تفسير المنار.

١ الجوهر المكنون ملك ورثة الولد محمد محمد الإرياني رحمه الله فسلموه إليهم.

١ مجموع المتون ملكهم أيضًا سلموه لهم.

١ أوراق الورد

١ جواهر الأدب

١ حضارة العرب لغوستاف لوبون مترجم

١ تاريخ العرب لسديو مترجم

٢ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لأدم متز مترجم
٣ على هامش السيرة لطه حسين ثلاثة أجزاء
١ تاريخ القرن التاسع عشر
١ نفرتيتي
١ مواقف حاسمة في الإسلام
١ الأخلاق لأحمد أمين
١ تاريخ الأستاذ الإمام ملك السيد العلاّمة محمد بن يحيى الذاري حفظه الله فأرسلوه إليه.
١ تاريخ حضرموت
١ إرشاد الفحول
٢٠ اجمالـــي

سيدي الأخ العلاّمة عز الدين حاكم يريم القاضي محمد بن يحي الإرياني حفظه الله والسلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد وصلني كتابكم مع الرسول وكل ما أرسلتموه من مصروف وغيره قد وصل حسب تصدوركم أطال الله بقاءكم وأحسن إليكم وصدر معه الكتب المحررة أعلا هذا، أفيدوني بوصولها وألزموا الأولاد الكبار بمطالعة حضارة العرب لغستاف لوبون والحضارة الإسلامية ومواقف حاسمة ليعرفوا ما أنكره الشعوبيون وأكثر الغربيين من مجد العرب والإسلام فيكونوا على بصيرة أمام أقوال المتطرفين حتى من كتاب المسلمين أنفسهم الذين تأثروا بأفكار غربية وهذه شهادة مستشرق منصف والحق ما شهدت به الأعداء وسأزيدكم إيضاحًا في البريد أما الأولاد الصغار فيقرأون كتاب الأخلاق كدروس يومية وكذلك تاريخ القرن التاسع عشر يقرأه الجميع فهو مفيد وصدر جواب الولد يحيى والأخ القاضي أنس والولد يحيى بن محمد بن علي سلموا ما لكل واحد إليه وسلموا الجوهر المكنون ومجموع المتون لكرائم الولد محمد بن محمد الإرياني رحمه الله وعجلوا إرسال تاريخ الأستاذ الإمام رحمه الله إلى سيدي العلاّمة محمد بن يحيى الذاري حفظه الله بواسطة

الأخ العلاّمة الفخري القاضي عبدالله بن محمد مع احد المترددين إلى هنالك وما أكثرهم وسلموا على جميع الأولاد والإخوان وعلى الأخ العلاّمة العباس ولماذا لم يصلنا منه سلام ولا كلام وطالما غير النأي المحبين والسلام عليكم ورحمة الله ٢٥ شعبان سنة ٧٢

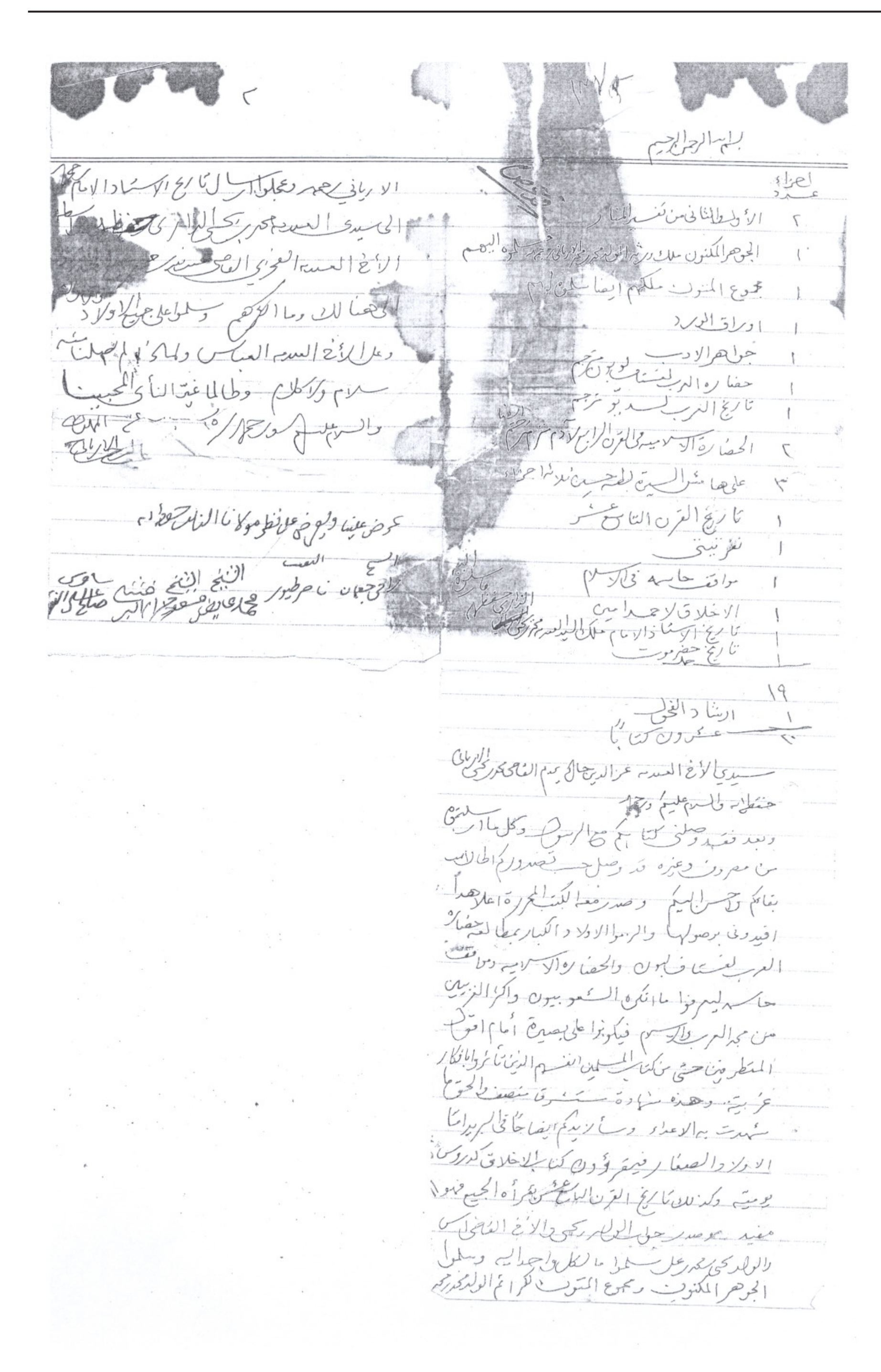
المملوك

عبدالرحمن الإرياني

عرض علينا ويعرض على نظر مولانا النائب حفظه الله

الشيخ راجي جعمان النقيب صالح طيور الشيخ محمد عايض

الشيخ مسعد حزام شاوش صالح علي النهدي البرغشي



١٣٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد أجزاء	
٢	الأول والثاني من تفسير المنار
١	الجوهر المكنون ملك ورثة الولد محمد الإرياني رحمه الله سلموه اليهم
١	مجموع المتون ملكهم أيضاً سلموه لهم
١	أوراق الورد
١	جواهر الأدب
١	حضارة العرب لغستاف لوبون ترجمه
١	تاريخ العرب لسديو ترجمه
٢	الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم متز ترجمه [illegible]
٣	على هامش السيرة لطه حسين [illegible]
١	تاريخ القرن التاسع عشر
١	نظرتيتي
١	مواقف حاسمه في الإسلام
١	الأخلاق لأحمد أمين
١	تاريخ الأستاذ الإمام ملك السيد العلامة محمد زكي [illegible]
١	تاريخ حضرموت
١٩	
١	ارشاد الفحول
٢٠	عشرون كتاباً

سيدي الأخ العلامة عز الدين حاكم يريم القاضي محمد يحيى الإرياني حفظه الله والسلام عليكم ورحمة

وبعد فقد وصلني كتابكم مع الرسول وكل ما أرسلتم من مصروف وغيره قد وصل حسب تصدوركم الطالب بقاكم وأحسن اليكم وصدر مع الكتب المحررة أعلاه هدا أفيدوني بوصولها والزموا الأولاد الكبار بمطالعة حضارة العرب لغستاف لبون والحضارة الإسلامية ومواقف حاسمة ليعرفوا ما أنكره الشعوبيون وأكثر الزيديين من مجد العرب والإسلام فيكونوا على بصيرة أمام أقوال المتطرفين حتى من كتاب المسلمين أنفسهم الذين تأثروا بأفكار غربية. وهذه شهادة مستشرق منصف والحق ما شهدت به الأعداء وسأزيدكم أيضاً حالما يرد إلينا الأولاد الصغار فيقرؤون كتاب الأخلاق كدروس يومية وكذلك تاريخ القرن التاسع عشر يقرأه الجميع فهو مفيد ومصدر جيل الوالد يحيى والأخ القاضي [illegible] والولد يحيى محمد [illegible] سلموا ما لكل واحد اليه وسلموا الجوهر المكنون ومجموع المتون لكرائم الولد محمد رحمه الإرياني رحمه [illegible] وتجلوا إرسال تاريخ الأستاذ الإمام الى سيدي العلامة محمد بن يحيى الذاري حفظه الله [illegible] الأخ العلامة الفخري القاضي حسين [illegible] الى هنا لك وما اليكم وسلموا على جميع الأولاد وعلى الأخ العلامة العباس والملك [illegible] سلام وإكرام وطالما غبت النأي المحببا والسلام عليكم [illegible] جمادي ٢٥ [illegible]

عرض علينا وليعرض على نظر مولانا الناظر حفظه الله

السيد النقيب الشيخ الشيخ
الحاج جعمان ناصر طيور محمد [illegible] [illegible] [illegible] صالح [illegible]

رسالة رقم (٢)

رسالة من القاضي محمد بن علي الأكوع إلى القاضي أحمد بن عبدالرحمن المعلمي تحوي بيانا بكتب القاضي عبدالرحمن بن يحي الإرياني التي خلفها في سجن حجة – رمضان ١٣٧٣ هجرية الموافق مايو ١٩٥٤م

١ . تفسير البيضاوي بكيسها

٢ . ثمان كراريس خط بالقطع الكبير من تاريخ الجندي تحتوي في كراستين مخيطات

٣ . جواهر الأدب

٤ . الجزء الأول من تفسير المنار

٥ . الجزء الثاني من تفسير المنار

٦ . الجزء الثاني من تاريخ الدول العربية المتحدة المسمى تاريخ الاستعمار الفرنسوي والايطالي في بلاد العرب

٧ . ديوان عمارة خط

٨ . التمدن الإسلامي مجلد واحد فيه ثلاثة أجزاء

٩ . الجزء الرابع من التمدن الإسلامي

١٠ . مجلد بياض في أوله مذكرات عام ٧٢ وبعض تقاطيع شعرية وفرائد نثرية

١١ . المجلد الأول من العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية وفي أوله

خلاصة تاريخ اليمن لأحمد وصفى الدمشقي

١٢ . المجلد الثاني من العقود اللؤلؤية

١٣ . مجلد خط يحتوي على المفيد لعمارة اليمني والجزء الثامن من الإكليل وطرف من أخبار قواعد اليمن والقرامطه

١٤ . مجموعة خط في قطع الثمن

١٥ . مجموعة خط في قطع الثمن

١٦ . مجموع خط في قطع الثمن

١٧ . الإسلام والنظام العالمي

١٨ . تاريخ الإسلام السياسي الجزء الأول

١٩ . مجلدين الفتنة الكبرى

٢٠ . لب التاريخ مجلد واحد

٢١ . تاريخ روح الروح خط

٢٢ . الجزء الثاني من الحلل السندسية

٢٣ . تسع كراريس من الديبع

قد عرض

سيدي الأخ العلاّمة صفي الإسلام القاضي احمد بن عبدالرحمن المعلمي حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كان افتقاد الكتب المودوعة عند الأخ العزي محمد العاضي من سيدي الأخ العلاّمة وجيه الإسلام القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني حفظه الله فكان بيان ذلك مما هو موضوع في هذه القطفة وقد حفظت صورة لدي وصورة سترسل للأخ العلاّمة الوجيه حفظه الله وهذه بيدكم وسلام الله عليكم ورحمة الله

٢٥ رمضان سنة ٧٣ أخوكم محمد الاكوع.

الكتب التي كانت لدينا في السجن [illegible]
واحتجزت وهي لدى محمد الشامي احد افراد [illegible]
بيان كتب سيدي الاخ العلامة وجيه الاسلام القاضي
وجيه الاسلام القاضي عبدالرحمن يحيى الارياني حفظه الله

المودعة لدى الاخ محمد القاضي من بلوك ريحان

عدد المجلدات

١ تفسير البيضاوي بكيسها
٢ ثمان كراريس خط بالقطع الكبير من تاريخ الجندي تحتوي في كراستين مخيطات
٣ جواهر الادب
٤ الجزء الاول من تفسير المنار
٥ الجزء الثاني من تفسير المنار
٦ الجزء الثاني من تاريخ الدول العربية المتحدة المسمى تاريخ الاستعمار الفرنسي والايطالي في بلاد العرب
٧ ديوان عمارة خط
٨ التمدن الاسلامي مجلد واحد فيه ثلاثة اجزاء
٩ الجزء الرابع من التمدن الاسلامي
١٠ مجلد بياض في اوله مذكرات عام ٧٠ وبعض مقاطيع شعرية وفوائد نثرية
١١ المجلد الاول من العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية وفي اوله تاريخ خلاصة تاريخ اليمن لاحمد وصفي الدمشقي
١٢ المجلد الثاني من العقود اللؤلؤية
١٣ مجلد خط يحتوي على المفيد لعمارة اليمني والجزء الثامن من الاكليل وطرف من اخبار قواعد اليمن والقرامطة
١٤ مجموعة خط في قطع الثمن
١٥ ״ ״ ״ ״
١٦ ״ ״ ״ ״ ״
١٧ الاسلام والنظام العالمي
١٨ تاريخ الاسلام السياسي الجزء الاول
٢٠ مجلدين الفتنة الكبرى
٢١ لب التاريخ مجلد واحد
٢٢ تاريخ روح الروح خط
٢٣ الجزء الثاني من الحلل السندسية
٢٤ تسع كراريس من البديع

قد وصل

سيدي الاخ العلامة صفي الاسلام القاضي احمد عبدالرحمن المعلمي
حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كان افتقاد الكتب المودعة عند الاخ العزي محمد القاضي سيدي الاخ العلامة
وجيه الاسلام القاضي عبدالرحمن يحيى الارياني حفظه الله فكان بيانها كذلك
ما هو موضوع في هذه القطعة وقد حفظت جميعها لدي وصورته مرسل
للاخ العلامة الوجيه حفظه الله وهذه بيديكم والسلام عليكم ورحمة الله
٢٥ رمضان سنة ٧٣ اخوكم محمد الاكوع

(ملحق ٨)

نماذج من رسائل القاضي عبدالرحمن الإرياني التي كان يبعثها من سجن حجة إلى إخوانه بالطريقة الرسمية ويؤشر عليها من المختصين بالاطلاع و نماذج من يوميات السجن

أ . الرسائل

ب . اليوميات

أ . الرسائل

رسالة رقم (أ-١)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد الإرياني يحث فيها على تعليم الأولاد

محرم ١٣٦٩هـ الموافق اكتوبر ١٩٤٩م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عزالدين حاكم ناحية الشَعِر القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاكم وسلامه عليكم ورحمة الله وبركاته والله يؤيد مولانا أمير المؤمنين ويشد أزره بنجله بدرالدين آمين.

مضت قرابة شهرين لم يصلني فيها منكم كتاب على تكرر رجائي لكم بأن لا تنقطع عني كتبكم لأحيط علمًا بأحوالكم وعافيتكم وأفدتكم بأنها إذا حالت

الأشغال بينكم وبين التحرير وكلتم ذلك إلى الولد محمد بن عقيل حفظه الله، ولولا أن الكتب متوالية من الأخ الفخري حفظه الله ومن الأخ القاضي عبدالله بن محمد وفيها أفادوني بعافيتكم وصلاح أحوالكم وان الولد حسين أصلحه الله في إريان لولا ذلك لذهبت بي الظنون كل مذهب وقد أفدت الأخ الفخري حفظه الله يرسل كتابي إليكم وعسى أن لا يصل هذا إلا وقد وصل ذلك الكتاب إليكم وقد رجوتكم فيه المراجعة من أجل القيد فانه قد آلمني جدًا ولاسيما وقد بَعُد عهدي به ومضت علي سنة وخمسة أشهر منذ تفضل مولانا أيدهم الله تعالى بالأمر برفعه وقد راجعت ببرقية ولكنه إلى حال التحرير لم يعد جواب والله المسئول أن يلهم مولانا أيدهم الله الرحمة ويوفقه إلى ماهو أهله من العفو والإحسان... وصلني من إريان نقل ترجمة الآنسي من البدر الطالع لعلها بخط الولد عبدالحميد أصلحه الله والعجب أنه لا يزال ذلك الخط الذي اعرفه قبل سنتين لم يتحول ولم يتطور مما يدل على إهمال التعليم والدراسة فجعلني ذلك أفكر في أمره وأمر الولد حسين أصلحه الله والأولاد الصغار وها نحن في أوائل العام الدراسي، وعندي أن من الواجب طلوع الولدين عبدالحميد وحسين صنعاء للدراسة فذلك خير من ضياع أوقاتهما بين الشَعِر وإريان فهما في سن الطلب والفرصة سانحة بوجودكم ووجود الأخ الفخري حفظكم الله جميعًا ولكم بذلك الأجر وكذلك الأولاد لطف ومطهر وعبدالكريم الأحسن إرسالهم مدرسة تعز مع الولد إبراهيم والولد عبدالمؤمن إذا رغبا ويمكن نزول الولد فضل حفظه الله معهم ويبقى حتى تستقر أحوالهم هنالك وسيستفيدون إنشاء الله بالدراسة ويتهذبون بالاحتكاك ففكروا بهذا جديًا وتراجعوا مع الأخ الفخري حفظه الله ولو يكون إرسال هذا إليه فترك الأولاد هملًا مما لا ينبغي ولا يحسن، وإن كان الولد فضل حفظه الله مهتمًا بهم كما أفادني الأخ الفخري حفظه الله وقد اشرفا على فائـدة ولكن ذلك لا يغني عن الالتحاق بمدرسة والخوض في غمار الحياة والاحتكاك بالأدباء والعلماء والأخذ بقسط من التعليم الحديث وعدم الأخذ بهذه الأسباب تقصير من الآباء أكثر مما هو من الأبناء ومستقبلهم رهن ما يبذلونه في سبيل تعليمهم وما يبذلونه هم من همةٍ

وجد في الدراسة وإذا كنتم لا ترغبون في مدرسة تعز لما تخشونه من الحميات والأمراض أرسلتموهم إلى المدرسة العلمية بصنعاء وأرجو أن تفيدوني بما يستقر عليه رأيكم وتأكدوا أن في الإهمال تفريطًا وتقصيرًا وإضاعة لمستقبل الأولاد وذلك مما تسألون عنه وحرصي على إرسال الأولاد الصغار أكثر لأن الميدان لا يزال أمامهم واسعًا ويمكنهم الالتحاق بالمدرسة المتوسطة بصنعاء فانه يتخرج منها نبهاء ثم بعدها المدرسة العلمية أو يدخلون أحد أقسام المدرسة العلمية رأسًا فكل ذلك ممكن إنشاء الله وهم على كل حال لا يستغنون عن مرافقة الولد فضل حفظه الله إلى ان يتم استقرارهم ويتعرفوا بمن حولهم ثم يشتغل الولد فضل بالأولاد الصغار ولم تفيدوني هل معاش التدريس لا يزال جاريًا أم قد ذهب مع الذاهبين، وقد أطلت عليكم الكلام في هذا لأني دائمًا أفكر فيهم وكم قد حررت لسيدي الأخ الفخري حفظه الله فأفادني أنهم مجدون في الطلب وأنهم قد أصبحوا ينظمون الشعر كأن الشعر هو كل ما يجب أن يتعلموه على أني اقترحت عليهم النظم في موضوع عينته فلم يعد جواب وأهم عندي من تعلم الشعر إجادة النثر الذي هو أداة التخاطب ولو اقترحت عليهم أن يحرر كل واحد رسالة في موضوع لكان الجواب عدم الجواب وأقرب من ذلك ان يحرر كل واحد منهم كتابًا إليّ لأعرف أساليبهم في الإنشاء فلعل الولد فضل لم يعر هذه الناحية اهتمامًا بل اكتفى بتعليمهم القواعد والحدود ولم يخصص لهم درسًا في الإنشاء ويكلفهم التحرير أسبوعيًا على الأقل في مواضيع شتى يعبرون بها عن أفكارهم ويُمكِّنهم من مطالعة ما هناك من مجلات وصحف ولو قديمة كمجموعة الفتح والموجود من الرسالة وكسلسلة جرجي زيدان وسيميلون إلى ذلك وبه سينهج كل واحد الأسلوب الذي يروق له من الأساليب الكتابية ومادامت أفكارهم خالية مما حشونا به أدمغتنا من تنبيه وفرع وتلك التقديرات والفروض التي لم يقدر لها أن تقع بعد فسينهجون غير أساليبنا العتيقة وليحمدوا الله سبحانه الذي يسر لهم هذه الكتب المختلفة في فنون شتى متفرقة وليقدروا النعمة بالإقبال على الدراسة فإنّا لم نظفر بأكثرها إلا بعد أن عشعشت في أفكارنا كتب البحرق والخبيصي والشرح والبيان ووو. فكان حالنا كحال المتخوم بالطعام الردي ظفر بطعام شهي فشهوته تنازعه إليه وتدعوه إلى ان

ينال منه ولكن معدته تنذره بأنها لن تتسع لأكثر مما فيها وبعد فقد اطلت الكلام وما حملني عليه إلا حب التحدث إليكم وأداء الواجب الذي نشعر به نحن الآباء للأبناء ولعلي قد أديت ما يجب علي في الحالة الراهنة فاني لا املك أكثر من حثكم وتذكيركم وأنتم اعرف بواجبكم...الثمرة في هذه الجهات صالحة وهي في غيرها كما بلغ بين بين فكيف جهاتكم والأمراض هنا منتشرة بصورة مريعة وقلما يمضي يوم لا يطالعنا بجنازة أو جنازتين فتصوروا هذا في قرية هي دون إريان نسأل الله أن يلطف بعباده آمين وأرجو ان لا تفهموا من كلامي إهمال دروس الأولاد في الفروع وإنما رأيي أن مثل الشرح الذي حشر فيه مؤلفه رحمه الله أكثر المذاهب يتيه فيه الطالب وتذهب أيامه عبثًا ويكفي التاج المذهب يفتح لهم فيه درس في المعاملات كما يكفيهم في العبادات الدراري ومنها ينتقلون إلى سبل السلام ثم نيل الأوطار وليكن شعارهم دائما.. دعوا كل قولٍ عند قول محمد × فما آمن في دينه كمخاطر

ورضي الله عن السيد الحسن بن أحمد الجلال إذ يقول:

العلم علم محمد وصحابه   يا هائمًا بقياسه وكتابه

فربوهم على التحرر والنظر في الدليل هذا إذا رجحتم بقاءهم لدن الولد فضل وإن أرسلتموهم صنعاء أو تعز فسينجرون بطبيعة الحال في دروسهم على منهاج المدرسة والله يأخذ بأيديهم إلى ما يرضيه وينفعهم في الحال والمآل.

والإخوان جميعًا يسلمون عليكم وفي مقدمتهم الأخ الصفي وسلموا على الأولاد من الجميع والسلام عليكم ورحمة الله ٨ محرم ١٣٦٩م

المملوك عبدالرحمن الإرياني

وسلموا على الأخ القاضي محمد بن عبدالله إن كان باقيًا لديكم وعلى عبدالرحيم وعبدالله ثابت وكيف حالهما ولا تهملوا التفكير في الولد أحمد أصلحه الله ولا تبخلوا عليه بساعة من أوقاتكم في صباح كل يوم ثم كلوه إلى همة الولد محمد أو

يكون إرساله إريان والمراد أنكم لا تجروا وراء العواطف فتهملوا تعليمهم فبئست العاطفة التي تحول بين الأب وتعليم أبنائه فحكموا العقل لينظر في المصلحة ثم نفذوا حكمه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عرض ويعرض على مولانا النائب حفظه الله آمين

شاويش الشيخ

صالح علي النهدي حزام البرغشي ناصر بن راجي مسعود محمد

١٣٦٩ قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ المعتمد عز الدين حاكم ناحية الشعر القاضي محمد بن يحيى الارياني أطال الله بقاكم وسلامه
عليكم ورحمة الله وبركاته والله يؤيد مولانا امير المؤمنين ويشد ازره بنجله بدر الدين امين
مضت قرابة شهرين لم يصلني فيها منكم كتاب على تكرر رجائي لكم بان لا تنقطع عني كتبكم لاحيط علما باحوالكم
وعافيتكم وافدتم بانها اذا حالت الاشغال بينكم وبين التحرير وكلتم ذلك الى الولد محمد عقيل حفظه ولولا
ان الكتب متوالية من الأخ الفخري حفظه ومن الأخ القاضي عبد الله [illegible] وفيها افادوني بعافيتكم وصلاح احوالكم وان
الولد حسن صلحه في ارياب لولا ذلك لذهبت بي الظنون كل مذهب وقد افدت الأخ الفخري حفظه
يرسل كتابي اليكم وعسى ان لا يصل هذا الا وقد وصل ذلك الكتاب اليكم وقد رجوتكم فيه المراجعة من اجل
الفند فانه قد آلمني جدا ولاسيما وقد بعد عهدي به ومضت علي سنة وخمسة اشهر منذ تفضل مولانا ايده الله سبحانه
بالامر برفعه وقد راجعت برقية ولكنه الى الحال التحرير لم يحصل جواب والله المسئول ان يلهم مولانا ايده الله الرحمة
ويوفقه الى ما هو اهله من العفو والاحسان ... وصلني من ارياب نقل ترجمة الآنسي من البدر الطالع لعلها
بخط الولد عبد الحميد اصلحه والعجب انه لا يزال ذلك الخط الذي اعرفه قبل سنتين لم يتحول ولم يتطور مما يدل على اهمال
التعلم والدراسة فجعلني ذلك افكر في امره وامر الولد حسين اصلحه والاولاد الصغار وها نحن في اوائل العام
الدراسي وعندي ان من الواجب طلوع الولدين عبد الحميد وحسين صنعا للدراسة فذلك خير من ضياع اوقاتهما بين
الشعر وارياب فهما في سن الطلب والفرصة سانحة بوجودكم ووجود الأخ الفخري حفظكم جميعا ولكم بذلك
الاجر وكذلك الاولاد لطف ومطهر وعبد الكريم الاحسن ارسالهم مدرسة تعز مع الولد ابراهيم والولد عبد المؤمن
اذا رغبا وانا اكلف [illegible] الولد فضل حفظه معهم ويبقى حتى تستقر احوالهم هنالك وسيستفيدون
بالدراسة ويهذبون بالاحتكاك ففكروا بهذا جديا وتراجعوا مع الأخ الفخري حفظه ولو يكون ارسالهم
اليه فترك الاولاد هملا مما لا ينبغي ولا يحسن وان كان الولد فضل حفظه مهتما بهم كما افادني الأخ الفخري
حفظه وقد اشرنا الى فائدة ولكن ذلك لا يغني عن الالتحاق بمدرسة والخوض في غمار الحياة والاحتكاك بالادباء
والعلماء والاخذ بقسط من التعليم الحديث وعدم الاخذ بهذه الاسباب تقصير من الاباء اكثر مما هو من الابناء
ومستقبلهم رهن ما يبذلونه في سبيل تعليمهم وما يبذلونه هم من همة وجد في الدراسة واذا كنتم لا ترغبون
في مدرسة تعز لما تخشونه من الحميات والامراض ارسلتموهم الى المدارس العلمية بصنعا وارجو ان تفيدوني
بما يستقر عليه رايكم وتأكدوا ان في الاهمال تفريطا وتقصيرا واضاعة لمستقبل الاولاد وذلك مما سنسأل عنه
وحرصي على ارسال الاولاد الصغار اكثر لان الميدان لا يزال امامهم واسعا ويمكنهم الالتحاق بالمدرسة المتوسطة
بصنعا فانه يتخرج منها ابناؤها ثم يدخلون المدرسة العلمية او يدخلون احداثا من المدرسة العلمية لا سيما قبل
ذلك حسن انشاء الله وهم على كل حال لا يستغنون عن مرافقة الولد فضل حفظه الى ان يتم استقرارهم وتتعرفوا احوالهم
ثم يشتغل الولد فضل بالاولاد الصغار ولم تفيدوني هل معاش التدريس لا يزال جاريا ام قد ذهب مع الذاهبين
وقد اطلت عليكم الكلام في هذا لاني دائما افكر فيهم ولقد حررت لسيدي الأخ الفخري حفظه فافادني انهم مجدون
في الطلب وانهم قد اصبحوا ينظمون الشعر كان الشعر هو كل ما يجب ان يتعلموه على اني اقترحت عليهم النظم في
موضوع عينته فلم يعد جواب واهم عندي من تعلم الشعر اجادة النثر الذي هو اداة التخاطب ولو اقترحت
عليهم ان يحرر كل واحد رسالة في موضوع لكان الجواب عدم الجواب واقرب من ذلك ان يحرر كل واحد منهم كتابا
باليد [illegible] عرف اساليبهم في الانشاء فلعل الولد فضل لم يعر هذه الناحية هما بل اكتفى بتعليمهم القواعد والحدود
ولم يخصص لهم دروسا في الانشاء او تكليفهم التحرير اسبوعيا على الاقل [illegible] في مواضيع شتى [illegible]

رسالة رقم (أ-٢)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد ببعض أحوال السجن ومنها اطلاق الأستاذ أحمد نعمان إلى تعز وعودته إلى حجة - جماد أول ١٣٦٩ هجرية الموافق مارس ١٩٥٠م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم الشَعِر القاضي محمد بن يحيى بن محمد الإرياني حفظه الله وأطال بقاءه وسلامه يغشاه ورحمته وبركاته، وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.

تناولت مشرفكم المؤرخ ٧ جمادى الأولى وحمدته تعالى على عافيتكم وصلاح شؤونكم وعجبت لما شرحتم من تأخر بعض الكتب ومن أجل هذا فاني في كتابي هذا استعرض كل ما سبق أن أوضحته لكم من البشريات ولم يصلني منكم ما يدل على وصولها. في ٢٥ ربيع ثاني استدعي الأستاذ الشيخ أحمد محمد نعمان إلى المقام الشريف أعزه الله فتوجه على سيارة خاصة وهناك قوبل بما لعله قد بلغكم من الحفاوة والتكريم وفي ١٤ جمادى الأولى عاد مكرمًا إلى مقر عمله في حجة وقد شرح لنا من حسن نوايا مولانا أيّدهم الله وحسن تلقيهم له وعظيم صفحهم وواسع حلمهم ما لا يمكن ان يقال عنه إلا انه مثل أعلا من مُثل الأخلاق النبوية حقاً، إنه ليعجز اللسان والقلم عن أن يؤديا بعض الواجب من الشكر، أما الأستاذ فقد عاد وكله ألسن تثني وتطري وتمدح وتدعو لمولانا أيدهم الله وقد وصف من

أخلاق مولانا البدر أيده الله ما هو خليق بالإعجاب والشكر. لم يمضي أسبوع على الأستاذ هنا حتى ورد الأمر بنقل أخيه الشيخ نعمان بن محمد إلى القاهرة وما هي إلا يومان حتى جاء الأمر بإطلاقه أي نعمان وإطلاق الشيخ أحمد عبدالوهاب نعمان والنقيب محسن عبدالرحمن الحيدري صاحب المخادر لعلكم تعرفونه أو تعرفون أخاه وأمروا بنقل الشيخ جازم بن محمد الحروي من نافع إلى القاهرة وماهي إلا يومان حتى جاء الأمر بإطلاق الأخ جازم إطلاقًا نهائيًا والحمد لله والآمال قوية جدًا في أنها ستتوالى الانعامات وتتواصل الاطلاقات وفضل مولانا أيدهم الله واسع وتوجهاتهم حسنة وفقهم الله وسددهم وأملأ قلبهم رحمة ورفقًا.

وقد أفدت الإخوان إلى إريان بأنه يلوح لنا أن لمولانا أيدهم الله رأيًا عامًا في جميع المعتقلين ولاشك أن لأجل إطلاق كل سجين كتابًا وأن لكل كتاب أجلاً حقق الله الآمال ولا مانع مع ذلك من المراجعة في شأن القيد خاصة وقد أوضحت لهم معنى ما يجب أن يراجعوا به وعلى الله تيسير الأمور وبيده أزمتها.

عجبت لما شرحتموه عن الحجري والأحسن يا سيدي أن تبتعدوا انتم عن المعركة وأن تكتبوا له أولًا كتابًا أخويًا وديًا وسيظهر له خطأه فهو فيما أظن عاقل وعهدي به هادئًا رزينًا. من المسرات وجود راديو لديكم، ومن الممكن أن تعولوا على الولد محمد حفظه الله في تلخيص الأخبار الخارجية وأخبار البلدان العربية وبالخاصة فلسطين ويوضحها لنا أو المهم منها أسبوعيا هذا ما نرجوه منكم ولم توضحوا هل الراديوه الموجود من الطراز الجديد الذي لا يحتاج إلى موتور لتملية البطارية أم انه من القديم وإذا كان قديمًا فهل شرى العامل معه موتورًا أم لا ؟ فإذا لم يكن ثمة معه موتورا عرضتم عليه حقنا الموتور الذي شراه لنا الويسي فإنه موجود الآن في بيت شولق بتعز فإذا رغب فيه أوضحتم لأجل نرسل له الحوالة على شولق ونرسل كتاب الويسي إليه فهو لدن الأخ الفخري حفظه الله أرسلناه من هنا وبالاطلاع عليه سيعرف الثمن ويدفع ما فيه لنا وما بقى للويسي والمقصود عود رأس المال بلا ربح ولا خسران وكتب الإخوان حفظهم الله لا تنقطع عنّا غالبًا وكذلك كتب الأخ الفخري القاضي عبدالله بن محمد فإن غاب ناب عنه الولد علي

بن يحيى، والأخ حسن بن أحمد حاكم يريم، وصلت منه عدة كتب وأرسل ١٢ ريالًا قال نحسبها مما لديه وانه لم يمنعه من إرسال البقية إلا عدم مساعدة الحالة ولا ندري كيف حالته وهو مشكور على كل حال. طلبنا منكم في البريد الماضي إرسال قصيدة الولد محمد بن عقيل حفظه الله إلى مولانا أيده الله فإذا لم يصل الكتاب فهذا تأكيد للطلب وقلما يتأخر كتاب من كتب الإخوان التي إلينا والتي إليهم فلا شك أن التقصير من جهة مدير النادرة فتحروه سلموا على الولد العزي والولد الشرفي وسائر الأولاد أصلحهم الله وعلى الولد محمد بن لطف كاتب المحكمة وعلى عبدالرحيم ومن شئتم من الإخوان والأولاد. والأخ الصفي وسائر الإخوان يسلمون عليكم والله المسئول أن يطيل بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٣ جمادى الأولى ١٣٦٩.

المملوك عبدالرحمن الإرياني

عرض علينا مرتب القاهره.

الشيخ راجي جعمان الشيخ محمد عايض الشيخ حزام البرغشي

ويعرض على مولانا النائب حفظه الله آمين والسلام

شاويش صالح علي النهدي

وردت ص ١٣٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ المعتمد عز الإسلام حلية الشعر القاضي محمد بن يحيى بن محمد الارياني حفظه الله واطال بقاه

وسلام عليكم ورحمته وبركاته والله مولانا أمير المؤمنين وسيف الإسلام ولي عهده بدر الدين بخير

تناولت مشرفكم المؤرخ ٧ جمادى الاولى وحمدت الله تعالى على عافيتكم وصلاح شؤونكم وعجبت لما شرحتم

من تأخر بعض الكتب وسراجل هذا فإني في كتابي هذا استعرض كل ما سبق أن أوضحته لكم من البشريات ولم

يصلني منكم ما يدل على وصولها ففي ٢٥ ربيع الثاني استدعى الأستاذ الشيخ أحمد محمد نعمان إلى المقام الشريف بتعز

فتوجه على سيارة خاصة وهناك قوبل بالعطف وبلغ من الحفاوة والتكريم وفي ١٤ جمادى الاولى عاد

مكرما إلى مصر عمله في حجة وقد شرح لنا من حسن لقاء مولانا ايده الله وحسن تلقيه له وعظيم صفحه وواسع

حلمه ما لا يمكن أن يقال عنه الآن إنه مثل أعلى من مُثُل الأخلاق النبوية حقا إنه ليعجز اللسان والقلم

أن يؤديا بعض الواجب من الشكر أما الأستاذ فقد عاد وكله ألسن تثني وتطري وتمدح وتدعو لمولانا الإمام ايده الله

وقد وصف من أخلاق مولانا البدر ايده الله ما هو خليق بالإعجاب والشكر . لم يمض أسبوع على الأستاذ هنا

حتى ورد الأمر بنقل أخيه الشيخ نعمان من سجن القاهرة ومأوى الأبوهان حتى جاء الأمر باطلاقه أي نعمان واطلاق

الشيخ أحمد عبد الوهاب نعمان والنقيب محسن عبد الرحمن الحيدري صاحب المخادر لعلكم تعرفونه أو تعرفون أخاه

وأمر بنقل الشيخ جازم بن محمد الحروي من نافع إلى القاهرة ومأوى الأبوهان حتى جاء الأمر باطلاق

الأخ جازم اطلاقا نهائيا والحمد لله والآمال قوية جدا في أنها ستتوالى الإنعامات وسيتم إرسال الإطلاقات

وتفضل مولانا ايده الله واسع وتوجهاته حسنة وفقهم الله وسددهم واملأ قلبهم رحمة ورفقا . وقد

أفدت الإخوان الى ريان بانه يلوح لنا أن لمولانا ايده الله سرا يا عاما في جميع المعتقلين ولكن لا بد من

لأجل اطلاق كل سجين كتاب بشأنه وكل كتاب لأجل حقوق الله لا كمال ولا مانع مع ذلك من المراجعة في شأن العبيد

خاصة وقد أوضحت لهم معنى ما يجب أن يواجهوا به وعلى الله تيسير الأمور وبيده أزمتها ...

عجبت لما شرحتم عن الحجري والأحسن يا سيدي أن تبتعدوا أنتم عن المعركة وأن تكتبوا له إذا كتبتم كتابا أخويا

وديا وتستظهر لحفظه فهو فيما أظن عاقل وعهدي به هادئا رزينا . من المسرات وجود راديو لديكم

ومن الممكن أن تعولوا على الولد محمد حفظه الله في تلخيص الأخبار الخارجية وأخبار البلدان العربية بالخصوص

فلسطين ويوضحها لنا أو المهم منها أسبوعيا هذا ما نرجوه منكم ولم توضحوا هل الراديو الموجود من الطراز

الجديد الذي لا يحتاج الى موتور لتقليب البطارية أم انه من القديم وإذا كان قديما فهل اشتريتم العامل

معه موتورا أم لا فإذا لم يكن له معه موتور أعرضتم عليه حقنا الموتور الذي اشتراه لنا الحوسي

فانه موجود الآن في بيت شوليق بتعز وإذا رغب فيه أوضحتم لأجل نرسل له الحوالة على وثيق

ونرسل كتابا للحوسي ليبيعه فهو لدى الأخ العزي حفظه الله أرسلناه من هنا وبالاطلاع عليه سيعرف

الثمن ويدفع ما فيه لنا وما بقي للحوسي والمقصود عوض رأس المال بلا ربح ولا خسران وكتب الاخوان

حفظهم الله لا تنقطع عنا غالبا وكذلك كتب الأخ العزي والقاضي عبد الله بن محمد فإن غاب ناب عنه الولد علي يحيى

والأخ حسن بن الحجري حفظه الله وصلتني منه عدة كتب وأرسل ٢٢ قات بحسبها لديه وإنه لم يمنعه من إرسال البقية

الا عدم مساعدة الحالة ولا ندري كيف حالته ونحن مشكور على كل حال طلبنا منه في البريد الماضي إرسال القصيدة

الولد محمد عقيل حفظه الله الى مولانا الذي قصدها فإذا لم يصلها الكتاب فهذا تأكيد الطلب [illegible]

رسالة رقم (أ-٣)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد ببعض أحوال السجن ومنها إطلاق القاضي عبدالله عبدالأله الأغبري - رمضان ١٣٦٩ هجرية الموافق يونيو ١٩٥٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قد عرض

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الدين حاكم الشَعِر القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والله يؤيد مولانا أمير المؤمنين ويشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.

أبارك لكم بشهر الصيام وأرجوه تعالى أن يكتب لنا جميعًا ما كتبه لعباده الصالحين آمين

في يوم الخميس سلخ شعبان تفضل مولانا صاحب الجلالة أيدهم الله بإطلاق القاضي عبدالله عبدالإله الاغبري حاكم خدير السابق وتعيينه حاكمًا كأحد حكام حجة وأمر بجلب عائلته إلى هنا وقد ابرق لهم لوصولهم، كما تفضل أمير المؤمنين أيدهم الله بإطلاق القاضي أحمد بن قاسم العنسي والقاضي محمد العلفي والسيد علي بن يحيى عقبات كلهم من الإخوان المنقولين معنا من نافع كما سبق إيضاحه لكم بتاريخه ولا شك أنكم تعرفون عن الإخوان الثلاثة العنسي والعلفي وعقبات ما لا تحتاجون معه إلى مزيد إيضاح، ولكن القاضي عبدالله لا تسمعون عنه شيئًا أكثر من أنه كان حاكمًا في خدير وليس منصب الحكومة يا سيدي في حالتنا الحاضرة والغابرة بالذي يمثل القائم به علمًا من أعلام الشريعة كما كان شأنه من ذي قبل،

وكيف وهناك أحمد الجبري وصالح الشوكاني وحمره وغيرهم وغيرهم، ولهذا فلا يجوز لي أن اقتصر في تعريفي بالقاضي الفخري على أن أقول لكم انه كان يشغل منصب القضاء في خدير لأنكم قد تتصورونه من طبقة هؤلاء الحكام الذين أشرت إليهم فأكون بذلك قد ظلمت الحقيقة وتوقيًا لهذا الغمط أقول لكم انه خير رجل يمني عرفته في السجن علمًا وعقلًا وأخلاقًا فهو ملم بالقديم والحديث واسع الاطلاع صحيح النظر عميقه ذو فتوة في رأيه وإرادته برغم تخطيه العقد الرابع من عمره وهو من أنصار الحديث الصالح وحراس القديم المفيد مع تنور فكر ونبذ للتعصب وتسامح وميل إلى السنة وإن خالف مذهب آبائه أي مذهب الشافعي، وقد تلازمنا معه في نافع والقاهرة عامين كاملين يضمنا مكان واحد من أول يوم إلى أن فارقنا طليقًا مدعوًا له ولم أر في أخلاقه ما ينكر ولا في أفعاله ما يستنكر مع سعة صدر وتحمل زائدين ناهيكم بمن يفوز بهذه الشهادة ويتغلب على مضايق نافع ومماحكات السجن التي تبخس الذهب، ولذلك فأنا مع اغتباطي بإطلاقه وسروري به قد فقدت سلوة كبيرة وعونًا عظيمًا على الآم السجن وأحزانه وأصبحنا وليس بيننا إلا سور القاهرة وكأنما بيننا مهامة فيح ومهاب ريح والله أرجو له التوفيق والمعونة ولنا الثبات والعزيمة.

ومن الغريب أنا كنا نجهل كل شيء عن فضله ومكانته العلمية برغم أن مثله لا يجهل لأنه قليل النظير، ولنعد إلى حديث الإطلاق فنقول انه طليعة خير مؤمل ان يَطَّرِد ويتوالى في هذا الشهر الكريم اسوة بالرسول العظيم عليه الصلوات والتسليم، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان اجود ما يكون في رمضان والمملوك يعتقد جازمًا أنه لولا وجود من تعرفونهم من الوشاة والمغرضين لكان في مقدمة المطلقين وعلى كل حال فهذه الوشايات لها أمد تنتهي بانتهاء شوطه ويعاود القلب الشريف المعهود من الرحمة والعطف. حررت إليكم هذا ليلة الثلاثاء ٥ رمضان قبل وصول البريد وإلى أن يأتي البريد نعود إلى إكمال الكتاب إنشاء الله.

وصل البريد ووصل معه كتابكم المؤرخ ٢٢ شعبان مع النامونه من الصابون

والشاهي أحسن الله إليكم وأطال بقاكم العجب من لطف بادي وقد كان يزعم انه من المحبين ولكن هذا الزعم هو على أساس أن لا يطالب بحق ولا إنصاف وهكذا شأن الناس. الاختيارات التي قد بلغتنا هي المتعلقة بعدم لزوم انتظار القاصر في القصاص وتعديل الإختيار المتوكلي في الفسخ للمغيبة وألاّ يضاف الوقف للوارث فهل هناك غيرها سلموا على الولد العزي والشرفي وسائر الأولاد والأخ الصفي يسلم عليكم والرجاء أن لا تتسونا عن صالح دعواتكم في هذه الليالي المباركة أطال الله بقاءكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٥ رمضان ١٣٦٩هـ.

المملوك عبدالرحمن الإرياني

عرض علينا مرتب القاهرة

الشيخ محمد بن عايض مسعود

الشيخ حزام البرغشي

الشيخ علي بن ناصر جعمان

عرض علينا وكيل شاوش

علي مصلح الحليلي

79

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الدين حاكم الشعر القاضي محمد يحيى
الارياني اطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والله يؤيد مولانا امير المؤمنين ويشد ازره بولي عهده بدر
الدين امين   اباركلكم بشهر الصيام وارجوه تعالى ان يكتبلنا
جميعاً ما كتبه لعباده الصالحين امين   في يوم الخميس سلخ شعبان
تفضل مولانا صاحب الجلالة ايده الله باطلاق القاضي عبدالله عبد الاله
الأغبري حاكم حذير السابق وتعيينه حاكماً لاحد حكام حجة وأمره
بجلب عائلته الى هنا وقد ابرق لهم لوصولهم كما تفضل امير المؤمنين
ايده الله باطلاق القاضي احمد قاسم العنسي والقاضي محمد العلفي والسيد
علي يحيى عقبات كلهم من الاخوان المنقولين معنا من نافع كما
سبق ايضاح ذلك لكم بتاريخه ولا شك انكم تعرفون عن الاخوان الثلاثه
العنسي والعلفي وعقبات ما لا تحتاجون معه الى مزيد ايضاح
ولكن القاضي عبدالله لا تعرفون عنه شيئاً اكثر من انه كان حاكماً في
حذير وليس منصب الحكومة يا سيدي في حالتنا الحاضرة والغابرة بالذي
يمثل القائم به كما علماء الشريعة كان شأنه في قبل وكيف
وهناك احمد الحري وصالح الشوكاني وحمزه وعنسهم وغيرهم ولهذا فلا يجوز لي الا
اقتصر في تعريفي بالقاضي الاغبري على ان اقول لكم انه كان يشغل منصب القضا
في حذير الا انكم قد تتصورونه من طبقة هؤلاء الحكام الذين اشرت اليهم
ما كونه بذلك قد ظلمت الحقيقة وتوقياً لهذا الغلط اقول لكم انه خير رجل
بني عرفته في السجن علماً وعقلاً واخلاقاً فهو ملم بالقديم والحديث واسع
الاطلاع صحيح النظر عميقه ذو قوة في رأيه وارادته برغم تخطيه
العقد الرابع من عمره وهو من انصار الحديث الصالح وحراس القديم المفيد
مع تنور فكر ونبذ للتعصب وتسامح وميل الى السنه وان خالف مذهب ابائه
اي مذهب الشافعي   وقد ثلاث منا معه في نافع والقاهرة عامين كاملين
بينما شاهدنا احد اول يوم الى ان فارقنا طليقاً حميد عقاله ولم أر في
اخلاقه ما يتنكر ولا في افعاله ما يستنكر مع سعة صدر وتحمل زائد برى
ناهيكم بمن يفوز بهذه الشهادة ويتغلب على مضايق نافع
ومحاسن السجن التي تخفي الذهب ولذلك فانا مع اغتباطي باطلاقه
وسروري به فقد فقدت سلوة كبيرة وعوناً عظيماً على الآم السجن
واحزانه واصبحنا وليس بيننا الا سور القاهرة وكانما بيننا ما هو اعمر
فيح ومهامه فسيح والله ارجو له التوفيق والمعونة ولنا اللباب والعزيمة

رسالة رقم (أ-٤)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد يحثه فيها على المراجعة لإطلاقه من السجن ويحدد أساليبها شوال ١٣٦٩ هجرية الموافق يوليو ١٩٥٠م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم الشعر القاضي محمد بن يحيى الإرياني حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين. أحرر هذا بعد انقضاء العيد السعيد أعادكم الله إلى أمثاله في خير وعافية وعز وسمو وسلامة في الدين آمين والى حال التحرير ولم يصل البريد وفي الأسبوع الماضي لم يصل منكم كتابكم كما أوضحت لكم أرجو ان يكون المانع خيرًا.. مضى رمضان ومضى العيد ولم يحدث شيء مما كان يؤمل حدوثه من إطلاقات أو نقل إذا استثنينا إطلاق الشيخ عبدالواحد بن حميد بن علي باشه وقبول إبنه رهينة عنه كما سبق إيضاحه ونحن حررنا برقيتين في خلال الشهر الكريم أردنا فيهما التعرض لنفحات الله سبحانه ولم تعد إفادة، وعسى أن يكون بعد هذا الركود إطلاق هني كما قد عودنا مولانا أمير المؤمنين أيده الله وقلوب الملوك بيد الله وانتم يا سيدي ابنوا على ما أوضحت لكم أخيرًا من الاكتفاء بنزول الأولاد حفظهم الله وعليكم أن تشدوا أزرهم بالمراجعة برقيًا وتحريرًا وافهموهم بان يكون سير المراجعة على النمط الذي رتبته من المراجعة بالإطلاق أولًا والإلحاح فيه حتى اليأس الصريح ثم الانتقال إلى طلب إزالة الحديد ومجيء الولد فضل حفظه الله بالزيارة وإياكم ثم إياكم ان تتكلموا

من أجل رهائن أو ان تستصحبوا عقاير فهذا كله ما لا لـزوم له فكل ذلك مما لا يستحسن من مثلنا فنحن لم نكن من المشايخ رؤساء العشائر المتبوعين وهذه الأسرة كما تعلمون لا تمتاز إلا بالعلم أولًا ثم بالحكومة وخدماتها ثانيًا ولو فكروا فيما أجروه من عقوبات لما تجازوا في عقوبتنا حد الإهمال ولقالوا لنا كما قال ابن عباس لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما (بنا سميت أم المؤمنين) وسحب هذه الصلة والتجريد من لقب حاكم أو عامل كافيتان في التأديب وهي مع ذلك محببة إلى النفس فقد أصبحت العزلة ولزوم البيت أسمى ما تصبو إليه النفس وأشهى ما تطمح إليه فقد تمرنا في هذا السجن الطويل البعيد عن العالم على الانفراد وأنسنا بالوحدة وقديمًا قيل الوحدة عبادة فأرجو أن تنبهوا الأولاد إلى هذا ولو ترسلون هذا إليهم فقد اكتفيت به عن التحرير إليهم بهذا المعنى. بعد هذا وصل كتابكم المؤرخ ١٣ رمضان ولا ادري كيف تأخر إلى اليوم وذكرتم فيه أن المُصَدّر من العطر سبعة مضارب ولم تصل غير خمسة منها اثنان عطر العود، والعود نحو أوقية فاسألوا سيدي الأخ الفخري حفظه الله إن كان ما تأخر لديهم وإلا فاسألوا الرسولين عن مصير المضربين هذا والله يطيل بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٣شوال ٦٩

المملوك عبدالرحمن الإرياني

سلامي على الأولاد جميعًا والاخ الصفي يسلم عليكم وعليهم

عرض علينا مرتب القاهره

الشيخ محمد الحليلي الشيخ حزام البرغشي الشيخ علي بن ناصر

عرض علينا

وكيل الشاوش علي صالح الحليلي

قد عرض ٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام حاكم الشرع القاضي محمد يحيى الأرياني
حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإليكم سلام مولانا أمير المؤمنين
ويشاركون بولي العهد بدر الدين ايده الله احرر هذا بعد انقضاء
العيد السعيد أعاده الله إلينا وأمثاله في خير وعافية وعزة وسمو وسلامة
في الدين آمين والحال لتحريره لم يصل البريد في الأسبوع الماضي
لم يصل منكم كتاب كما أوضحت لكم أرجو أن يكون المانع خيرًا . مضى رمضان
ومضى العيد ولم يحدث شيء مما كان يؤمل حدوثه من إطلاقات أو تنقل إذا استثنينا
إطلاق الشيخ عبد الواحد سعيد علي باشه وقبول ابنه رهينة
عنه كما سبق إيضاحه ونحن حررنا برقيتين في خلال الشهر الكريم
أردنا فيهما التعرض لنفحات الله سبحانه ولم تعد فائدة وعسى أن يكون بعد
هذا الركود إطلاق هنيء كما قد عودنا مولانا أمير المؤمنين أيده الله وقلوب
الملوك بيد الله وأنتم يا سيدي أبنوا عليها أوضحت لكم أخيرًا الاكتفاء
بمنز[ل] الأولاد حفظهم الله عليكم أن تبسطوا وأن تلزموهم بالمراجعة برقيًا وتحريرًا
وأفهموهم بأن يكون سير المراجعة على النمط الذي رتبته من المراجعة بالإطلاق
أولًا والإلحاح فيه حتى اليأس الصريح ثم الانتقال إلى طلب الإذن الجديد ومجيء
الوالد فضل حفظه الله بالزيارة وإياكم ثم إياكم أن تتكلموا من أجل رهائن
أو أن تستصحبوا عقائر فهذا كله مما لا لزوم له فكل ذلك مما لا يستحسن من مثلنا فنحن
لم نكن من المشايخ رؤساء العشائر المتبوعين وهذه الأسرة كما تعلمون اشتهرت
الآن بالعلم أولًا ثم بالحكومة وخدماتها ثانيًا ولو فكروا فيما أجروه من عقوبات لما تجاوزوا
في عقوبتنا حد الإهمال ولقالوا لنا كما قال ابن عباس لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما
إنما سميت أم المؤمنين بنا وبسبب هذه الصلة والتجربة من قبل حاكم أو عامل كما فيتأنى
في التأديب ومع ذلك محببة إلى النفس فقد أصبحت العزلة ولزوم البيت
أسمى ما تصبو إليه النفس وأشهى ما تطمح إليه فقد مرّنا في هذا السجن الطويل البعيد
عن العالم على الانفراد وأنسنا بالوحدة وقديمًا قيل الوحدة عبادة فأرجوكم
تنبهوا الأولاد إلى هذا ولو ترسلون هذا إليهم فقد اكتفيت به عن التحرير
إليهم بهذا المعنى بعد هذا وصل كتابكم المؤرخ ١٣ رمضان ولا أدري كيف
تأخر إلى اليوم وذكرتم فيه أن الصدر من العطر سبعة مضارب ولم تصل
غير خمسة ١٤ إنبات عطر العود من العود مع أنواعه فاسألوا سيدي الأخ القرشي حفظه الله إن كان ما يأتيكم
لديهم وإلا فاسألوا المرسلين عن محصل المفرزين . هذا وحمد

رسالة رقم (أ-٥)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد يطلب بعض الكتب ويحثه على المراجعة لإطلاقه من السجن- ذو القعدة ١٣٦٩ هجرية الموافق سبتمبر ١٩٥٠م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم الشَعِر القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.. أحرر إليكم هذا صبيحة الثلاثاء ٢٣ ذي القعدة ولمّا يصل البريد إلى الآن وأرجو أن لا يخلو من كتاب منكم. أحوالنا كالمعتاد لم يجر أي تغيير ولا تحويل ولا تبديل وقد سبق إليكم في البريد الماضي ما فيه كفاية وأشرت لكم بأن الأولى تأخير نزولكم إلى أول العام المقبل إن شاء الله ان تأخر الإطلاق.

ولا أدري هل الولد العزي سيتوجه إريان في العيد أم سيبقى لديكم

وأرجو أنكم قد أرسلتم المطلوب من العطر والعودة للعيد، كما أرجو أن تعولوا على من يترددون إلى عدن بشراء خريطة البلاد العربية التفصيلية الحديثة فهي تباع الآن هنالك بعشر روبيات ولعل نسخها محدودة ومتى وصلت لكم أفدتموني وقد عولت على بعض الإخوان في طلب نسخة ولكني لا أدري هل يتم ما وعد به أم لا وهي مهمة إذ هي أول خريطة للبلاد العربية مفصلة فلا ينبغي ان تفوتنا وتفضلوا أيضًا بطلب (تاريخ العرب قبل الإسلام) ثلاثة أجزاء للعلامة جرجي زيدان فهو أحفل وأجمع وأصح كتاب في بابه لأن فيه التمحيص الذي عرف به المؤلف والى ذلك فإن مراجعه نحو ستين كتابًا مما كتب في اللغات الأجنبية من يونانية

وألمانية وإفرنسية وايطالية وانجليزية مما وقفوا عليه في النقوش والآثار ومما نقلوه عن مؤرخيهم القدماء وقد فاتني أن اكتب لكم قبل التاريخ لتطلبوه من عدن وتعولوا على بعض الحجاج في شرائه من مكة لأنه عزيز الوجود ولكن عسى الله أن يوجد في عدن إنشاء الله. بعد هذا وصل كتابكم المؤرخ ١٣ القعدة ولله الحمد على عافيتكم وشكرًا للولد العزي على إيضاحاته وشأن توجهكم تعز فالرأي ما قلته في صدر الكتاب من الأناة والتأخير إلى العام المقبل أو أواخر الحجة وعسى أن يكفيكم مولانا أمير المؤمنين أيدهم الله مؤنة النزول بتحقيق وعده الشريف المتكرر. سلموا على الأولاد جميعًا وقد حررت هذا ولدي أزمة نفسية والفكر خامد جامد فالى اللقاء في الأسبوع القادم وقد حررت مراجعة في هذا الأسبوع لمولانا ولي العهد البدر أيده الله عملًا بالأسباب وعلى الله تيسير سبيل النجاح وعليه التعويل والتكلان وما شاء الله كان والله يطيل بقاكم وسلامه عليكم ورحمته وبركاته ٢٣ ذي القعدة سنة ٦٩.

المملوك عبدالرحمن الإرياني

يعرض على مولانا النايب حفظه الله

مرتب القاهرة الشيخ راجي جعمان الشيخ محمد عايض

الشيخ حزام البرغشي الشاويش صالح النهدي

عرض

حفظكم الله وأبقاكم تحرر هذا في تاريخه من الدور الأول وأرسل إلى بيت البريد مع أجرته بواسطة مولانا الحجة النائب أيده الله ولكنه ارجع إلينا مع غيره من الظروف أرجعه مأمور البريد بعلة أن العسكري الذي حمله لم يدفع الأجرة ولما ذهب إليه العسكري وذكّره اعترف بأنه قد تسلمها وإنما بدا له أن يعمل معروفًا في تأخير الظروف والى الله المشتكى. لم يتجدد ما يجب رفعه سوى سفر مولانا العلاّمة الحجة النائب صبح يوم الأحد ٢٨ القعدة نحو تعز على سيارة جيب أرسلت

له خصيصًا من مولانا صاحب الجلالة أيدهم الله وسيستقل الطائرة من تعز إلى جدة لأداء فريضة الحج نسأل الله له حجًا مبرورًا وعودة قريبة سعيدة وقد ناب عنه نجله الأول سيدي العلاّمة النبيل حمود بن عبدالملك. تفضل مولانا أمير المؤمنين أيدهم الله بالأمر بإطلاق السيد عبدالصمد بن مُحُمد الوزير ووصول أخيه الأصغر بدلًا عنه وأمروا بإطلاق ثلث أموال بيت الوزير لعائلاتهم. تلقيت في هذا البريد جوابًا من مولانا سيف الإسلام عبدالله أيده الله هذا لفظه: القاضي الوجيه عبدالرحمن بن يحيى الإرياني حفظه الله والسلام عليكم ورحمة الله وأيد الله مولانا وشرح صدرهم وألهمهم الخير والصواب وانه وصل محرركم ونحن بصنعاء ولا ندري ما كان منكم أو نسب إليكم ويسرنا أن يكون كل ما نسب إليكم غير صحيح وعلى كل فلا بد من مراجعة مولانا أيدهم الله وهم لا يرون إنشاء الله إلا الصواب والله الميسر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. عبدالله بن أمير المؤمنين ٢٧ ذي القعدة ٦٩

هذا لفظ الجواب وعسى الله أن يكون لهذا الوعد أثره لا لزوم لنزولكم الآن كما قد قدمت لكم والله يطيل بقاكم والسلام عليكم. لا لزوم لان يرسل الولد محمد بن عقيل حفظه الله شيئًا غير الاسبروه والمعرقتين وتفضلوا بالعودة والعطر والله يطيل بقاكم

سلخ القعده ٦٩

المملوك عبدالرحمن الإرياني

يعرض هذا على وكيل نائب مولانا الإمام حفظه الله

الشيخ	الشيخ	الشيخ	الشاويش
محمد بن عايض	راجي جعمان	ناصر البرغشي	صالح علي النهدي

١٣٦٩

قدعرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام حاكم الشرع القاضي محمد زكي
الأرياني أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير
المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين أيده. أحرر إليكم هذا
صبيحة الثلاثاء ٢٣ ذي القعدة ولما يصل البريد إلى الآن وأرجو أن لا يخلو عن
كتاب منكم. أحوالنا كالمعتاد لم يجر أي تغيير ولا تحويل ولا تبديل
وقد سبق إليكم في البريد الماضي ما فيه كفاية وأشرت لكم بأن الأولى
تأخير نزولكم إلى أول العام المقبل إن شاء الله إن تأخر الإطلاق. ولا أدري
هل الولد العزيز سيتوجه أرياني في العيد أم سيبقى لديكم. وأرجو أنكم
قد أسلمتم المطلوب من العطر والعودة للعيد كما أرجو أن تعولوا على
من يتردد ولا عدن بشراء خريطة البلاد العربية التفصيلية الحديثة فهي
تباع الآن هناك بعشر روبيات ولعل نسخها محدودة ومتى وصلت
لم أجد تموني وقد عولت على بعض الإخوان في طلب النسخة ولكني لا أدري
هل يتم ما وعد به أم لا وهي مهمة إذ هي أول خريطة للبلاد العربية مفصلة
فلا ينبغي أن تفوتنا وتفضلوا أيضا بطلب [تاريخ العرب قبل
الإسلام] ثلاثة أجزاء للعلامة جرجي زيدان فهو أحفل وأجمع وأصح
كتب في بابه لأن فيه التمحيص الذي عرف به المؤلف وإلى ذلك فإن
مراجعه نحو ستين كتابا مما كتب في اللغات الأجنبية من يونانية وألمانية
وإفرنسية وإيطالية وإنجليزية مما وقفوا عليه في النقوش والآثار وما نقلوه عن جغرافييهم
القدماء. وقد فاتني أن أكتب لكم قبل التاريخ لتطلبوه من عدن وتعولوا
على بعض الحجاج في شرائه من مكة لأنه عزيز الوجود ولكن على أي حال يوجد
في عدن إن شاء الله. بعد هذا وصل كتابكم المؤرخ ١٣ القعدة وسرنا علم
عافيتكم وشكرا للولد العزيز على إيضاحاته وشأن توجيهكم لعمر فالرأي
ما قلته في صدر الكتاب من الأناة والتأخير إلى العام المقبل أو
أواخر الحجة وعسى أن يكفيكم مولانا [illegible] الحسن أيده الله مؤنة النزول
بتحقيق وعده الشريف المشكور. سلموا على الأولاد جميعا وقد
حصل هذا ولدي أحمد تنفيسه والفكر حاصل جاهد
ما ألقاه في الأسبوع القادم. وقد حررت مراجعه في هذا

رسالة رقم (أ-٦)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي عبدالله يطلب بعض الكتب- جمادى الثانية ١٣٧٠ هجرية الموافق مارس ١٩٥١م

عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأخ العلاّمة فخر الإسلام القاضي عبدالله بن يحيى الإرياني أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.. إلى الآن ولم يصل البريد ونرجو أن فيه بعض الكتب المطلوبة كما أرجو أن تواصلوا إرسال ما بقي منها في كل بريد أما إذا تأخر شيء من ذلكم فالعتب والمسئولية على الأولاد والأخ الضياء لأن عليهم هم الاهتمام بذلك وأن يكفوكم مؤنة إرسالها لأنهم فيما اعتقد قد نبذوا التواكل وترك كل شيء على الأعلا وارجوهم أن يحققوا هذا الأمل. كنت أفدتكم أنّا طلبنا من الأخ عبدالله عبدالوهاب من زبيد إرسال ديوان عمارة اليمني لتصحيحه وإعداده للطبع وقد عاد جوابه في البريد أنه لم يجده وإنما وجد ديوان المقري والبهاء زهير والحكمي فأفدناه أنه لا حاجة لها لأنها موجودة لدينا ثم وصل منه تلغراف يقول فيه إن ديوان عمارة تحت النقل وقد شكرناه على ذلك في بريد هذا الأسبوع، وبعد هذا وصل كتابكم ولله الحمد على عافيتكم وما إليه أشرتم من إرسال الكتب صحبة رسول قاصد فلا باس بذلك ولكن يحسن تأخيره إلى نصف شعبان ليكون إرسال ما نحتاجه من المعتاد لرمضان وإرسال مصروف أيضا فالمأة الريال المحولة من تعز لم تصل إلاّ وقد أخذنا قريبًا منها قرضه. وقد عجبت جدًا لأخذ مأمور يريم ريالين ونصف على الكتاب والجوخ والحال أن عليه بنصف ريال بدلات لا غير ويمكنكم يا سيدي أن ترسلوا لنا الآن ما حاجتنا إليه ضرورية وهو المنجد وسائر المطلوب

من الكتب إلى أن يصل الرسول في أواخر شعبان إنشاء الله وقد سررت جدًا لما شرحتموه عن الولد يحيى أصلحه الله وأهم ما نرجوه من الولد الفضل حفظه الله هو أن يكرس جهوده لتعليم الأولاد وتهذيبهم، وصدر مع هذا بيتان سلموا ذلك إلى الولد يحيى لإعرابه بخطه وبحسب فهمه خطأ أو صوابًا وأرجو ان لا تلاحظوا عليه في شيء من الخطأ بل إرسلوها إلينا على ما يكتبها لأعرف مقدار فهمه وتحصيله.. سلموا على جميع الإخوان والأولاد أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠.المملوك عبدالرحمن الإرياني.

في هذا الأسبوع وصل لنا من سيدي العلاّمة محمد بن يحيى الذاري حفظه الله الجزء الثاني من تاريخ الإسلام السياسي وتاريخ حضرموت والثالث من النسخ الكبير أحسن الله إليه وجزاه خيرا والأخ الشرفي حاكم يريم حفظه الله طلبنا منه طبق الحلوا ولم يصل ولا أجاب لا ادري ما هو السبب والسلام

عرض ويعرض على مولانا النائب أيده الله

الشيخ	الشيخ	الشيخ	وكيل الشاويش
حزام البرغشي	علي بن محمد عايض	راجي جعمان	محمد مفتــاح

١٣٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأخ العلامة فخر الإسلام القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني الحالمي [illegible] بقاكم والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد فإنه [illegible]
إلى الآن ولم يصل البريد ونرجو أن فيه بعض الكتب المطلوبة [illegible] نرجو أن تواصلوا إرسال ما بقي
منها في كل بريد أما إذا تأخر شيء من ذلك فالعتب والمسئولية على الأولاد والأخ الضيا
لأن عليهم هم الاهتمام بذلك وأن يكفوك مؤونة إرسالها لأنهم فيما أعتقد قد نبذوا التواكل
وترك كل شيء على الأعلا وأرجوهم أن يحققوا هذا الأمل . كنت أخبرتكم أنا طلبنا من الأخ
عبدالله عبدالوهاب [illegible] إرسال ديوان عمارة اليمني لتصحيحه وإعداده للطبع وقد عاد جوابه
في البريد أنه لم يجده وإنما وجد ديوان المعري والبهاء زهير والحكمي فأفدناه أنه لا حاجة
لها لأنها موجودة لدينا ثم وصل منه تلغراف يقول فيه أن ديوان عمارة تحت النقل
وقد شكرناه على ذلك في بريد هذا الأسبوع . بعد هذا وصل كتابكم [illegible] على ما فيه
وما إليه أشرتم من إرسال الكتب صحبة رسول قاصد فلا بأس به لكن يحسن تأخيره
إلى نصف شعبان ليكون إرسال ما نحتاجه من العشاء لرمضان وإرسال المصروف أيضا
فالمائة الريال المحولة [illegible] لم تصل إلا [illegible] أخذنا قريبا منها قرضة وقد عجبت جدا لأخذ
[illegible] ريال [illegible] على الكتاب والجوخ وكان [illegible] عليه بنصف ريال [illegible]
ويمكنكم يا سيدي أن ترسلوا لنا الآن ما حاجتنا إليه ضرورية وهو المجدد وسائر
المطلوب من الكتب إلى أن يصل الرسول في أواخر شعبان إن شاء الله وقد سررت
جدا بالمأثرة [illegible] عن الولد [illegible] إصلاح [illegible] وأهم ما نرجوه من الولد الفضل [illegible] هو أن
يكرس جهوده لتعليم الأولاد وتهذيبهم وصدر [illegible] [illegible]

رسالة رقم (أ-٧)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي عبدالله بخصوص ديوان الآنسي وديوان عمارة اليمني- رجب ١٣٧٠ هجرية الموافق مايو ١٩٥١م

عرض

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده

سيدي الأخ العلاّمة فخر الدين القاضي عبدالله بن يحيى بن محمد الإرياني حفظه الله وأبقاه وحرسه وكلاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين..أحرر إليكم هذا في ٢٥ رجب وعليه فسيصل في ٥ شعبان أو سادسة أي قبل سفر الرسول من لديكم ولذلك فيجب أن يتأمل الولد فضل حفظه الله هذا ليستذكر منه مطالبينا الأولة ولا ينسى الإيضاح الذي طلبناه عن الكتب وقد أوضحت لكم في الكتب السابقة محتاجاتنا فلا حاجة إلى التكرار فأرجو أن لا يتأخر شيئ منها وتحروا الرسول في صيانة الكتب وسنعيد معه ما قد استغنينا عنه كالوحي المحمدي وحاضر العالم الإسلامي والمهجة وفي منزل الوحي ونحو ذلك.. المحتاجات يكون منها شيء من البن ويحسنوا دقه وإحراقه أي قليه فإنه كلما زاد له القلي كان أحسن ولا تنسوا الزبيب والشعيرية واللقمة والعسل وكل المعتاد وما شئتم فوق ذلك.

بعد هذا وصل كتابكم مع ما نقلتموه من معجم المطبوعات شكرًا لكم والرجاء أن توضحوا لنا سير إصلاح الطريق ومن أين سيكون مرورها وهل يتحقق وصلها بيريم أم أنها كأخبار العام الماضي. وقد أفدتكم في الأسبوع الماضي أن النسخة المرسلة من ديوان الآنسي من مولانا سيف الإسلام حفظه الله هي للمملوك وللأخ العلاّمة القاضي عبدالله عبدالاله فغير ممكن إرسالها إلا إذا كان الغرض الاطلاع

عليها وإرجاعها فيمكن التماس إذنه بذلك وإرسالها مع الرسول لمدة نصف شهر وتعاد في البريد فسألاحظ هذا إنشاء الله وفي هذا البريد عاد جواب سيدي سيف الإسلام عبدالله أيده الله من أجل ديوان عمارة وفيه ترغيب وتشجيع على الاستمرار في العمل أوضحوا لنا كل شيء صحبة الرسول والله يطيل بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله

٢٥ رجب ١٣٧٠ المملوك عبدالرحمن الإرياني.

أوضحوا لنا حال الأخ القاضي أنس بن مالك شفاه الله تفصيلًا وكيف المرض وماهي عوارضه وسلموا عليه والدعاء له ملتزم، نسأل الله له الشفاء والعافية والسلام عليكم وسلموا عليه.

يعرض هذا على نائب مولانا حفظه الله

الشيخ	عنه وعن الشيخ	الشيخ	وكيل الشاويش
محمد عايض	حزام البرغشي	راجي جعمان	محمد مفتـــاح

(٣٧٠)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده

عرض.

سيدي الأخ العلامة فخر الدين القاضي عبد الله [illegible] الأرياني
حفظه الله وابقاه وحرسه وكلاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد أيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده سيف الإسلام البدر
ابن أحمد [illegible] هذا في ٢٥ رجب وعليه فسيصلكم إن شاء الله
[illegible] مع أول سفر الرسول إليكم ولذلك فيجب أن يا [illegible] الكامل
فضل حفظكم الله أن يستذكر منه مطالبنا الأولى ولا ينسى الإيضاح؟
الذي طلبناه عن الكتب وقد أوضحت لكم في الكتب السابقة محتاجاتنا
ولا حاجة إلى التكرار فأرجو أن لا يتأخر شيء منها وتحروا الرسول
في صيانة الكتب وسنفيد معه ما قد استفدنا عنه كالروح المجرى
وحاضر العالم الإسلامي والهجرة وفي منزل الوحي ونحو ذلك...
المحتاجات يكون منها شيء من البن ويحسنوا دقه واحراقه
أي قليه فإنه كلما زاد القلي كان أحسن ولا تنسوا الزبيب
والشعيرية واللوز والعسل وكل المعتاد وما شئتم فوق ذلك.
بعد هذا وصل كتابكم جوابا عما نقلتم من معجم المطبوعات
نشكركم والرجاء أن توضحوا لنا [illegible] صلاح الطريق
من أين سيكون مرورها هل يتحقق وصلها بيدكم
أم أنها كأخبار العام الماضي. فقد تقدم في الأسبوع
الماضي أن النسخة المرسلة من ديوان الآنسي من مولانا سيف
الإسلام جمعها هي للمكتبة وللأخ العلامة القاضي عبد الله عبد الإله
فغير ممكن إرسالها إلا إذا كان الغرض الاطلاع عليها
وارجاعها فيمكن التماس اذنه بذلك وارسالها
مع الرسول لمدة نصف شهر وتعاد في البريد فلاحظ
هذا أنت وفي هذا البريد على جواب سيدي سيف الإسلام
عبد الله [illegible] ديوان عمارة وفيه ترغيب
وتشجيع على الاستمرار في العمل. أو نحو ذلك كي [illegible]

رسالة رقم (أ-٨)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد بخصوص كتاب الاكليل للهمداني- شعبان ١٣٧٠ هجرية الموافق مايو ١٩٥١م

عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم الشعر القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين..أحرر إليكم هذا صبيحة الثلاثاء ١٦ شعبان قبل وصول البريد وأحوالنا يا سيدي كالمعتاد لا جديد في عالمنا المحصور الضيق نطاقه ونحن في انتظار وصول الرسول وأرجوكم إرسال كتاب الولد محمد بن عقيل حفظه الله للبحث عن الكتب المطلوبة واكتبوا له يشتري قنطرة بينيان فالأولى قد كادت تشفي على الهلاك والفناء ويرسلها مع قصعتين حليب وقصعتين (لودر) وهو ما يصنعون منه المحلبية وقارورة كلونيا وعلبتين صابون أسنان ويرسله في البريد. تاريخ عمارة اليمني قد يسر الله به وها نحن في حال نسخه وهو مختصر ويختص بتاريخ زبيد ابتداء من تاريخ ابن زياد الذي اختط زبيد وأما الديوان فلا نزال نتطلب نسخة أخرى للتصحيح ومعرفة المفقود منها وقد كتبنا إلى الأخ الفخري إلى تعز ولسيدي العلاّمة محمد الذاري ليحاولا أخذ نسخة القاضي محمد بن عبدالله العمري عارية لمدة شهر وشِعره غالبه في غاية الجودة واليكم قطعة قدمها يعاتب بها الكامل بن شاور وزير الفاطميين وهي مما يختاره كثير من المختارين في الأدب كجواهر الأدب وغيره وكثيرًا ما كنت اسمع من الوالد رحمه الله يردد البيت الخامس منها فلتكن من محفوظات الأولاد أصلحهم الله إذا لم يكونوا قد حفظوها:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب — وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

إذا كان أصلي من تراب فكلها — بلادي وكل العالمين أقاربي

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما — تموت الأفاعي من سموم العقارب

فقد هد قدمًا عرش بلقيس هدهد — وأخرب فار قبل ذا سد مأرب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز — عليه من الإنفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك — يكر علينا جيشه بالعجائب

وما راعني غدر الشباب لأنني — أنست بهذا الخلق من كل صاحب

وغدر الفتى في عهده ووفائه — وغدر المواضي في نبو المضارب

إذا كان هذا الدر معدنه فمي — فصونوه عن تقبيل راحة واهب

رأيت رجالًا أصبحت في مآدب — لديك وحالي وحدها في نوادب

تأخرت لما قدمتهم علاكم — علي وتأبى الأسد سبق الثعالب

ترى أين كانوا في مواطني التي — غدوت لكم فيهن الزم نائب

ليالي أتلو ذكركم في مجالس — حديث الورى فيها بعمر الحواجب

وصل كتاب من مولانا سيف الإسلام عبدالله بن أمير المؤمنين أيده الله إلى مولانا العلاّمة الحُجة نائب حجة أبقاه الله يبحثون فيه عن الإكليل للهمداني وصفة جزيرة العرب له وأمروا بالسؤال مني ومن السيد حسين الحوثي وقد أجبنا عليهم أنه كان لدينا أحد الأجزاء ذهب فيما ذهب بأيدي الناهبين وإذا تم طبع الإكليل فهي حسنة من حسنات مولانا سيف الإسلام أيده الله فالبالغ أن بعض الإذاعات

الأمريكية أو الانكليزية تكلمت عن هذا الكتاب ولعل ذلك هو الحافز إلى البحث عنه وطلبه.

بعد هذا وصل كتابكم المؤرخ ٣ شعبان مع خلاصة أخبار الخارج شكرًا لكم وفضلًا سلموا على الولد العزي محمد بن لطف منا ومن الإخوان المعلمي والاكوع وصبرة والكل يشكرونه ونرجو أن يستمر في التحرير إلى عودة الولد العزي حفظه الله

وسلموا على الأولاد والله يطيل بقاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله ١٦ شعبان سنة ١٣٧٠

المملوك عبدالرحمن الإرياني

يعرض على مولانا النائب حفظه الله

الشيخ	عنه وعن	الشيخ	الشاويش
محمد عايض	الشيخ حزام البرغشي	راجي جعمان	صالح علي النهدي

(٣٧٠)

بسم الله الرحمن الرحيم   عرض

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام حاكم الشعر القاضي محمد بن يحيى الإرياني
أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين
منذ ان [illegible] بعد [illegible] احرر اليكم هذا صبيحة الثلاثا
٢٦ شعبان قبل وصول البريد واحوالنا يا سيدي كالمعتاد / الحمد لله
في عالمنا المحصور الضيق نطاقه ونحن في انتظار وصول الرد
وارجوكم ارسال كتاب الوالد محمد بن عقيل حفظه الله للبحث عن الكتب المطلوبة واكتبوا
له يشتري قنطرة بجنبيان فالاول قد كادت تشفي على الهلاك والفناء
ويرسلها مع قصعتين حليب وقصعتين الودر / وهو ما يصنعون منه الحليب
دفاردر كلونيا وعلبتين صابون اسنان ويرسله في البريد. تاريخ
عمارة اليمني قد يسراسبه وها نحن في حال نسخه وهو مختصر يختص بتاريخ
زبيد ابتداءه من تاريخ ابن زياد الذي اختط زبيد واما الديوان فلا
نزال نطلب نسخة اخرى للتصحيح ومعرفة المفقود منه وقد كتبنا الى الاخ
الفخري الى مصر والسيد العلامة محمد الزباري ليحاول اخذ نسخة القاضي محمد بن عبد الله العمري
عارية لمدة شهر وشعره غالبه في غاية الجودة واليكم قطعة قدمها عمارة
الى الملك الصالح بن شاور وزير الفاطميين وهي مما يختار كثير من المختارين في الادب
كجواهر الادب وغيره وكثيرا ما كنت اسمع الوالد رحمه الله يردد البيت الخامس منها
فلتكن من محفوظات الاولاد اذا لم يكونوا قد حفظوها

اذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد اذا لم تنتفع بالأقارب
اذا كان اصلي من تراب فكلها ... بلادي وكل العالمين اقاربي
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدمًا عرش بلقيس هدهد ... وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
٥ اذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب
وما راعني غدر الشباب لأنني ... أنست بهذا الخلق من كل صاحب
وغدر الفتى في عهده ووفائه ... وغدر المواضي في نبو المضارب
اذا كان هذا الدر معدنه فمي ... فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالًا اصبحت في مآدب ... لديك وحالي وحدها في نوادب
تأخرت لما قدمتهم علاكم ... علي وتأبى الأسد سبق الثعالب

رسالة رقم (أ-٩)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد يطلب شراء آلة تصوير وتصوير الاولاد- رمضان ١٣٧٠ هجرية الموافق يونيو ١٩٥١م

عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الدين حاكم الشَعِر القاضي محمد بن يحيى الإرياني حفظه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.. أهنيكم بشهر الصيام وأرجو الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من عتقائه من النار وأن يحط عنا ثقل الذنوب والأوزار وان يكتب لنا فيه ما كتبه لعباده الصالحين آمين.. لم يصل منكم كتاب لهذا الدور أرجو أن يكون المانع خيرًا وأن لا يتكرر مثل هذا الإهمال وإذا لم يكن هناك ما يستحق الذكر فيكفي أن نكون على صلة منكم لنعرف عافيتكم وصلاح أحوالكم وكنت في هذا الأسبوع انتظر خبرًا عن الولد العزي حفظه الله وشفاه وعن صحته وسير المعالجة فإنه لم يصل منه كتاب إلى الآن بينما القاضي إسماعيل الاكوع نزل بعده بمدة وقد وصل منه كتاب من هنالك قبل أيام فأوضحوا لنا أحواله وهل يصلكم منه شيئ وإذا كان متأخرًا وكتبتم إليه أكدتم عليه شراء ما أشرت إليه من الكتب وكذلك إذا تيسر له شراء آله تصوير وملحقاتها ويرسلها إلى الولد فضل حفظه الله ليأخذ صورة للأولاد الصغار ويرسل الفلم إلى تعز لتغسيله بواسطة الأخ الفخري حفظه الله.. أحوالنا ياسيدي كالمعتاد لم يدخل عليها من التغيير إلا ما ادخله رمضان من إطمئنان في النفوس وارتياح في القلوب ورمضان شهر روحي ينعش الأرواح ويغسل حوبات الصدور وتتغلب فيه الروحيات ويرى الإنسان الدنيا بحذافيرها ولا قيمة لها في نظره إلاّ أن من شهورها هذا الشهر الذي هو موسم الخيرات والبركات نرجو الله ان يجعل حظنا من أجره موفورًا وان يجعلنا من المقبولين آمين. الأخ

الصفي والأخ العزي الاكوع والأخ العزي صبرة يسلمون عليكم والرجاء تعجيل ما أرسل بواسطتكم من الأخير لمعاون مالية النادرة الأخ إسماعيل المقدم وسلموا على الأولاد جميعًا واستمدوا دعاءهم ولا تنسونا من صالح دعواتكم في هذه الليالي المباركة أبقاكم الله تعالى وكلاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٧ رمضان سنة ١٣٧٠

المملوك عبدالرحمن الإرياني

عرض علينا ويعرض على مولانا العلاّمة النائب حفظه الله

مرتب القاهرة

الشيخ	الشيخ	الشيخ	الشاوش
راجي جعمان	محمد عايض	ناصر البرغشي	صالح النهدي

٧٠

عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الدين حاكم الشرع القاضي
محمد بن يحيى الأرياني حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
واهنيكم مولانا امير المؤمنين وسائر من هنالك
اهنيكم بشهر الصيام وارجو الله تعالى ان يجعلنا جميعا
من عتقائه من النار وان يحط عنا ثقل الذنوب والاوزار
وان يكتب لنا فيه ما كتبه لعباده الصالحين

لم يصل منكم كتاب لهذا الدور ارجو ان يكون المانع
خيرا وان لا يتكرر مثل هذا الاهمال واذا لم يكن هناك
ما يستحق الذكر فيكفي ان نكون على صلة منكم لنعرف
عافيتكم وصلاح احوالكم وكنت في هذا الاسبوع
انتظر خبرا عن الولد العزي حفظه الله وشفاه عن صحته
وسير المعالجة فانه لم يصل منه كتاب الى الآن بينما
القاضي اسماعيل الاكوع نزل بعده بمدة وقد وصل منه
كتاب من هنالك قبل ايام فاوضحوا لنا احواله
وهل يصلكم منه شيئ واذا كان متاخرا فكلموا الله
الكريم عليه شراء ما اشرت اليه من الكتب وكذلك اذا تيسر له
شراء الة تصوير وملحقاتها ويرسلها الى الوطن فضل منه ان ياخذ
صورة للاولاد الصغار ويرسل الفلم الى تعز لتغسيله بواسطة
الاخ العزي حفظه الله احوالنا يا سيدي كالمعتاد لم يدخل
عليها من التغيير الا ما ادخله رمضان من اطمئنان في النفوس
وارتياح في القلوب ورمضان شهر روحي ينعش الارواح
ويغسل حوبات الصدور وتتغلب فيه الروحيات ويرى
الانسان الدنيا بحذافيرها ولا قيمة لها في نظرها الا
ان من شهورها هذا الشهر الذي هو موسم الخيرات

رسالة رقم (أ-١٠)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي عبدالله يطلب أدوية وكتب- صفر ١٣٧١ هجرية الموافق نوفمبر ١٩٥١م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأخ العلاّمة فخر الإسلام القاضي عبدالله بن يحيى الإرياني حفظه الله وأبقاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأيد الله مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بولي عهده بدر الدين آمين.. أحرر هذا إليكم قبل وصول البريد وقد سبق إليكم في البريد السابق أنه عرض للمملوك عارض في الكلى والمثانة وقد أقعدني عن الخروج حوالي ١٢ يومًا واستعملت عن إرشاد الطبيب بنسلين قارورتين وثلاث إبر هكسامين وحبوب ارتربين وسلفميد وغير ذلك وقد مَنّ الله تعالى بالشفاء لله الحمد كثيرًا وخرج في خلال استعمال العلاجات نحو ١٩ حصاه صغار تقرب من حجم العدسة وكان من لطف الله سبحانه خروجها الذي قل أن يواتي من كان في مثل ظروفنا لاحتياجها إلى حكماء وقد تحتاج إلى كشف بالأشعة ونحن لو طلبنا ذلك لما سبق إلى الذهن الشريف أعزه الله إلاّ أن المرض مزعوم والأثر مصطنع لغرض الخلاص واستدرار الرحمة فاقتصرت على اللجوء إلى الله تعالى العالم بالحال فكانت غارته تعالى كما هي دائما أسرع واقرب. غير مرة طلبنا منكم إرسال الشرنقة حق الأخ الصفي التي كانت في الشمطة مع ما بجانبها من العلاجات الهكسمين والكلسيوم وكنا أحوج ما نكون إليها في هذين الأسبوعين اللذين مرّا فرجاء تعجيل ذلك في البريد أبقاكم الله. فضلًا البحث في أول تاريخ الاهدل عما كتبه فيه عن مرغم المسلمي ونقل ذلك وإرساله لعله في المأة الثالثة أو الرابعة وهناك أبيات أوردها فيه لبعض العامة اذكر منها:

فديتك اليوم يا مرغم ولم عد اراك كفيتنا التبن واللاحق وحمل الشباك

وابحثو في التهذيب عن عبيدة بن الأجدع بن حبيب ابن مواجد الفقيه الهمداني وانقلوا ترجمته وأرسلوها ولكم الشكر وارجو أن تبحثوا من جديد عن تاريخ ابن ابي الرجال مطالع البدور، فربما وهو التبس عليكم بغيره إذا لم يكن معنونًا في ديباجته وإلاّ تتبعتم أثره وربما تظفرون به من مشتريه وأفيدوني الله الله. بعد هذا وصل كتابكم وقد أفدتكم في شأن الرسول أن تؤخروه وسنأخذ قرضة فإنّا احتجنا لبعض علاجات ونحوها وليس لديكم مانع عما طلبتكم تنفيذه إلا ذلك الذي قال عنه بعض بني الصبري أو بني النزيلي (انه عقل كبر قليل) ولكنه قد استعاذ منه الرسول صلى الله عليه واله وسلم في صباحه ومسائه وعلى كل حال فلا أحب أن اكلفكم شيئًا لا تحبونه ولو كان الباعث وهمًا خاطئًا وسأفيدكم بعد هذا متى يكون إرسال الرسول إنشاء الله، وقد وصلت كلمة الرد التي للولد محمد وسلمناها لسيدي الصفي ولا أدري ما سيكون حظها لديه هل الاقتناع أم المناقشة ومناقشة الولد العزي في بابها. صدر كتاب من الأخ الصفي لعائلته الرجاء إرساله إليهم فإنه وصل منهم كتاب عتاب بواسطة حاكم يريم فلا تؤخروه لديكم.. والله يطيل بقاءكم ويبارك لكم بالموهوب ويرزقكم بره ويجعله قرة عين للجميع بحوله وطوله والسلام عليكم ورحمة الله ١٤ صفر ١٣٧١

المملوك عبدالرحمن الإرياني

أفاد الولد فضل سابقا أن جميع ما في شمطة الأخ الصفي تسلم إلى أهله بما في ذلك الحولي والشرنقة والعلاجات وفي كتابهم الواصل يومنا إلى الأخ الصفي يفيدون أنهم لم يتسلموا الحولي والشرنقة والعلاجات فكيف هذا. على كل حال أرسلوا الشرنقة والعلاجات في البريد والحولي إلى أن يأتي الرسول والرجاء عدم التسهيل الله الله.

عرض علينا مرتب القاهره ويعرض على مولانا النائب حفظه الله

الشيخ	الشيخ	الشيخ	الشاوش
راجي جعمان	محمد عايض	نابر البرغشي	صالح علي النهدي

١٣٧١

وعرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأخ العلامة فخر الإسلام القاضي عبدالله بن يحيى الأرياني حفظه الله وأبقاه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أبدأ بعد مولانا أمير المؤمنين وشد أزره بوليعهده بدر الدين أيده الله أحرر هذا اليوم قبل وصول البريد

وقد سبق إليكم في البريد السابق أنه عرض للولد مرض في الكلى والمثانة وقد أقعدني عن الخروج حوالي ١٢ يوما واستعملت عن إرشاد الطبيب بنسلين قاروريتين وثلاث إبر هكسمين وحبوب ارتربين وكلمفيد وغير ذلك وقد من الله تعالى بالشفاء فلله الحمد كثيرا وخرج في خلال استعمال العلاجات نحو ١٩ حصاة صغار تقرب من حجم العدسة وكان من لطف الله سبحانه خروجها الذي قل أن يواتي الآن من كان في مثل ظروفنا لاحتياجها إلى جراحة، وقد يحتاج إلى كشف بالأشعة ونحن لو طلبنا ذلك لما سبق إلى الذهن الشريف أعزكم الله أن المرض مزعوم والأثر مصطنع لغرض الخلاص واستدرار الرحمة فاقتصرت على اللجوء إلى أسرع العالم بالحال فكانت عنايته هي حدا لما أسرع وأقرب. غير مرة طلبنا منكم إرسال الشرنقة حق الأخ الصفي التي كانت في الشنطة مع ما يجانبها العلاجات الهكسمين والكلسيوم وكنا أحوج ما نكون إليها في هذه الأسبوع عين الذين مرا فرجاءنا تعجيل ذلك في البريد القادم

فضلا البحث في (تاريخ الأهدل) عما كتبه فيه عن مرعي المسلي ونقل ذلك وإرساله لعله في المائة الثامنة أو الرابعة وهنالك أبيات أوردها فيه لبعض العلماء (أذكر منها)، فدينتك اليوم بأمرغم ولم عذراك

كفيتنا التين واللاحق وحمل الشباك

وابحثوا في التهذيب عن عبيدة بن الأجدع بن حبيب بن ابن مواجيد الفقيه الهمداني وانقلوا ترجمته وأرسلوها

رسالة رقم (أ-١١)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد يحثه على ارسال الأولاد الى الخارج للدراسة- جمادى الآخرة١٣٧١هـ الموافق مارس ١٩٥٢م

قد عرض

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأيد الله مولانا أمير المؤمنين سيدي لم يصل منكم كتاب في البريد الماضي ولا مع الرسول أرجو أن يكون المانع خيرًا وقد سرني ما أخبرني به الرسول من حسن سلوك الأولاد واستقامة أخلاقهم وإهتمامهم بالقراءة بارك الله فيهم وأصلح أحوالهم، وكنتم وعدتم بإرسال القصيدة التي رفعها الولد مطهر إلى المقام الشريف أعزه الله في طلب الالتحاق بالبعثة، ثم لم ترسلوها ولا أرسلتم قصيدتي الولدين لطف وعبدالكريم ولم توضحوا ما كان الجواب عليهما فافضلوا بالإفادة وأرسلوا القصائد الثلاث وأكدوا المراجعة فهذا ابن الويسي بعد بقائه مدة في عدن أرجعه والده إلى مولانا أيده الله فأمروا بسفره إلى مصر في أول باخرة وألحقوه بالبعثة اليمنية هنالك.

أفاد الولد الجمالي والأخ عبدالله بن محمد إنهما على وشك التمام وفي حال إقناع يحيى علي مثنى بالعودة عسى أن يتم ذلك إنشاء الله.

وصل الرسول ولم يوصل لنا من الكتب المطلوبة غير مجلد من الرسالة وأفادوا أن روح الروح وتاريخ الإسلام السياسي وغيرها من المطلوبات لديكم وقد أرسلنا لهم كل ما لدينا من الكتب وأفدتهم أن أكبر باعث على طلب الرسول هو حاجتنا إلى الكتب أما المصروف فيمكن أخذ حوالة بها من تعز والاستغناء عن الرسول

فأرجو أن تكتبوا لهم من لديكم ليرسلوها في البريد وأفيدوهم أن حياة السجن دائرة على الكتب وإلا فبأي شيء نقطع أوقاتها المملة الطويلة العريضة إذا لم يكن لدينا ما نطالعه، والولد محمد حفظه الله يتفضل يرسل لنا جهاد المحبين واخواته التي اشتراها من سلسلة جرجي زيدان وما استحسنه من كتب يوسف السباعي فإنّا لم نطلع على شيئ منها حتى نطلب أنسبها وسنعيد له زعماء الاصلاح إنشاء الله عند وصول الكتب. لم يصل منكم في البريد الماضي شيء وفي هذا وصل كتابكم المؤرخ ٦/١١ ولعله ما أرسلتم الأسبوع الماضي صدر جواب محمد بن صالح. لو كان الخلاف بين الولد الجمالي والاخ عبدالله بن محمد خاصة لكان في ترك التحرير إليهما عتاب وتقريع وأما وقد امتدت التهم وشملت الأوهام فلا يرجى من وراء ذلك إلا الوحشة والانقباض ومعهما تتشعب الأوهام وقد اخبرني عبدالله ثابت عن كيفية الاحتساب بيريم وكان على الأخ الشرفي رعاه الله أن يستقيل من أول يوم ويتوجه المقام الشريف ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة والطمع بالمجد الكاذب يفقد الإنسان مجده التليد العريق الأصيل لا قوة إلا بالله.

ربما يرسل إليكم الأخ الفخري حفظه الله كتاب المرسل مع الرسول

وسترون أنّا قد أرسلنا كل ما لدينا من الكتب وستدبرون ما يحسن في شأن الأولاد أصلحهم الله ودراستهم. سلموا على الولد العزي حفظه الله وعلى سائر الأولاد أصلحهم الله ويسرني أن الولد الحسين حفظه الله قد أبدى من التعقل والرصانة والأدب وحسن السلوك ما ضرب به المثل لإخوانه بارك الله فيهم جميعًا، وكيف قراءة الولد أحمد وهل هو مهتم ألزموه يحرر كتابًا بخطه وإنشائه بدون تعليم لأعرف مقدار اهتمامه وأرسلوه في أول بريد، وهل قرّأتم الولد حميد أم أهمل كما أهمل أخواه في دار المجران وذلك ما لا ينبغي قط والوقت لا يزال صالحا لقراءتهم لدن أخوانهم فاعملوا على ذلك (أرجو أن تكونوا تتأملوا كتبي

لتكون الجوابات مطابقة فكثيرا ما أسألكم عن شيء وانتظر الجواب فيأتي خارجًا عن الموضوع) هذه الكلمة المقوس عليها أردت إلحاقها بكتاب الأخ الفخري حفظه الله فحررتها هنا غلطا فعفوًا أطال الله بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله ٢٩ جمادى الآخرة ٧١

المملوك عبدالرحمن الإرياني

عرض ويعرض على مولانا النائب حفظه الله

الشيخ الشيخ الشيخ الشاوش

١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام القاضي محمد بن يحيى الارياني
أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله [illegible] سيدي لم يصل منكم كتاب في
البريد الماضي ولا مع الرسول أرجو أن يكون المانع خيرا وقد
سرني ما أخبرني به الرسول من حسن سلوك الأولاد واستقامة أخلاقهم
واهتمامهم بالقراءة بارك الله فيهم وأصلح أحوالهم وكنتم وعدتم
بإرسال القصيدة التي رفعها الوالد مطهر إلى المقام الشريف أعزه الله في طلب
الالتحاق بالبعثة ثم لم ترسلوها ولا أرسلتم قصيدتي الوالدين
لطف وعبد الكريم ولم توضحوا ما كان الجواب عليهما فتفضلوا
بالإفادة وأرسلوا القصائد الثلاث وأكدوا المراجعة فهنا ابن
الويسي بعد بقائه مدة في عدن أرجعه والده إلى مولانا أيده الله فأمروا
بسفره إلى مصر في أول باخرة واللحوق بالبعثة اليمنية هنالك.
أما الولد الحالي والأخ عبد الرحمن فإنا على شك التام وفي حال اقناع
يحيى علي متني بالعودة [illegible] ذلك ان شاء الله. وصل الرسول
ولم يوصل لنا من الكتب المطلوبة غير مجلد من الرسالة وأفادوا أن روح الروح
وتاريخ الإسلام السياسي وغيرها من المطلوبات لديكم وقد أرسلنا لهم كل ما لدينا
من الكتب وأفدناهم أن أكبر باعث على طلب الرسول هو حاجتنا إلى الكتب أما
المصروف فيمكن أخذه حاله [illegible] والاستغناء عن الرسول فأرجو
أن تكتبوا لهم من لديكم ليرسلوها في البريد وأفيدوهم أن حياة السجن
دائرة على الكتب والأخبار أي شيء ينقطع أو قلة المجلة الطويلة العريضة إذا
لم يكن لدينا [illegible] نعم والوالد محمد حنظل يتفضل يرسل لنا جميع د
المجبين والحواة التي اشتراها من سلسلة جرجي زيدان وما استحسنه
من كتب يوسف السباعي فإنا لم نطلع على شيء منها حتى نطلب نسخها وسنفيد
لدى دعاة الإصلاح أن ما [illegible] عند وصول الكتب لم يصل منكم
في البريد الماضي شيء وفي هذا وصل كتابكم المؤرخ ١١ش ولعله ما أرسلتم
الأسبوع الماضي صحبة جواب محمد بن صالح. لولا أن الخلاف بين
الولد الحالي والأخ عبد الرحمن خاصة لكان في ترك التحرير إليهما عتاب وتقريع

رسالة رقم (أ-١٢)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني إلى اخيه القاضي محمد من سجن حجة ببعض الأحوال خارج السجن وأخرى داخله- ربيع أول ١٣٧٣ هجرية الموافق نوفمبر ١٩٥٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قد عرض

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم يريم القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأيد الله مولانا أمير المؤمنين.

سيدي وصلني كتابكم المؤرخ ٨ ربيع الأول ولله الحمد على عافيتكم، وكان قد وصل قبله سيدي الجمالي على بن يحيى زبارة حفظه الله واستأذن من مولانا النائب أبقاهم الله في الزيارة وزارنا وفاء بوعده لكم واخبرنا ان الطلب من أجل الولد محمد حفظه الله وكنت استغربت طلبكم من أجل الولد العزي بينما كان اللازم طلبه هو أو منعه مثلًا أو نحو ذلك مما يقضي به العقل والمنطق فلما أفدتم أن سبب طلبكم هو سكوتكم على أعمال العامل ارتفع الإشكال الذي حل محل الغموض. وقد كنت عزمت على معاتبة الولد العزي أصلحه الله لأنه أوجد سبيلًا لمثل هذه المتاعب ولكن سيدي الجمالي عافاه الله أكد لي حسن معاملته للناس ولباقته ومع ذلك فأنا أوصيه أن لا يجعل للمادة والطمع على نفسه سلطانا وأن لا يسلك مسلك الكثيرين الذي يدينون بأن الحرام ما تعسر أخذه لا لا بل الإثم هو كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام «ما حاك في الصدر» فليقم الإنسان من نفسه ومن ضميره رقيبًا على غرائزه يشدد الحساب ويرد إلى الصواب فالقبيلى المسكين الذي تعركه أيدٍ كثيرة في حالة لا يجوز أن يسمح الإنسان لنفسه بأن تتجاوز الإشفاق عليه والرفق به ولا شك أن الحاكم ومن يلحق به لن يكون مرضيا عنه من

العموم في يوم من الأيام لأن أحد الطرفين من الخصماء لا بد أن يخرج ساخطا والناس يريدون إرضاء أهوائهم ولكن حسب الآخذ بالقسط أن يكون مرتاح الضمير عامرًا ما بينه وبين الله سبحانه، وبعد ذلك فرحم الله المعري حيث يقول:

إذا فعل الفتى ما عنه ينهي   فمن جهتين لا جهة أساء

لن ألح عليكم من أجل الولد لطف مرة أخرى فالمثل العامي يقول: إذا كانت الجدة أشفق من الوالده والخ... إنما أرجو أن تفيدوا الولدين مطهر وعبدالكريم إفادة قاطعة باني الزمتهم بانتظارها فأرجو أن لا تؤخرها حال وصول هذا.

المملوك بعد هجوم البرد عاودته نوبة المرض الجانبي المعتاد برغم الوقاية وكثرة التدفي وقد بدأت في استعمال العلاجات التي قررها الحكيم في العام الماضي وعلى الله الاعتماد. إذا وجدتم دجلة جوخ اسود أو بني أو سماوي طويلة خفيفة تفضلتم بارسالها فالكرك الذي ارسل قبل خمس سنوات قد انهكته الأيام وكاد يبطل نفعه في المقصود والبرد هذه السنة شديد والأخ القاضي عبدالله بن محمد قد أرسل المطلوب من العلاج وظهر لي من كلامه انه لا يريد تحويل ثمنه للأخ العباس ويقول إنه مستعد لكل طلب ولكنه لما كان ثمن المطلوب منه كثيرًا فقد رجوته أن يحوله على الأخ الفخري حفظه الله لاني لا اريد شغلة أحد من الناس حتى ولو كان القاضي عبدالله الذي نعتبره أخًا فمتى حول به فالرجاء أن يدفعه الأخ الفخري أبقاه الله. قال الدكتور شيبان إن من عوارض هذا الأثر الذي يلازم المملوك ضيق الصدر والنزق وصدق والله ولهذا فسأنزق على الأولاد أصلحهم الله من قبل مدة طويلة وأنا اطلب بقية الجَنَدي من الأخ عباس ولم يصل شيء وما ذلك إلا لأن احد الأولاد لم يكلف نفسه أخذ الكراريس من الأخ عباس وإرسالها في البريد وكذلك تاريخ الزيلعي الذي عند الولد المطهر بن عبدالله وأخيرًا حررت إلى الأخ عباس حفظه الله ولم تعد إفادة مما دلني على عدم وصول الكتاب إليه وهذا يدل على التهاون وعدم الاهتمام فأرجو أن تعاتبوهم وتحثوهم ولم نطلب منهم أن ينسخوا أو ينقلوا وإنما أن يأخذوا ويرسلوا وهذا أمر بسيط جدًا سلامي

على الأولاد والإخوان جميعًا والله يطيل بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله ١٨ ربيع الأولى سنة ٧٣

المملوك عبدالرحمن الإرياني

الولد لطف لاحاجة لوصوله كما ذكرتم وانما كنت أردت اغتنام فرصة القرب من صنعاء أكدوا على القاضي محمد بن عبدالله في طلب تاريخ البريهي وإذا كنتم مشغولين عهدتم إلى أحد الأولاد بالكتابة إليه وقد وصف لي سيدي الجمالي على زبارة حفظه الله من إهتمام الولد محمد بالأولاد وتعليمهم وتهذيبهم والمحافظة عليهم ما شكرته والسلام.

عرض مرتب القاهره ويعرض على مولانا النائب حفظه الله

الشيخ	الشيخ	وكيل الرعيني	النقيب	شاوش
محمد عايض	راجي جعمان	احمد الرعيني	ناصر ظيور	ناصر علي مهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل [illegible]

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام حاكم يريم القاضي محمد بن يحيى الإرياني

أطال الله بقاكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأيد الله [illegible]

سيدي وصلني كتابكم المؤرخ ٨ ربيع الأول والحمد لله على عافيتكم

وكان قد وصل قبله سيدي الجمالي علي بن يحيى لزيارة حنظلة واستأذن

من مولانا الناصر أيده الله في الزيارة وزارنا وفاءً بوعده لكم وأخبرنا

أن الطلب من أجل الولد محمد حتى ظهور خروجه إلى صنعاء ولكننا استغربت

طلبكم من أجل الولد العزي بينما كان اللازم طلبه هو ومنعه مثلاً ونحو ذلك

ما يقضي به العقل والمنطق فلما أخذتم أن سبب طلبكم هو سكوتكم على إعمال

العامل ارتفع الإشكال الذي حل محل الغموض. وقد كنت عزمت على

معاتبة الولد العزي أصلحه الله لأنه وجد سبيلاً لمثل هذه المتاعب ولكن

سيدي الجمالي عاد أكد لي حسن معاملته للناس ولباقته ومع ذلك

فأنا أوصيه أن لا يجعل للمادة والطمع على نفسه سلطاناً وأن لا يسلك

مسلك الكثيرين الذين يدخلون باب الحرام ما تيسر أخذه لا لا

بل الإثم هو ما قال الرسول عليه الصلاة والسلام «ما حاك في الصدر» فليقم الإنسان

من نفسه ومن حميه رقيباً على غرائزه يشدد الحساب ويرد إلى [illegible]

فالعقيلي المسكين الذي تعرفونه كثيراً في حالة لا يجوز أن يسمح الإنسان

لنفسه بأن يتجاوز الإشفاق عليه والرفق به ولا شك أن الحاكم

ومن يلحق به لن يكون مرضياً عنه من العموم في يوم من الأيام لأن أحد

الطرفين من الخصماء لا بد أن يخرج ساخطاً والناس يريدون إرضاء أهوائهم

ولكن حسب الآخذ بالقسط أن يكون مرتاح الضمير عامراً ما بينه وبين الله

وبعد ذلك فرحم الله المعري حيث يقول

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساءَ

. لمن الحق عليكم من أجل الولد لطف مرة أخرى فالمثل العامي يقول:

إذا كانت الجدة أشفق من الوالدة الخ.. أنا أرجو أن تفيدوا الولد [illegible]

مطهر وعبد الكريم إفادة قاطعة فإني ألزمتهم بانتظارها

فأرجو أن لا تؤخروها حال وصول هذا. [illegible]

رسالة رقم (أ-١٣)

رسالة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى أخيه القاضي محمد يحثه على دراسة الأولاد في الخارج- جمادى الثانية ١٣٧٣ هجرية الموافق فبراير ١٩٥٤م

لا تأخروا كتاب الولد يحيى أصلحه الله فوالده سيقلق

بسم الله الرحمن الرحيم

قد عرض

سيدي ومولاي الأخ العلاّمة عز الإسلام حاكم يريم القاضي محمد بن يحيى الإرياني أطال الله بقاءكم وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته. وأيد الله مولانا أمير المؤمنين.

سيدي وصلني كتابكم المؤرخ ٣ جمادى الآخرة ولله الحمد كثيرًا على عافيتكم وصلاح شأنكم. وما أشرتم إليه من الولد الضياء أصلحه الله وفتح عليه فقد سبق مني في البريد الماضي ما فيه كفاية وفي كتاب الأخ العباس لهذا الدور ما يفيد بوصوله تعز وإنها تقدمت مراجعته بواسطة محمد العمري فأفاد أي العمري بأنه تأخر حتى كمل النصاب وهو عذر بارد أراد أن يصرف به الولد عن غايته ويحول بينه وبين فضل أمير المؤمنين أيدهم الله والمعروف عنه أنه لا يحب الخير لأحد وقد حررت إليه كتابا لطيفًا فيه رجاء وأرسلته بواسطة الولد لطف وقلت له إذا احتاج إليه ووافق الأخ الفخري على تقديمه قدمه إليه وإلا مزقه، وقلت للولد انه يجب ان يراجع مولانا أمير المؤمنين أيدهم الله برقيًا وتحريرًا ولو يلزم بقاؤه اشهرًا فلا ييأس ولا يستعجل وفي النهاية وبعد اليأس الكامل يطلب الإذن بالسفر على نفقة نفسه ولن يجد معارضة ولاسيما مع الكفال المطلوب فألزموه بهذا ولا تترددوا وما قلتموه ياسيدي من أن القراءة هنا أحسن مع الإهتمام يمكن أن أوافقكم عليه لو كانت عجلة الزمان واقفة بالنسبة إلينا وتسير إلى الوراء بالنسبة إلى غيرنا أما

مادامت تدور وتمضي قدما فالإنسان يغش نفسه بذلك ويجني على ولده الذي خلق لزمان غير زمانه كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام. إن المستقبل يا سيدي لمن يتعلمون تعليمًا صحيحًا ويتضلعون من علوم الحياة ليستطيعوا شق طريقهم فيها وإلاّ أصبحوا كميات مهملة لاتعبأ بهم الحياة لانهم لم يتسلحوا لها السلاح الذي يواجه مشاكلها ومعاملها وطائراتها وقنابلها و و. قلتم ان السيد محمد بن محمد عاد من صنعاء مطلوبًا من الحضرة الشريفة أعزها الله وانه قد انتهى من إخراج ديوان الهبل وتصحيحه والتعليق عليه وتلك أمنيه كنا نريد تنفيذها فحال بيننا وبينها عدم وجود نسخة من الديوان وكنا توسطنا بالسيد أحمد محمد بن عبدالله الوزير إلى السيد العلاّمة العلم قاسم العزي ابو طالب ليستعير لنا الكتاب ووعد بذلك ثم تعقب عودة السيد أحمد سجن القصر فنهى السيد محمد على أداء هذا الواجب، فالهبل هو كما قال الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع متنبي اليمن لولا ما شاب به شعره من السب المقذع للسلف الصالح وأرجو أن السيد محمد توفق إلى حذف ما سيكون أثر نشره دعاية سيئة ضد الزيدية فقد عاش العالم الإسلامي في الخارج يعتقدون- ظلمًا- ان المذهب الزيدي من مذاهب الشيعة المغالية ولم يعتدلوا بعض الشيء إلاّ بعد أن طبع الروض النضير ونحوه فإذا طُبع الديوان بكل ما فيه من سب وشتم أعاد إلى الأذهان تلك الصورة التي لا تزال في أذهان كثيرين مع ان أئمة اهل البيت عليهم السلام كلهم أو جلهم معتدلون وأشدهم تعصبًا يقول بالتوقف كما قال الإمام يحيى بن حمزة رحمه الله في الرسالة الوازعة. هذه ملاحظة أرجو أن تبلغوها إلى سيدي العزي مع سلامنا الجزيل ولم أفهم ما قصدتم من قولكم انه متخلق بأخلاق لم يجبل عليها وهل ذلك الكتاب الذي أرسله بواسطتكم من نوع ما يتكلفه ولم يجبل عليه. الله المستعان على الولد العزي محمد بن يحيى والولد الجمالي كيف أقرتهم ضمائرهم على ترك أخيهم في السجن وهو مرهون بكفالة أحدهم فقد جنوا عليه جناية بالغة بإحرامه من الخروج مع البعثة وليس لهم عذر أو مبرر ولا استطيع أفسر عملهم تفسيرًا

محتملا أصلًا لا قوة إلا بالله، وقد أفاد الولد إبراهيم انه قد تم كفالة يحيى علي مثنى فأعيدت إلى المجلس للبحث عن اقتدار الكفيل ومن الذي سيوضح ذلك، ارجو أن يصححوا الغلطة ويتأكدوا أنهم سيندمون ندما شديدًا لهذه المعاملة القاسية التي يعاملون بها أخاهم وما الذي يخشونه من الكفال عليه وما الذي سيعمله من المخالفات، إنهم يتصورون الأشياء بعقول الأطفال لا قوة إلاّ بالله. عجلوا إرسال عبقرية محمد التي أخذها الولد لطف فهي حق القاضي محمد الأكوع وأنا والله في خجل من تأخيره وقد جبل الأولاد على الإهمال ولا يمكن إرسال ما وعدناهم به إلاّ بعد وصولها والله يحفظكم جميعًا والسلام عليكم ورحمة الله. ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٣

المملوك

عبدالرحمن الإرياني

عرض علينا ويعرض على مولانا النائب

الشيخ	الشيخ	الشيخ	النقيب	شاوش
حزام البرغشي	علي بن محمد	راجي	ناصر طيور	عبدالله الذيباني

١٣٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ومولاي الأخ العلامة عز الإسلام حاكم [illegible] القاضي محمد بن يحيى
الارياني أطال الله بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله
وأيد مولانا أمير المؤمنين

سيدي وصلني كتابكم المؤرخ جمادى الآخرة والله أحمد كثيراً على عافيتكم وصلاح
شأنكم وما أشرتم إليه من الولد الضياء [illegible] فقد سبق مني إليكم
الماضي ما فيه كفاية وفي كتاب الأخ العباس لهذا الدور ما يفيد بوصول [illegible]
وأنها تقدمت [illegible] بواسطة [illegible] ما ذكر [illegible]
[illegible] حتى كمل النصاب [illegible] أراد أن يصرف [illegible]
غايته ويحول بينه وبين فضل أمير المؤمنين أيده الله والمعروف عنه
أنه لا يحب الخير لأحد وقد حررت إليه كتاباً لطيفاً فيه رجاء وأرسلته
بواسطة الولد لطف وقلت له إذا احتاج إليه ووافق الأخ الفخري
على تقديمه قدمه إليه وإلا مزقه، وقلت للولد إنه يجب أن يراجع
مولانا أمير المؤمنين أيده الله شفوياً وتحريرياً ولو يلزم بقاؤه أشهراً فلا
ييأس ولا يستعجل [illegible] وبعد اليأس الكامل يطلب الإذن بالسفر
على نفقته نفسه ولن تجد معارضة [illegible] الكمال المطلوب [illegible]
بهذا ولا تترددوا وما قلتم يا سيدي من أن القراءة هنا أحسن
مع الاهتمام يمكن أن أوافقكم عليه لو كانت عجلة الزمان واقفة
بالنسبة إلينا وتشير إلى الوراء بالنسبة إلى غيرنا أما ما دامت تدور
وتمضي قدماً فالإنسان يغش نفسه بذلك ويجني على ولده الذي خلق
لزمان غير زمانه كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام إن المستقبل
يا سيدي لمن يتعلمون تعليماً صحيحاً ويتضلعون من علوم الحياة
ليستطيعوا شق طريقهم فيها وإلا أصبحوا كميات مهملة لا نفعاً
[illegible] الحياة لأنهم لم يتسلحوا بالسلاح الذي يواجه مشاكلها ومعالمها
وطائراتها وقنابلها و و . قلتم أن السيد محمد رحمه عاد من صنعاء
مطلوباً من الحضرة الشريفة المرفوعة وأنه قد انتهى من إخراج ديوان
الهبل وتصحيحه والتعليق عليه هذه أمنية كنا نريد تنفيذها
فحال بيننا وبينها عدم وجود نسخة من الديوان وكتابنا سطرناه
بالسيد حمود [illegible] إلى السيد العلامة قاسم العزي أبو طالب
ليستعير لنا الكتاب ووعدنا بذلك ثم تعقب عودة السيد حمود من العصر

ب: نماذج من يوميات السجن

وصول أولاد السيد علي

في /٣/٧١

وصل أولاد السيد علي الوزير قاسم وزيد ومحمد لزيارة أخاهم هنا السيد إبراهيم.

في ١٣٧١/٣/٣ وصل من صاحب الجلالة ما لفظه: من الإمام إلى نائب حجه حرسه الله، نسأل الله لكم الشفاء والعافية، تأملوا هذا واعملوا به. جميع الموقفين في القاهرة والمنصورة الذين أذنا لهم بالدورة يكون منع الجميع فالأيام أيام برد. أعرفوا هذا والسلام عليكم ٢٩ صفر ٧١.

أحال هذا التلغراف إلى الشاوش والمشايخ وبموجبه منعنا من الدورة وعددنا ١٣، لقد صدمنا صدمة عنيفة وجهلنا السبب فإنا على يقين من أنّا لم نحدث سببا. وراجعنا النائب فأجاب، راجعوا بما في نفوسكم إلى الحضرة الشريفة. فرفعنا مشتركين هذه البرقية: مولانا أمير المؤمنين ايدكم الله، في الوقت الذي ننتظر فيه رحمتكم بالاطلاق فوجئنا بالمنع من الدورة التي لم نحرص عليها الاّ لأنها دليل رضاكم، وليقيننا عدم السبب منا كانت دهشتنا عظيمة إلى ما نتصوره من شدة الصدمة على عائلاتنا المرتقبة انعاماتكم باطلاقنا فان يكن قد افترى مفترٍ ممن أولعوا بأيغار الصدر الشريف على خدمته المنيبين فبحق الله وحق رسوله وحق أمير المؤمنين أن تأمروا نائبكم بطلبنا مع المفتري ليظهر لكم كذبه وسؤ قصده في تغيير قلبكم الرحيم.

٧ ربيع الأول سنة ٧١ من الممنوعين عن الدورة من سجن القاهرة

في اوائل شهر ربيع الأول سنة ٧٠ وقع اختلاف بين السيد علي الشرعي و.... الصعر وجنايات فأعيدوا نافعا.

في.... ربيع الأول

أذن مرة ثانية للسيد أحمد الشامي بزيارة والدته.

في ١٥ شهر ربيع أول ابتدأت بتعليم النحو الواضح، التلاميذ الثلاثة صالح علي النهدي وصالح الموحاني، وسفيان على سبيل التجربة. وقد ظهرت النتيجة في ظرف ثلاثة اسابيع إذ عرف استعدادهم.

في ١٨ ربيع آخر وصل بعد مراجعة طويلة الإذن للسيد أحمد بن محمد الوزير بزيارة عائلته لمدة شهر زمان على أن يبقى ابن عمه السيد قاسم بن علي الوزير بدلا عنه حتى يعود وحول للمأذون ثلاثون ريالًا مصروف طريق.

في ٢٠ ربيع الثاني كان إطلاق السيد حسين الحوثي إلى حجة لمراجعته بشدة مرضه ومجاوزته الستين إلى شيخوخة متعبة فهو يريد إطلاقه إلى حجة كسجين إن لم يكن السماح بالإطلاق النهائي فعاد الجواب أولًا ما لفظه هل سيكون بقاء ابنه في القاهرة. فكان الجواب بأنه سيبقى، فعاد الجواب مرة ثانية بأن لاباس، وعلى هذا كان اطلاقه وقد لاقينا بعد خروجه نوع من تعب من الرسم بسبب انه لم يسلم لهم ما يسمى بالرسامة، وما ذنب المقيم إذا كان المطلق بخيلًا وخلاصة القول لقد ترك اثرًا سيئًا في النفوس لدن الرسم والمساجين تجاوز الله عنه وما كنت أحب أن أتكلم بشيء لولا ما نالنا بعده.

في ٢٢ ربيع ثاني سنة ٧١

رفعنا برقية هذا لفظها:

مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله

نذكر جلالتكم بأنا أحوج الناس إلى مراحمكم.

محبوب، العنسي، الأكوع، المعلمي، عبدالرحمن الإرياني

وللمرة الرابعة رفع الخميسي الحكيم برقية إيضاحا عن حالة محمد الإرياني بأنه أصبح في الدور الثالث من أدوار السل الرئوي والعظمي وان حياته ميئوسة وان المعالجة لم تنفعه، وأستمد الرحمة بنقله إلى الحديدة.

٣ جمادى الأولى سنة ٧١

وأقيم عيد النصر وانتظر المساجين بفارغ صبرهم وتبخرت جميع الآمال واستولى على النفوس يأس مرير.

أهم الحوادث في جمادى الأخرى

في النصف الأول وصل ابن السيد محمد الغفاري وسنه لا تتجاوز السابعة والسيد محمد الغفاري أحد المعتقلين الذين مضى عليهم أكثر من أربعة أعوام، وقد كان لوصوله أثر في نفوس المعتقلين.

وقد تتابع بعده وصول عبدالله بن عبدالسلام وعلي بن عبدالله السلال وحبا بأبائهم لم يستطيعوا مفارقتهم، وقد رفعت غير برقية بأنهم وصلوا هاربين من الجوع والضياع ورجوا الإذن لهم بالبقاء عند آبائهم في السجن وأن يقرر لهم ما يحفظ حياتهم ولا يعلم إلاّ الله ما يكون الجواب.

وسن ابني السلال وصبرة في حوالي العاشرة.

١٩ منه

أذن للقاضي محمد السياغي أحد المعتقلين بالسفر إلى الحديدة محفوظًا للتداوي من علة البواسير، وسافر على بركة الله.

٢٠ منه سنة ٧١

فوجىء علي عامر بإطلاقه على غير إنتظار لمراجعة من أخيه وقد سافر نحو الحديدة وكان لإطلاقه أثر في نفوس المحابيس إذ أن العام كاد ينقضي ولم يطلق أحد إطلاقًا نهائيًا.

رفعنا برقية إلى الحضرة الشريفة لفظها:

بواسطة مولانا سيف الإسلام الحسن حفظه الله

مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله، نغتنم فرصة اجتماعكم بمولانا سيف الإسلام الحسن فنرفع هذه ذكرى بعد مرور أكثر من أربع سنوات علينا في العقوبة التي فيها أبلغ عبرة لمن يعقل وقد أنهكتنا الأمراض فالمرجو اطلاقنا ونحن نعاهد الله أن نعيش في حدود رضاكم.

المعلمي الأكوع الإرياني

أشتد مرض القاضي محمد الإرياني إلى درجة اليأس من شفائه ولا يزال إلى الآن مريضًا.

وصل جواب للسيد أحمد بن محمد الوزير لفظه لا عتب علينا العتب على من تعلمون، وهذا الجواب على عدة تلغرافات منه تتضمن طلبه بإطلاقه أو ترخيصه.

« وصول اولاد السيد علي »

في ٢/ ٣/ ٧١

وصل اولاد السيد علي الوزير قاسم وزيد
ومحمد لزيارة اخاهم هذا السيد ابراهيم

صحيح /

المنع عن الدوره

في ٢/ ٣/ ٧١ وصل من صاحب الجلالة

بالفظه: من الامام الى نائب حجه حسين
نسأل الله لكم الشفاء والعافيه تأملوا
هذا واعملوا به جميع الموقفين في [illegible]
والمنصوره الذين اذناهم بالدوره يكون
منع الجميع فالايام ايام برد اعرفوا هذا
والسلام عليكم ٢٦ صفر ٧١ اهـ.

أحال هذا التلغراف الى النائب وشرح المنع
وبموجبه منعنا عن الدوره وعدنا ٣/٢
لقد صدمنا صدمه عنيفه وجهلنا
السبب فانا على نقص من اننا [illegible]
وراجعنا النائب فاجاب راجعوا
نفوسكم الى الحضره الشريفه فرفعنا [illegible]
هذه البرقيه: مولانا [illegible]
في الوقت الذي ننتظر فيه رحمتكم بالاطلاق

(ملحق رقم ٩)

نماذج رسائل سرية من سجن حجة

رسالة رقم (١)

رسالة مطولة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى إخوانه وهي من الرسائل التي كانت ترسل خلسة دون أن يطلع عليها الحراس أو نائب الإمام- جمادى الثانية ١٣٧١ هجرية الموافق فبراير ١٩٥٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

احفظوا هذا جدًا

سادتي الإخوان والأولاد أطال الله بقاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا هو سابع كتاب مطوّل أكتبه إليكم من السجن عن غير طريق البريد، أرجو أنها وصلت وأنها كلها محفوظة كما أرجو أن تحفظوا كل كتبي إليكم سواءً ما في البريد أو غيره، وأريد أن أتحدث إليكم بهذا الكتاب عما لا يمكن أن أحرره في البريد إما لأنه مما لا تسمح به الرقابة أو لأني لا أحب ان يطلع عليه المراقبون، ولا أريد ان أخبركم عن شيء من أحوالنا فإنها معلومة لديكم ولا مانع من أن نوضح متجددها في البريد، وإنما أريد أن أخبركم عن أحوالكم انتم فإنها في المدة الأخيرة غير مُرْضية أي أنها ليست كما أحب أن تكون والمجريات الأخيرة زادت حالتي سوءا إلى سوء وحادثة قتل الولد عبدالقدوس تركت في نفسي أسوأ اثر لأنها الأولى من نوعها فلم يسبق لها نظير ولا حدثت محدث نفسه بارتكاب

مثلها حتى في أيام الفوضى فجعلت أفكر في الأسباب الدافعة لهذا المجرم إلى جريمته الشنعآء التي لا أسوة له فيها ولا سلف فلم اهتد إلى سبب معقول غير القول بأنه استعمال الشدة وزيادة الضغط والاضطهاد وعدم التسامح والرفق في هذا العصر الذي أصبح فيه الاستعباد والاسترقاق أو السخرة واستغلال مواهب الغير ومتاعبه من الجرائم التي لا تغتفر والأثقال التي لا تحتمل وأصبحت معاملة الناس والأُجَراء بتلك المعاملة التي تسود فيها القسوة والاستغلال غير سائغة ولو مهما كان المستَغَلون جُهّالًا أو من طبقة العوام، لأن الدين يحرم علينا ذلك أولًا ثم أنها معاكسة لموجة الزمان القائمة الآن، ومن غالب الدهر غُلب. ان استعمال الرفق بالشركاء والتسامح معهم والتغاضي عن هفواتهم هي التي تجعل للإنسان محلًا في قلوبهم معمورًا بالحب، وبذلك تكون الحياة سعيدة لا ينغصها الخوف ولا يكدرها التوقع. إنه لو خير القاضي أنس بين خروج هذه الجربة - التي كانت سببًا في قتل ابنه - من ملكه على أن يبقى ابنه وبين العكس لاختار ألف مرة ان يبقى ولده ويفقد الجربة وغيرها معها وإذًا فلماذا نستعمل القسوة فلا نتسامح في نصف قدح أو قدح أو أكثر حتى نضطر هذا الجائع إلى أن يدافع عن قوام حياته بمثل هذا العدوان الذي يفقده الحياة. إن العاقل يستطيع ان يستوفي حقه بدون إجحاف بحق الغير فيكون مرضيًا عند الله محبوبًا عند الناس يفدونه بالأرواح بدلًا من أن يقولوا (الله يهلكهم، الله يشلهم، شغلونا، آذونا) اجعلوا مراقبة الله في هؤلاء الذين يعيشون في كنفكم نُصب أعينكم وحاسبوا أنفسكم في معاملتهم حسابًا دقيقًا فلا تكرهوهم على عمل ولا تمطلوهم بأجرة ولا تجحفوا بحقهم في غلة ولا فلان ما أمتثلش الأمر قيدوه، مارضي يطلع يريم خرّجوه من البيت، ما سار شي يشقى يسير له من بلادي، يطلِق مالي، انزلوا كسروا له الباب، راجموا له بالشماتر. اتركوا هذا كله وتعاملوا معهم المعاملة التي يجب أن يعامل بها المسلم أخاه المسلم وسترون أنهم يكونون أسرع إلى مرضاتكم وأقرب إلى النصح لكم.

تأكدوا يا سادتي أن حادثة قتل الولد عبدالقدوس هي ذلك الانفجار الذي يقولون عنه انه نتيجة الضغط الحتمية فانظر إلى نفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي، إني لا أكاد أتصور تلك المعاملة التي تعاملونهم بها لبشاعتها وشواهتها لأني

قد عرفت مرارة الاضطهاد والهوان والضغط فازددت لها كراهة وعلى مستعملها ضد الغير نقمةً وحقدًا ووجدت فلسفة المتنبي في قوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

فلسفة خاطئة فإني لم يسهل علي الهوان بعد أن ذقته بأنواعه في هذه السجون المتعددة بل على العكس تنبهت عندي حاسة الألم منه والكراهة له حتى أن ما كنت لا آبه له قبلًا أصبحت آلم لأدناه وأقله.

وهكذا الناس فانظر إلى نفسك... إلخ. لو فكرتم فيما غرمتموه في هذه الحادثة وما خسرتموه من حيثية وما فقدتموه من المركز الممتاز وما خرقته الحادثة من سياج الهيبة والقداسة اللتين كانتا. لو فكرتم في ذلك لهان عليكم ان تتنازلوا قليلًا في معاملة هؤلاء الناس ولربحتم بذلك كرامتكم ومركزكم الممتاز وحيثيتكم وكثيرا من المال الذي أنفقتموه، كل ذلك في نظير التنازل عن شيء من الأنانية والتسامح عن قليل من الحَب أو البن. ان الشيوعية قد كادت ان تلتهم العالم وهي فاعلة في يوم من الأيام فمرنوا أنفسكم وربوا أولادكم على التسامح والتعود على ان يعيشوا من كسبهم وثمرة أعمالهم ولا يعوّلوا على هذا النزر اليسير من الغلة التي يتجاذبون عليه مع الأجراء والشركاء وعلى الجملة فكل ما ارجوه منكم هو إحسان المعاملة مع الناس عمومًا والأُجراء خصوصًا والقرابة بوجه اخص وان تعطوا الناس الحق من نفوسكم ولا تطلبوا منهم ما ليس لكم ولا تدخلوا مع احد في نزاع ولا خصام وليكن كل ذلك بحكمة وبصيرة بحيث لا يطمع فيكم طامع في باطل ولا تعطون دنية في حق.

أما الأولاد الذين يجب عليكم النظر في مستقبلهم وإيثار المصلحة لهم مع عمق النظرة وبعد مرمى الرأي فإن خير ما تقتنونه لهم هو حسن تربيتهم وتعليمهم التعليم الصحيح الذي يؤهلهم للاعتماد على أنفسهم في شق طريق الحياة واختيار السبيل الموصل إلى الرزق، وذلك في نظري ما كان ليتم بدون إرسالهم إلى الخارج للدراسة وخير لكم ولهم ان تنفقوا قسطًا وافرًا مما تريدون اقتناءه لهم في تعليمهم

حتى يكون لكل واحد منهم ثروة في نفسه من مؤهلاته ومعارفه عليها بعد الله يتكل ويعتمد. أما الثروة من المال ونحوه فإنها بعد ان تتضخم الأسرة ويتعدد افرادها لا تكون إلا سببا لشقائهم وتنازعهم وتجاذبهم وليس كذلك إذا تعلموا وتثقفوا واعتمد كل واحد منهم على نفسه وانتهج طريقًا في حياته فهذا تاجر وهذا زراعي وهذا عالم منتج وهذا كاتب يحسن استغلال مواهبه وبيانه، وهذا طبيب وهذا وهذا، ولا شك إنكم مهتمون بتعليمهم الآن ولكنه ذلك اللون الواحد من التعليم الذي لا ينتج إلاّ شاعرًا أو حاكمًا وهل يمكن أن يكونوا كلهم حكامًا. لا، ثم ان المستقبل سيصبغ الحياة بالصبغة التي يريدها ولن ينفق فيه إلا من كان من رجاله الذين يفهمون الحياة فهمًا صحيحًا فيسايرونها ولم يكن زمن هذا الجمود الذي ترونه في الحياة اليمنية بالذي يطول، ومن البعيد أن تبقى اليمن جامدة والعالم من حولها متحركًا ولا بُد من ان تجرفها موجة التطور والرقي فيغزوها العلم والحضارة رضي أهلها أم أبوا فيجب والأمر كذلك ان تعدوا الأولاد لزمنهم وتسلحوهم بسلاح مستقبلهم وإلا طمرتهم الموجة ودفنتهم بين طبقات الخمول. ففكروا تفكيرًا جديًا في طريقة إرسالهم إلى الخارج فان كانت حالتكم لا تتحمل نفقات دراستهم في الخارج كما اعتذرتم فإرسلوا بعضهم ويمكن تعيينه منكم على أن يكون الأوفر ذكاءً واستعدادًا وعليكم لمن يبقى منهم هنا أن تدعوهم يتفرغون للعلم ولا تشغلوهم بشيء من الأعمال المتعلقة بالزراعة وعلى الأخص المتعلقة بالأجراء لئلا تحملوا طيشهم ونزق شبابهم على الناس وخذوا من الماضي عبرة ومن التجارب درسًا وعظةً.

لاحظوا التحبب إلى الناس وأن يكون منشأ احترامهم لكم الرغبة لا الرهبة. تجنبوا الاشتباك مع الناس في منازعات وخصومات ولا تنازعوا أحدًا إلا مكرهين وبعد أن تعطوا الحق من أنفسكم فيأبى خصمكم إلا الباطل وهذا في حق من لم يكن من القرابة أما القرابة فيجب التسامح معهم والتغاضي عن هفواتهم وليس في ذلك ضعة ولا إعطاء دنيّة ما دام أيديكم العُليا وانتم المتسامحون المتغاضون.

ولنعد إلى الكلام عن خروج الأولاد:

قبل يومين أو ثلاثة أيام حررت ما حررته أولًا وبقيت أفكر فيمن يحسن خروجه منهم الآن وكيف الوسيلة إلى ذلك وبعد تقليب وجوه الرأي استقر رأيي على ما يلي:

أن يخرج الولد فضل والولد محمد إلى عدن ومن هنالك يكتبون للإمام الرسائل ويبعثون إليه بالقصائد في مدحه واستعطافه ويُذكّرونه الوعد الذي وعدهم به ووعدهم أيضًا الإمام الشهيد في سنة ٦٦ بأنه سيكون إرسالهم إلى مصر للدراسة ويقولون في رسائلهم إن غرضنا الوحيد هو الخروج للدراسة وأن نعود بعد انتهائها إنشاء الله لخدمة حكومتكم الناصرية ونحن حيثما كنا خدمتكم المخلصون وأبناؤكم البررة لا غرض لنا سيئ ولا اتجاه غير الاتجاه العلمي واعتقد انه بعد الإلحاح سيعد بمنحهما الجوازات والتصدور إلى السيد علي المؤيد كما كان في مسئله عبدالوهاب الشامي وابن الويسي. فإن أبى بعد الإلحاح كان آخر ما يراجعونه به هو طلب الجوازات وسيخرجون على نفقة أنفسهم ولا يضر الأخ الفخري حفظه الله أن يقرر لهم في الشهر أربعين ريالًا أي في السنة أربعمائة وثمانين ريالًا مع أن لدي ظنًا راجحًا انهما بعد أن يصلا إلى مصر ويراجعا بواسطة المؤيد لابد حتمًا من أن يأمر بضمهما إلى البعثة اليمنية إنشاء الله.

وعليهما عند وصولهما عدن أن ينشرا شيئًا من الدعاية لأنفسهما كأن يتصلا بجرجرة صاحب النهضة فيمنحاه شيئا من المال في نظير أن ينشر خبر وصولهما بصورة فيها شيئ من الإطراء كأن يقول انه وصل الشابان النبيلان الأديبان فلان وفلان وزارا إدارة الجريدة وقد وجدناهما على جانب من الأدب والثقافة فسألناهما عن وجهتهما فأفادا انهما يعتزمان السفر إلى مصر لإكمال دراستهما في معاهدها وأنهما يأملان أن يلتحقا بالبعثة اليمنية التي هناك وقد قالا عن اليمن إنها في سبيلها إلى التقدم والرقي وان عهد الإمام الناصر هو العهد الذي بدأت فيه تفتح عينها على السعادة والحياة، وإن أمكن ان ينشرا فيها شيئا من القصائد التي تتعلق بالآثار الحميرية بمأرب كالقصيدة البائية قف هاهنا العلم والتاريخ والأدب باسم احدهما وأخرى باسم الآخر وتذيل كل واحدة بمدح الإمام فذلك حسن وكذلك

فليفعلا في الفتاة وفيما أمكن غيرها من الصحف وبعد هذا التمهيد يراسلان الإمام كما قلنا أولا ويتوسلان بمن في عدن من وكلاء الإمام ومعتمديه كالجبلي ونحوه ليحرر إليه بما هما عليه من الولاء والثناء على الإمام ونحو هذا. وفي خلال المدة يبحثان عن طريق للسفر من عدن إلى مصر فيما إذا فشلت المراجعة ويمكن ان يكون الانتقال أولاً إلى شرقي إفريقيا، حيث الوريث وغيره من أبناء اليمن ومن هناك يتسربان إلى مصر إن لم يجدا هنالك عمل تدريس أو نحوه يدعوهما إلى البقاء مدة.

هاهو السيد عبدالوهاب الشامي قد أجاد اللغة الانكليزية قراءة وكتابة وتخاطبا وكذا الافرنسية وليسا بأقل منه ذكاء واستعدادا. إن المستقبل سيجعلهما وغيرهما من الأولاد إذا لم تفكروا في بعثهم إلى الخارج من سقط المتاع الذي لا قيمة له في الحياة ويصبح مجد الأسرة الذي يجب أن تحرصوا عليه في خبر كان، وأي ثمرة للمال إذا لم يُنفق في هذا السبيل إنما يُدخر المال لحاجات الرجال. لا يكن بقاؤنا في الحبس سببًا في طول التفكير أو تعويقكم عن تنفيذ الفكرة فإنّا قد استرحنا إلى حالتنا وتقبلنا ما قُدّرَ علينا بقلوب مطمئنة ونفوس راضية وأنا على يقين أنّا سنستغل خروجهما أكثر من بقائهما وسيمكنهما أن يستلحقا إنشاء الله من بقي من اخوانهما بعد أن يعرفا الأحوال هنالك وما تتطلبه الحياة ومقدار ما يحتاجه الطالب المقتصد في الشهر.

ولندع التفكير في هذا إلى بعد أن يمضي عليهما في مصر مدة يعرفان فيها كل شيئ إنشاء الله والذي أريد أن اؤكده لكم هنا هو انه لن ينتج من سفرهما أي ضرر ماداما لن يتدخلا فيما يسيء الحكومة البتة وإنما على العكس سيمدحان ويواليان ويحفظان خط الرجعة ويمشيان بحكمة ولباقة.

أما النفقات فاعتقد ان ما قدرته لن يقصر عن الكفاية وهذا المبلغ لن يعجز الأخ الفخري أبقاه الله من تسديده ويضم إليه في أول السنة مؤن السفر. ومن الضروري أن يحل احد الأولاد محل الولد محمد في الكتابة وعليه تخصيص نصف ما يكسبه لهما ليضم إلى حق التدريس ويكون ذلك كله سيرسله لحاجاتهما الخارجة عن الضروريات أو بعبارة أخرى يدخرانها للكماليات.

إنه لم يحملني على هذا التفكير إرادة الانتفاع بثمرته لا والله فان حياتنا قد مضى أكثرها إن طال العمر، وما بقى منها الله أعلم كيف سيكون قضاؤه وقد تصدق فينا كلمة يزيد بن المهلب رحمه الله، وقد عوتب على عدم بناء بيت فقال (ولماذا وأنا لا أقيم إلا في احد مكانين أما دار الإمارة أو السجن) ولكن أين منا دار الإمارة فما بقي إلا السجن ونحن فيه في الواقع وحياة يكون مضى أكثرها أو كاملها بين جدران السجن يجب ان لا يفكر الإنسان فيها وإذًا فلم يحملني على هذا إلا النظر في مستقبل الأولاد الذين هم أمانة في أعناقنا ونحن نعرف ان سعادتهم موقوفة على ثقافتهم وعلمهم ووقوفهم على شئون الحياة وسيرها ولكن لا ادري كيف سيكون محل اقتراحي لديهما.

إن الحياة كفاح ومغامرة وإن أحد العامة البسطاء ليغامر بحياته في سبيل الثروة والغنى فيركب الأخطار ويتجشم الأسفار فيذهب إلى أمريكا ويطرق أبواب أوروبا ويغيب السنوات الكثيرة في نظير شيء من المال، فلماذا لا تغامرون في سبيل العلم النافع الذي يهديكم إلى الثراء والمجد والشرف والخلود أو بعبارة أشمل إلى سعادة الدنيا والآخرة وأي قيمة لحياة الذل والهوان والخسف والامتهان.

كنت أريد أن أضم إلى الولدين الولد علي بن يحيى ولكن لا ادري كيف نظرته إلى هذا الموضوع ولم اختر الولدين إلا لأنهما قد أخذا من تجارب الحياة أكثر مما عند الأولاد الصغار وأيضًا فذلك على أساس ان يستلحقا إخوانهما جميعًا إنشاء الله.

ماذا تنتظرون من الحياة في اليمن غير ان تنتهي بمن ساعده حظه منكم إلى أن يكون حاكمًا يعيش على المقرر الحقير ثم على ما يتناوله من أيدي الناس من سحت وإثم ولن يطول ذلك كثيرًا حتى يأتي المستقبل الذي أتخيله كأني أراه برجاله ونُظُمِهِ فينبذ كل من لم يكن مستعدا له عدته نبذ الحذاء المرقع، وحينئذٍ تصبحون من سقط المتاع.

وما للمرء خير في حياة إذا ماعد من سقط المتاع

بل ألستم كذلك من الآن.. ألم تنزلوا إلى تعز غير مرة فلم تكونوا في تلك الأبواب أحسن حالا من ذلك الذباب المتساقط على الرطوبات.. ألم تكونوا تعتبرون من حسن الحظ أن يحظى أحدكم بنظرة من ناصر عذري أو كلمة طيبة أوعدةٍ بتقديم ورقة، وإذًا فما هذه الحياة التي تضنون بها وتخافون عليها.. أقول تخافون عليها كأني أكلفكم شيئًا يقتضي بذل النفس، وذلك من سوء التعبير والحقيقة إني لم أكلفكم إلاّ الخروج من الظلمات إلى النور ومن الموت إلى الحياة وإنما الرواسب القديمة جعلتني اشعر بأن الغربة شيئ مهول بناء على ما كان عليه الأمر فيها في أول هذا القرن أمّا الآن فقد أصبحت الدنيا كلها كأسرة واحدة، وهذا الشامي تصله كتب أخيه أسبوعيا وقد يكون تاريخها اقرب من تاريخ ما يصلنا منكم.

إن الغرض هو أن تعدوا لمستقبلكم عدته وتحصلوا ما يؤهلكم للحياة المستقلة الحرة فتستغنوا عن وظائف الحكومة واللجوء إلى أبوابها في طلب ذلك والتعليم الصحيح هو الذي يضمن لكم ذلك وإذا قمتم بعمل فعلى أن تكونوا مطلوبين لا طالبين.

إن إهمال الأولاد عن التعليم الحديث وجهلهم للعلوم الحديثة جريمة في نظري لا تغتفر ولا سيما الصغار أي من الولد عبدالحميد فمن دونه لأن الولدين فضلًا ومحمدًا قد تقدمت بهم السن من جهة ومن أخرى أن عندهم ثقافة لا بأس بها فسيكفيهم المدة القليلة لاستكمال دراستهم ولعل أنهم في سن السيد عبدالوهاب الشامي ثم ان عليهم مهمة أخرى هي التمهيد لإخوانهم، وعلى الجملة فإن واجبكم أن تعملوا الجائز والمستحيل في سبيل خروج الولدين ثم يكون العمل بحسب ما يوضحان ولو بعد مدة ولا يعوقنكم عن التنفيذ خشية المسئولية فأنا على يقين من انه لن يجري شيء ولا سيما إذا جريا في المراجعة كما أسلفته. ولنفرض انه كان السؤال منكم فيمكن ان تجيبا انهما استأذنا بالوصول إلى مقامكم لمراجعتكم فيما ينويان عليه من الخروج للدراسة أو نحو هذا، بل ومن الممكن أن تحرروا معهما كتابًا إلى الحضرة الشريفة معناه (إن الولدين فلانًا وفلانًا ما زالا يلحان علينا في الإذن لهما في الوصول إلى مقامكم الشريف لمراجعة جلالتكم في انجاز ما وعدتموهما

ووعدهم الإمام الشهيد رضي الله عنه من إرسالهما إلى مصر للدراسة فلم نسمح لهما تحيّنا للوقت المناسب والآن لما بلغنا تكرر إرسال البعثات إلى الخارج سمحنا لهما بالوصول إلى مقامكم الشريف رجاء أن يكونا ممن يشملهم عطف أمير المؤمنين ورعايته). يحمل الولدين هذا الكتاب معهما إلى عدن ثم يبعثانه من هنالك مصحوبا برسالة بمعنى ما أسلفناه وفيها إنّا كنا في طريقنا إلى المقام الشريف فعرض لأحدنا وهو فلان مرض خطير وهو النزيف الدموي (أو نحو هذا من الأمراض التي يستدعي إلى سرعة استدعاء الطبيب) وكانت وجهة السيارة التي تقلنا عدن فاضطررنا إلى المسارعة إليها للمعالجة على ان نراجع جلالتكم من هنا حتى لا تتم المعالجة إلا وقد حصلنا على ما نأمله من جلالتكم وصدر كتاب الوالد فلان ونرجو الأمر إلى وكيلكم الجبلي بتسهيل سفرنا من هنا والأمر إلى مفوض جلالتكم بمصر لإلحاقنا بالبعثة هناك مع الجوازات.. إلخ هكذا يحرران إليه ساعة يضعان أقدامهما في عدن حتى يكون كتابهما هو أول مخبر له بوصولهما عدن، ثم إذا فرضنا انه يسألكم عنهما فستجيبون انهما توجها إلى مقامكم الشريف لمراجعة الحضرة الشريفة في إرسالهما إلى مصر للدراسة فاصحبناهما بعروض إلى جلالتكم فتوجها يوم كذا وعاد رفقاؤهما من إب يقولون انهما ركبا سيارة واتجها صوب تعز ثم لم يصلنا منهما شيء إلى الآن هذا الجواب أو بمعناه وبذلك تتنصلون من كل مسئولية مفروضة هذا رأيي يا سادتي. وإذا عجلا السفر عند وصول الكتاب هذا فسيجدان أمامهما في عدن القاضي إسماعيل الاكوع يعينهما بما عنده من معرفة وخبرة وتجارب. ويمكن أيضًا ان تظهروا أمام الناس قبل سفرهما وعند تأهبهما بأنهما يريدان السفر إلى تعز للمراجعة لخروجهما للدراسة حتى لا يتقرب متقرب. وعلى الجملة فإنكم إن كنتم تهتموا ببقاء وحدة هذه الأسرة وتماسكها وحفظ شرفها وانتم تحرصون على أن يبقى لها مركزها العلمي المرموق الذي يحفظ مجدها وماضيها ويهمكم مستقبل أولادكم وأحفادكم فذلك لا يتم إلا بتزويد الأولاد بالعلم الصحيح الذي يتلائم مع زمنهم وينتفع به فيه ومن اجله رجوتكم الرجاء الحار تنفيذ الفكرة وإلا فاعلموا علمًا يقينًا ان

الجديد المنتظر سيأتي بخيله ورجاله وعتاده وعُدده وعلمه ومطالبه فيجدهم عزلًا عن السلاح لا يحسنون القيام بعمل ولا يصلحون لحياة كل ما فيها جديد فيطمر عليهم تيار الحياة فتغرقهم أمواجه أو تقذف بهم فتنزلهم في غمار الناس واوشابهم وستذكرون أنتم أو يذكرون هم ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله.

تأكدوا جدًا أني لو كنت اعلم ان في ذلك ضررًا عليكم لما رضيته فاني أفضل تحمل كل مكروهٍ وكل أذى دون أن ينالكم انتم ادنى ضرر ولقد مرت علينا أوقات كنا فيها مهددين بالسيف وعُرض علينا الخلاص وكنا عليه من القادرين ولكنا كُنّا نتصور ما سينزل بكم من وراء خلاصنا ولا سيما في ذلك الوقت العصيب فنؤآثر الصبر والنزول على حكم الأقدار وليكن ما شاء الله وها قد تجاوزنا ذلك الدور وتحسنت الحالة وطالت المدة وعرض علينا مرات الخلاص وتمكنا منه وضمن لنا النجاح فيه وأن يؤتى بمن ييسر لنا ذلك ويعيننا عليه ولكن هيهات أن يكون ذلك ما دمنا نظن أو نشك أو نتوقع انه سيجري عليكم ادنى سؤال أو أذية فكيف يُظن أو يُتوهم ان تطمئن نفسي إلى شيء يخشى من ورائه ضرر معاذ الله، دبروا تدبيرا جديًا وفكروا تفكيرًا صحيحًا ونفذوا الفكرة وسترون حسن عقباها إنشاء الله.

في هذا الأسبوع وصل كتاب من السيد عبدالوهاب الشامي ومعه رسم له وللجناتي وللمقبلي كنت أحب أن يراها الأولاد ليروا (ان ما عاد الهجفي هجفي) فلعلها تحرك من نشاطهم، وقد جاء في هذا البريد كتاب الأخ العزي حفظه الله يقول فيه إن الولد مطهر رفع قصيدة يطلب فيها الحاقة ببعثة لبنان فعرفت انها لم تتفق الخواطر إلا لأن الله تعالى قد شاء تنفيذ الفكرة ولكن أنا استبعد جدًا أن تحصل رخصة إلا بالوسيلة التي أشرت لكم إليها من الخروج إلى عدن أولًا والمراجعة من هنالك وخروج الولد الفضل والولد محمد حفظهما الله أولى عندي ثم يلحقهما إخوانهما إن شاء الله

نعم يا سيدي الأخ عز الإسلام حفظكم الله

قلت لكم عند أن أرسلتم تلك القصيدة البليغة «قف هاهنا العلم والتاريخ

والأدب»، وقد أردتم أن نعرضها للنقد في عكاظ الشعر هنا ولم توضحوا لنا اسم قائلها من الأولاد لئلا يحصل تحيز في النقد قلت لكم يومئذٍ انه لم يمكن عرضها لأسباب لا أحب ذكرها ووعدتكم باني سأشرحها في فرصة أخرى.

إن القصيدة رائعة والموضوع شيق وخصب في آن واحد ولذلك قلت لكم انه يحسن إرسالها إلى النصر فإنها خليقة بالنشر ولاسيما وقد نشرت قصيدة الولد عبدالكريم وهما تتفقان في الموضوع الشريف والغاية السامية وهل أسما واشرف من ان يتغنى الشاعر بتاريخ آبائه وأمجاد أجداده وبالأخص إذا كان تاريخًا يرفع الرأس عاليا ومجدًا تعنو له الأيام ويخضع له الدهر كتاريخ آبائنا ومجد أسلافنا ولو لم يكن في هذا التغني إلا الإهابة بالأمة إلى الالتفات إلى ماضيها المجيد المشرق بنور العلم والرقي والعمران فلعلها أن تأنف من حياة الذل والاستعباد والتبعية والاسترقاق التي ضُربت عليها من قبل ألف عام وعساها ان تخجل من أولئك الآباء ذوي التاريخ الشامخ والعز الباذخ الذين دوخوا الدنيا بالعمل والعرفان وابقوا من الآثار ما غالب الأيام وقاوم أعاصير الزمان أن يروهم في هذا الذل والصغار.. ذلك كله مما نحبذه وندعو إليه ونرجو الأولاد جميعًا ان يتجهوا صوبه ويدعوا إليه بحكمة ومثابرة وأن يشعروا أنفسهم دائمًا بأن الله لم يشأ أن يعيشوا في بلادهم عيش العبيد.

إن الإسلام جاء لمحو الفوارق بين الناس وجاء القرآن يقول إن أكرمكم عند الله اتقاكم فالله قد اصطفى محمدًا صلى الله عليه وسلم وحده لأنه اتقى الناس لربه فكان أكرمهم عنده ولكن القوم أبوا إلاّ الاستعلاء وإلاّ أن يجعلوا من الدين ماهو محاربة للدين ويصبغوا بصبغة الإسلام ما جاء الإسلام ليحاربه ويقضي عليه ولكن آباءنا سامحهم الله تقبلوا ذلك بقبول حسن على انه من الدين وما بهم إلا جهلهم بالدين الصحيح ولا غرّهم إلا عدم فهمهم لروح الإسلام وبعدهم عن هدي القرآن.

وبعد فهذا قول عارض جر إليه في هذه العجالة التي أرجو الله تعالى أن تصل إليكم ما أردته من بيان الأسباب التي أردت أن اشرحها لكم وفاءً بالوعد.

إن الأسباب هي سبب واحد ولكنه قد يتعدد إن أردتم ذلك، وهو أن هنا وفي هذه المجموعة الممتازة والفئة المؤمنة القليلة على ما بينهم من اتحاد واتفاق من ينزع إلى القومية القحطانية ويدعو إليها ويقول بوجوب إثارة النعرة القومية وإشعار اليمنيين بعزهم القديم ومجدهم الماضي ودعوتهم إلى استعادة ذلك المجد المسلوب والعز المنهوب والعرش الذي انضوى إلى كنفه أكثر الشرق العربي وكان تحت حكمه عرب الشمال على الاستمرار إلى أن جاء الإسلام كما يشهد بذلك التاريخ، والإهابة بهم إلى أن يقولوا ما قاله دعبل بن علي الخزاعي الشاعر اليمني.

من أي ثنية طلعت قريش وكانوا معشرًا متنبطينا

أي من النبط وغرض هؤلاء هو إذابة هذه الأقلية في اليمنيين وتلاشيها فيهم أو أو

وهذه الفكرة المتطرفة يقابلها العلويون بالفزع والمقاومة الشديدة وكثيرًا ما جرت مناقشات حادة أفضت في بعض الأيام في نافع إلى التصادم، ولهذا قرر العقلاء انه لا حاجة إلى الخوض في هذه المواضيع في هذا الوقت الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى الوئآم والتكاتف والاتحاد. وثم فريق ثالث متوسط يقول انه لا داعي لهذا الشقاق فالعلويون قد مضى عليهم ألف سنة وقد أصبحوا يمنيين وقد امتزج الدّمَان القحطاني والعدناني فلا مبرر لأن يتنكر اليمنيون للعلويين بل يجب أن يعيشوا جميعًا متآخين متحدين وعلى العلويين أن يتنازلوا عن هذه السيادة الموهومة أو على الأصح طابع الذل والاستعباد الذي طبعوا به اليمنيين وأصبحوا يتقاضونه منهم بالقوة وصار احدهم يغضب لأن ينادى باسمه العلم غير مقرون بلفظ (سِيدي).

يا للخزي ويا للعار لأي شيئ قبل آباؤنا سامحهم الله هذه الإهانة التي سجلت عليهم العبودية الدائمة وكيف انطلت عليهم حيلة المشعوذين والدجالين، لأي شيئ غفلوا عن نصوص القرآن والسنة القاضية بمحو الفوارق والتفاضل والتي جعلت القيم مرجع إلى الفضائل والأخلاق والعمل والتقوى.

هذا الفريق الذي يدعو إلى التآخي تحت ظل الإخوة الإسلامية هو الفريق الأمثل إن أنصف القوم، وما أخالهم والفريق الأول المتطرف امثل منه ان أبى القوم إلا تماديا في قحتهم وغيهم وانانيتهم وغطرستهم وكبريائهم وأصروا على الإلوهية والاستعباد لهذه الأمة التي آوتهم حين طاردهم أهلوهم ونصرتهم حين خذلهم الأقربون.

فهذا يا سيدي هو السبب في عدم عرض القصيدة للنقد ولو فعلنا لأثارت كوامن العصبية الكامنة كمون النار في الرماد وقد اطلع عليها أكثر أفراد القحطانيين وتناقلوها كما أنها وصلتنا جريدة النصر فيها قصيدة الولد عبدالكريم في الموضوع فنقلها أكثرهم وأثبتها بعض من يشتغل بالتاريخ في تاريخه غفلًا عن اسم ناظمها ولما جاءت الإفادة منكم بأنها للولد الوجيه أثبت نسبتها إليه.

إن من الحسن أن يتجه الأولاد أصلحهم الله إلى نظم مثل تينك القصيدتين وبأسلوبهما الحكيم بدون تعرض للجانب الآخر وإنما يذكرون مجد حمير وتاريخها ويرسلون بما ينظمونه عند المناسبة إلى النصر مذيلًا بمدح الإمام أما ما ينظمونه بصورة متطرفة مثيرة فيطوونه للتاريخ وإلى زمنها الملائم، وينبغي أن يستكثروا من المحفوظات التي تشيد بمفاخر اليمن وتعلي من شأنها أمثال أشعار الأمير نشوان بن سعيد الحميري وحسان بن ثابت والوزير المغربي وغيرهم وعلى الفضل حفظه الله أن يجعلها من محفوظات الأولاد الصغار وسترون بالكراس بجانب هذا ما استطعنا نقله الآن من ذلك تنقل للأولاد الصغار الإريانيين كلهم في كل يوم سبعة أو ثمانية أبيات ويوجههم بأسلوب حسن انه ليس هناك لا سيد ولا مسود وإنما السيد الله والكتب لديكم كثير تتبعوا في كتب التاريخ والأدب ما يوافقها في الموضوع وخذوا منها أقواها وأجزلها وضموها إلى محفوظات الأولاد واجعلوا لهم درسًا في تاريخ اليمن واليمنيين وربما إذا طال بنا الأمد في السجن نرسل لكم في العام القابل إنشاء الله مع الرسول كتابًا في الموضوع لبعض الإخوان.

والذي يجب على المربين للأولاد الصغار ان يشعروهم بعزتهم ومجدهم وانهم في بلادهم التي يجب ان يعيشوا فيها أحرارًا لا يقرون بالعبودية لغير خالقهم

تعالى، الم يكونوا أبناء أولئك الاقيال والتبابعة، ألم تكن البلاد بلادهم، والوطن وطنهم، وهم أحق بأن يحكموا أنفسهم فعلام هذه الاستكانة وفيم هذا الذل والهوان والاستعباد والامتهان. كيف يمكن ان نكون عبيدًا في بلادنا ممتهنين في أوطاننا، من حكام ليت أنهم والحال كذلك عاملونا معاملة المسلم لأخيه المسلم ولم يعاملونا معاملة الأسياد للعبيد والمخدومين للخدم ويفرضوا علينا احترامهم وتقديسهم بينما هم لا يقيمون لحقوقنا وزنًا ولا لشعورنا قيمة. اعملوا لهذا مستطاعكم وتواصوا به بينكم وأوصوا به من وراءكم من أبنائكم وليوصي الأبناء أبناءهم وهكذا إلى أن يبلغوا غايتهم إنشاء الله.

إنه لو كان هناك نظام حكم صالح لأمكن أن نعيش معهم على قدم المساواة والعدل. وأما ما دام الأمر على ما نرى ولا أمل في غير ما ترونه من ذل وهوان، لا ادري كيف يكون وقع هذه الآراء عندكم فقد تكون غريبة على أسماعكم أو سخيفة في أنظاركم أو متطرفة أو لا قيمة لها، وما ذاك إلاّ لأنكم بعيدون كل البعد عن حياة العزة والكرامة ولأنها قد مُرّنت أنفسكم على الذل والهوان وإلاّ فكيف يمكن أن يتحمل رجل له كرامة وعزة أن يكلفه آخر بان يدعوه يا (سيدي)، فإذا أبى ولن يفعل اعتبره ناصبيًا أو غير محب لأهل البيت أو أو.

ليمرن الجميع ألسنتهم على أن يسموهم بأسمائهم أو إذا كان هناك من يُخشى فليقولوا السيد فلان أو ياسيد فلان وإذا كان المخاطب حاضرًا وكان ممن ينبغي ان يجاملوه فليقولوا يا سَيِّدي الفخري أو العزي أو نحو ذلك، فإن لفظة سِيدي غير مشددة الياء لها مدلول عرفي بغيض جدًا وكنت أحب أن أحرر لهم برنامجًا يسيرون عليه في هذه الدعوة المقدسة التي ستكفل تحريرهم أو تحرير أبنائهم أو أحفادهم إن طال أمد هذا الوضع ليسيروا عليه في جهادهم الذي يجب ان يكون حكيمًا ولكني لم أتمكن، فإلى ان يأتي الرسول في العام القابل إنشاء الله إن أمدّ الله في العمر وإلاّ فلن يعجزهم أن يشقوا لأنفسهم طريقًا حكيمًا سليمًا في ذلك.

وقبل أن اختم الكتاب الفت أنظاركم إلى انه ليس المراد من كتابي هذا أن يناصبوا العلويين العداء أو أن يجهروا بأفكارهم ضدهم.. لا.. فإن هذا من الطيش والحمق فإن الحكومة بجانبهم والقوة بأيديهم فمحاولة ذلك ليس إلاّ إنزال الضرر

بأنفسهم بدون جدوى ولا فائدة وإنما الغرض أن يشعروا أنفسهم بهذا الواجب ويثيروا فيها روح الكرامة والعزة ويطووا أنفسهم على ما فيها ولا يلقوا البذرة إلا في التربة الصالحة القحطانية ولا مانع من مجاملة العلويين المجاملة الضرورية ولكن بدون استكانة أو جأر بشعار العبودية (سِيدي) فانها كلمة خزي وعار فليت شعري هل أعيش حتى تختفي هذه الكلمة من عالمنا اليمني.

إن هذه الفكرة هي فكرة قديمة ولم يمنعني من التحرير إليكم في شأنها إلا رجاء الإطلاق والتعويل على المشافهة التي تكفل الإيضاح الكامل وشرح الأسباب والعوامل ولكني رأيت الشهور تمضي والأعوام تنصرم والحال ما حال والوضع لم يطرأ عليه تغيير ولا زوال والأنفس كما تعلمون بيد الله تعالى وإذا قدر الله تعالى سفر الولدين أو الأولاد إلى الخارج فلا ندري متى يكون عودهم ويجب أن لا يذهبوا حتى تكون عندهم فكرة عن واجبهم في الحياة نحو أسرتهم وأمتهم ووطنهم ونحو أنفسهم ليعملوا على القيام به فالحياة الخالية عن المسئوليات والواجبات هي حياة خالية من معنى الحياة الحقيقي بل هي أشبه بحياة السوائم والأنعام لا قيمة لها ولا جمال فيها بل حياة السوائم قائمة على تنازع البقاء ولها غرائز تدعوها إلى الدفاع عن أنفسها والسعي في سبيل تحصيل أرزاقها، ولتكن الحكمة شعارهم والحذر والحيطة رائدهم ولتعتبروا هذه وصيتي في هذه القضية اليمنية الوطنية، أرجو أن تحفظوها وأن ينقلها احد الأولاد بجانب ديوان شعري بالقلم الأسود فعسى إذا لم تكونوا مستعدين للعمل بها أن يقيض الله من الأولاد أو الأحفاد من يقوم بها ويعمل لها حين تتنور الأفكار وينتشر العلم لتعرف الأمة اليمنية قيمتها في الحياة وتقف على مجد أسلافها وتاريخ آبائها ولن يتم ذلك إلا بتغيير الوضع الحاضر، ولذلك أجدني غير محتاج إلى أن أوصي الأولاد للعمل لهذه القضية التي من اجلها سجنّا وفي سبيلها نهبنا وهتكنا ومن أجلها ضحينا بشطر أعمارنا وقاسينا من الهوان والأذى ما لا يتحمله الإنسان إلا إذا أُمد بعون من الله تعالى فإن القضيتين مرتبطتان كمال الارتباط.

انقلوا هذه كما أفدتكم واحفظوا بجانبها هذه الكراسة واطلعوا الأولاد عليها

وأريد بالأولاد الولدين لطف وعبدالكريم ومن فوقهما في السن، أما الصغار فيكفي التوجيه لهم من الأستاذ ولا بأس أن يطلع عليها من تعتمدونه من سائر الأسرة إذا كان يرجى منه عمل.

وبقي ان أقول لكم إنكم قد تعتقدون من كتابتي هذه إني متطرف أو إني اعمل ما أؤاخذ عليه أو ما يستطيع أي واش أن يشي به أو يرفعه أو إنها تبدر بادرة ما من نحو ما في هذه الرسالة وأريد أن أؤكد لكم إني وغيري من الرفقاء بعيدون عن كلما يوجب الاشتباه والشك كل البعد واني بحمد الله حائز لرضا الفريقين وحسن ظنهم ومحل ثقتهم هذا بالنسبة إلى هذه القضية أما بالنسبة إلى القضية العامة فلم نعمل طيلة هذه السنين أمرًا يذكر وأول شيء فعلناه هو الرسائل الصادرة مع هذا إلى الشيخ ناشر العريقي والقاضي إسماعيل الاكوع والغرض منها هو جعل وسائل وأسباب واستمداد شفاعة ورجاءآت كمحاولة للخلاص من السجن فإن العمل بالأسباب مما ارشد إليه الشارع ولنا أيضًا غرض في معرفة الأحوال في الخارج لنقف على ضوء هذه المعرفة على ما يجب أن نتخذه في سبيل الخلاص من السجن لئلا تكون الوسائل غير ناجحة ولا مجدية. وها قد عرفتم أن الأولاد قد نزلوا ست مرات للمراجعة فلم يأبه لهم الإمام ولا أجداهم تضرعهم واستغاثتهم شيئًا بينما الذين لهم أناس في الخارج يراجعون عنهم قد أطلقوا جميعهم ولم يبق منهم أحدًا بالرغم أن ذنوبهم اكبر من ذنوبنا وأهميتهم أعظم من أهميتنا. فلماذا لا نعمل نحن كما عملوا ونحاول الخلاص بمثل تلك الوسائل ونسلك ذلك السبيل الذي سلكوه لعل الله تعالى يهيئ لنا الخلاص أما إذا ركدنا وجمدنا واقتصرنا على الاسترحام فإن الإطلاق كالمأيوس منه ولاسيما مع ما تعلمون من معارضة الحسن فيه فإذا عملنا أسبابًا خارجية رجونا تأثيرها ثم انها بالصورة الحكيمة التي لا يتطرق فيها وهم ولا اشتباه وكل ما نكلفكم هو أن تبعثوا المظروف إلى الشيخ ناشر العريقي رئيس بلدية ذي السفال صحبة رسول مخصوص أما علي محمد أو عبدالله ثابت أريد أن يكون حاذقًا مدركًا حتى لا يسلم الكتاب إلى غير من هو إليه بل يسلمه إلى يد المذكور بعد تأكده منه وإذا كان الأخ يحيى بن علي

شجاع الدين لا يزال هنالك أرسلتموه إليه مصحوبا بكتاب ترجونه فيه ان يعرفه بالشيخ ناشر ويكون الرسول كأنه إلى الأخ العماد وإن كان غير موجود فيصل إلى هنالك ليسأل عنه وبعد التأكد منه يسلم له ورقة من يده إني وصلت بمكاتيب أريد تسليمها إليكم بانفراد يحرر له هذه الورقة احد الأولاد ويستصحبها معه، والرجل هو من الإخلاص والوطنية فوق ما يتصوره المتصور وثقتنا به كثقتنا بكم فلا تقلقوا أو تتخوفوا كما تخوفتم في مسألة علي بن محسن فإن هذه المسألة ضرورية وهي في صالحنا فلا تؤخروا تنفيذها حال وصول الرسول وليس عليكم ضرر فالرسول ليس من لديكم ولا ستحررون معه كتابًا ولا يكلفكم الأمر من أوله إلى آخره أكثر من ريالين أو ثلاثة أجرة الرسول ثم عند عود الجواب منه ترسلونه بباطن كتاب على الطريقة المعروفة لكم في البريد ولولا ما نخشى من ان يلاحظ ملاحظ لكان من الحسن وصول الولد فضل بنفسه إلى ذي السفال للإتفاق بالشيخ ناشر والمراجعة منه ومعرفة الحقيقة بتفاصيلها والإيضاح إلينا لنعرف كيف نعمل للخلاص ولو تقدم الرسول قبل عود الولد فضل من تعز لكان من السهل جدًا أن يمر بذي السفال عند عوده لهذا الغرض نفسه وبعذر زيارة الأخ يحيى بن علي إن كان هناك أو بعذر المعرفة إن لم يكن هناك، وكان لا بد من أن يحمل رسالة إلى الرجل ليطمئن إليه لأنه أحذر من غراب.

إن إنفاق بعض ما تنفقونه في المراجعات والبرقيات في هذا السبيل أجدى وانفع وأرجأ في الوصول إلى المطلوب فهذا الشيخ ناشر كان من المأيوس منهم ولكن أصحابه في الخارج والوا شفاعاتهم ومراجعاتهم وترغيبهم وترهيبهم حتى تم إطلاقه وقديمًا قيل ذلّ من لا سفيه له، ونحن نقول ذلّ من لم يكن له في الخارج من يراجع عليه أو يشفع له أو ينشر عنه في الصحف مع أني اعتقد ان النشر في الصحف بإسم شخص معين يضر أكثر مما ينفع وينفع كثيرا إذا كان النشر من اجل جميع المحابيس ولو سمي بعضهم لم يكن بذلك بأس فإن استطاع الأولاد أن ينشروا في الصحف العدنية بأسماء مستعارة فعلوا، أو فلتهتموا بإرسال المظروف إلى ذي السفال سريعًا ثم بإرسال الجواب إلينا في البريد في جانبي كتاب واصحبوه بما

لديكم جميعًا من آراء وما سمعه الولد فضل من أخبار في تعز مفصلًا ولتكن في ورقة مستقلة عن جواب الشيخ ناشر والله يعينكم ويوفقكم ويسددكم والسلام عليكم وتحرر هذا قبل وصول الرسول في غرة جمادى الثانية ١٣٧١ ولا ندري متى سيصل الرسول فإذا عرض شيء فسنضمه إلى هذا والله يطيل بقاءكم.

عبدالرحمن الإرياني سامحه الله

في كتاب الأخ العزي حفظه الله يومنا ما يفيد أنّا لا نكاتب إلى غيركم وغير الإمام وسيف الإسلام والحال أنّا كذلك ليس بيننا وبين أحد مكاتبة فلم نحرر منذ دخلنا الحبس إلا ماهو معروض على النائب ونحن اقل الناس كتابة وأكثرهم حذرًا وحيطة لا نخرج في كتبنا عن الأشياء الخصوصية أو العلمية أو الأدبية أو بعبارة أخرى أنّا لا نكتب شيئًا نخشى من ورائه سؤالًا ولكنكم توهموننا بهذا التحري أن هناك أشياء تقال بأسمائنا وإذا لم نتوهم نحن فربما يتوهم المراقب الذي يطالع الكتب فإذا كان لكم رأي في شيءٍ أو ملاحظة أو سمعتم خبرًا أو نحو ذلك حررتموه على تلك الطريقة بباطن الظرف مع التنبيه في الكتاب بوضع الحمد لله وحده بعد البسملة كما هي العادة ولاحظوا كذلك فيما يصل من لدينا ولكن أرجو أن لا تكون إيضاحاتكم إجمالية أو مبهمة موهمة فالإجمال والإبهام يوجب تشويشًا واضطرابًا كثيرًا ما يعرض للسجين لجهله الأحوال.

والله يطيل بقاءكم والسلام عليكم

احفظوا هذا جدا

١

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتي الإخوان والأولاد الطالب استبقاكم الله السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . هذا هو سابع كتاب مطول اكتبه اليكم من
السجن عن غير طريق البريد ارجوا انها وصلت وانها كلها محفوظة
فارجوا ان تحفظوا كل كتبي اليكم سواء ما في البريد او غيره
واريد ان اتحدث اليكم بهذا الكتاب عما لا يمكن ان احدث
في البريد اما لانه مما لا تسمح به الرقابة او لاني لا احب
ان يطلع عليه المراقبون ، ولا اريد ان اخبركم عن شيء من
احوالنا فانها معلومة لديكم ولا مانع من ان نوضح متجددها
في البريد، وانما اريد ان اخبركم عن احوالكم انتم فانها
في المدة الأخيرة غير مرضية اي انها ليست كما احب ان
تكون والماجريات الأخيرة زادت حالتي سوءاً الى سوء
وحادثة قتل الولد عبد الصمد تركت في نفسي اسوأ اثر
لانها الاولى من نوعها فلم يسبق لها نظير ولا حدثتني
نفسه بارتكاب مثلها حتى في ايام الفوضى فجعلت افكر
في الأسباب الدافعة لهذا المجرم الى جريمته الشنعاء التي
لا اسوة له فيها ولا سلف فلم اهتد الى سبب معقول

رسالة رقم (٢)

رسالة اخرى مطولة من القاضي عبدالرحمن الإرياني من سجن حجة إلى اخوانه وهي من الرسائل التي كانت ترسل خلسة دون أن يطلع عليها الحراس أو نائب الإمام- شعبان ١٣٧٢ هجرية الموافق ابريل ١٩٥٣م

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وكفى وصلاة الله وسلامه على عباده الذين اصطفى.

سادتي الإخوان وأولادي الاعزاء جمّل الله بهم الوجود وحرسهم وكلاهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والله المسئول أن يجمعني بهم على أحب الأحوال إليه وأحسنها لديه وأرضاها له وآثرها عنده آمين.

أحرر إليكم هذه الرسالة لستٍ بقين من رجب ١٣٧٢هـ وعهدي بكم وبالحديث معكم على هذا النحو من العام الماضي وقد أدليت بتلك الرسالة بما عندي من نصائح وإرشادات تتعلق بالأولاد أصلحهم الله الذين سيحملون الرسالة في المستقبل ويؤدون أمانة العلم وأمانة الدين والوطن والقومية إلى جانب تحملهم مسئولية كفالة العائلة وحراسة مجد الأسرة وقلت لكم انه لن يتم ذلك إلاّ بتكميلهم بالعلم النافع وتثقيفهم بالثقافة المستيرة التي يتطلبها زمانهم وتتلائم مع ظروفهم الحاضرة والمستقبلة وهذا بدوره لا يتم إلا بخروجهم للدراسة في الخارج أما الدراسة في الداخل فانه لا يتعدى الجاد منهم في الطلب أن يكون شاعرًا أو أديبًا وهذا سيكون موضعه في المستقبل وراء الجدران ولا سيما مع جهلهم للعلوم العصرية التي سيكون لها ولصاحبها السبق في ميادين الحياة ومع الأسف الشديد أنها مضت قرابة أربعة عشر شهرًا على الرسالة الأولى ولم تنفذوا شيئًا مما فيها ولا أخذتم حتى في المقدمات بل قلتم إنكم تراجعون في طلب الإذن وما هي إلاّ علالة الصبي عن اللبن ولو كنتم جادين في الأمر لكنتم قد أرسلتموهم إلى تعز

للمراجعة من كثب وهم مظهرون أنهم على ظهر طريق أما رفع برقية أو برقيتين فإن إهمال الجواب عليهما غير معسور وعلى كل حال فذلك هو رأيي ولكم رأيكم ولكن تأكدوا أنه سيأتي عليكم أوعليهم يوم تعضون فيه بنان الندم ان لا تكونوا عملتم بهذه النصيحة. إن في مصر اليوم ما ينوف على خمسين طالبًا يمنيًا من غير البعثة ينهلون من موارد علومها العذبة النميرة وهؤلاء هم رجال الغد وبناة المجد وسيكون من عداهم كقدح الراكب لا يوضع إلا في مؤخرة الرحل فتأملوا جيدًا وفكروا طويلًا قبل أن تفوت الفرصة وتحل محلها الغصّة ولا تعيشوا في الماضي ولا في الحاضر بل عيشوا في المستقبل الذي تنتظره اليمن والذي لا يُقبل فيه إلاّ من كان مزودًا بعتاد العلم الصحيح.

سادتي ليس لديّ ما أقوله لكم أكثر من هذا وفي المثل العامي (الحليم تكفيه الإشارة) فكيف وقد صرحت وكررت الرجاء ولكن.. ما لصوتٍ أُقفلت من دونه الأسماع معنى.

ولنخرج من هذا الموضوع لنوضح التطورات الأخيرة التي طرأت من بعد سفر الرسول في العام الماضي وهي على التوالي ١-الأمر بالتفتيش ٢- حبس بيت الوزير ٣- خطبة العرش ٤- نقل الإخوان إلى الدار وزيادة المرتب وتشديد الرقابة ولكلٍّ سبب استكنهناه ومنها ما عرفناه.

في يوم من أيام جمادى الأولى فوجئنا بوصول يحيى العجا وكيل بيت المال ومعه أربعة عسكر قصد أحدهم مكاننا وقصد الآخرون أماكن بيت الوزير بينما قصد هو مكان الشامي والفسيل وكان من ألطاف الله السارية ونعمه الجليلة أنه قد كان سبقه إلينا خبر هذا التفتيش مع ان الأمر به وصل برقيًا وبالشفرة قبل طلوعه ببضع دقائق، ولكن الأقدار إذا شاءت أمضت وقد عمد المعتمد إلى صندوقي الشامي والفسيل فأخذهما فلم يجد فيهما شيئًا يدعو إلى ريبة كما انه لم يكن قبل ذلك وإنما الأمر مجرد وشاية كاذبة ولم نستفد من العلم أكثر من أن الأمر لم يأت على غرة فتعظم الصدمة. وبرغم انه لم يجد فيهما شيئًا فإنه قد أخذهما

ولا يزال صندوق الفسيل لديهم إلى الآن أما الشامي فقد اخذ صندوقه عند سفره الحديدة ومن سؤ الحظ انه كان في صندوق الفسيل نسخة لنا من سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين وقد استنسخناها هنا على نسخة مكتبة الجامع بصنعاء فراجعنا النائب بإرجاعها فرفع إلى الإمام فأجاب على أي أم كان نقلها فقلنا لهم على نسخة جامع صنعاء. قال: من أوصل نسخة جامع صنعاء إلى القاهرة اجبنا أوصلها بنو الوزير الذين أرسلهم سيف الإسلام الحسن للدراسة أجاب إلى النائب انقلوا لنا نسخة عليها ولا تزال الآن لدن معلم مكتب مبين ينسخ عليها للإمام والله اعلم هل ستعود ام لا مع أنّا قد تعبنا في تحصيلها ولكن وجود سيرة هذا الإمام معنا واهتمامنا بتحصيلها دليل على عدم صحة ما يقوله المفترون من انّا لا نقدره وانا نتحامل عليه. وقد قالوا يوم رأوا جدنا في تحصيلها ان الغرض أخذ المطاعن منها على أنهم قد وجدوها بيضاء نقية ليس فيها أي تعليق، وقد تشعبت الأفكار واختلفت الأنظار في الحامل على هذا التفتيش فقيل أن.........ومن أوهامه أنه يتخيل ان أناسًا من القحطانيين يسعون لتحويل الحكم إليهم وغرضهم إجلاء أهل البيت من اليمن وإعادتهم إلى بلادهم الحجاز ونحو هذا الجنون الذي لا يتكلم به عاقل ويقول إن قطب رحى الفكرة فلانًا يعني أخاكم قبح الله المفتري ما أكثر افتراءه ولعله قد بلغ هذه الوشاية وانها سر التشدد بالنسبة إلينا خاصة وقد تكون من أسباب محاولة إعادة المركز في إريان فإنها على سخفها لا بد وأن يكون لها أثرها في قلب الحكام قطعًا على أنهم يعلمون أنها وشاية كاذبة وانه ليس هناك من يفكر في شطر الأمة شطرين ولا من يعتبر العلويين دخلاء على اليمن وقد مضى عليهم ألف سنة وتزيد ولكن الرجل هذا كما قلت لكم موسوس وفي المدة الأخيرة أي في الأسبوع الماضي طلب من النائب الإذن بالمقابلة ليوضح له ما يبرهن به على إخلاصه وانه علوي حميم يعمل لخدمة آل محمد ولما لم يسعفه النائب حرر رسالة إلى الإمام بواسطة النائب تزيد على عشر ورق يشرح فيها إخلاصه وغيرته على علوم أهل البيت وحقوقهم الشرعية وتخوفه من الفكرة الناشئة ضدهم التي بدأت تنتشر وتسري سريان النار في الهشيم وأن هناك من ينكر حقوقهم ويتحامل

حتى على الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأنهم في حاجة إلى تنظيم دعاية تبين للناس فضائل أهل البيت ووو...الخ هذه الأفكار الخيالية التي لا وجود لها إلا في خياله وقد رفع هذه الرسالة بواسطة النائب وسلك فيها مسلك الإجمال ولم يعينا ولا غيرنا إعتمادًا على ما سبق منه في هذا الصدد ولكن النائب حفظه الله رجل عظيم يكره الدس والوشاية وكان قد فهم عن الرجل وأوهامه كثيرًا فارجع الرسالة وانتهر الموكل بحراسة الموسوس وعسى أن تنتهي أوهامه عند هذا الحد وإن تمكن من الرفع من طريق أخرى فلا ضير إنشاء الله وكل هذه الافيكات قد بلغت الإمام ولن تؤثر أكثر مما قد أثرت أما نحن فلا يسعنا أمام هذه الوشايات إلا الاعتصام بالصمت والابتهال إلى الله سبحانه بان يبصرهم السداد لان الكلام منا قبل ان يصرحوا لنا ليس إلا من باب قولهم كاد المريب... إلخ مع انّا والله بعيدون عن الريبة كل البعد ولكن من يسمع منك منطقًا أو حجة وقد رأينا صنيع الله تعالى بهؤلاء الوشاة المجرمين فقد كانوا وقود النار التي أضرموها وزيت المصباح الذي أشعلوه ولله حكمة بالغه.

(٢) وأما حبس بيت الوزير فقد كان سببه وشاية بعضهم ضد بعض ولكن المصيبة عمت الجميع ولعليّ شرحت لكم في العام الماضي تكتلهم مع غيرهم من العلويين ومحاولتهم تكوين حزب ضد المتطرفين من القحطانيين على حد تعبيرهم لتوهمهم أن هناك حزبًا قحطانيًا يعمل ضدهم وهو والله مجرد وهم لا صحة له وإنما بنوا الوهم على ما يسمعونه من بعض الإخوان الذين ولعوا بالمزاح بدون حساب ولا تقدير لما يكون له من أثر ثم بما يجري بين الأولاد الصغار أولاد بيت الوزير ومن هنا من أبناء المساجين وبعض أبناء العسكر من مزاح ومماحكة ومناداتهم كل واحد باسمه وافتخار كل واحد بأصله ونحو هذا مما يجري بين الأطفال ولكنهم يتوهمون ان الأطفال ملقنون وقد وجد أخوكم نفسه بين هوج بعض الإخوان القحطانيين وأوهام بعض الإخوان العلويين في مأزق حرج فأنا لا أرضى بأن يثار هذا الموضوع بحال من الأحوال لأنه دعوة إلى العصبية الجاهلية فتارة أحاول تهدئة المتطرف من الإخوان وأخرى اعمل على الإيضاح لعقلاء العلويين وانفي لهم وجود الفكرة وجودًا

حقيقيًا يدعو إلى فزعهم فيقتنعون في الظاهر ولكنهم إذا سمعوا كلمة من طفل أو متطرف اعتبروها معبرة عن الجميع وعلى كل حال فالمسألة بالنسبة إلى العقلاء لا تتجاوز أن تكون خلافًا داخليًا لا يفضي إلى الإضرار بواسطة الحكومة وهم إذا عملوا للاتحاد والتكتل فإنما يعملون للمستقبل البعيد ولكنهم لا يسعون ولن يسعوا بضرر أو وشاية إلا ذلك المجنون الموسوس وهو على غير وفاق مع عقلائهم. كنا نرى ونسمع ما يجري منهم فنمر عليه مر الكرام لأنّا إذا صارحناهم أو حاججناهم أفضى ذلك إلى ما لا تحمد عقباه والقوة كما تعرفون بجانبهم وأدنى كلمة تضرنا والمسئلة تصيب موضع الإحساس من الجميع وإن سكتنا كان السكوت أسلم فملنا إلى التغابي والتغاضي وعدلنا إلى بث روح التنافس بينهم بإيهام كل واحد انه إبن بجدتها والمجلي في حلبتها والطموح فيهم يكاد يكون قدرًا مشتركًا تجدونه حتى عند من ليس لديه أي مؤهل وقد استشرى الشر بينهم حتى أفضى بهم إلى الدس والكيد لبعضهم فوشى احدهم بأن فيهم من يحاول الفرار إلى الخارج أو إلى المحميات فكان القبض على من في صنعاء والتشديد على من هنا وعمّ التشديد الجميع وأصبحوا يتخاصمون ويتقاذفون التهم ونجونا من شر اتحادهم وإن كان قد ساءنا ما نزل بهم لأنّا علم الله لا نبغي لهم ولا لغيرهم شرا وقد أصبحوا وهم عيون لنا فأوضحوا لنا طلبه مقابلة النائب فحررنا في الكتاب إليكم ما حررنا مما فهمه النائب فلم تأت الرسالة إلاّ وحملها على الوهم والخيال وردها ردًا سيئًا وقد قالوا انه قال في الرسالة انه حريص على حكومة العلويين الهاشمية وهان عليه كلما قد ناله ونال أسرته (فيدك منك وإن كانت شلاّ) ولم يستحي من أن يجعل الإمام بالنسبة إليه يدا شلاء والحاصل رجل موسوس كفانا الله شره وهذا هو سبب حبسهم واعتقد ان فيهم من كان يفكر في الخروج.

(٣) وأمّا خطبة العرش فقد اطلعتم عليها في النصر وتأكدوا ان ما نشرته النصر ليس هو النص الذي القي في الحفل بل ادخل عليه إصلاح وتغيير ولم يضطروا إلى نشره بتلك الصيغة إلاّ لإستدراك النص الأول الذي كان إلى العامية اقرب وفيه مزالق كان يجب أن لا يتورط فيها وهو مع ذلك قد شمل تلك التهم

التي وجهها إلى المساجين وذلك الوعيد الشديد الذي لوح فيه بالسيوف والصوارم والحال انه لم يبق في السجن من يستحق كل ذلك الإرعاد والإبراق ولكن الله اعلم ما هو الحامل عليه فقد قيل ان كثرة الشفاعات من جهة وقوة الحركة من جانب الأحرار في عدن من جهة أخرى كانتا سببًا في ذلك وقد توهم أن كل ما يقال وينشر مصدره من حجة ومن القاهرة بالذات بدليل انه لم يحصل تضييق على من في المنصورة ولا من في نافع ولا ندري ما مصدر هذا الوهم على انه قد اجمع العقلاء على ان ذلك الخطاب لم يزد على ان رفع من شأن المساجين فعرف الخاصة ان هناك ما اضطره إلى هذا الخطاب وفهم العامة انه يخشى المساجين ويرهبهم وعرف من في الخارج أن سياسته لا تتفق والحاضر وانه لا يزال يعيش في القرون الوسطى.

(٤) وأما نقل الإخوان إلى الدار وزيادة المرتب وشدة المراقبة فسببها انه إستغش المرتبين من النظام ونقل إليه أنهم قد أصبحوا في وفاق تام مع المساجين وانه يوشك لو حدث حادث ان يقوموا بانقلاب من القاهره وأنهم وسائط إدخال الورق والجرائد وإخراجها وكان الأمر أولا بتبديلهم وتبديل بعض البرانيين ولكنه راجع النائب وانتهى الأمر إلى زيادة تعيين النقيب ناصر طيور وخمسة أفراد قالوا ليسمعوا ما يقول المساجين ويراقبوا الأوراق أي ليكونوا عيونًا وجواسيس أو بالتعبير العصري جستابو ومنعوا من اتصال النظام بالمساجين منعًا باتا حتى ولا رد السلام بينما كانوا إلى أمس القريب هم الرسم المحافظون وقد أبقوهم في باب القاهرة وأبعدوا المساجين إلى الدار لتبعد شقة الاتصال بينهم وبين النظام ولكن الكون معمور والإنسان لا يعجز حين يضطر عن إيجاد المستحيل والحاجة كما يقولون أم المخترعات والسبب في هذه الإجراءات هي ما قلت لكم من توهمهم ان كل ما ينشر حول المساجين مصدره القاهرة وان النظام هم همزة الوصل وهو مجرد وهم منشؤه وشاية كاذبة أما الحقيقة فهي ان النظام اخلص الرسم للحكومة وأشدهم على المساجين ولكن حكمة الله قد يخفى وجهها على عقولنا المحدودة.

ومن الأخبار الهامة التي يجب أن أشير إليها هنا العطف على السيد أحمد

الشامي والأمر بسفره إلى الحديدة بعد ان كان مهددا بالإعدام وهو مع ذلك من الـ (١٦) المثقل عليهم والأربعة المجلودين والاثنين الذين صودرت صناديقهما وفتشوا قبل شهر وقد كان سبب هذا العطف المفاجئ انه رفع قصيدتين استعطافيتين إحداهما زادت على مائة بيت والأخرى على ثمانين بيتًا استطاع بهما ان يكسب عطف الإمام بل السبب الأول الحقيقي هو ما عند الإمام من عاطفة خاصة نحوه هي التي أبقت عليه إلى جانب ان زوجته إبنة عبدالرحمن الشامي والإمام خالها نزلت للمراجعة عليه واستطاعت بدموعها أن تؤثر على خالها فتكسب العطف على زوجها، وكم للجنس اللطيف من أيادٍ على الجنس الخشن والسيد أحمد هو من خيرة السادة وعقلائهم وقد بلغنا ان بنات الإمام ثِرن للعطف عليه واحتججن على الإمام وعلى النائب الهمام لزعمهن انه من المؤامرين وانه دل القتلة على وجهة الإمام يوم القتل وقد يكون السبب في هذا عداوات شخصية بينهن وبين زوجته والله اعلم هل سيؤثر احتجاجهن فيغير مجرى انظار الإمام أم ان عطفه قد بلغ إلى الحد الذي لا يتأثر باللوم والتعنيف.

ولا يفوتني ان أشير إلى ما كان من نزول ولدي محمد بن حسين عبدالقادر حفيدي عامل صنعاء السابق فقد كانوا في القاهرة يقرأون لدن الشامي وغيره وكان العلويون يومئذ قد أوشكوا ان يكونوا أكثرية وقد اتحدوا وأصبحوا يخطبون وينظمون القصائد في مفاخر العلوية فكان نزولهما أول حادث انفرط فيه عقدهم وقد نزلوا على كرهٍ منهم ولما راجعوا النائب في بقائهم في القاهرة لأجل القراءة قال لهم امتثلوا أمر الإمام فما أراد لكم إلا الخير لتبتعدوا عن المساجين لئلا يمحقوكم بأفكارهم المسمومة وقد كان بقاؤهم بمحكمة عباس بجانب دار سعدان يدخلون ويخرجون وفي المدة الأخيرة شددوا عليهم ولا يعرف سبب ذلك وبرغم هذا فلم ييأسوا من العود إلى القاهرة فرفعوا برقية يرجون إعادتهم القاهرة للقراءة لدن الإرياني فكان الجواب «ابقوا حيث انتم» وإذا فكرتم في هذه التطورات وجدتموها متناقضة لا يستطيع عاقل ان يعللها بعلل تجري على المنطق السليم والعقل المستقيم وكما قال ابو شادوف «أمور مرتبكات رُبّك» نسأل الله ان يهيئ لنا من أمرنا رشدا ويجعل لنا من همنا فرجا ومن أسرنا مخرجا.

لم تفيدوني إفادة صريحة عن رأيكم في فكرة الخلاص التي أوضحتها لكم في العام الماضي ولكني قد فهمت من الإهمال عدم الموافقة فاضربت عنها صفحًا نزولًا عند رغبتكم وحرصا على سلامتكم كما ان غيري من الإخوان قد اضربوا أيضًا حرصًا على سلامتي انا مما قد يحدث من تشديد مقطوع به وقد كان إضرابنا في الوقت الذي رأينا المشكلة تزداد تعقدًا والأزمة تضيق حلقاتها واليأس من الخلاص يدنو والأمل به يبعد وكان من مقتضى ذلك ان يزيد الحرص على الخلاص ويجرئ على تنفيذ الفكرة ولكن العقبة الوحيدة هي انتم والمثل العامي يقول «بواحد ولا باثنين» ولكن ما العمل ياسادتي الأعزاء وهل عندكم طريق تنفذ بنا إلى بر السلامة بدون أن تضر بأحد وهل بقيت لديكم وسيلة من وسائل المراجعة يمكن أن تجد محلًا للقبول أم أنكم قد يئستم كما يئسنا ولم يبق لنا جميعًا إلا الصبر والاستسلام إلى ان تتدخل الأقدار في حل المشكل ويخيل لي انه قد آن الأوان للفرج الذي يأتي من عند الله تعالى بدون عمل عامل ولا شفاعة شافع ولا رجاء مرجو. أما نحن فلم ندع وسيلة إلا قدمناها ولا طريقًا إلاّ سلكناها فقد راجعنا بطلب العائلة إلى حجة أو إحدى القرى المجاورة لها وراجعنا بالنقل إلى احد المستشفيات للمعالجة كل ذلك بعد اليأس من الإطلاق المطلق وقد بئنا بالفشل في كل المحاولات بينما غيرنا وهم أكثر ذنوبًا واكبر جرمًا قد فاز بعضهم بالإطلاق وآخرون بالعطف بالنقل إلى الحديدة أو صنعاء للمعالجة والبعض بنقل عائلاتهم إلى حجة والمملوك في حيرة ما سبب هذه الشدة التي خصصنا بها فلسنا بأهم ممن قد أطلقوا أمثال الأستاذ نعمان وابن عامل صنعاء ولا أكثر ذنوبًا وانتم لم تكلفوا أنفسكم على كثرة نزول الأولاد إلى تعز ان تعرفوا ممن حول الإمام عن سبب ذلك وعن الفكرة التي يحملها عنا ولا استطعتم ان تكلفوا الأخ عبدالله بن محمد ان يبحث عن ذلك فلو أنكم كلفتموه لكان قد وقف على شيء من الأسباب فالرجاء ان تبحثوا البحث الكامل وتفيدوني بتلك الواسطة اعني الطريقة السرية فلعلنا إذا عرفنا شيئا من السبب نستطيع معالجة الموقف أو نوفق إلى طريقة توصلنا إلى الغاية فاني طالما إفترضت الأسباب ولكني فيما اعتقد أذهب بعيدًا واعتقد ان الإمام على يقين، مع علمه بان

ذنبي ثانوي وانه قد اغتفر ما هو أعظم منه - من انه لا يعتقد اني من الأشخاص الخطرين فلست ممن يخشى فرارهم إلى الخارج ولا ممن يعيثون في الأرض فسادا بل يتأكد اني إنما أريد الإصلاح ما استطعت ولست ممن يبغي لأحد شرًا ولا يحمل فكرة سيئة نحو عرشه بعد الاقتناع التام الذي أفادتناه التجارب التي مرت بنا والدروس التي أمليت علينا ثم ليفرض ان لي فكرة ضد العرش فما عسى ان يعمله فرد مثلي وقد أطلق من هو أهم واخطر ثم ما الذي غير مجاري أنظاره بعد ان كانت قد اتجهت اتجاهًا حسنًا فأذن بالدورة وصرح بالرضا وانه ينوى الإطلاق وقد عدت إلى نفسي فحاسبتها هل حدث مني ما يدعو إلى الريبة أو جرى ما يوجب التحول فلم أتذكر شيئًا يمكن ان أعاتب نفسي عليه وانتهى بي الأمر إلى تقرير ان الوشاية حول فكرة القحطانية هي التي أوجبت كل هذا وذلك ما لا حيلة لي فيه: فمن كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة. فأنا متحير كيف أجد السبيل إلى الخلاص أولًا ثم كيف أقنعكم انتم باني أسير على خطة حكيمة وطريق مستقيمة لا تعرج على شيء مما يوجب العتاب والمؤاخذة وانه لا عمل لي في كل ما يزوقه الوشاه ولا حيلة في دفع أذى أناس تضطرم في قلوبهم نيران الحقد والبغضاء لا لأنّا نسيء إليهم أو نأذيهم بل لأنّا لا نكون معهم في مقام العبيد مع السادة على أنّا قد اضطررنا إلى مجاملتهم بما نخجل من أنفسنا حين نتنازل لسماع هرائهم، وأنا حريص دائمًا على تحسين العلاقة معهم إلى حد كبير فنحن دائمًا نزورهم إذا مرضوا ونعتبهم إذا عتبوا ونساعدهم إذا طلبوا ونقرضهم إذا اقترضوا وهم مع ذلك يتظاهرون بالاحترام والتقدير ونار الحسد والحقد تأكل قلوبهم لأنهم لا يريدون ان يكون بجانبهم من يحترم نفسه أو يعتز بها وهذا ما لا يمكن ان يتنازل الإنسان عنه إلاّ إذا أمكنه التنازل عن حياته ولنقف هنا ولنكمل التحرير في كراس أخر ٢٨ رجب سنة ١٣٧٢..

بسم الله

«تابع لما في الكراس في دفة الكتاب المقابل لهذا»

استعجلت وضع الكراس الأول فاقتضبت الكلام اقتضابًا وها أنا ذا أعود فأسجل ما في البال من متفرق الأخبار والأفكار وان تباينت مواضعه وتباعدت روابطه.

نعود إلى ذكر الأسباب التي سببت التطورات الأخيرة قلتم ان نشر قصائد الأولاد أصلحهم الله عن سبأ ومأرب سببت الأمر بإعادة المركز في إريان وأنا أقول لكم ان نشرها لا يثير أي استياء في نفس الإمام ولا سيما وقد ختمت بمدحه والإشادة بعهده وقد نشرت إحداها في النصر لولا ان الوشاية حول فكرة القحطانية كانت قد بلغته فجاءت القصائد مؤيدة لصحة الوشاية ولو كان خالي البال عن الفكرة لما علق عليها أي أهمية فقد اعتاد الشعراء ان يتغنوا بالمجد الحميري والآثار الحميرية عند كل مناسبة وهل تذكرون قصيدة الأخ الجمالي رحمه الله التي قالها عند إخراج الآثار في النخلة الحمراء وغيمان فأنا لا أزال اذكر منها قوله:

عجبًا وكم ابدا الزمان عجائبًا وابان من طي الليال غرائبا

واتى بما كنا نعد وقوعه من قبل هذا للمحال مصاحبا

ثم هذه قصائد الويسي ومقالاته تشيد بالآثار السبئية وتتغنى بالمجد الحميري ولكنها مقبولة منه لأنه عدناني فاثر القصائد إنما هو باعتبار مجيئها مرتبطة بالوشاية أو على اثرها وعلى كل حال فأنا غير نادم على نشرها لأنّا لا نستطيع أن نتنكر لماضينا ونتجاهل مجد آبائنا ونغفله. وقد زاد طين وهم الإتصال بالخارج بلة انها نشرت قصيدة في رثاء القاضي محمد الإرياني نشرتها «فتاة الجزيرة » كما نشرت قصيدة في رثاء الجندي المجهول وهو احد حراس سجن نافع الذي كان يقوم بخدمات للمساجين كان آخرها مساعدته عبدالسلام عمر على الفرار وقد ذهب ضحية هذا الوفاء فسيق إلى سجن السودة وتوفي فيه رحمه الله، والله اعلم من الذي رثاه ممن في عدن من الأحرار الذين خرجوا من السجن وقد يكون ذلك هو عبدالسلام عمر نفسه فانه شاعر وأديب وبرغم معرفة الإمام بذلك فقد حلا لجلالته ان يتهم المساجين، ورثاء الإرياني لا استبعد انه لأحد رفقائه الذين قد أطلقوا ولكنهم اتهموا المساجين وكان في الاسم «الإرياني» ما يؤكد هذه التهمة وقد جنى هذا الاسم على المتوفي رحمه الله حيًا وجنى على من وراءه ميتًا لأنّا

نعيش في ظل حكم يعاقب على الوهم أكثر مما يعاقب على الحقيقة. وقد كان لانتشار قصائد الأوَّلاد وكثرة الأخذ والرد حولها وقيام بعض اليمنيين في السودان بإعادة طبعها مستقلة في كراسٍ وتوزيع نسخها اعتزازًا بمجد الآباء وافتخارًا بذلك الملك العتيد والعمران المجيد كان لكل ذلك أثره الذي جعل الإمام يتصور خطورة انتشار هذه الفكرة لا على عرشه فقط ولكن على البيت الهاشمي ولو أنه نظر إلى الأمر من الناحية الواقعية لعرف انه ليس من الأهمية بمكان لان الفكرة وإن كانت عاملًا قويًا في إثارة النفوس وبمثلها تحررت الأوطان في سائر الأقطار ولكنها تحملها في اليمن رؤوس قد أمات الاستعباد الطويل في نفوسها كل معاني العزة والاحترام للنفس وقد تكون خطرًا على هذا البيت ولكن بعد ردح من الزمن يستطيع فيه العاملون لها ان يفهّموا الشعب ماضيه ويستثيروا كوامن النخوة والعزة فيه وبقدر الضغط الذي يقاسونه سيكون الانفجار ولا يمكن اتقاء ذلك إلا بتنازل الجانب الآخر عن إلوهيتهم واعتبارهم أنفسهم كأناس من الناس وأفراد من أفراد هذا الشعب المهيض المهضوم. لا ادري هل تطلعون على شيء من الصحف العدنية والمصرية واعتقد إنكم تطلعون على فتاه الجزيرة ولاسيما في المدة التي كان الأخ الضياء فيها بعدن ولا اشك في أنكم اطلعتم على رثاء الإرياني في الفتاة وفي الفضول أما النهضة فلعل أنها من الصحف الموالية فدخولها جائز مسموح به أما نحن فقد كان يبلغنا شيء مما ينشر ولا سيما قبل التضييق الأخير ونحن نرجو ان لا يحجب عنا بعدها ثقته بدعوة يوسف الصديق عليه السلام التي يقولون انه دعا بها للمساجين.

ولننتقل إلى الكلام مما يخصنا ويمسنا من قريب، ذلك انكم قد تستكثرون ما طلبناه هذا العام من النقود والعلة يا سادتي هو تردد الأثر واحتياجنا إلى العلاجات من جهة ومن أخرى إلى ما يحتاجه المريض من الأطعمة الخاصة التي ليس فيها شيء من المقررات، والحليب في حجة يكاد يكون اغلا من السمن وفوق هذا وذاك ان كلما يصلنا لا بد ان يضم إلى ثمنه الحقيقي أجرة من يشتريه وعلى ما نحتاج إلى مداراة الرسم به في كل وقت ولا سيما في الفترة الأخيرة من بعد عيد النصر فنحن نضطر إلى ان نشتري أعراضنا وكرامتنا منهم شراء ويأتي بعد هذا كله

ما تستلزمه المراجعات أجرة برقيات ونحوها. والغرض من هذا ان نوضح لكم ان المنصرف في حاجاتنا الكمالية التي هي الغرض الأساسي لطلب ما يطلب هو الأقل وأفيدكم انه لن يصل الرسول إلا وعلى أخيكم ما يزيد على خمسين ريالًا. وأحبّ أن أوكِّد لكم اني لا اصرف ريالاً واحدًا إلاّ في موضعه وفيما لا يمكن الاستغناء عنه.

فيما قابل هذا دفتران احدهما فيه شعر الأخ الصفي المعلمي والآخر مذكرات يتعهد الولد الفضل أصلحه الله بحفظه جدًا جدًا بجانب ما سبق إرساله. وارجو ان لا يسقط من هذا ولا مما قبله أي شيء الله الله. في العام الماضي أرسلت لكم مفتاح شفرة ولم تفيدوني بوصوله ولا ادري أين ضل عني أيضًا، وفي ما يلي مفتاح آخر ينقله كل من الولدين محمد وفضل في مذكرته الخاصة إلى أن تدعوا إليه حاجة.

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
٤٠	٣٨	٣٦	٣٤	٣٢	٣٠	٢٨	٢٦	٢٤	٢٢	٢٠	١٨	١٦	١٤
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١٢	١٠	٣٩	٣٧	٣٥	٣٣	٣١	٢٩	٢٧	٢٥	٢٣	٢١	١٩	١٧
لا	أل	ه											
١٥	١٣	١١											

استغربت ما قلتم عن تهديد النائب للولدين محمد وعلي ولعل سببه ان لديه اشعارًا من تعز يتعلق بالأولاد الصغار شعراء سبأ ولما كان المعروف لدن السياغي هو الولد العزي والولد الجمالي فقد صرف الإيعاز إليهما ولهذا قلت لكم انه يحسن وصولهما إليه ومعرفة السبب وتقويضه لأن أدنى كلمة منه إلى الإمام تزج بهما في السجن مدى مجهولاً وإذا كنتم قد عرفتم سببًا آخر أوضحتم لنا بباطن الظرف في البريد بتلك الطريقة وبالشفرة التي هذا مفتاحها لأعرف أنها قد وصلت وطبق الولد العزي استعمالها ولأجل المران عليها إذا كان في باطن الكتاب أو باطن الظرف شيء فالإشارة ان نستفتح الكتاب بالحمد لله وحده فقط وأن لم يكن شيء فبسم الله الرحمن الرحيم لأن الجمع بينهما كما هو الشأن في الماضي

ربما يلفت النظر فتذكروا هذا دائمًا والكتابة بتلك الواسطة مأمونة جدًا جدًا ولا سيما بباطن الظرف فيمكنكم ان توضحوا كل ما يبلغكم من خبرهام داخليًا كان أو خارجيًا وبصورة صريحة لا احتياط فيها ولا سيما إذا كانت بالأرقام أعني بالشفرة واعتقد انه ليس هناك أي مانع إلا الكسل من الولد العزي حفظه الله وإلاّ فالأمر لا يكلف عناء وإذا عدم الليم شريتم بربع ريال ملح الليم إذا لم يوجد في يريم فهو موجود في إب وعند إرادة التحرير تذاب قطعة صغيرة منه كالعدسة في قليل ماء بصينية ويكتب به وهذا من البساطه بمكان وحسبكم انّا تحصلنا عليه ونحن وراء الأسوار والأغلال واستعملناه حتى في نافع فلماذا هذا التخوف، والحذر في غير محله جبن لا يحمد ولا ينبغي أن يستشعره الأولاد وزمانهم زمان صراع وعراك.

وكــل مــن كــان ضعـيـفًـا أكــلـتـــه الأقــويــــاء

××

والأرض لـلأقـوى عـلـى جنباتها لـيـسـت لـفـاضـلـهـا ولا للاعلم

××

والـنـوامـيـس قـضـت ان لا يـعـيـش الـضـعـفـاء

وخير من هذا المثل العامي «الذي ما يقع ذيب تأكله الذياب».

وقديما قال الشاعر العربي:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لم يتق الشتم يشتم

يجب ان لا تعيشوا – وبالخاصة الأولاد – بالعقلية القديمة فالمستقبل الذي ينتظرهم يتطلب رجالًا مزودين بالعلم الصحيح الرائج في سوقه فستنتقل عجلة الزمان بالشعب إلى وادٍ غير الوادي الذي تعيشون فيه فيكون الناس في وادٍ وانتم في واد ومن اجل ذلك الححت عليكم في الرجاء بالمراجعة بجد لخروجهم للدراسة في الخارج وإذا مرت عليهم سنتان من الآن فمعنى ذلك فوات الفرصة وستأكلون أكفكم ندمًا وستشربون دموعكم حزنا اللهم إني بلغت.

قد أكملنا شرح ديوان عمارة اليمني قبل سنة تقريبا والحيرة مستولية علينا في الطريق إلى طبعه فقد عرفتم انه طبع ديوان الآنسي على نفقة الحكومة وباعوا النسخة بخمسة ريالات فربحوا أضعاف ما أنفقوا ثم لم يعطونا حتى نسخة واحدة أو ريالا واحدًا فذهبت جهودنا لمدة سنة كلها هباء ولم يخجلوا من الله ولا من الناس عن استغلال جهود سجناء محتاجين لحسابهم الخاص وقد رفعت برقية قلت فيها إن تصحيح ديوان الآنسي وشرحه اقتضاني جهود عام كامل وقد تفضلتم بطبعه وكنت أرجو ان أنال من كرمكم ما استعين به على حاجات السجن الطويل، رفعت هذه البرقية ولم يعد جواب كما هي العادة في إهمال كل مراجعة منا سواء اكانت متعلقة بالإطلاق أم بغيره ولأجل ذلك لم يبق إلاّ أن نحاول بكل وسيلة أن نطبع ديوان عمارة على نفقتنا فهل يمكن الأخ الفخري أبقاه الله ان يلتزم بنفقات الطبع وأنا ضمين أن يربح بعد الألف خمسمائة ريال وهذا هو أقصى ما يمكن ان يربحه تاجر في أي تجارة كانت فإذا كان سيوافق على هذا أفدتمونا بالصراحة في البريد انه من الممكن لننظر طريقًا للمقاولة مع إحدى المطابع العدنية أو المصرية لنعرف كم تبلغ نفقات الطبع وسنستأذن بطبعه من الإمام.

صدر إليكم مع الكتب المصدرة بواسطة النائب ثلاث مجموعات خطية فيها مختارات شعرية يمكن ان يختار منها الولد فضل أصلحه الله محفوظات للأولاد أصلحهم الله ثم عليه حفظها وعدم تمكين الأولاد من اللعب بها فإنها عزيزة عليّ برغم تفاهتها في نظركم لأني قد تعبت بنقلها كثيرا أيام كانت الكتب لدينا أعز من بيض الأنوق وصدر أيضًا المجلدان من الرسالة وقد أرسلا من لديكم مجلدا واحدا فقسمناهما وإنما صدرناها خارجة عن الكتب المرسلة علنًا لان المجموعات لا يمكن إرسالها بواسطة النائب لأن كلما يدخل ويخرج من الكتب قد أصبح معروضًا عليه وهي والمجلدان من الرسالة مودعة لدن الأستاذ من أيام التفتيش فألزمنا الرسول باستلامها منه من خارج والرجاء ان تفيدوا بوصولها بلفظ «قد وصلت جميع الكتب المرسلة صحبة الرسول وسنلزم الولد فضل أصلحه الله باختيار محفوظات للأولاد حسبما أفدتم» وسنفهم من هذه الإشارة أيضًا أنكم قد اطلعتم على هذا

وما بجانبه وأفيدوني كم وصلت لكم كتب عن طريق صنعاء فإن المرسل من هنالك كتابان بينما انكم لم تفيدوني إلا عن احدهما فأفيدوا على انه إذا كان قد ضل الآخر فإنه لا خطر فيه فهو كتاب عادي ليس فيه أي شيء يؤاخذ عليه إلاّ مجرد السؤال والجواب كيف خرج بدون عرض ومن أخرجه ولكنه قد أرسل قبل أشهر ولم يحصل شيء من ذلك فإذا لم يكن قد وصلكم فيمكن انه تأخر لدن الواسطة وان ظروفه الأخيرة حالت بينه وبين إرساله.

صدر بجانب هذا مظروف إلى القاضي أحمد صبرة من ابنه تفضلوا بتعجليه إليه ولكم الفضل وأخيرا ماذا ترون من وسيلة للمراجعة وهل ترون ان نزول احد الأولاد ومعه كفالة من عدة أشخاص من الإريانيين وانتم في المقدمة يكون مضمونها الكفال بحسن السلوك والتوقف عند إرادة الإمام وما يرضيه وعدم التدخل في شيء مما لا يعني ونحو هذا وتكون نص المراجعة من الأولاد للإمام إنّا سمعنا بنص الخطاب الملكي الكريم بأنه لم يكن تأخير إطلاق المساجين لحقد أو إرادة تشفٍ وإنما لعدم الاطمئنان لحسن سلوكهم وقد سررنا لذلك لان الاطمئنان إلى حسن سلوك والدنا فلان مضمون لجلالتكم بما تعرفوا من ان ما كان منه كان فعلته لن يعود إلى مثلها ثم بتقديم الكفالات التي تطلبونا بحسن السلوك وعدم التدخل فيما لا يعني ممن تريدون من الكفلاء الذين يكونون مسئولين أمامكم عن كل ما يحدث منه وإن رأيتم ان يكون رفع البرقية التالية باسم الولد يحيى كتوطئة للمراجعة فأنتم اعرف وإن رأيتم انه ليس في نزول احد الأولاد إلاّ مجرد الغرامة والتعب ثم يعود بالفشل والخيبة فلا حاجة لنزول احد واليكم نص البرقية أمير المؤمنين أيده الله قلتم في الخطاب الملكي الكريم ان تأخير المساجين لعدم الاطمئنان لحسن سلوكهم لا للتشفي والاطمئنان إلى سلوك والدي يحصل بكفالة من تريدون من الأسرة ان كان الغرض ذلك فنظركم بإطلاقه أو نقله إلى احد المستشفيات للمعالجة فقد أنهكته الأمراض فاعتقوه في هذا الشهر الكريم يعتقكم الله من النار وإنما يرحم الله الرحماء. إذا استحسنتم هذا رفعتموه وأفدتموني إنكم قد رفعتموه وألاّ عملتم بحسب ما ترون أما نحن فاليأس مخيم علينا ولا نرى خلاصًا من يد الرجل إلا

بأن يجعل الله لنا فرجًا من عنده ويهيئ لنا من أمرنا رشدا إلا ان هذا لا يمنع من العمل بالأسباب للإعذار وإقامة الحجة ولا حول ولا قوة إلا بالله ولسنا يا سادتي آسفين بشيء ولا نعاتب أنفسنا على شيء لأنّا متجنبون كل ما يمكن ان نؤاخذ عليه بكل ما عندنا من استطاعة فنحن مظلومون في نظر العقل وفي نظر الشرع وفي نظر الإنسانية وحتى في نظر السياسة الحكيمة المستقيمة فما نفاه في الخطاب من الحقد وإرادة التشفي هو نفسه السبب في بقاء من بقي في السجن ما في ذلك ريب ولكن الموعد الحشر وعند الله يجتمع الخصوم وهو الحكم العدل المطلع على السرائر والنيات والعالم بالبواطن والظواهر ولكل شيء غاية ولكل بداية نهاية وما شاء الله كان.

أحفظوا هذا وما بجانبه وكل ما يصل إليكم منا من كتب في البريد أو غيره فإنها أشبه بمذكرات لحوادث سنحتاج إلى الكلام عنها في المستقبل فلا تضيعوا منها شيئًا أرجوكم ثم أرجوكم.

والى هنا ويقف القلم وإذا تجدد ما يجب رفعه فإلى ان يصل الرسول ونوضحه بالطريقة الأخرى وسلام الله عليكم ٩ شعبان سنة ٧٢

عبدالرحمن الإرياني

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وكفى وصلاة الله وسلامه
على عباده الذين اصطفى .

سادتي الاخوان واولادي الأعزاء جمل الله بهم الوجود
وحرسهم وكلاهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والله المسئول ان يجمعني بهم على احب الاحوال
اليه واحسنها لديه وارضاها له واثرها
عنده امين .

١٣٧٤هـ

احرر لكم هذه الرسالة وليست ببعيدة من حديثي
وعهدي بكم وبالحديث معكم على هذا النحو من العام
الماضي وقد ادليت بتلك الرسالة بما عندي
من نصائح وارشادات تتعلق بالاولاد اصلحهم الله
الذين سيحملون الرسالة في المستقبل ويؤدون
امانة العلم وامانة الدين للوطن والقومية
الى جانب تحملهم مسئولية كفالة العائلة
وحراسة مجد الأسرة وقلت لكم انه لو تم

(ملحق رقم ١٠)

ما نشره الأستاذ محمد أحمد نعمان
تحت عنوان من وراء الأسوار

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تعليقًا على سؤال ٣٤ [١]وأجوبة الإخوان دارت المناقشة حول الاتصال والانفصال واقترح بعض الإخوان ان تبحث المسألة من جهتكم ومن جهة من هنا حتى ننتهي إلى رأي واحد أو يحتفظ البعض بآرائهم.

وانتم تعرفون رأيي في الانفصال، فقد ناقشنا الموضوع مع الفخري[٢] ومعكم أيضًا. وأنا لا أزال اعتقد وجاهة ذلك الرأي، إلا أني بعد ان كنت أتمسك به كغاية على إثر تلك الصدمات التي قاسيناها من القسم الأعلى أصبحت الآن أتمسك به كوسيلة، ونظرًا إلى ما قد فهمنا من اتجاهات الدار رقم (١٣٠)[٣] وفروعه نحو الوحدة، والاتجاهات العربية العامة أيضًا.

والأسباب التي جعلتني اقتنع بوجاهة ذلك الرأي هو ما كنت اعرفه مما لا تزال الأيام تزيدنا به معرفة من تمسك القسم الأعلى عامتهم وخاصتهم إلا النزر القليل من المتنورين بالخلافة الهاشمية واعتقادهم الاعتقاد الجازم انه لا يجوز ان يتولى

(١) هو الرقم السري لمحمد أحمد نعمان والخطاب موجه إلى الأستاذ أحمد نعمان.
(٢) الفخري هو المرحوم عبد الله عبد الإله الأغبري.
(٣) رمز للاتحاد الوطني.

الحكم غير سيد علوي فاطمي والعمل على إقناعهم يحتاج إلى مدة طويلة وظروف ملائمة فيها كثير من الحرية، وهذا الداء الوبيل المستفحل هو قديم جدًا، ونظرة عابرة في التاريخ اليمني تكفي لمعرفة خطر هذا الداء فهو ينخر في جسم الأمة من قبل عدة قرون، وبسببه سفكت الدماء أنهارًا.

وأهم من هذا ان الأمة فقدت عزتها وكرامتها، وألفت العبودية وأصبح اليمني لا يشعر بذاتيته، ولا يخطر على باله انه من الممكن ان يقوم إمام من غير الأسر العلوية، ويعتقد ان محله الطبيعي هو ان يكون محكومًا. وها ان أسرتكم من اكبر الأسر اليمنية وحضرتكم اكبر زعمائها، وقد كنت القائد للحركة ولكم المحل الأول. فبالله عليك أصدقني هل فكرت في يوم من الأيام في العمل لأن يؤول الحكم إليك أو إلى احد من أسرتك أو غيرها من الأسر القحطانية..؟

اعتقد انك ستجيب بالسلب، بل اعتقد أنكم حين تطالعون هذا ستفسرونه بأحد أمرين: إما بالتهور أو بالسذاجة، أما الأول فهو انسياق وراء الخيال، وأما الثاني فسطحية في الرأي لم تزن الأمور بميزانها ولا بلغت إلى أعماقها.

ومن هنا تعرف خطر هذا الداء الذي جعلنا نرضى بالدون ونألف الاستعباد أو التبعية. وإذا كان اكبر زعيم في أعظم أسرة لا يفكر في الحكم ولا يحلم به ولا يطمع إلى أكثر من ان يكون موظفًا تابعًا، وهو لا يعتقد استحقاقهم لذلك دينًا، ولكن بحكم العادة المألوفة التي قررتها العصا والكرباج. فما بالكم بمن سواكم؟ ولاسيما الذي يعتنقون ذلك على انه دين، بينما لا يوجد طفل من بني هاشم إلاّ وهو يفكر بحكم اليمن، فتأملوا البون الشاسع بيننا وبينهم لتقدروا خطر الداء.

إن الحركة في القسم الأعلى لا يمكن ان تنجح إلا على أساس حطّم صنمًا وانصب صنمًا في نفس الوقت، ومن نوع الأصنام التي ألفوا عبادتها وجرت العبودية المفروضة لها مع دمائهم أو تفرضها القوة القاهرة. والنجاح على أساس تبديل صنم بآخر معناه الفشل، وبذل جهود فيما لا يجدي نفعًا في حل المشكلة

ومعالجة الداء. وقد يقول قائل إنّا مضطرون إلى ان نلوح لهم بما أَلِفوه فننصب لهم احد هذه الأصنام ثم نعود فنحطمه، وإلاّ كان نصيبنا الفشل وبقيت المشكلة بدون حل. وهذا الإيراد وجيه إلا انه يجب ان نحاول محاولة أخرى أولية قد تجنبنا هذا الحل الذي يدعو إليه الانسياق وراء ما نراه ضروريًا للنجاح.

وتلك المحاولة هي ان يركز الأحرار والمهاجرون جهودهم في العمل على اتخاذ القسم الأسفل مركزًا للحركة، بناء على أنهم سيجدونهم ملبين لدعوتهم ويتزعم الحركة زعيم يمني شافعي أو زيدي على ان يكون من غير الأسر العلوية، وينادى به زعيمًا أو قائدًا أو نحو هذا بعد ان يتفق الأحرار من القسمين ويتفاهموا على اتخاذ القسم الأسفل قاعدة للحركة إلى ان يتم إرغام القسم الأعلى على قبول الوضع الجديد، وإذا استمرت الزعامة مدة من الزمن بغير علوي ألف الناس ذلك، وفهموا انه من الممكن ان يقوم بالأمر غير المتألهين الذي ألفوا ان يُعبدوا.

وإذا تم الاستيلاء على القسم الأسفل على أساس انه وسيلة أو بتعبير اصح مقدمة لإخضاع القسم الأعلى باتفاق بين أحرار القسمين فانه سيغنينا عن تنصيب احد الأصنام. وهذا لا يتم إلا إذا كان عند القائمين بالحركة قوة كافية لإيقاف القسم الأعلى عند حده ريثما تثبت قواعد الثورة، وتستطيع إرغام أهل العقائد المضللة على قبول الوضع. أما إذا كانت أيديهم قصيرة فان تنصيب سيد يعتبر ضروريًا ولكنه يجب ان يكون من غير الأسر الثلاث التي سبق لها ان حكمت اليمن وأصبح لها مركز مرموق لدى العامة، ولها عصبية قوية ليتسنى في يوم من الأيام إبداله بغيره مع العلم بأنه لا يعتبر ذلك حلًا نهائيًا.

اقترح البحث في الموضوع تلميذ مبارك[1] فقلت له: لعله مما يخالف الاتجاه الجديد، وبعد تعديل الرأي إلى النظر في اتخاذه كوسيلة مؤقتة رأينا عرضه عليكم لأنكم واقفون على السياسة الجديدة، فإذا وافقتم على بحثه وقررتم انه لا يتنافى مع السياسة القائمة الآن كان بحثه بصورة مستوفاة وأدلى كل برأيه.

وقد شجع على عرضه عليكم ما لاحظناه في خبر أمس من أنهم لم يضعوا

(١) يقصد به محمد الفسيل

في محل الحفل(١) غير رسم الأمير إبراهيم والباقين كلهم من اليمنيين وتناسوا الآخرين، وسواء كان ذلك عن قصد أو مجرد صدفة فإنه مما يشجع.

أفضلوا بعرض هذا على مبارك(٢) وإلزامه بإرجاعه، فإنه مما كتب للتمزيق السريع.

عبدالرحمن الإرياني

ملحق:

بعد تحرير هذا رأينا أن نحرر سؤالًا مجردًا عن إيضاح بواعثه ومدعماته، وأرسل وعاد الجواب بان الخوض بالفكرة الآن سابق لأوانه لأنها لن تجد أنصارًا في الوقت الحاضر إذ الاتجاهات العربية تؤم العمل للوحدة، ومما يجب ان أفسر المراد من قولي إني أتمسك بهذا الرأي كوسيلة، فإني لم أرد انفصال القسم الأسفل واستقلاله بحكومة، وإنما أردت أن يبدأ الأحرار إن استطاعوا باحتلاله واتخاذه مركزًا للحركة نظرًا إلى أنهم سيجدون من الأهالي أنصارًا لهم ومنهم يعملون على إخضاع القسم الأعلى. وهذه أحسن وسيلة للنجاح في مناهضته للحكومة القائمة فقد قال ابن خلدون في مقدمته:

«إن الحكومة المستجدة- ويريد بها الثائرة- إذا سلكت في مناهضة الحكومة المستقرة- ويريد بها القائمة في البلاد- مسلك المناجزة كان نصيبها الفشل. فإذا أرادت النجاح فعليها أن تسلك مسلك المطاولة، فينحاز القائمون بالثورة إلى جانب من البلاد ويساقوا الحكومة الحرب».

وعلل ذلك بان الظفر في الحرب كثيرا ما يرجع إلى اعتبارات نفسية وقد تكون وهمية:

«ولما كانت العادة المألوفة قد صيرت طاعة الحكومة المستقرة ضرورية والخروج

(١) يقصد به حفل افتتاح الاتحاد اليمني في القاهرة.

(٢) مبارك هو الاسم الحركي لمحمد أحمد نعمان.

عليها مخالفًا للمألوف، وهيبتها مستقرة في النفوس فلذلك تجد الحكومة المستجدة عوائق في التغلب عليها بالمناجزة فإذا طاولتها وتكرر الحرب وكان سجالًا، عرف الناس هرم الدولة المستقرة وتجرأوا عليها وزالت هيبتها المسيطرة على النفوس شيئًا فشيئًا، وكتب الظفر أخيرًا للدولة المستجدة سنة من السنن الطبيعية لعمران الكون».

وهذه النظرة من عالم فيلسوف اجتماعي كبير لها قيمتها. واعتقد أن رجال الحكومة الدستورية لو خرجوا أو بعضهم إلى الأطراف لما سقطت الحكومة بتلك السرعة، ولكان نصيبها في النهاية النجاح.

وأكرر مرة أخرى بأنه ليس الغرض من إحتلال القسم الأسفل أولًا انفصاله، بل الغرض اتخاذه قاعدة للحركة، وكل ذلك بعد الحصول على موافقة حكومة عدن والجامعة أو مصر على الأقل.

الرجاء تأمل هذا وإرجاعه مع الإفادة الصريحة عن رأيكم فيه، وأنا على يقين أنها لن تنحل المشكلة تمامًا إلا حين تقوم الحكومة الشعبية التي يرأسها أهل الكفاءات من أي أسرة كانوا وإن بقينا مربوطين بقاعدة فقهية عتيقة فلا فلاح لنا.

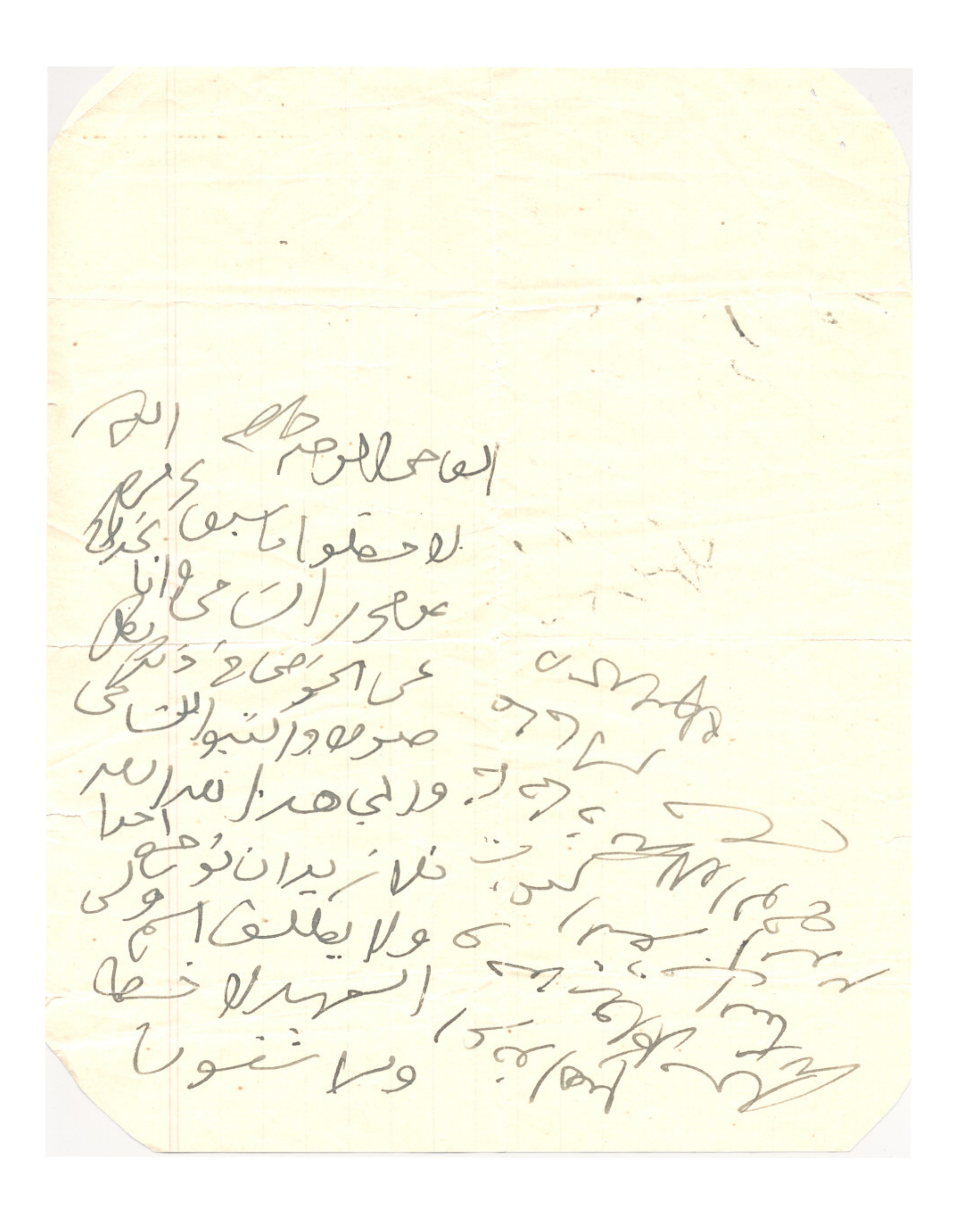
عبد الرحمن الإرياني

(ملحق رقم ١١)

رسالة الإمام أحمد الموجهة إلى القاضي عبدالرحمن الإرياني بوقف العمل في موضوع ولاية العهد

القاضي الوجيه حياكم الله

لاحظوا ما سبق تحريره إليكم على محرر الشامي وإنا نحذركم عن الخوض في ذلك بكل صورة وأكتبوا للشامي والمجاهد الله الله فلا نريد أن نوجع أحدا ولا يطلق اسم ولي العهد لا خطا ولا شفويا . اعرفوا هذا وحذروا كل من يزعم التقرب إلينا بذلك فما في ذلك إلاّ الوجع الشديد عافاكم الله والسلام



(ملحق رقم ١٢)

تنازل الإمام أحمد لإخيه عبدالله في ١٩٥٥م
وبعض المراسلات المتعلقة به

عرضي تعز ٤٠/١٥٧

من عبدالله ابن الإمام.

إلى عمال لواء إب"

قد اطلعتم وكان ما عرفتم من التنازل من مولانا الإمام ولكنه كان في حالة غضب وتوتر ثم كان يومنا الوصول إلى الإمام مع جميع العلماء الموجودين هنا وطلب منهم تحرير ما يرونه بالرضا وكان التحرير منهم بخطهم إلى كافة النظام وغير النظام ما يؤيد المحرر الأول والتزموا العموم بالطاعة والامتثال وحفظ الأمن وصدر مع هذا صورة ما تحرر فاجروا كل ما يلزم من حزم الأمور وافيدوا بوصول هذا والسلام

٩ شعبان سنة ٧٤

صورة

لقد كان ما كان من ما سبق في علم الله سبحانه والآن لعل الله سبحانه قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح فإنّا حملنا الأخ سيف الإسلام عبدالله حفظه الله الحجة وكان التنازل على أن يقوم بالأمر ويجريه على شريعة الله سبحانه ولم يبقى ما يوجب الأخذ والرد، وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء فليعد

كل واحد محله والأخ سيف الإسلام حفظه الله يخرج إلى محله بالعرضي بالقيام بأعمال الناس وعليكم جميعًا اعتماد أوامره ومن خالف هذا فعليه حجة الله والله المعين والموفق وقد كان منا التحرير إلى الملحقات بوقوف كل أحد محلة، وعود من قد خرج بيته وسيرسلها الأخ الفخري حفظه الله والسلام ٩ شعبان سنة ٧٤.

إب

٣٣٦ /٥٠

إلى حاكم يريم حرسه الله قد بلغ إليكم الأمر العام ولا تحتاجوا إلى غيره فيكون منكم أولًا تحرير البيعة منكم ومن جميع الموظفين وأمراء البلوكات ثم طلب المشايخ والعقال واخذ البيعة منهم لمولانا أمير المؤمنين عبدالله بن أمير المؤمنين بحسب التنازل إليه من الإمام والبيعة له من جميع الأمراء فيكون سرعة هذا ويكون في بياض غليظ ويصدق ذلك منكم جميعًا العامل والحاكم والمهلة لكم ثلاثة أيام وإرسال ذلك مع قاصد وأفيدوا حالًا بوصول هذا والسلام ٩ شعبان ٧٤.

آمر لواء البيضاء

محمد بن عبدالله الشامي

نائب لواء إب

أحمد السياغي

المقام

٤٧٩ /٥٠

من العباس بن الإمام إلى حاكم يريم

قد حررنا إلى العمال بما كان مما اختاره الله والإمام من التنازل لمولانا الأخ فخر

الدين عبدالله بن أمير المؤمنين أيده الله في القيام بأعمال الخلافة مطابقًا بذلك شريعة الله ورسوله وحفظًا للبلاد من الفتن ودسائس المستعمرين وكان هذا التنازل من مولانا الإمام حفظه الله نظرًا لكثرة أمراضهم وعدم تمكنهم من الأعمال كما يجب وقد تلقى ذلك كل الناس بالارتياح وبايعه في تعز العلماء والجيش والمشايخ والأعيان وكذا بصنعاء فنأمركم بالمعاونة مع العمال بأخذ البيعة ممن يلزم والبيان للناس بصورة حسنة ما وقع والله ولي التوفيق والعهدة عليكم في جري الأعمال وحسم النفي والتعريف والإفادة.

١١ شعبان ٧٤

١٥٧ / ٢ من عبد الله بن الإمام

إلى عمال لواء إب //

قد اطلعتم وإن ما عرفتم من التنازل من
سرا الأعاج ولكنه كان في حالة غضب و
ثم كان يومنا الوصول إلى الإمام مع جميع أهل الموجودين
هنا وطلب منهم تحرير ما يرونه بالرضا وكان التحرير
منهم بخطهم إلى كافة النظام وعنز النظام ما يؤيد
المحرر الأول والتزموا العموم بالطاعة والامتثال
وحفظ الأمن وصدر مع هذا صورته ما تحرر
فاجروا كل ما لازم من جرى الأمور وافيدوا وصول
هذا وصح ٩ شعبان ٧٤

صورة لقد كان ما كان من ما سبق في علم الله
سبحانه والآن لعل الله سبحانه قد وفق الجميع
إلى ما فيه الخير والصلاح فانا عمدنا الأخ سيف الإسلام
عبد الله حفظه الله الحجة وكان أن نتنازل على أن
يقوم بالأمر ويجريه على شريعة الله سبحانه ولم
يبق ما يوجب الأخذ والرد وقد كان هذا بحضور
جماعة من أهل العلم فليعد كل واحد محله والأخ
سيف الإسلام حفظه الله يخرج إلى المحله بالعرضي
بالقيام بأعمال الناس وعليكم جميعا اعتماد أمره
ومن خالف هذا فعليه حجة الله والله المعين
والموفق وقد كان ما التحرير إلى الملحقات توتوق
كل واحد بمحله وعود من قد خرج بيته ويسر

(ملحق رقم ١٣)

وشاية مقدمة للإمام أحمد

عبدالله عبدالسلام صبرة

عبدالرحمن الإرياني

عبدالغني مطهر

عبدالوهاب شرهان

عبدالقادر الخطري

علي حمود الحرازي

علي عبدالله أبولحوم

صالح عبدالله أبولحوم

علي علي الرويشان

أحمد محسن النيني

عبدالله الظبي

عبدالله السلال

محمد السخي

ناصر القرش

غالب الأحمر

الحمد لله

جلالة مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله بحق محمد وآله

هؤلاء الممثلين والمتآمرين والمتواطئين بهلاك آل البيت جميعًا وهم الأشرار أهل الأحزاب الوخيمة خيب آمالهم فهذا هي نصيحة لكم ومقالتهم أولًا هلاك أبا الشعب ونجله ومن تابعكم فلا تسهلوا في ذلك اطلبهم وبيدي أوراق عليهم مشاهد بأقلام بعضهم والباقين مكاتبتهم شفرة من عدن إلى صنعاء نظركم

جماد آخر ١٣٨١

خادمكم ناصر ناجي شاجع

محمد أحمد النهمي

١٩٦١

عبد الله عبد السلام صبرة
عبد الرحمن الإرياني
عبد الغني مطهر
عبد الوهاب شرهان
عبد القادر الخطري
علي محمد الرازي
علي عبد الله أبو لحوم
صالح عبد الله أبو لحوم
علي علي الرويشان
لطف محسن النيني
عبد الله الطيب
عبد الله السلال
محمد الشجني
ناصر القرشي
عبد الله الأحمر

وجدنا هذا بين أوراق [illegible] ٨٢

الحمد لله

حمد الله مولانا أمير المؤمنين أيده الله [illegible]
هادر الممثلين والمتآمرين والمتواطئين
بهلاك الأبيات جميعاً وهما
ائتزار أهل الأحزاب الوخيمة حسب
آمالهم نهدي إليها نصيحتكم ومقالتهم
أول هلاك أبناء الشعب وكلهم ومن تابعكم
فلا تتهاونوا في ذلك لطلبهم وبعد [illegible]
عليهم مشاهد بأقلامهم تفضحهم والباقين منكم
نيتهم شرعي عند الأصفياء نظراً لكم
[illegible]
جمادى الأولى ١٣٨١

خادمكم
ناصر ناصر [illegible]
محمد أحمد النهمي

(ملحق رقم ١٤)

الرسالة الموجهة إلى المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ/ محمد سرور الصبان حفظه الله

تحية أخوية إسلامية مباركة

وبعد، فإنه يسرني وأنا أغادر الديار المقدسة بعد حضوري الجلسة الأولى للجنة التأسيسية أن أبعث إلى الأمانة العامة بعض الخواطر التي يرجى - إذا هي وُضِعَت موضع الاعتبار - أن تُسهم في إنجاح رسالة الرابطة وتحقيق أهدافها.

إن مَن يرمي بنظرة عامة وسريعة على هذه الرقعة الواسعة من الأرض، والتي يعيش عليها ما يربو على أربعمائة مليون مسلم، يروعه أول الأمر هذا التفكك المشين ويهوله بادئ ذي بدء قيام التجزئة والسدود المادية والمعنوية التي تعزل هذه الأقطار المسلمة بعضها عن بعض، حتى كأنها لا تربطها رابطة، ولا تجمعها عقيدة حياتية ومصيرية واحدة.

ولكن من يستقر بنظرهِ قليلًا لكي يتتبع الحركة القائمة في هذه المساحة الواسعة، ويتتبع نشاطها، يستطيع أن يُميز بشائر فجر جديد ودلائل بعث للفكرة الإسلامية ورسالتها الإنسانية الخالدة.

أما من يتعمق بنظره حتى يستكنه جوهر العقيدة الشاملة التي تجمع بين قلوب وعقول أبناء هذا العالم الإسلامي الفسيح، ويكتشف في أصولها وفروعها من

شمول عقائدي كوني، يقدم دستورًا حياتيًا عادلًا وحكيمًا، ويعطي تفسيرًا مصيريًا للإنسان مرضيًا وسليمًا، ثم يلمس ما في فروعها من حث على التعاون، وحض على توحيد الصف والكلمة بين أبنائها، إن من يتعمق ببصره وبصيرته إلى هذا الحد يستطيع أن يطمئن قلبًا ويقر عينًا ويستريح ضميرًا، لأنه يخرج بنتيجة هي أن أبناء هذه العقيدة المثلى صائرون حتمًا إلى تعاون أوثق، وصف أمتن، وبناء دولي أقوى وأكثر قدرة على أداء الرسالة الإسلامية الإنسانية الخالدة.

ولكن أحدًا لا يستطيع أن ينكر أو يتجاهل الصعوبات الجمّة، والعقبات الكأدى التي تحول دون قيام هذا التعاون وشموخ هذا البناء الإسلامي، إلاّ أن التسهيلات التي تقدمها العقيدة الموحدة بما في طبيعتها من دواعي النجاح، والمساعدات التي تقدمها ظروف هذا العصر الذي نعيش فيه، والحوافز القوية التي تدفعنا بها ظروف المرحلة الحاضرة من تطورنا وتطور العالم ومتطلباتها، تجعل من السهل أن نقول إن المستقبل ضمين بتحقيق الآمال وإخراج الأحلام إلى حيز الحقائق المجسدة.

ولا شك أن هناك صعوبات كثيرة تؤخر قيام الصف الموحد للعالم الإسلامي ولكن أهمها يعود إلى ثلاثة عوامل:-

أما أولها فهو إنعدام الوحدة اللغوية لأبناء العقيدة الإسلامية، مما يسبب تنوعًا في التفكير والاتجاهات، واختلافًا في الآراء والمواقف، وصعوبة في التفاهم ونقل الأفكار بوضوح كامل.

وواجب الحكومات الإسلامية في هذا الصدد أن تعمل على جعل اللغة العربية لغة سائدة بغض النظر عن أن تكون اللغة الأولى أو الثانية في الأقطار الإسلامية، وتقديم اللغة العربية في هذا المجال إنما يأتي في الدرجة الأولى من كونها لغة القرآن ولغة من أنزل إليه.

وثاني هذه الصعوبات يأتي من إختلاف مناهج التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وعدم قيام تخطيط منهجي إسلامي بتقريب بعض هذه المناهج من بعض

تمهيدًا لتوحيدها في المستقبل، وتمهيدًا لقيام الكيان الإسلامي بإعداد الشباب المتجانس ثقافيًا وفكريًا، وهذه الصعوبة لا تأتي من إختلاف المناهج فحسب، بل وتأتي من التفاوت الملحوظ في الاهتمام بالإسلام تعليمًا ودراسةً وبحثًا، ففي بعض الأقطار الإسلامية يكتفى – بالنسبة لمن لم يتخصص في دراسة دينية- بدراسة بضع آيات من القرآن الكريم وحفظ قليل من هذا القليل، وباستعراض بعض الأحاديث النبوية شرحًا وتحليلًا وربما حفظًا للقليل منها أيضًا، ويتخرج الطالب من مجال تخصصه وقد يصبح مسئولًا عن بعض شؤون بلاده، وليس في ذهنه عن القرآن والسنة إلاّ ذكريات غائمة من أيام دراسته الثانوية، أما سائر العلوم الإنسانية من فروع وأصول فهو لا يعرف عنها شيئًا.

أما الصعوبة الثالثة وهي أشد الصعوبات حساسيةً وأكثرها حاجةً إلى الشجاعة العلمية في معالجتها والحديث عنها، هذه هي التي تأتي من اختلاف الاتجاهات السياسية بين حكومات الأقطار الإسلامية، وتؤدي بالتالي إلى قيام التوتر في العلاقات وإنهيار التعاون بين قُطرين إسلاميين أو أكثر، وكثيرًا ما تُعالج هذه الخلافات معالجة خاطئة نتيجة لجهل المشرفين على وسائل الإعلام والدعاية، وربما كان من الممكن أن تصبح هذه الاختلافات من بعض روافد العقيدة واخصابها وتوسيع قوانينها وتشريعاتها وعاملًا من عوامل قيام نشاط فكري إسلامي مزدهر، ذلك لو أنها عولجت بروح متسامحة وبصدور واسعة وتسامح فكري عهدناه في السلف الصالح من رجال المسلمين وعُلمائهم وحكامهم، ولا شك أن كثيرًا من مظاهر الاختلاف في الاتجاهات السياسية للحكومات الإسلامية يعود إلى التباين في مراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي التي يجتازها كل قطر إسلامي على حدة، ومن هنا يتبين لنا أهمية قيام تعاون وتخطيط اقتصادي واجتماعي مشترك للأقطار الإسلامية تمهيدًا لإيجاد الظروف والجو المناسبين لقيام صف إسلامي موحد متعاون.

أمّا التسهيلات أو العوامل المساعدة التي تُعين على تحقيق الأمل في قيام صف عربي موحد وكيان إسلامي متين فتعود أيضًا إلى عوامل ثلاثة:-

فأمّا أولها وأهمها فهو طبيعة العقيدة الإسلامية وجوهرها، وروح هذه العقيدة وغاية أصولها وفروعها، ان العقيدة الإسلامية تعتبر المسلمين كيانًا واحدًا وأمة واحدة، وتعتبر رابط الاعتقاد الموحد فوق كل الروابط، ولا ريب ان رابطة الاعتقاد كانت - لو لم تتعرض الدولة الإسلامية للنكبات والاستعمار- ستؤدي إلى وحدة التاريخ، وربما إلى وحدة اللغة أيضًا، ومن هنا كانت ستحقق للأمة الإسلامية أهم عوامل وحدتها الكاملة، ولكن الباب لا يزال أمام هذه الغاية السامية مفتوحًا، هذا جانب من العقيدة الإسلامية، وجانب آخر يأتي من تشريعاتها الفرعية والتعبدية، فالحج مثلًا يعتبر من أخصب المجالات وأغناها لتحقيق التعاون الإسلامي إذا نحن فهمنا حكمة هذه الفريضة على الوجه الصحيح وعملنا بهذا الفهم.

وأما ثاني هذه العوامل المساعدة فهو الحافز القوي والدافع الملح اللذان نبعا من واقع عالمنا الإسلامي المفكك المجزأ المتنافر أحيانًا، إن الحافز القوي المقنع إذا توغل في النفوس أدى إلى تحريك الضمائر وإيقاظ الهمم، واعتقد أن هذا الحافز قد وجد عند كثيرٍ من عُلماء المسلمين وأصحاب الشأن في العالم الإسلامي، فأخذ يحركهم إلى القيام بعمل ايجابي بنّاء، إن المسلمين بدأوا يحسون بالضرورة الملحة للم الشعث، وتوحيد الكلمة، وترسيخ الكيان الإسلامي الموحد.

أما ثالث هذه العوامل المساعدة فيأتي من مستوى التقدم العلمي الذي أحرزه عالمنا الحديث وازدهار وسائل الاتصال من وسائل حسية ومعنوية، إن هذا التقدم العظيم قد جعل العالم الإسلامي المترامي الأطراف وكأنه قُطر واحد محدود الأبعاد، ويمكن بالتالي أن يجعل من الشعوب الإسلامية المفككة مجتمعًا واحد منسجمًا بل أسرة واحدة متكاملة، إن الطائرة والباخرة والمواصلات الآلية بصفة عامة قد ضغطت المسافات واختصرت الزمان فربطت العالم ربطًا حسيًا كاملًا، والمذياع والصحافة وغيرها من المخترعات قد ربطت العالم ربطًا معنويًا قويًا، وهذا مما يسهل للشعوب الإسلامية أن تبدأ العمل الجاد لتحقيق آمالها فورًا.

وهانحن رغم كل الصعوبات المذكورة، وبمساعدة كل العوامل المساعدة السابقة

الذكر قد قمنا بأول عمل إيجابي بنّاء في إقامة هذه الرابطة الميمونة، إذ دفع الإحساس الحاد بضرورة عمل شيئ للمسلمين عاهل هذه الديار المقدسة حفظه الله فدعا إلى ذلك المؤتمر الذي أنتج هذه الرابطة، ودفعنا الحافز القوي والشعور بضرورة هذا العمل، إلى تلبية هذه الدعوة، وقدمت لنا مشاعر ديننا المجال الخصب المغني فكان موسم الحج خير تربة لبذر البذرة الطيبة التي ستنبت الشجرة المباركة الوارفة الظِلال لتجمع في ظلها عالمنا الإسلامي الكبير، وقد قدم لنا التقدم الآلي المساعدة الفعالة، فسرعان ما تجمعنا هنا من كل حدب وصوب، وساعدنا لنلتقي هنا مرة أخرى بالسرعة التي تتطلبها ضرورة الانجاز، والعمل المثمر، وسوف تقدم لنا هذه المساعدات كلما أردنا أن نلتقي لتحقيق خطوة إلى الأمام، وبالسرعة التي تتطلبها الضرورة الملحة لمرحلة تطورنا الحالية، ومرحلة تطور العالم التي تزحف دائمًا إلى الأمام ولا تلتفت إلى المتخلفين والمتخاذلين.

لقد حققنا بذلك المؤتمر وبقيام هذه الرابطة أول خطوة في الطريق الطويل الشاق المليء بالمهاوي والعقبات والذي تكثر فيه المتاهات والمسالك المضللة، إن هذا العمل ليس إلاّ خطوة أولى، ولا يزال أمامنا خطوات كثيرة لكي نصل إلى الآمال العذبة والأهداف السامية.

والواجب المحتم علينا الآن هو أن نقف وقفة قصيرة بعد تحقيق هذه الخطوة لننظر إلى ما حققناه وكيف حققناه؟ وإلى ما يجب أن نحققه وكيف يجب أن نحققه؟

إن أول ما يجب علينا أن نعمله أثناء هذه الوقفة القصيرة هو – فيما أعتقد – أن نكون أكثر وضوحًا في تحديد الأهداف والغايات، وما الذي نريد أن نعمله ونصل إليه في عملنا هذا، إن تحديد الهدف والغاية في حد ذاته ضرورة ملحة، به نتبين إذا كنا قد أمحضنا النصيحة لله والخدمة للإسلام أم لا، ونتعرف على الطريق الذي سنسلكه تعرفًا كاملًا، فلا تجرنا الحوادث الطارئة إلى المسالك الجانبية والمتاهات الفرعية المضللة، ولا توقعنا التعصبات المذهبية والأهـواء الإقليمية

الخاصة في الهوى والمزالق الكثيرة في الطريق الشاق الطويل الذي ينتظرنا، ولا تضعنا المنازعات أمام العقبات الكأداء عاجزين عن تجاوزها وتذليلها.

ومما يجب علينا أن نقوم به، هو أن نسأل أنفسنا بعد قيام هذه الرابطة هل نحن في الطريق الذي يجب أن نسلكه، هل أذبنا الأنانيات من نفوسنا وأطرحنا الفوارق المذهبية والإقليمية وانتفعنا بالكفاءات والعناصر القوية حيثما وجدت واتسعت صدورنا لتضم كل من قال لا اله إلاّ الله محمد رسول الله، مستهدفين في ذلك مصلحة الإسلام ومؤثرين بذلك الأخوة الإسلامية التي ندعو إلى إيثارها؟؟ إن الإجابة على هذا التساؤل متروك لنا، وستكون الخطوة في الطريق السليم إذا نحن أردنا أن يكون الجواب إيجابيًا، وعملنا له بإخلاص وتفان وإنكارٍ للذات، وإذا نحن حددنا الهدف والغاية استطعنا أن نحدد الوسائل والأساليب فيتحدد بذلك الطريق السليم، ويتحقق ضمان استمرارنا فيسير دون انحراف ولا تعثر.

أننا لسنا هنا بمحض إرادتنا، بل نحن نؤدي فريضة الله الكفائية علينا، ننوب بها عن أبناء ديننا، فنحن مسئولون مسئولية مكلف حر، ومحاسبون أمام الله محاسبة مكلف عاقل مريد يعرف الواجب ويعرف الخطأ والصواب، ومن هنا كان الواجب علينا من أجل أنفسنا ومن أجل الخير لأمتنا وديننا أن نقف مواقف صريحة إقتناعية عقائدية نابعة من ضمائرنا ومعرفتنا، وأن نلتزم بالصواب على مقدار علمنا وبما تسمح لنا به أفهامنا وعقولنا الإنسانية القاصرة، إننا إذا حضرنا هنا وفي هذه البلدة المقدسة والكعبة المشرفة على قيد البصر منا مستشعرين أننا نعمل كورثة للأنبياء في تبليغ الرسالة وحمايتها والذود عن حياضها، فنعادي حينما نعادي لله ومن اجل دينه، ونوالي حينما نوالي في الله ومن أجل دينه، استطعنا ان نحدد الهدف والغاية والوسيلة الموصلة إلى ما نبتغي.

وإن أهم ما يجب أن نجأر به بإخلاص، ونرفع به أصواتنا بإيمان ان رابطتنا هذه يجب أن تستمر فوق كل الخلافات وتترفع عن كل الخصومات والمهاترات وان تنطلق أعمالها من منطلق واحد هو الرغبة الصادقة في نصرة الإسلام ورفع راياته،

وتتجه إلى هدف واحد هو إخراج هذه الرغبة من حيز الأمل إلى حيز العمل، ومن مجال الأقوال إلى ميدان الأعمال، وأننا يجب ان نعمل لهذه الغاية السامية بتجرد كامل وبروح موضوعية خالية إلاّ من خشية الله ومعرفة الواجب، وبقلوب وعقول محايدة لا تنحاز إلاّ لما تعتقد انه الحق، ولما تؤمن انه الواجب، فان نحن شجبنا اتجاهًا فعلنا ذلك لأننا مقتنعون اقتناعًا عقليًا وقلبيًا بأننا ملزمون دينيًا بفعل ذلك، وإن نحن أيّدنا كان ذلك لأننا على قدر علمنا نعلم ان ذلك واجب محتم دينيًا، وما حتمه الدين حتمه العقل والقلب.

وإن مما لا شك فيه أننا جميعًا قد سمعنا كثيرًا عن المؤتمر الإسلامي الذي كان لنا شرف حضوره، والذي كانت هذه الرابطة الإسلامية نتيجة من نتائجه وثمرة من ثمراته، هذه الرابطة التي أصبحت بعد الإعلان عنها محطًا لآمال المسلمين في جميع أقطارهم يتمثلون بها الأمل المشرق في ظلام هذه المتاهات، والنور الهادي في حنادس هذه الاتجاهات الحديثة المتناقضة.

نعم، لقد سمعنا من يقول عن هذا المؤتمر الإسلامي انه ليس إلاّ مظاهرة سياسية ضد جهة معينة وفي صالح أخرى استعمل فيها سلاح الدين، وسمعنا من يقول ساخرًا: لقد سمع المسلمون كثيرًا عن مؤتمرات إسلامية مماثلة كانت كل ثمراتها ان اجتمع المؤتمرون فأكلوا وشربوا وناموا ولا شيء غير ذلك وغير طنطنة في الإذاعات لا يستفيد منها الإسلام شيئًا، ثم قرارات موجهة لا يكون لها من القيمة العملية ما للورق التي كتبت عليها.

وسمعنا أكثر من هذا وأقذر منه، فنحن إذًا مدعوون جميعًا علماء وقادة إلى ان نكذب ظنون هؤلاء المتخرصين الحاقدين، نكذبهم بالعمل الجاد الدائب في أداء الرسالة ونكذبهم بالتضحية والبذل من أجل أداء أمانة الله في أعناقنا، ونكذبهم بإنكار الذات وإطراح الأنانيات والعصبيات، وبإعطاء العُلماء المخلصين العاملين الواعين الذين وقفوا أنفسهم على خدمة الدين ونشر تعاليمه والعمل على ان يحكم في هذه الحياة كما أراد الله له ان يفعل لعطائهم أدوارًا قيادية يتمكنون معها من توجيه هذه الرابطة توجيهًا إسلاميًا واعيًا متطورًا متسامحًا يضمن للرابطة النجاح في الوصول بعون الله وتوفيقه إلى الغاية السامية فإذا نحن فعلنا ذلك وأحسنا في

القول وأخلصنا في العمل رجونا ان نبلغ الغاية ويأتي اليوم الذي يقول فيه المعارض الساخر: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانًا خليلًا لقد أضلني عن الذكر إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا.

وفق الله الجميع إلى ما فيه الخير والفلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

نائب رئيس الهيئة الشرعية العُليا في اليمن

وعضو اللجنة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي

٢٨ ذى الحجة ١٣٨١هـ



عاش عبدالرحمن الإرياني، في قلب الحركة الوطنية، وفي صميم مسيرة الأحرار اليمنيين، وشارك بفعالية في صنع أحداثها وتطوراتها، وكابد ما كابده رفاق المسيرة من المشاق والصعوبات، وأهوال السجون والمعتقلات، وذلك في مرحلة ما قبل ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر الخالدة عام ١٩٦٢م، كما كابد مع رفاقه الأحرار، الصعوبات الكبيرة والمريرة في مرحلة ما بعد الثورة حتى تثبيتها بتثبيت نظامها الجمهوري عام ١٩٧٠م بعد تحمله للمسؤولية في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، ثم حتى تاريخ اعتزاله للعمل السياسي المباشر عام ١٩٧٤م، بل واستمر في إبداء الرأي وإسداء النصح للمسؤولين خلال كل ما مر به وطنه من الأحداث حتى وفاته عام ١٩٩٨م تغمده الله بواسع رحمته.

ومن هنا فانه من البديهي أن يُقال بأن مذكرات القاضي العلامة المناضل الرئيس عبدالرحمن الإرياني، هي من أوفى وأشمل ما صدر عن الحركة الوطنية اليمنية وعما قامت به من الأعمال النضالية المجيدة، وما فجرته من الثورات والانتفاضات الثورية، حتى قيام ثورتها الخالدة وإعلان النظام الجمهوري في اليمن، ثم ما عانته بعد ذلك حتى تحقيق النصر النهائي والحاسم للبدء ببناء الدولة الحديثة.. هذا إن لم تكن هذه المذكرات هي الأوفى والأعم والأشمل على الإطلاق حتى اليوم، وذلك لأنها العمل الفكري والتاريخي الذي يشمل المدة كلها من ثلاثينيات القرن الماضي إلى سبعينياته.

مطهر بن علي الإرياني